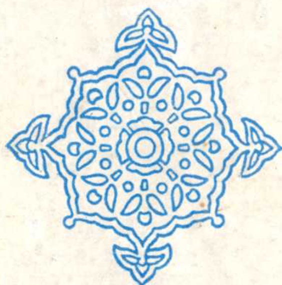


شرح الخربوتي

على البردة



الناشر

نور محمد - اصح المطابع - كارخانه تجارت كتب

آرام باغ كراچي

١ - الفرق بين الحبيب والخليل ص ٧٦

٢ - رأيت فيه ستة علامات سقط ساجداً ص ١١٢

٣ - لم يدركوا بالبصيرة الخلاصة الكلي عن ملابس ذاته ص ٩٦

٤ - ان ابا جهل كان وصياً ليتيم ص ١٠٧

٥ - اتاني آت في المنام فقال لي ان كان قد اسلم ص ١٣٣

٦ - كل نبي يقول يوم القيامة نفسي نفسي ليقاد وجودهم ص ١٢٥

٧ - وكانت ليلة جمعة امر الله في تلك الليلة ص ١١٢

٨ - تحققه وبروزه بصفة الانسانية والانسلاخ عن البشرية

وما رميت اذ رميت ، ان للقائل بيانا سونك ص ٧٢ ح

٩ - استدلال على قيام المجد ببيت من مادود عبد وقاتلي ص ٧٦ ح

١٠ - وشربها بحر روحانية محمد فكل رسول ونبي وولي آخذون بقدر ص ٨٤

١١ - اضفني اليك بالعبودية يارب - فانت حبيب الله ص ٨٥ ح

١٢ - والحق ان من اطلع على الحقيقة المحمدية وعلم قدرها اعترف ص ٩٥ ح

١٣ - اما لغيرة المحبة عن فلوة الحبيب لدى الاغيار ص ٩٢ ح

١٤ - ذبح ولد جابر ودعا النبي لاحياء ص ٩٢ ش

١٥ - لا يسمع ولا يبصر ولا يعطش ولا يذوق الا بجلت قدرته

وصمت نسمته كذلك لا يعلم الا بعلمه الذي لا يجهلون

بشيء منه ص ٢١٩ ح

١٦ - الحمد لله على جميع مصالح الدنيا والدين ص ٨٥

لا اله الا الله محمد رسول الله

عصيدة الشهدة

شرح

قصيدة البردة للبوصيري رح

تاليف: العلامة عمر بن احمد الخربوتي رح

وبهامشه شرح شيخ زاده

١ مفرق ٩٥١

ناشر

پرنٹر:- تنویر پریس

نور محمد
اصح المطابع وكارخانه تجارت كتب
آرام باغ۔ کراچی

لا اله الا الله محمد رسول الله

عصيدة الشهدة

شرح

قصيدة البردة للبوصيريؒ

تاليف: العلامة عمر بن احمد الخرپوتیؒ

وبهامشه شرح شيخ زادهؒ

۱ طرفی ۱۰
۹۵۱



نور محمد
اصح المطابع وکارخانه تجارتِ کتب
آرام باغ۔ کراچی

پرنٹر:۔ تنویر پریس

قصيدة البردة

خربوتی	شیخ زاده		
		بسم الله الرحمن الرحيم	
		الحمد لله منشي الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القدم	
٦	٦	أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم	١
٩	٩	أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم	٢
١٢	١٢	فما لعينيك إن قلت اكففا همتا وما لقلبك إن قلت استفق يهم	٣
١٤	١٤	أيحسب الصب أن الحب منكتم ما بين منسجم منه ومضطرم	٤
١٧	١٧	لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ولا أرقت لذكر البان والعلم	٥
١٩	١٩	فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت به عليك عدول الدمع والسقم	٦
٢١	٢١	وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى مثل البهار على خديك والعنم	٧
٢٢	٢٢	نعم سرى طيف من أهوى فأرقني والحب يعترض اللذات بالألم	٨
٢٤	٢٤	يا لائمي في الهوى العذري معذرة	٩

خربوتی	شیخ زاده		
		مني إليك ولو أنصفت لم تلم	
٢٦	٢٦	عدتك حالي لا سري بمستتر عن الوشاة ولا دائي بمنحسم	١٠
٢٨	٢٨	محضتني النصح لكن لست أسمعه إن المحب عن العذال في صمم	١١
٣١	٣١	إني اتهمت نصيح الشيب في عذلي والشيب أبعد في نصح عن التهم	١٢
٣٢	٣٢	فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم	١٣
٣٥	٣٥	ولا أعدت من الفعل الجميل قرى ضيف ألم برأسي غير محتشم	١٤
٣٨	٣٨	لو كنت أعلم أني ما أوقره كتمت سرا بدا لي منه بالكتم	١٥
٣٨	٣٨	من لي برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم	١٦
٤٠	٤٠	فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النهم	١٧
٤١	٤١	والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم	١٨
٤٣	٤٣	فاصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولى يصم أو يصم	١٩
٤٥	٤٥	وراعها وهي في الأعمال سائمة	٢٠

خربوتي	شيخ زاده		
		وان هي استحلت المرعى فلا تسم	
٤٧	٤٧	كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر ان السم في الدسم	٢١
٤٩	٤٩	واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم	٢٢
٥٢	٥٢	واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حمية الندم	٢٣
٥٣	٥٣	وخالف النفس والشيطان واعصهما وان هما محضاك النصح فاتهم	٢٤
٥٦	٥٦	ولا تطع منهما خصما ولا حكما فانت تعرف كيد الخصم والحكم	٢٥
٥٨	٥٨	استغفر الله من قول بلا عمل لقد نسبت به نسلا لذي عقم	٢٦
٦٠	٦٠	امرتك الخير لكن ما ائتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقم	٢٧
٦١	٦١	ولا تزودت قبل الموت نافلة ولم اصل سوى فرض ولم اصم	٢٨
٦٣	٦٣	ظلمت سنة من احيى الظلام الى ان اشتكت قدماه الضر من ورم	٢٩
٦٦	٦٦	وشد من سغب احشاءه وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الادم	٣٠
٦٨	٦٨	وراودته الجبال الشم من ذهب	٣١

خربوتي	شيخ زاده		
		عن نفسه فاراها ايما شمم	
٦٩	٦٩	واكدت زهده فيها ضرورته ان الضرورة لا تعدو على العصم	٣٢
٧٠	٧٠	وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم	٣٣
٧٢	٧٢	محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم	٣٤
٧٤	٧٤	نبينا الآمر الناهي فلا احد ابر في قول لا منه ولا نعم	٣٥
٧٥	٧٥	هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الاهوال مقتحم	٣٦
٧٨	٧٨	دعا الى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم	٣٧
٧٩	٧٩	فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم	٣٨
٨١	٨١	وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر او رشفا من الديم	٣٩
٨٣	٨٣	وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم او من شكلة الحكم	٤٠
٨٥	٨٥	فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم	٤١
٨٦	٨٦	منزه عن شريك في محاسنه	٤٢

		شيخ زاده	خربوتي
	فجوهر الحسن فيه غير منقسم		
٤٣	دع ما ادعته النصارى في نبيهم	٨٧	٨٧
	واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم		
٤٤	فانسب الى ذاته ما شئت من شرف	٨٩	٨٩
	وانسب الى قدره ما شئت من عظم		
٤٥	فان فضل رسول الله ليس له	٨٩	٨٩
	حد فيعرب عنه ناطق بفم		
٤٦	لو ناسبت قدره آياته عظما	٩٠	٩٠
	احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم		
٤٧	لم يمتحنا بما تعيى العقول به	٩٣	٩٣
	حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم		
٤٨	اعيى الورى فهم معناه فليس يرى	٩٤	٩٤
	للقرب والبعد منه غير منفحم		
٤٩	كالشمس تظهر للعينين من بعد	٩٥	٩٥
	صغيرة وتكل الطرف من امم		
٥٠	وكيف يدرك في الدنيا حقيقته	٩٦	٩٦
	قوم نيام تسلوا عنه بالحلم		
٥١	فمبلغ العلم فيه انه بشر	٩٨	٩٨
	وانه خير خلق الله كلهم		
٥٢	وكل آي اتى الرسل الكرام بها	٩٨	٩٨
	فانما اتصلت من نوره بهم		
٥٣	فانه شمس فضل هم كواكبها	١٠٠	١٠٠

		شيخ زاده	خربوتي
	يظهرن انوارها للناس في الظلم		
٥٤	اكرم بخلق نبي زانه خلق	١٠٣	١٠٣
	بالحسن مشتمل بالبشر متسم		
٥٥	كالزهر في ترف والبدر في شرف	١٠٥	١٠٥
	والبحر في كرم والدهر في همم		
٥٦	كانه وهو فرد في جلالته	١٠٦	١٠٦
	في عسكر حين تلقاه وفي حشم		
٥٧	كانما اللؤلؤ المكنون في صدف	١٠٨	١٠٨
	من معدني منطق منه ومبتسم		
٥٨	لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه	١٠٩	١٠٩
	طوبى لمنتشق منه وملتثم		
٥٩	ابان مولده عن طيب عنصره	١١٠	١١٠
	يا طيب مبتدأ منه ومختتم		
٦٠	يوم تفرس فيه الفرس انهم	١١٣	١١٣
	قد انذروا بحلول البؤس والنقم		
٦١	وبات ايوان كسرى وهو منصدع	١١٤	١١٤
	كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم		
٦٢	والنار خامدة الانفاس من اسف	١١٦	١١٦
	عليه والنهر ساهي العين من سدم		
٦٣	وساء ساوة ان غاضت بحيرتها	١١٧	١١٧
	ورد واردها بالغيظ حين ظمي		
٦٤	كان بالنار ما بالماء من بلل	١١٨	١١٨

خربوتي	شيخ زاده		
		حُزنًا وبالماء ما بالنار من ضرمِ	
١١٨	١١٨	والجنّ تهتف والانوار ساطعةٌ والحق يظهر من معنًى ومن كلمِ	٦٥
١٢٠	١٢٠	عمُوا وصمُّوا فاعلانُ البشائر لم تُسمَع وبارقة الانذار لم تُشَمِ	٦٦
١٢٠	١٢٠	من بعد ما اخبر الاقوامَ كاهنُهم بانّ دينهمُ المعوجَّ لم يقُمِ	٦٧
١٢٢	١٢٢	وبعد ما عاينوا في الافق من شهبٍ منقضّةٍ وفق ما في الارض من صنمِ	٦٨
١٢٢	١٢٢	حتى غدا عن طريق الوحي منهزمٌ من الشياطين يقفو اثر منهزمِ	٦٩
١٢٣	١٢٣	كانهم هربًا ابطال ابرهةٍ او عسكرٌ بالحصى من راحتيه رُمي	٧٠
١٢٦	١٢٣	نبذًا به بعد تسبيحٍ ببطنهما نبذَ المسبّح من احشاء ملتقمِ	٧١
١٢٩	١٢٩	جاءت لدعوته الاشجار ساجدةً تمشي اليه على ساقٍ بلا قدمِ	٧٢
١٣٠	١٢٩	كانما سطرت سطرًا لما كتبت فروعها من بديع الخط في اللَّقمِ	٧٣
١٣١	١٣١	مثل الغمامة انّى سار سائرةً تقيه حرّ وطيسٍ للهجير حمي	٧٤
١٣٢	١٣٢	اقسمتُ بالقمر المنشقّ انّ له	٧٥

خربوتي	شيخ زاده		
		من قلبه نسبةً مبرورة القسمِ	
١٣٥	١٣٥	وما حوى الغار من خيرٍ ومن كرمٍ وكلّ طرفٍ من الكفار عنه عمي	٧٦
١٣٦	١٣٦	فالصدق في الغار والصدّيق لم يَرِما وهم يقولون ما بالغار من ارِمِ	٧٧
١٣٧	١٣٧	ظنّوا الحمام وظنّوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحُمِ	٧٨
١٣٨	١٣٧	وقاية الله اغنت عن مضاعفةٍ من الدروع وعن عالٍ من الاُطُمِ	٧٩
١٣٩	١٣٩	ما سامني الدهر ضيمًا واستجرتُ به الّا ونلتُ جوارًا منه لم يُضَمِ	٨٠
١٤٠	١٤٠	ولا التمستُ غنى الدارين من يده الّا استلمتُ الندى من خير مستلمِ	٨١
١٤١	١٢٦	لا تُنكر الوحي من رؤياه انّ له قلبًا اذا نامت العينان لم ينمِ	٨٢
١٤٣	١٢٦	وذاك حين بلوغٍ من نبوّته فليس يُنكر فيه حالُ محتلمِ	٨٣
١٤٤	١٢٧	تبارك الله ما وحيٌ بمكتسبٍ ولا نبيٌّ على غيبٍ بمتّهمِ	٨٤
١٤٥	١٢٧	كم ابرأت وصِبًا باللمس راحتُه واطلقت اربًا من ربقة اللَّممِ	٨٥
١٤٧	١٢٨	واحيت السنةَ الشهباءَ دعوتُه	٨٦

خربوتي	شيخ زاده		
		حتى حكت غرة في الاعصر الدهم	
١٤٩	١٢٨	بعارض جاد او خلت البطاح بها	٨٧
		سيبا من اليم او سيلا من العرم	
١٥٠	١٥٠	دعني ووصفي آيات له ظهرت	٨٨
		ظهور نار القرى ليلا على علم	
١٥٠	١٥٠	فالدر يزداد حسنا وهو منتظم	٨٩
		وليس ينقص قدرا غير منتظم	
١٥١	١٥١	فما تطاول آمال المديح الى	٩٠
		ما فيه من كرم الاخلاق والشيم	
١٥٢	١٥٢	آيات حق من الرحمن محدثة	٩١
		قديمة صفة الموصوف بالقدم	
١٥٣	١٥٣	لم تقترن بزمان وهي تخبرنا	٩٢
		عن المعاد وعن عاد وعن ارم	
١٥٥	١٥٥	دامت لدينا ففاقت كل معجزة	٩٣
		من النبيين اذ جاءت ولم تدم	
١٥٦	١٥٦	محكمات فما تبقين من شبه	٩٤
		لذي شقاق ولا تبغين من حكم	
١٥٧	١٥٧	ما حوربت قط الا عاد من حرب	٩٥
		اعدى الاعادي اليها ملقي السلم	
١٥٨	١٥٨	ردت بلاغتها دعوى معارضها	٩٦
		رد الغيور يد الجاني عن الحرم	
١٥٩	١٥٩	لها معان كموج البحر في مدد	٩٧

خربوتي	شيخ زاده		
		وفوق جوهره في الحسن والقيم	
١٦٠	١٥٩	فما تعد ولا تحصى عجائبها	٩٨
		ولا تسام على الاكثار بالسأم	
١٦١	١٦١	قرت بها عين قاريها فقلت له	٩٩
		لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم	
١٦٢	١٦١	ان تتلها خيفة من حر نار لظى	١٠٠
		اطفأت حر لظى من وردها الشبم	
١٦٤	١٦٤	كانها الحوض تبيض الوجوه به	١٠١
		من العصاة وقد جاؤه كالحمم	
١٦٥	١٦٤	وكالصراط وكالميزان معدلة	١٠٢
		فالقسط من غيرها في الناس لم يقم	
١٦٧	١٦٧	لا تعجبن لحسود راح ينكرها	١٠٣
		تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم	
١٦٧	١٦٧	قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد	١٠٤
		وينكر الفم طعم الماء من سقم	
١٦٨	١٦٨	يا خير من يمم العافون ساحته	١٠٥
		سعيا وفوق متون الاينق الرسم	
١٦٩	١٦٨	ومن هو الآية الكبرى لمعتبر	١٠٦
		ومن هو النعمة العظمى لمغتنم	
١٧٢	١٦٩	سريت من حرم ليلا الى حرم	١٠٧
		كما سرى البدر في داج من الظلم	
١٧٣	١٦٩	وبت ترقى الى ان نلت منزلة	١٠٨

		شيخ زاده	خربوتي
	من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم		
١٠٩	وقدمتك جميع الانبياء بها والرسل تقديم مخدوم على خدم	١٧٤	١٧٤
١١٠	وانت تخترق السبع الطباق بهم في موكب كنت فيه صاحب العلم	١٧٤	١٧٥
١١١	حتى اذا لم تدع شأوا لمستبق من الدنو ولا مرقى لمستنم	١٧٧	١٧٧
١١٢	خفضت كل مقام بالاضافة اذ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم	١٧٨	١٧٨
١١٣	كيما تفوز بوصل اي مستتر عن العيون وسر اي مكتتم	١٧٨	١٧٩
١١٤	فحزت كل فخار غير مشترك وجزت كل مقام غير مزدحم	١٨١	١٨١
١١٥	وجل مقدار ما وليت من رتب وعز ادراك ما اوليت من نعم	١٨١	١٨٢
١١٦	بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا من العناية ركنا غير منهدم	١٨٣	١٨٣
١١٧	لما دعى الله داعينا لطاعته باكرم الرسل كنا اكرم الامم	١٨٣	١٨٤
١١٨	راعت قلوب العدى انباء بعثته كنبأة اجفلت غفلا من الغنم	١٨٦	١٨٦
١١٩	ما زال يلقاهم في كل معترك	١٨٦	١٨٦

		شيخ زاده	خربوتي
	حتى حكوا بالقنا لحما على وضم		
١٢٠	ودوا الفرار فكادوا يغبطون به اشلاء شالت مع العقبان والرخم	١٨٧	١٨٧
١٢١	تمضي الليالي ولا يدرون عدتها ما لم تكن من ليالي الاشهر الحرم	١٨٧	١٨٨
١٢٢	كانما الدين ضيف حل ساحتهم بكل قرم الى لحم العدى قرم	١٩٠	١٩٠
١٢٣	يجر بحر خميس فوق سابحة ترمي بموج من الابطال ملتطم	١٩١	١٩١
١٢٤	من كل منتدب لله محتسب يسطو بمستأصل للكفر مصطلم	١٩١	١٩٢
١٢٥	حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم من بعد غربتها موصولة الرحم	١٩٣	١٩٣
١٢٦	مكفولة ابدا منهم بخير اب وخير بعل فلم تيتم ولم تئم	١٩٣	١٩٣
١٢٧	هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ماذا رأى منهم في كل مصطدم	١٩٥	١٩٥
١٢٨	وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا فصول حتف لهم ادهى من الوخم	١٩٥	١٩٦
١٢٩	المصدري البيض حمرا بعد ما وردت من العدى كل مسود من اللمم	٢٠١	٢٠١
١٣٠	والكاتبين بسمر الخط ما تركت	٢٠١	٢٠١

خربوتي	شيخ زاده		
		اقلامهم حرف جسم غير منعجم	
٢٠٢	٢٠٢	شاكي السلاح لهم سيما تميزهم	١٣١
		والورد يمتاز بالسيما من السلم	
٢٠٣	٢٠٢	تهدي اليك رياح النصر نشرهم	١٣٢
		فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي	
٢٠٣	٢٠٣	كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا	١٣٣
		من شدة الحزم لا من شدة الحزم	
٢٠٤	٢٠٣	طارت قلوب العدى من بأسهم فرقا	١٣٤
		فما تفرق بين البهم والبهم	
٢٠٤	٢٠٤	ومن تكن برسول الله نصرته	١٣٥
		ان تلقه الأسد في آجامها تجم	
٢٠٥	٢٠٤	ولن ترى من ولي غير منتصر	١٣٦
		به ولا من عدو غير منقصم	
٢٠٦	٢٠٦	احل أمته في حرز ملته	١٣٧
		كالليث حل مع الأشبال في اجم	
٢٠٧	٢٠٧	كم جدلت كلمات الله من جدل	١٣٨
		فيه وكم خصم البرهان من خصم	
٢٠٨	٢٠٨	كفاك بالعلم في الأمي معجزة	١٣٩
		في الجاهلية والتأديب في اليتم	
٢٠٩	٢٠٩	خدمته بمديح استقيل به	١٤٠
		ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم	
٢٠٩	٢٠٩	اذ قلداني ما تخشى عواقبه	١٤١

خربوتي	شيخ زاده		
		كأنني بهما هدي من النعم	
٢١٠	٢١٠	اطعت غي الصبا في الحالتين وما	١٤٢
		حصلت الا على الآثام والندم	
٢١١	٢١٠	فيا خسارة نفس في تجارتها	١٤٣
		لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم	
٢١٢	٢١٢	ومن يبع آجلا منه بعاجله	١٤٤
		يبن له الغبن في بيع وفي سلم	
٢١٣	٢١٣	ان آت ذنبا فما عهدي بمنتقض	١٤٥
		من النبي ولا حبلي بمنصرم	
٢١٣	٢١٣	فان لي ذمة منه بتسميتي	١٤٦
		محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم	
٢١٤	٢١٤	ان لم تكن في معادي آخذا بيدي	١٤٧
		فضلا والا فقل يا زلة القدم	
٢١٥	٢١٥	حاشاه ان يحرم الراجي مكارمه	١٤٨
		او يرجع الجار منه غير محترم	
٢١٥	٢١٦	ومنذ الزمت أفكاري مدائحه	١٤٩
		وجدته لخلاصي خير ملتزم	
٢١٦	٢١٦	ولن يفوت الغنى منه يدا تربت	١٥٠
		ان الحيا ينبت الأزهار في الأكم	
٢١٧	٢١٧	ولم ارد زهرة الدنيا التي اقتطفت	١٥١
		يدا زهير بما اثنى على هرم	
٢١٨	٢١٨	يا اكرم الخلق ما لي من الوذ به	١٥٢

خربوتي	شيخ زاده		
		سواك عند حلول الحادث العمم	
٢١٨	٢١٨	ولن يضيق رسول الله جاهك بي اذا الكريم تحلى باسم منتقم	١٥٣
٢١٨	٢١٩	فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم	١٥٤
٢٢٠	٢٢٠	يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت ان الكبائر في الغفران كاللمم	١٥٥
٢٢٠	٢٢٠	لعل رحمة ربي حين يقسمها تأتي على حسب العصيان في القسم	١٥٦
٢٢١	٢٢١	يا رب واجعل رجائي غير منعكس لديك واجعل حسابي غير منخرم	١٥٧
٢٢٢	٢٢٢	والطف بعبدك في الدارين ان له صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم	١٥٨
٢٢٢	٢٢٢	وائذن لسحب صلوة منك دائمة على النبي بمنهل ومنسجم	١٥٩
٢٢٣	٢٢٣	والآل والصحب ثم التابعين لهم اهل التقى والنقى والحلم والكرم	١٦٠
٢٢٤	٢٢٤	ما رنحت عذبات البان ريح صبا واطرب العيس حادي العيس بالنغم	١٦١

قد ختمت
قصيدة
البردة

عصيدة الشهده شرح قصيدة البرده
للخربوتي وبها مشها شرح شيخ زاده

اما بعد الحمد على آلائه * والصلوة على سيد انبيائه * وعلى آله وخلفائه فان قصيدة البردة الموسومة بالكواكب الدرية في مدح خير البرية للشيخ شرف الدين ابي عبدالله محمد بن سعيد الدولاصي ثم البوصيري المتوفى سنة اربع وتسعين وستمائة قصيدة كثيرة البركات لا يزال الناس يتبركون بها في اقطار الارض وشروحها كثيرة جدا لكن شرح الجهبذ اللوذعي والاديب الالمعي عمر بن احمد الخربوتي اكرمه الله تعالى بلطفه السرمدي قد حوى اكثرها فكان اتمها فائدة واحسنها فتلقاه ايدي العلماء بالقبول وشرح الشيخ محيي الدين محمد بن مصطفى المعروف بشيخ زاده شرح وجيز مقبول فبادرنا الى طبع شرح الخربوتي من بناهو امشه بشرح شيخ زاده موافقا ابياته للابيات المندمجة في ذاك الشرح فكانت مجلة نفيسة مطبوعة

الناشر

نور محمد، كارخانه تجارت كتب، آرام باغ، كراچی

لا اله الا الله محمد رسول الله

شرح قصيدة البردة للفاضل عمر بن احمد الخربوتى رحمه الله تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمدلله الذى ملأ قلوب الشاعرين بحكمته * وزين نفوس العاشقين بمحبته * والصلوة على سيدنا محمد الذى مدحه الواصفون بالقصائد والاشعار * وعجزوا عن بيانه واعترفوا بالاقرار * وعلى آله الذين هم اهل الهدى والاقتداء * واصحابه الذين من اقتدى بهم اهتدى (وبعد) فيقول العبد العليل والفقير الكليل عمر بن احمد الخربوتى * اكرمهما الله تعالى فى الاولى والآتى * لما بدأت بقراءة القصيدة البردة المباركة فى سنة احدى واربعين بعد المأتين والالف من الهجرة على مولانا العلامة * واولانا الفهامة * ذى القلب السديد والرأى الشديد * العاشق بجمال رسول الله * الصادق فى حب نبى الله * استاذنا محمد بن عبدالله القيصرى * سمى نبى الله الملك القوى * جعله الله تعالى لنا آية تامة ورحمة عامة * ونفعنا بظل وجوده ورفعنا بايادى جوده * ووجدت تقريراته بهذه القصيدة الرائقة منظومة كنظم اللآلى الفائقة اردت ان اجمعها بلانقصان مع ازديادمنى من القواعد والبيان * مع عجزى وعدم استطاعتى فى هذا الميدان * بل وجب ان يقال لمثلى فى هذا الشان تنكب لا يقصمك الزحام * لكن تشبثت باذيال همم علماء هذا العام * لانهم كالاعلام بين الانام ومعينوا الاسلام * مستعينا من الملك اللطيف الجميل وهو المعين فى كل امر جليل * فجاء بحمد الله تعالى كتابا مطاوبا وشرحا مرغوبا * (وسميته بعصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة) فشرعت بعون الله تعالى الملك العظيم ولطف ربنا الرحيم الكريم * فقلت يجب اولا نقل بعض احوال

(الناظم)

(شرح قصيدة البردة)

(لشيخزاده)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمدلله المحتجب عن درك العيون بكمال فردانيته * المتعزز عن لواحق الظنون بجلال وحدانيته * المقدس ذاته الاحدية عن الاكفاء والامثال * المتعزز صفاته الازلية الابدية عن الفناء والزوال فسبحانه من قديم لم يزل وباق لايزال * وبالله من كريم متعال * عن الاشباه والاضداد والاشكال * هو الذى يتلى آيات كبريائه من اوراق الاطباق * وتجلى شواهد صفاته واسمائه من الانفس والآفاق * اخترع المكونات بقدرته القاهرة وابدع نظام الموجودات بحكمته الباهرة * وآثر نوعا من الخلق لكمال العرفان * فخلق الانسان علمه البيان واصطفى منهم من شاء من اصفيائه * لتبليغ الرسالة وانباء زواهر انبائه * وطهر عن ادناس نفوس الناس اسرارهم * واجل بتجليات الجمال عن موافقة الرسوم اقدارهم * واوقفهم لحفظ السالكين على مراصد السبل * لئلا يكون للناس على الله حجة بعد

الناظم وسبب تأليف هذه القصيدة المشتملة على مدائح النبى ابى القاسم عليه السلام وبيان الشرط المبينة فى قراءتها والوجوه المذكورة فى تسميتها وبيان بعض تأثيراتها ليرغب الناس فى تعظيمها * اعلم ان الناظم الفاهم رحمه الله تعالى كان ساكنا بمصر واسمه شرف الدين محمد البوصيرى نسبة الى بوصير قرية من قرى مصر وكان قدس الله سره * عالما بالعلوم العربية فصيحا فى غاية الفصاحة وبليغا فى نهاية البلاغة بل لا يوجد له مثل ولانظير * فى الفصاحة والبلاغة فى الجم الغفير * وكان قدس سره فى بداية عمره من مقربى السلاطين مقبولا عندهم ومرغوبا فيما بينهم وكان يصفهم بالابيات والاشعار الفصيحة ويهجو اعداءهم بالاوصاف القطيعة * وكان قد جاء يوما من عند احد السلاطين الى بيته فدخل السكة فصادف شيخا مليحا فقال الشيخ له ءانت رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الليلة فى المنام قال البوصيرى انى لم ار النبى فى تلك الليلة لكن امتلأ قلبى من ذلك الكلام بعشقه ومحبته عليه الصلاة والسلام فجئت الى بيتى فنمت فاذا انا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاصحاب كالشمس بين النجوم فانتبهت وقد ملئ قلبى بالمحبة والسرور ولم يفارق بعد ذلك من قلبى محبة ذلك النور انشدت فى مدحه قصائد كثيرة كالمضرية والهمزية * ثم قال الامام اصابنى خلط فالج فابطل نصفى وقطعنى عن الحركة ففكرت ان اعمل قصيدة مشتملة على مدائح النبى صلى الله عليه وسلم واستشفى بها من الله تعالى فانشدت هذه القصيدة ونمت فرأيت النبى عليه الصلاة والسلام فى المنام فقرأت عليه عليه السلام هذه القصيدة على التمام فمسح بيده الكريمة على اعضاء الحقير فقمت من المنام ملابسا بالعافية من الآلام فخرجت من بيتى غدوة فلقينى الشيخ ابو الرجاء الصديق لى فقال لى ياسيدى هات قصيدتك التى مدحت بها النبى عليه الصلوة والسلام والحال انى لم اكن اعلمت بها احدا من الناس فقلت اى قصيدة تريد فانى مدحته عليه الصلاة والسلام بقصائد كثيرة فقال هى التى اولها (امن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم) فقلت من اين حفظتها يااباالرجاء وما قرأتها على احد ممن الى جاء قال لقد سمعتها البارحة تنشدها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل ويتحرك استحسانا تحرك الاغصان المثمرة بهبوب نسيم الرياح فاعطيته اياها فنشر

الرسل * والصلوة على حبيبه الذى خصه من بينهم لصنوف العنايات * ورقاه الى اعلى مدارج المعارج واقصى الغايات * محمد المتوج بتاج الكرامة الشفيع المشفع فى يوم القيمة * المشرف بتشريف لولاك * المكرم بتكريم وما ارسلناك * المنوش لاهل النعيم * المخصوص بفضل انك لعلى خلق عظيم * المطلع على رموز حقائق اللاهوت * المجرد عن خسائس لواحق الناسوت * المتوجه لسمو همته الى الله * المعرض لعلو همته عما سواه * التارك طلب المرام بلعل وليت * المتمكن فى مقام الوحدة المشار اليها بما رميت اذ رميت * وعلى آله الابرار * وصحبه الاخيار * الذين اقاموا للحق حجته * واناروا للشرع محجته * وبينوا من البرهان سبيله * واوضحوا من الايمان دليله * ومهدوا بنيان قواعد العقائد الدينية * وشيدوا اركان عوارف المعارف اليقينية * (وبعد) فمما لايخفى على الذين طاب وقتهم بطيب الحبيب * وسر سرهم بجراحات القلب الكئيب * فشموا رائحة المحبة من رياض العشاق * وذاقوا صافية المودة من حياض الاشواق * وشربوا حميا المحيا باقداح احداق بصائرهم * فكشفت الستائر بايدى النشوة عما اودع من الاسرار فى سرائرهم * الذين فتح الله على قلوبهم ابواب المعارف * وكشف بعيون ضمائرهم عن وجوه خرائد اللطائف * وانزل عليهم رغائب نعمته * واسبل عليهم سحائب رحمته * وافاض عليهم امواج كرمه وساق اليهم افواج نعمه * انه من حاول ان يبلغ من الفضائل قاصيتها * ويملك من الشمائل ناصيتها * ورام الارتقاء فى مراقى المناقب السنية * واراد الاعتلاء على ذوى المناصب العلية * فعليه باتباع من خلق على خلق عظيم * وبعث هاديا الى

الطريق المستقيم * وارسل مستجمعا لصنوف شمائل الجود والكرم * ومستظهرا لفنون جلائل وعلم مالم تكن تعلم * اعنى سيد الاولين والآخرين * محمدا الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين * بدا مجده من قبل نشأة آدم * واسماؤه من قبل فى العرش يكتب بعثه كل النبيين ﴿ ٤ ﴾ بشروا * فلامرسل الالاحد بخطب * ولعمرى من ادعى محبة الحضرة الاحدية * ثم عطا بسائر العزم اتباع السجية المحمدية ، اصادف لصفاء طويته مرتبة محبوبية الاله * كما قال الله تع ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ ، ومما احاط بعلمه الآراء الزاهرة ، وتشرف بدركه النفوس الطاهرة ان اتباع النبى صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثاره * والتخلق باخلاقه والاستيضاء بانواره * انما يتيسر بعد تبين ديادنه وتكشف اسراره * وادراك سجاياه ومعرفة اخباره * فطوبى لمن جعل مسارح الافكار مفاخر صفاته * ومطارح الانظار مآثر سماته * وبعد ملاحظة ماجاء فى الكتب الآلهية * من جيل الشيم النبوية * تتبع تراكيب البلغاء * وتصفح اساليب الفصحاء . الذين وشحوا عزيز مقالاتهم * ورشحوا درر دلالاتهم * بشرح شمائل الرسول المثبت بالعصمة * وذكر فضائل الحبيب المؤيد بالحكمة . الشادخ الغرة الواضح التحجيل . النبى الامى المكتوب فى التورية والانجيل . والذين نشروا فى اثناء نشرهم النثرة بث مناقبه الفاخرة . وادرجوا فى ادراج شعرهم الشعرى * بكشف مراتبه فى الدنيا والاخرى * ثم اختار من المدائح والاشعار * ﴿ حتى ﴾ ماشاهد فيه اثر قبول النبى المختار * وطيران صيته فى الآفاق والاقطار * وسيران ذكره الى اقاصى البلدان والامصار * الاوهى القصيدة المشهورة بالبردة التى نظمها نظام عقود جواهر المعانى * مرشح نفائس الحكم

الخبر بين الناس (ثم اعلم انه يلزم فى قراءتها على الوجه المرضى شروط لتكون مؤثرة فيما قرئت له اولها التوضؤ وثانيها استقبال القبلة وثالثها الدقة فى تصحيح الفاظها واعرابها ورابعها كون القارئ عالما بمعانيها لان الدعوات لولم يكن القارئ عالما بمعانيها لايكون فيها تأثير كما اشار اليه على القارى فى مقدمة حزبه الاعظم بقوله فعليك بحفظ مبانيه والتأمل فى معانيه وخامسها قراءتها بالنظم لانها اوردت منظومة لامنثورة وسادسها حفظها وسابعها ان يكون القارئ مأذونا بقراءتها من اهلها وثامنها قراءتها مع التصلية على النبى عليه السلام لكن يلزم ان تكون التصلية بالصلاة التى صلى بها الامام البوصيرى وهى (مولاى صل وسلم دائما ابدا * على حبيبك خير الخلق كلهم) لابغيرها والا فلاتكون مؤثرة كما روى ان الامام الغزنوى كان يقرأ هذا القصيدة فى كل ليلة ليرى النبى عليه الصلوة والسلام فى منامه ولم توفق له الرؤيا فشكا ذلك الى شيخ كامل وسأل عن سره فقال الشيخ لعلك لاتراعى شرائطها فقال لابل اراعيها فراقب الشيخ فقال بعدها وقفت على سره وهو انك لاتصلى بالصلاة التى صلى بها الامام البوصيرى اذهو يصلى عليه عليه السلام بقوله

* مولاى صل وسلم دائما ابدا * على حبيبك خير الخلق كلهم *

وسر تصليته بهذه الصلاة دون غيرها انه لما انشدها قرأها عليه عليه السلام ولماجاء الى قوله * فمبلغ العلم فيه انه بشر * وقف الامام فيه فقال عليه السلام اقرأ فقال الامام انى لم اوفق للمصراع الثانى لهذا البيت يارسول الله فقال عليه السلام قل ياامام * وانه خير خلق الله كلهم * فادرج الامام هذا المصراع الذى قرأه عليه السلام فى صلاته وكرره فى آخر كل بيت لشدة حرصه وكمال محبته للنبى عليه الصلوة والسلام كذا ذكر فى شرح هذه القصيدة المسمى بالشفاء وتاسعها الصلاة بتلك الصلاة فى تمام كل بيت ثم انهم بينوا تأثيراتها قال الشارح الشهير بشيخ زاده وحكاية ماشوهد من آثار بركاتها فى الكتب مشهورة عند جماهير الانام فاغنانى عن الاكثار فى وصفها واطالة الكلام وحكى كثير من الشارحين انه لما كان فى عينى سعد الفاروقى رمد عظيم

الحاكية عن العرائس العوانى * بحلى العبارات الانيقة * وحلل الاستعارات الرشيقة * سمى النبى محمد البوصيرى قدس سره * فى نعت الرسول * وانتشر ذكر قبوله عليه السلام اياها انتشار آثار الصبا والقبول * كما يحكى ان ناظمه الباذل نفسه مابين معترك الاحداق والمهج * قدعرض له عارضة الفلج * وفى هذه الحالة طلب نظمها فلج * وماكان عنده فى تلك الايام * احديوانسه من الانام * وكان فى مغارة منقطعا عن الخلائق متجانبا عن الديار * فاخذ بمدح ثانى اثنين اذ هما فى الغار * فلما تمت هذه ﴿ ٥ ﴾ القصيدة التى لاتنقضى عجائبها على مر الايام * ولايخلق غرائبها على كر الشهور والاعوام * ولايطرأ على غصنها الطرى وصمة الذبول * ولايعرض لبدرها المضئ ونورها البهى آفة الافول * بادر على السجود للآله * متضرعا بين يدى رسول الله * صلى الله عليه وسلم قائلا بدمع منسجم وقلب اواه * يااكرم الخلق مالى من الوذبه * سواك عند نزول الحادث العمم * ولن يضيق رسول الله جاهك بى * اذ الكريم تجلى باسم منتقم * فان من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم * وقرأ هذه القصيدة عن آخرها * طامعا من بحار عطاياه ركوب لججها * ثم سلط رب العباد * على عينه اليقظى هجوم الرقاد * فرأى بفيضان فضل الجناب المطلق * الحبيب القائل بمقالة من رآنى فقد رأى الحق * ماسحا راحته عليه الصلوة والسلام بالتلطف على اعضائه * معطيا له راحة جراحة فى حوبائه * فتنبه رحمه الله سليم الاطراف من الم دائه * وتوجه بطول الامل لعرضها الى الحضرة المقدسة النبوية * على مشرفها الصلوة والتحية * فاذا هو بالشيخ ابى الرجاء الموسوم بالصديق * المشهود له بالقطبية على التحقيق * الذى كان منقطعا الى الله تع عن اهل الطيبة * سقاها الله كالروضة الغناء بالعياليل الصيبة * يقول الناظم خصه الله تع بمشاهدة اللقاء * قال الشيخ يامحمد هات قصيدتك الغراء * التى اعجزت فصاحتها مصانع الخطباء * او خرست بلاغتها شقاشق العرب العرباء * عزيزة عدنان يستضيؤن بساطع تبيانها * ومدارة قحطان

حتى اشرف على العمى رأى النبى عليه السلام يقول امض الى فلان وخذ منه القصيدة البردة واجعلها على عينيك فجاء اليه فاخذ القصيدة ووضعها على عينيه وقرأها فشفاه الله بها وقال فى شرح معتمد من قرأ هذه القصيدة فى كل ليلة جمعة بين المغرب والعشاء مع مراعات شروطها يموت على الايمان والاسلام ثم انهم اختلفوا فى اسمها فقال بعضهم اسمها برءة بضم الباء مع الهمزة لانه لما كان الامام قدبرئ من مرضه بهذه القصيدة سميت برءة من قبيل تسمية السبب باسم المسبب وقال بعضهم اسمها بردة بضم الباء وفتح الدال وانما سمى بها لانها فى المعنى كسوة شريفة فرضت على قد النبى عليه الصلوة والسلام حيث ذكر فيها مدائحه عليه السلام فسميت الصفات باسم الكسوة لان الصفات بتمامها استوعبت بدنه عليه السلام مثل الكسوة وقيل اسمها بردية بياء النسبة لان الامام البوصيرى قرأها حين الاتمام على النبى عليه السلام فالبسه عليه السلام بردته الشريفة فشفى بها فسميت بردية واما ما اشتهر بين الناس من تسميتها بالقصيدة البردة فغلط صريح ثم قال الناظم الفاهم اقتداء بالكتاب الكريم وامتثالا لحديث النبى الفخيم وجريا على سنن السلف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بحث البسملة مشهور بين ارباب الافادة والاستفادة فلا حاجة لنا الى الاعادة لكن يرد ان ترك الناظم الفاهم الحمدلة والتصلية مع ورود الآثار فى حقهما لايخلو عن سوء ادب ونجيب عنه بانه لانسلم انه تركهما كيف وقد سمع من بعض العرب ان الناظم الفاهم ذكرهما فى بيت مستقل وهو قوله

* الحمد لله منشى الخلق من عدم * ثم الصلوة على المختار فى القدم *

ولو سلم عدم ورود هذا البيت منه قدس سره فلم لايجوز ان تكون الهمزة

تستسلمون لقاطع برهانها * قلت اى قصيدة تريد ياقطب قاطبة الامم * قال التى استهلالها * امن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم * قلت من اين حفظت يا ابا الرجاء * وماقرأتها على احد من الى جاء * قال رأيت البارحة جناب حضرت الرسالة * مع جمع غفير في غاية العظمة والجلالة * اذا جئت متضرعا اليه * لعرض قصيدتك هذه عليه * فلا قاك بالفرح والسرور * مظهرا لدى الحضار من مديحك الحبور * واجازك فكنت تقرأ وهو يبدى الارتياح * ويتحرك استحسانا تحرك الاغصان المثمرة من هبوب نسمات الرياح * ولما آل الامر الى تمامها افتتحت بقراءة المطلع * بعد ﴿ ٦ ﴾ اختتامها فلتكرر قراءة المطلع * وعينه وجميع الامر كان كما رأيته ثم قصة وصول البردة من الحضرة للصلة مشهورة * وحكاية ماشوهد من آثار بركاتها فى الكتب مسطورة واشتهار شانها العجيب عند جماهير الانام * اغنانى من الاكثار فى وصفها واطالة الكلام * ومع مالها من مناقب يعجز القلم عن تسطيرها * ومزايا تعيى الالسن عن تقريرها مااتفق لها شرح كاشف لمشكلاتها * موضح لمعضلاتها * كافل لتوضيح مااستبهم من خفاياه * شامل لتبيين مااستعجم من جناياه * تفسير يكشف عن اسرارها * وتقرير يكفل برفع استارها * ورأيت النفوس الطاهرة راغبة فى استعلام فوائدها * وصادفت الآراء الزاهرة مائلة الى استفهام عوائدها * ورأيتها اعز ما رغب فيه ويعرج عليه واهم ماناخ مدايا الطلب لديه * فبعد طلب جماعة من اخلاء الاكياس * وثبة من ثبات حذاق الناس * شرعت فى شرح لها يتضمن بسط موجزها * وحل ملغزها * ويفصل مجملها * ويبين معضلها * وبذلت مجهودى فى تصحيح (صاحبه) الفاظها وتنقيح معانيها فجاء بحمد الله حريا بان يكتب ظاهره بالذهب على الواح الياقوت * ويرسم باطنه بالنور على خدود اهل الملكوت * والحمد لله افتتاحا واختتاما * والصلوة على رسوله ما اتسقت عقود الشهب انتظاما (مقدمة الافتتاح * لبداية راحة الارواح) اعلم ان الناظم نظمه الله تع فى سلك البررة الكرام * افتتح قبل الخوض فى تيار بحار المرام * وهو الغوص على جواهر نعوت النبى صلى الله عليه وسلم بمخاطبة نفسه اى ذاته على سبيل التجريد * مستفهما عن سبب بكائه الشديد * وسائلا عن موجب مزج دموعه بالدم السائل * فقال لله در القائل * (امن تذكر جيران بذى سلم) (مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)

فى امن تذكر الخ اشارة الى لفظة الجلالة ويشعر بالحمدلة كما هو المشهور بين ارباب التصوف ولو سلم عدم جوازه فلا نسلم انه ورد فى حقهما اعنى فى كتابتهما حديث بل الحديث الوارد فى حقهما يدل على الذكر اللسانى والناظم الفاهم وان لم يكتبهما لكن تلفظ بهما ولو سلم فلا نسلم انه سوء ادب كيف وتركهما لهضم النفس كما وقع مثله من كبار العلماء ثم اعلم ان الناظم الفاهم جعل قصيدته مرتبة على عشرة فصول وذكر فى الفصل الاول شدة حبه وهوى قلبه فقال مخاطبا نفسه اى ذاته على سبيل التجريد مستفهما عن بكائه الشديد وسائلا عن موجب مزج دموعه بالدم السائل فلله در القائل

(أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ * مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ)

الهمزة للاستفهام ومن متعلقة بمزجت وانما قدم للحصر او للضرورة اولكونه علة لمزج الدمع بالدم فقدم وضعا ليوافق الوضع الطبع واما تقديم الهمزة فلما تقرر من ان الاستفهام انما يدخل على المسئول عنه والمسؤل عنه هنا ليس مزج الدمع بالدم بل سبب المزج وهو تذكر الجيران ولانها تقتضى الصدارة كما لايخفى والتذكر مصدر تذكر فهو اما من الذكر بكسر الذال واما من الذكر بضمها والفرق بينهما ان الاول يستعمل فى الذكر اللسانى والثانى يستعمل فى الذكر القلبى كذا بينه الخيالى فى بحث العلم والتذكر مضاف الى مفعوله وفاعله محذوف وهو كاف الخطاب اى امن تذكرك بقرينة مزجت والخطاب لنفسه ففيه تجريد بديعى حيث جرد من نفسه شخصا آخر فخاطبه وانما احتاج الى التجريد ولم يخاطب

صاحبه لعدم وجدانه محبا صادقا فى الدنيا وفيه التفات اذ مقتضى الظاهر ان يقول تذكرى بياء المتكلم فتركه وعدل الى صيغة الخطاب ففيه التفات على مذهب السكاكى وهو ظاهر اذ هو لم يشترط سبق التعبير بمقتضى الظاهر سواء سبق اولا بخلاف الجمهور حيث اشترطوا سبق التعبير بما هو مقتضى الظاهر بل يجوز ان يتحقق الالتفات على مذهبهم ايضا حيث سبق التعبير فى البسملة بالتكلم فان قلت انما يتحقق مذهب الجمهور اذا كانت البسملة جزأ من الكتاب وفيه شبهة قلت كونها جزأ من الكتاب ههنا محقق لدلالة القرينة عليه وهى كون الناظم الفاهم شافعى المذهب على ماقاله اكثر الشارحين وعندهم البسملة جزء من الكتاب كما لايخفى على اولى الالباب فان قلت فما نكتة الالتفات هنا قلت قال العصام فى اطوله نكتة الالتفات ثلاث من جهة المتكلم ومن جهة الكلام ومن جهة المخاطب فاما النكتة ههنا من جهة المتكلم فالاشارة الى انه قادر على ان يأتى بالكلام على اساليب مختلفة واما من جهة الكلام فهو تزيين الكلام لورود ان تغيير الاسلوب تنشط به القلوب واما من جهة المخاطب فهو اخراج الكلام من البيان الى العيان اذ الخطاب عيان والتكلم بيان والجيران جمع جار كالنيران جمع نار والجار من قرب داره الى داره والمراد بالجيران ههنا المحبوب على طريق المجاز والاستعارة بان شبه المحبوب بالجار الحقيق فى كثرة الاختلاط معه والالتفات اليه فكذلك الناظم صنع بمحبوبه وادعى ان المحبوب من جنس الجار ثم استعير الجار للمحبوب وذكر الجيران واريد به المحبوب فعلى هذا يكون جمع الجيران للتعظيم كما فى قوله تعالى (فنعم الماهدون) وتنوينه للتفخيم كما فى قوله تعالى (فيه آيات بينات) والباء فى بذى سلم بمعنى فى والظرف مستقر صفة لجيران اى جيران كائنين فى مكان ذى سلم والسلم بفتح اللام اسم شجر وبكسرها اسم جنس للسلمة كما فى كلم وكلمة وهى ايضا اسم شجرة فى الوادى بين مكة والمدينة فالمراد ههنا هذه الشجرة لان مراده من الجيران محبوبه اعنى النبى عليه الصلاة والسلام وهذه الشجرة لها مناسبة بالنبى عليه الصلوة والسلام لانه عليه السلام كان كلما ذهب الى مكة وسلك ينزل تحت هذه الشجرة ويستريح فيه فالمعنى امن تذكر المحبوب الكائن واللابس فى مروره بمكان ذى شجرة معهود وقيل المراد من السلم دار السلام من الجنان فيكون فيه استعارة بان شبه روضة النبى عليه السلام بالجنة المسماة بدار السلام فى كونهما شريفتين وكونهما خير مكان وادعى ان الروضة من جنس دار السلام ثم استعير دار السلام للروضة

اى ماسبب اختلاط دمعك الجارى من مقلتك بالدم اهو من تذكير جيرانك المقيمين بذى السلم ايها المبتلى ببلاء الفراق * والمحترق بنيران لواعج الاشواق * ما بال دمعك المهراق * ممزوجا بدم حوبائك * كان سببه تذكر جيرانك * واحبائك * نعم من امتطى غارب الاغتراب * وفاوق اللذة والاعتزاب ثم تذكر وصل الاحباء والجيران وتفكر فى ايام موانسة الاصدقاء والخلان * كيف لايجرى دمعه ممزوجا بالدم * وكيف لايحترق قلبه بنار الحسرة والالم * يامن عبراتك على وجناتك تجول * كأنك فى مذاكرة ايام وصلهم تقول * سقى الله اياما سعدنا بقربكم * وثغر المنى فى روضة الانس ضاحك * نعمنا زمانا والعيون قريرة * واصبحت دهرا والجفون سوافك * اما مايتعلق بالتراكيب فبيانه ان الذكر بالضم مايكون بالقلب وبالكسر باللسان والتذكر يكون بعد النسيان من ايتهما اعتبرته واصل جيران جوران لانه جمع جار اصله جور واضافة التذكر اليه اضافة المصدر الى مفعوله والسلم بفتح اللام نوع من الشجر ويروى بالكسر وهو السماع وبذى سلم صفة جيران اى كائنين بمكان ذى سلم ومن الاولى متعلق بمزجت كالباء فى بدم قدمه تنبيها على ان الشك ليس فى نفس المزج اذ هو ثابت مشاهدة

فذكر اللفظ الدال على دار السلام واريد منه الروضة المباركة وقيل المراد من السلم معنى السلامة من الآثام لان قوله ذى سلم صفة موصوف محذوف اى مكان ذى سلامة والمراد من المكان اعلى عليين فعلى هذا يكون المراد من الجيران ارواح الانبياء والاولياء والصالحين والمراد بجوارتهم جوارتهم فى عالم الارواح قبل حلولها فى الابدان كما فى قول النبى عليه السلام (الارواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف) فحاصل المعنى امن تذكرك الجيران وعالم الارواح الكائنين فى محل ذى سلامة لان محل الارواح اعلى عليين قبل حلولها فى البدن واعلى عليين محل ذو سلامة من الآثام والآلام قال العصام ان كلمة ذى ان كانت صفة لنكرة فهى تضاف الى نكرة وان كانت بالعكس فهو بالعكس والفرق بين ذى وصاحب ان فى ذى يكون المضاف اشرف من المضاف اليه كما فى قوله تعالى (ذو العرش المجيد) وفى صاحب يكون بالعكس كقولهم لابى هريرة رضى الله عنه صاحب النبى عليه السلام دون ذى النبى مزجت بصيغة المخاطب خطاب للشخص الذى جرده من نفسه عبر بصيغة الماضى اشارة الى تحقق وقوعه والمزج الخلط واكثر العلماء لم يفرق بينهما لكن فرق بعضهم بان المزج انما يقال لما كان بعد الاختلاط حقيقة واحدة كالحلو المطبوخ من العسل والدهن والدقيق والخلط اعم سواء كان بعد الاختلاط حقيقة واحدة كما فى المزج او حقائق مختلفة كخلط الدراهم بالدنانير فبينهما عموم وخصوص مطلق فكل مزج خلط بدون العكس فاختيار الناظم المزج على الخلط للمبالغة كما لايخفى والدمع ماء مالح يجرى من العين عند الحزن وفرقوا بين بكاء الحزن وبكاء السرور بان الماء السائل من العين فى السرور بارد وفى الحزن حار والدمع اسم جنس كتمر وتمرة ولم يقل دمعة اما للاشارة الى ان الجارى من عينيه ليس واحدا بل هو كثير واما للنظم وجرى من الجرى والجريان وهو السيلان والجملة صفة دمع لكنه وصف وقوعى لا احترازى كما فى قوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) ومن مقلة متعلق بجرى والمقلة هى البياض والسواد اللذان فى داخل العين كما قال الشاعر

* اذا مامقلتى رمدت فكحلى * تراب من نعال ابى تراب *

* هو البكاء فى المحراب ليلا * هو الضحاك فى يوم الضراب *

وبدم متعلق بمزجت والتنوينات فى دمع وفى مقلة وفى دم عوض عن المضاف اليه وهو كاف الخطاب ثم ان مزج الدمع بالدم اما حقيقة كما يشعر به قوله الآتى * واثبت الوجد خطى عبرة وضنى * واما كناية عن لازمه وهو شدة

(الحزن)

بل فى سببه ومن الثانية متعلقة بجرى وهو صفة دمعا والتنوين فى جيران ومقلة ودم عوض عن المضاف اليه وهو كاف الخطاب المراد به الناظم نفسه على ماسبقت الاشارة اليه فكأنه يقول يا من جفونه توالى فوق خديه ماؤها * ونفسه تناهى بين جنبيه داؤها * فصار جسمه غريقا فى بحار الدموع * وقلبه حريقا فى اوار نار الضلوع * اهذا البكاء من تذكر الجيران والاصحاب * ام من هبوب الريح ووميض البرق من تلقاء منزل الاحباب * كما قال عليه رضوان الملك الوهاب * (ام هبت الريح من تلقاء كاظمة) (واومض البرق فى الظلماء من اضم) كلمة ام متصلة هبت الريح هاجت ومن لابتداء الغاية والتلقاء الجهة والكاظمة ﴿ ٩ ﴾ اسم موضع واومض بمعنى لمع واضم بكسر الهمزة اسم جبل وواو العطف اما على حقيقتها فيكون الترديد بين الشئ والشيئين او بمعنى او فيكون الترديد بين ثلثة اشياء على سبيل منع الخلو فان التذكر وهبوب الريح ولمعان البرق من جانب منازل المحبوب كل منها سبب داع للبكاء ومهيج للشوق وموجب للافراط فيه واعلم ان هذه المعانى التى سبق اليك بيانها * بديع شأوها وعجيب شأنها * ومستحسنة عند ذوى الطباع المستقيمة * مقبولة لدى الاسماع السليمة * اذا كان المراد من الخطاب هو الناظم نفسه تغمده الله بالغفران * واسكنه فى اعلى بحابح الجنان * واريد من الجيران جيرانه فى الدنيا ومن ذى السلم والكاظمة والاضم مساكن الاحباء واما اذا اريد توجيه الخطاب الى الروح الانسانى والنور الربانى الذى خلقه الله تعالى قبل الاجساد باربعة آلاف سنة اوبالفى سنة كما نطق به الحديث والى تقدم خلقه اشار الله سبحانه وتعالى حيث قال (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) يعنى قابلا لقبول الفيض الالهى * ومستعدا لاستفادة الفضل الغير المتناهى * بلا واسطة (ثم رددناه اسفل سافلين) اى الى القالب الذى هو ابعد المركبات عن الحضرة فهو ابعد الابعدين * والروح اقرب الاقربين * جمع الله بينهما (ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور) فبعزته بعد المقرب للابتداء * وبمغفرته قرب المبعد للاصطفاء والاجتباء * فحينئذ لابد فى تقرير معنى البيت ومايتلوه من الابيات * من ايراد بعض المقاصد على طريق

الحزن والالم اعلم ان الشخص المجرد من نفسه كأنه لما ستر عشقه وانكر محبته عملا بما فى كتب التصوف من ان العشق كلما كتم فى القلب ازداد كالمسك فانه كلما كان مستورا كان منشورا اثبته الناظم الفاهم فى مقابلة الشخص المجرد من نفسه بقوله مزجت الخ بترتيب قياس استثنائى ترتيبه هكذا سلطان المحبة فى مدينة قلبك والا اى وان لم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لما مزجت الدمع بالدم لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك ولما منع من جهة الشخص المجرد من نفسه ملازمة هذا القياس اثبته بقوله امن تذكر مع ماعطف عليه لانه علة له كما سبق وماعطف عليه قوله

(أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ * وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ)

فترتيب قياسه هكذا امتزاجك الدمع بالدم من آثار المحبة لان امتزاجك الدمع بالدم امامن تذكر الجيران وامامن هبوب الريح من تلقاء كاظمة واما من ايماض البرق فى الليلة الظلماء من اضم وتذكر الجيران دال على آثار المحبة وهبوب الريح من تلقاء كاظمة دال على آثار المحبة وايماض البرق دال على آثار المحبة ينتج ان امتزاجك الدمع بالدم دال على آثار المحبة ثم ان كلمة ام متصلة او منقطعة واكثر الشارحين رجحوا الاولى لان ام المنقطعة هى الواقعة بين جملتين كل منهما مستقل بفائدة مستغن عن الاخر وههنا ليس كذلك لان هذا البيت بمصراعيه والبيت الاول كلام واحد علة لكون مزج الدمع بالدم من آثار المحبة كما عرفت وليس كل واحد منها مستغنيا عن الآخر واما ام المتصلة فهى التى ماقبلها ومابعدها لايستغنى باحدهما عن الآخر وهنا كذلك ومن اختار المنقطعة قال ان هذا البيت منقطع عما قبله كأنه قيل امن تذكر جيران مزجت لابل من هبوب الريح وهى واحدة الرياح يذكر ويؤنث والريح من الروح وهو بمعنى الذهاب سمى الريح ريحا لكونه ذاهبا وآتيا ومن تلقاء متعلق بهبت وتلقاء بمعنى الجانب والجهة كما فى قوله تعالى (تلقاء مدين) وكاظمة اسم من اسماء المدينة نورها الله تعالى الى يوم القيمة وهى اسم فاعل من الكظم وهو تسكين الغضب كما فى قوله تعالى (والكاظمين الغيظ) فاسناد الكاظمة الى المدينة مجازى مثل جرى

المقدمات * فاعلم ان كل روح من الارواح الانسانية قبل التعلق بالاجساد * كان من المقربين في حضرة رب العباد * لازال الرب يسقيه بكأسات الشراب السلسبيلي شرابا طهورا * ويملأ صدره بالمزاج الزنجبيلي لذة وسرورا * على ايدى سواق اسمائه وصفاته * فى مجلس الحضرة الآلهية ﴿ ١٠ ﴾ وذاته * طورا يسكره شراب تجليات الجمال * وطورا يطربه حسن نغمات الست بربكم المتعال * فمرة يصبح فى مشاهدة جمال الذات صائما * واخرى يمسى بحق جواب كلمات الله قائما * سالما عن الاتراه بذى سلم السلامة والافراح * مزدحما فى جيرانه من الارواح * مجتنيا ثمار روضة الوصال * ناظرا الى نظارة رياحين الكمال * ومتشمما شمائم ازهار الحقايق ومتنسما نسائم انوار الدقايق ومستطلعا طوالع شوارق الهداية * ومستلمعا لوامع بوارق العناية * ولما ورد الامر الآلهى بالهبوط عن تلك الحضرة العلياء * الى محل طوارق الآفة والبلاء * ما كان يرضى بمفارقة الوطن المألوف * وما كان يتحمل مباعدة المسكن المشغوف * وكان يقول بجيرانه * احن وفارقتكم غير ليلة * فكيف ذا سار المعطى بنا شهرا * ثم اذا كان الشخص فى وطنه مرفه الحال * وفى منزله فارغ البال * لا يميل الى المسافرة * ولا يرضى بمقاسات الشدائد والمخاطرة * سيما اذا كان ما اليه السفر فاسدا لهوى غير عذب الماء الى غير ذلك من موجبات النفرة * واسباب الدهشة * ثم ان الروح الانسانى الذى هو اول مقدور تعلق به القدرة * واقرب الاقربين الى الحضرة عبرا وان التعلق بالقالب الذى هو اسفل السافلين على عالم الارواح * ثم على العرش والكرسى والسموات السبع وما فيهن من الملائكة الروحانيين الكروبيين والاجرام العلوية * والعناصر السفلية * والمركبات الى ان وصل الى القالب الانسان وحيثما بلغ من ﴿ وفى الظلماء ﴾

النهر لان المدينة غير كاظمة الغضب بل من خواصها ان من سكن فيها يسكن غضبه وقيل المراد من الكاظمة روضة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مجازا من ذكر العام وارادة الخاص ثم المراد من هبوب الريح من جانب المدينة اما حقيقة لانه اذا جاء الريح من جانب المحبوب يحرك حزن العاشق ويورث له البكاء واما المراد منه لازمه اعنى وصول آثار المعشوق واخبار المحبوب لان الريح من لوازمها ايصال شئ كالرائحة او الكلاء اليابس مثلا من مكان الى مكان آخر فعلى هذا يكون مجازا مرسلا مركبا على القائلين به ويكون حاصل المعنى ام وصلت اليك الاخبار والآثار من طرف الكاظمة او المراد من الريح الرائحة الطيبة كما فى قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام (انى لاجد ريح يوسف) اى رائحته فعلى هذا يكون الهبوب بمعنى النشر مجازا من ذكر الملزوم وارادة اللازم فالمعنى ام ثم انفك الرائحة الطيبة التى نشرت من تلقاء كاظمة او المراد من الريح ريح الصبا فيكون المراد به اوصاف النبى عليه الصلوة والسلام مجازا واستعارة بان شبه اوصاف النبى عليه الصلوة والسلام واخلاقه العظيمة بريح الصبا فى كونهما باعثين للسرور فكما ان ريح الصبا يعطى الفرح لمن اصابه كذلك اوصافه عليه السلام واخلاقه تعطى السرور لمن سمعها وادعى ان اوصاف النبى من جنس ريح الصبا ثم استعير ريح الصبا لاوصاف النبى عليه السلام فذكر ريح الصبا واريد منه اخلاقه عليه الصلوة والسلام فعلى هذا يكون هبت ترشيحا للاستعارة المصرحة بمعنى التحريك او النشر والواو فى اومض اما على حقيقته اى للجمع فيكون سبب البكاء اما تذكر الجيران واما مجموع هبوب الريح وايماض البرق واما بمعنى او الفاصلة فيكون على هذا سبب البكاء اما تذكر الجيران فقط واما هبوب الريح فقط واما ايماض البرق فقط وتكون نكتة المجاز اى التعبير بالواو دون او للاشارة الى ان الترديدات الثلاثة مانعة الخلو اى سبب البكاء لا يخلو من هذه الامور الثلاثة بل يجوز جمعها ثم ان كلا من هبت الريح واومض البرق فى تأويل المصدر معطوف على تذكر اى هبوب الريح وايماض البرق واومض ماض من الايماض وهو اللمعان والظهور والبرق بالرفع فاعل اومض

منازله اجتذب منه خاصية اودعت فيه وحل فيه من نوره وصفاته ولطافته بحسب ما اجتذب من ظلمة ذلك المنزل وكدورته وكثافته فاحتجب الروح بما اجتذب من كل منزل من منازل الروحانيات * والحجب الظلمانيات * الجسمانيات * وهما عالما الغيب والشهادة وعدد الحجب على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان الله تعالى سبعين الف حجاب من نور وظلمة فالحجب النورانية * من عوالم الغيب الروحانية * والحجب الظلمانية * من عوالم الشهادة الجسمانية * واعطى الله تعالى ﴿ ١١ ﴾ خليفة الروح بحسب تلك العوالم مدركات روحانية وجسمانية يدرك بها العوالم المختلفة كلها ليكون بخلافته عالم الغيب والشهادة وذلك حين يتخلص من حبس القالب ويرجع الى ربه بجذبات العناية اما قبل التخلص فالبعض اخلد الى الارض واتبع هواه ونسى عهودا كانت له بحمى حضرة الله والى هذا البعض اشار الرئيس بقوله * واظنها نسيت عهودا بالحمى * ومنازله بفراقها لم تقنع * انفت وما انست فلما واصلت الفت مجاورة الخراب البلقع * واما الذين سبقت لهم من الله الحسنى ما زاغ بصر همتهم الى زخازف المنى فما ركضوا فى ميدان الغفلات * ولا ركنوا الى اتباع الشهوات * وما انقطعت علاقة قلوبهم الطاهرة * وما زالت رغباتهم المتوافرة * عن الشغف والا تياع الى اوطانهم القدسية * والتشوق والنزاع الى بلدانهم الانسية فما منهم من سائل الا دمعة ممزوج بدم سائل * وما منهم من قائل * الا وهو بهذا القول قائل تذكرت اياما ولياليها * مضت فجرت من ذكرهن دموع * الاهل لنا يوما من الدهر اوبة * وهل لى الى ارض الحبيب رجوع * وهل بعد فراق الاحبة وصلة * وهل لنجوم قد افلن طلوع * فبحكم * حب الوطن من الايمان * لا ينقطع عنهم محبة تلك الاوطان * فيذكرون جيرانهم المقيمين بذى سلم السلامة * من الارواح القدسية المكرمة * بانواع السعادة والكرامة * فتمتزج دموعهم بدماء الاجفان * ولا ينطق بما فى افئدتهم من النيران فحق على واحد منهم ان يقول مظهرا للحسرة والندم * عجبت لنيران الجوى ان جمرها * توهج من ماء المدامع واضطرم * فالناظم يخاطب روحه الانسانى ويقول * يا من عبراته

وفى الظلماء متعلق باومض والظلماء صفة موصوفها محذوف اى الليلة الظلماء وهى مؤنث اظلم ولمعان البرق فى الليلة الظلماء اما على حقيقته لانه اذا لمع البرق فى جانب المعشوق ينور ذلك الجانب ويورث دهشة للعاشق او المراد من الليلة الظلماء بداية العشق واوله مجاز او استعارة كما فى قوله

* صدغ الحبيب وحالى * كلاهما كالليالى *

فكانه شبه ههنا بداية العشق واوله بالليلة الظلماء فى وقوع التحير وفقدان الطريق فكما ان فى الليلة الظلماء يتحير كل من سلك ويفقد طريقه فكذلك العاشق فى بداية الامر يعرض له احوال فيتحير ويفقد طريقه ثم استعير الليلة الظلماء لبداية العشق وذكر الليلة الظلماء واريد بداية العشق فعلى هذا يكون فى ايماض البرق ايضا استعارة حيث شبه وصلة الحبيب ونهاية العشق بلمعان البرق فى سرعت الذهاب فكما ان لمعان البرق يذهب سريعا فكذلك الوصلة اذا تقرر فى موضعه ان العاشق متى وصل معشوقه لا يبقى فى الدنيا بل يذهب سريعا او من اضم متعلق باومض واضم بكسر الهمزة وفتح الضاد اسم جبل قريب من المدينة وهو محله عليه السلام اذ فى اكثر اوقاته كان يسكن فيه فهو اما على حقيقته واما ان يراد به المحبوب من ذكر المحل وارادة الحال وهو المناسب ان اريد بلمعان البرق ظهور نور النبى عليه السلام على وجه الاستعارة المصرحة بان شبه ظهور نور النبى عليه السلام بلمعان البرق فى الاضاءة ورفع الظلمة ثم يستعار لمعان البرق لظهور نور النبى عليه السلام وذكر المشبه به واريد المشبه فعلى هذا تكون الليلة الظلماء على حقيقتها ويؤيد هذا المعنى ما روى انه كلما دنا الحاج من المدينة ظهر منها نور النبى عليه السلام لبعض الخلصاء من الحجاج والناظم الفاهم من اخاص الخلصاء فكيف لا يظهر له وقال المصنف يلزم لهبوب الريح وايماض البرق بعد مسافة المحبوب ومن عادة البلغاء انهم

الممزوجة بالدم على وجناته تجول امن تذكر هؤلاء الجيران * وقعت فى هذه النيران * ام هبت الريح من تلقاء الروضة الغنـاء * اعنى الحضرة الغفورية المسماة بالكاظمة لغاية الاغضاء * او اومض البرق من اضم المحبة اى جبلهـا البـاذخ * وزادت لمعـانه للقلوب فى غررها الشواذخ * فان كل واحد من هذه الامور سبب للبكاء * ورسول يروى بهـا حديث الاحبـاء واها بعيـدة من الامصار يستحضرهـا بواعث الافكار * فى مسـند عشـقها احاديث روى برق ونسيم وخيال سار * يقول الروح لانسـأل عن غصن ذوى بعـد ارتقـائه * ونجم هوى عنـد اعتلائه * ونبت ربى امسـك مطره * وسـارى ليل غاب قمره * ولا تصغ الى صب يذوب بنار الحرقة * ولا يدرى متى تنقطع حبـائل الفرقة * فيقول مذفرق بينكم وبينى الدهر لم يبق على طول نواكم صبر * قد مسـنى الضر وضاق الصدر * ياغاية منيتى الى م الهجر * ومع هذا لا يخفى الحـال عن الاغيـار * ولا يطلع الخلى عـلى الاسرار * اذ الفـارغ لايعرف مافيـه غيره * حتى ينتهى اليه سره * لايعرف الحب الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعـانيها * فانى وان ابتليت بجسم ناحل * ولكنى من فرط الوجـد على مراحل * فعنـد ذلك يقول النـاظم تغمـده الله بغفـرانه *

﴿ فما لعينيك ان قلت اكففا همتـا ﴾

﴿ وما لقلبك ان قلت اسـتفق يهم ﴾

يعنى ان كنت تنكر فرط الوجد فى المحبة والوداد * وتظهر السلو عن كومن لواعج الفؤاد * فمالعينيك ﴿ بمعنى ﴾

يجعلون بعد المسافة استعارة لبعد المرتبة وعلو المكان لعلو القدر كما قال

* هى الشمس مسكنها فى السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا *

* فلن تستطيع اليها الصعودا * ولن تستطيع اليك النزولا *

(فَمَا لِعَيْنَيْكَ اِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا * وَمَا لِقَلْبِكَ اِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ)

فكأنه لما ورد المنع على صغرى القياس للناظم الفاهم من طرف الشخص المجرد من نفسه بان يقال لانسلم ان امتزاج دمعى بالدم امامن تذكر الجيران اوهبوب الريح او ايماض البرق لم لايجوز ان يكون من سبب آخر من مرض اصاب الجسم او اصابة مصيبة ترك الناظم ماوجب عليه من اثبات مقدمته الممنوعة وانتقل الى دليل آخر مثبت لكون مزجه بسبب العشق والمحبة فقال فمالعينيك الخ اى مزج الدمع بالدم من العشق والمحبة ولو لم يكن مزجك الدمع بالدم من المحبة والهوى لكنت مالكا لعينيك وقلبك لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو مزج الدمع بالدم من المحبة والهوى واثبت التالى بقوله ان قلت الخ اى انك غير مالك لعينيك وقلبك ولو كنت مالكا لهما لكف عيناك ان قلت لهما اكففا واستفاق قلبك ان قلت له استفق لكن التالى باطل لانك لو قلت لهما اكففا لاتكفان بل تهميان ولو قلت له استفق لايستفيق بل يهيم والمقدم مثله فثبت نقيضه فان قلت الانتقال من دليل الى دليل آخر لايجوز للمعلل لانه افحام من وجه فكيف يجوز للناظم الفاهم قلت انما لايجوز الانتقال من دليل الى دليل آخر لو لم يكن المعلل قادرا على اثبات الحكم الاول بانواع الدلائل كما كان فى محاجة ابراهيم عليه السلام مع نمرود عليه اللعنة واما اذا كان قادرا وكان مراده اثبات اصل المطلوب بانواع الدلائل فلايضر الانتقال وماوقع ههنا من قبيل الثانى كما لايخفى ثم ان الفاء فى فما فصيحة والفاء الفصيحة هى التى تدل على الشرط المحذوف وهو ههنا ان لم يكن مزجك الدمع بالدم من العشـق والمحبة فماحصل لعينيك الخ هذا عند الكشاف وعند السكاكى هى التى تدل على السبب اى على السبب المحذوف غير الشرط كما فى قوله تعالى ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت) اى فضرب فانفجرت واما عند غيرهما فالفاء الفصيحة هى التى دلت على سبب محذوف سواء كان شرطا او معطوفا عليه وما استفهام فهو مايسئل به عن الجنس او الصفة وههنا سـؤال عن الجنس ولعينيك اللام فيه متعلق بالمقدر اى ماحصل لعينيك وفى الكاف الخطابى تجريد ايضا فتذكر وجملة ان قلت اكففـا همتا تفسـير لما وقلت على صيغة الخطابى ومفعوله محذوف اى لهما فالقول هنـا

بمعنى الخطاب لما تقرر ان القول يجئ لمعان بحروف لانه ان استعمل بالباء يكون بمعنى الحكم واذا استعمل بعلى يكون بمعنى الاعتراض واذا استعمل بفى يكون بمعنى الاجتهـاد واذا استعمل باللام يكون بمعنى الخطـاب وقال دده جنكى فى حاشية سعدالدين من الصرف القول فى استعمـاله بالباء يجئ لمعان نحو قال بيده اى اخذ بيده وقال برجله اى ضرب بها اومشى بها وقال برأسه اى اشار برأسه وقال بالماء على يده اى قلب وقال بثوبه اى رفعه وجملة اكففا مقول قوله واكففا على صيغة التثنية امر من كف اى منع كما قيل * خير المرء من كف فكه وفك كفه * وشر المرء من كف كفه وفك فكه * فان قلت كان الادغام فى اكففا واجبا ففكه خلاف القياس ومخل بالفصاحة قلت اجاب عنه الشارحون بوجوه قال العصام يجوز ان يكون فكه لضرورة الشعر كما قال الشاعر فى عد ضرورات الشعر

* واشباع تحريك وفك بمدغم * وتذكير تأنيث وعكس بندرة *

وقيل تعدد العين انما هو فى الصورة واما فى الحقيقة فواحد فلفظ اكففا بالنظر الى الحقيقة مفرد وان كان تثنية فى الصورة وفك ادغام المفرد جائز وهذا الجواب تكلف جدا لانه مبنى على مذهب الوجودية من المتصوفة فانهم قالوا العين فى الانسان واحد لااثنان ولهذا لايرى الانسان شيئا شيئين والتعدد الصورى لايقدح الوحدة فى الحقيقة وقيل فك الادغام على توهم الافراد فلايخل بالفصاحة كما لايخل فى قوله (الحمدلله العلى الاجلل) وقال بعضهم انه اشارة الى ان الناظم الفاهم قال به بلسان دهشة وحيران كأنه لم يتعقل قواعد البرهان ومثل هذا يعد ظرافة فى البيان فلايعاتب بسنان اللسان همتا ماض مثنى من همى يهمى هميانا بمعنى سالتا وضمير التثنية راجع الى العينين واسناده الى العينين مجاز اذ العينان لاتسيلان بل يسيل منهما الماء فاسناده اليهما من قبيل سال الميزاب ورد السكاكى هذا المجاز الى الاستعارة المكنية والتخييلية وانكر المجاز العقلى فعلى هذا شبه العين فى الذهن بالمطر فى الشرافة فكما كان المطر اشرف المياه كذلك كانت العين اشرف الاعضاء ثم ادعى للمشبه به فردان فرد متعارف وهو المطر وغير متعارف وهو العين ثم استعير المشبه به فى الذهن وهو الفرد المتعارف اعنى المطر للفرد الغير المتعارف اعنى العين ثم ذكر فى الخارج المشبه وهو الفرد الغير المتعارف اعنى العين واريد العين الغير المتعارف ثم انتزع من جانب المشبه وهو سيلان العين امر وهمى وشبه بجريان الماء فى سرعة الجريان ثم ذكر اللفظ الدال على المشبه به وهو سالتا واريد المشبه ويجرى

ان اردت منهما الامساك عن البكاء سالتا اشـد السيلان * وما لقلبك ان طلبت منه الافاقة يهيم فى اودية التحير غاية الهيمان * فالفاء فى فما فصيحة لا فصاحه عن الشرط المحـذوف ويجـوز ان يكون لعطف الاسـتفهاميـة على الاستفهامية والاستفهام للتعجب كما فى قوله تع (مالى لااري الهدهد) والعامل فى لعينيك محذوف اى ماحدث وماعرض والشرطيتـان حالان جعلتـا اسميتين بتقدير هما فى الاولى وهو فى الثانية * وكف يستعمل لازما ومتعديا * وهمى سـال واسناده الى العينين مجاز مثل سـال الميزاب واسـتفاق بمعنى افاق وهام تحير يعنى ايها الصب المتيم الباكى اسـفا * والمحترق فى نار الحيرة لهفا * كيف تطمع اخفـاء حالك مع هذين الشـاهدين على مافى بالك من بلبالك (كيف يخفى المحب سر هواه * وسقام الهوى عليـه دليل) مع كون قلبك هائمـا وعينك باكية وحالك فى كتمان سرك حاكية عن حال محب فى مخاطبة محبوبه بقـول * واذا كتمت هواك زاد ظهوره * كالمسـك يظهر نشره الكتمان * ويا خليلى ابغى كتم حبكم * وسره بلسان الحال اعلان * فطلبك كتمـان تلك الحالة * امر تسـتر عن ثنـايا الاستحـالة * كما قال رحمـه الله

فيه ايضا مذهب الجمهور بان يشبه العين فى الذهن بالمطر فى سرعة السيلان ثم استعير المطر فى الذهن للعين وفى الخارج ذكر المشبه اعنى العين واريد هو والرمز والاشارة الى الاستعارة التى كانت فى الذهن اثبت همتا التى من لوازم المشبه به للمشبه وهذا الاثبات تخييلية عندهم ثم ان جملة همتا جزاء لقوله ان قلت اكففا فان قلت الشرط سبب للجزاء على ما تقرر فى النحو فكيف يكون قوله ان قلت اكففا سببا للهميان وسيلان الماء بل عكسه سبب له قلت السبب اعم من السبب العقلى والعادى والعرفى وهذه الجملة الشرطية وان لم تكن سببا عقليا او عاديا لهذا الجزاء لكنها سبب عرفى والمراد من العرف عرف العاشقين لان فى عرفهم العشق يفعل خلاف ما يأمر به العقل فههنا وان امر العقل بترك البكاء ومنع عنه لكن العشق عمل ذلك الامر بخلافه فسال من عينيه ماء اشد السيلان وما لقلبك اى وما حصل لقلبك والقلب شكل صنوبرى تحت الضلع الايسر وهو منبع الحياة والايمان قال بعض العارفين خلق الله تعالى اولا الروح ثم الجسد وكان الروح مذكرا والجسد مؤنثا ثم امر الروح بالازدواج مع الجسد فازدوجها فحصل منهما ولدان ذكر وهو القلب الذى هو موضع الايمان وتبع هو للروح وانثى وهو النفس محل الفساد وتبعت هى للشيطان والجسد لان النتيجة تابعة لاخس المقدمتين واستفق امر من استفاق بمعنى افاق والسين للوجدان اى كن مفيقا ويهم من هام يهيم بمعنى تحير حذف ياؤه للجزم وجملته جزاء لما قبله ويرد عليه ايضا السؤال السابق ويجاب عنه بما يجاب فيه فتذكر واختار الماضى فى جزاء الشرط الاول لكونه محققا واختار ههنا المضارع لان ما فى القلب مضمر والاطلاع عليه متعذر ثم ان فى هذا البيت من صنائع البديع جناسا شبيها بالمشتق بين الهميان والهيمان كما فى قوله تعالى (قال انى لعملكم من القالين) الاول من القول والثانى من القلى ثم اعلم ان خاصة الابيات الثلاثة انه اذا كان عندك بهيمة لا تقبل التعليم فاكتب هذه الابيات الثلاثة فى زجاج وامحها بماء المطر واسقها للبهيمة فانها تتعلم وتذل لك قال الاستاذ طول الله بقاه جربته فوجدته صحيحا وايضا اذا كتبت هذه الابيات الثلاثة فى رق غزال وعلقت على عضد من فى لسانه ركاكة وضيق يتعلم باذن الله تعالى ويكون فصيحا

(ايحسب الصب ان الحب منكتم * ما بين منسجم منه ومضطرم)

لما كان للناظم الفاهم حرص شديد على اثبات دعوى كون المحبة فى قلب الشخص المخاطب لم يكتف بدليل واحد بل اتى على دعواه بدليل آخر واذا قال ايحسب الصب الخ اى لو لم تكن محبتك ثابتة لما كنت دائرا بين دمع

منسجم وقلب مضطرم لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه ثم الهمزة للاستفهام الانكارى وهو بمعنى النفى ههنا كما كان فى قوله

* ايقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كانياب اغوال *

ويحسب بالكسر والفتح من افعال القلوب والحسبان الظن والمعنى لا يظن العاشق كون المحبة منكتما لان الظن منهى عنه لكون بعضه اثما لقوله تعالى (اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) وفى يحسب التفات من الخطاب الى الغيبة على مذهب الجمهور والسكاكى ونكتة الالتفات عامية وخاصية فالنكتة العامية تنشيط القلوب بتغيير الاسلوب والخاصية اجراء الصفة المادحة على نفسه وهى الصب لانه لو قال اتحسب بصيغة المخاطب لما امكن اجراؤها على نفسه فان قيل لو قال نحسب لامكن ايضا اجراء الصفة المادحة عليه بان يجعل الصب صفة لفاعل نحسب اعنى نا. الضمير او بدلا منه قلنا لا يمكن على هذين التقديرين لان الضمير لا يوصف ولا يوصف به كما قال الشاعر

* اضمرت فى القلب هوى شادن * مشتغل بالنحو لا يوصف *

* فقلت ما اضمرت يوماله * فقال لى المضمر لا يوصف *

ولان الضمير لا يبدل المظهر منه الا اذا كان غائبا وفيما نحن فيه مخاطب فان قلت لا نسلم كون الصب صفة مادحة قلت ان الصب فى الاصل مصدر بمعنى الاراقة لكن المراد منه ههنا العاشق الكامل انما سمى العاشق الكامل به لانه يبكى فى كل احواله كما قال الشاعر

* وما فى الخلق اشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق *

* تراه باكيا فى كل حال * مخافة فرقة اولاشتياق *

* فيبكى ان نأوا شوقا اليهم * ويبكى ان دنوا خوف الفراق *

وان للتأكيد والحب مصدر بمعنى المحبة ومنكتم من الانكتام اى مستتر وقابل للاستتار واكد هذا الكلام بالاداة والجملة الاسمية لكون المقام مقام الانكار وما زائدة وبين ظرف لمنكتم ومنسجم صفة موصوف محذوف اى دمع منسجم وهو من الانسجام بمعنى الهطل والصب اى دمع هاطل ومنه متعلق بمنسجم والضمير راجع الى الصب بطريق الاستخدام لان المراد من الصب العاشق الكامل ومن الضمير الراجع اليه العضو المخصوص اعنى العين كما لا يخفى ومضطرم معطوف على منسجم وهو ايضا صفة موصوف محذوف اى قلب مضطرم وهو بمعنى ملتهب ومشتعل وفى المضطرم استعارة مكنية حيث شبه فى الذهن قلب العاشق وهو مذكور فيه

(ايحسب الصب ان الحب منكتم)
(ما بين منسجم منه ومضطرم)
يعنى مما يقضى منه العجب ارتكاب ما لا يقضى الى الارب وهو ان ينكر المحب ويظن ان حبه يبقى منكتما * مع كون دمعه منسجما * وقلبه مضطرما * وللمحب لسان فى شمائله * بما يجن من الاضواء يعترف * فلا ينبغى منك الانكار بعدما ظهرت شواهد الآثار * فالاستفهام فى ايحسب للتعجب والتعجب او الانكار التوبيخى بمعنى لا ينبغى ان يكون كقولك اتعصى ربك ويحسب بالكسر والفتح من افعال القلوب والصب العاشق من صب الماء سمى به لانه بكاء غالبا كما قيل * وما فى الخلق

اشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق * تراه باكيا فى كل حال * مخافة فرقة اولاشتياق * فيبكى ان نأوا شوقا اليهم * ويبكى ان دنوا خوف الفراق * وان مع اسمه وخبره قام مقام المفعولين وما بمعنى الذى منصوب محلا على انه بدل من الحب وصفة له وصدر الصلة محذوف اى الحب الذى هو بين دمع منسجم اى منصب وقلب مضطرم اى مشتعل بنار الحب بمعنى انه ملتبس بهما وملزوم لهما وضمير منه للصب وهو صفة اوحال ومنه محذوف بعد مضطرم فالحاصل انما استولى وظهرت آثاره لا يتأتى ستره وانكاره

بارجاع ضميره اليه بشجرة العود فى كونهما قابلين للايقاد وشاملين للرائحة الطيبة لان قلب العاشق اذا كان ملتهبا تنتشر منه الرائحة الطيبة على ماقاله المتصوفة وادعى لشجرة العود فردان فرد متعارف وهو شجرة العود حقيقة وفرد غير متعارف وهو القلب ثم استعير المشبه للمشبه به ثم ذكر فى الخارج المشبه واريد به المشبه به اعنى القلب وهذه استعارة مكنية ثم انتزع من جانب المشبه امر وهمى وهو التهاب القلب وايقاده وكونه مكيفا بالرائحة الطيبة عند الايقاد وشبه بالتهاب شجرة العود ثم ذكر اللفظ الدال على المشبه به وهو مضطرم اذ هو حقيقة فى شجرة العود واريد المشبه وهو التهاب القلب وهذه الاستعارة تخييلية وهذا عند السكاكى واما عند الخطيب فبان يشبه فى الذهن القلب بشجرة العود وفى الخارج اثبت ماهو من لوازم المشبه به للمشبه للاشارة والرمز الى التشبيه فى الذهن قال المصنف فى هذا المصراع ايماء الى ان الواشى اذا كان من قبل صاحب السر فكتمان السر يتعسر عليه بل يتعذر فكيف اذا كان ذلك الواشى جزأ منه خصوصا اذا كان اثنين سيما اذا كانا متعاونين كما فيما نحن فيه انتهى وحاصل معنى البيت لا تظن ايها العاشق ان الحب مستتر كيف والدمع المنسجم والقلب المضطرم شاهدان على دعوى انكشاف الحب فكيف تظن انكتام الحب كأن العاشق ادعى انكشاف المحبة والشخص المجرد عن نفسه انكره فذهبا الى محكمة العشق فتحاكما عند قاضى العشق فامر القاضى باتيان شاهدين عادلين لمدعى العشق عملا بالحديث المشهور (البينة على من ادعى واليمين على من انكره) فأتى العاشق لاثبات مدعاه بالشاهدين اللذين هما دمع العين واضطرام القلب فشهدا فحكم القاضى بانكشاف المحبة فان قلت الشاهد الاول مقبول لكن مقبولية الشاهد الثانى ممنوعة لان حاله مستور اذ القلب لا يطلع عليه احد الا الله تعالى قلت الشاهد الاول يقوى الثانى لان الدمع يدل على ما فى القلب كما قال بعض الفضلاء (اذا انفعل القلب سرى الاثر الى العين) فعند اشتداد الحزن تدمع وعند اشتداد الفرح تلمع ومن تقريرنا علم ان فى هذا البيت استعارة تمثيلية حيث شبه الهيئة المنتزعة من الامور المذكورة فى هذا البيت من كون الدمع المنسجم شاهدا والقلب المضطرم شاهدا آخر وكونهما مثبتين لدعوى من ادعى المحبة ومبطلين لدعوى من انكر المحبة بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة وهى كون الشاهدين فى الخارج مثبتين لدعوى رجل على رجل آخر منكر ومبطلين لدعوى المنكر ونحو ذلك ثم استعير الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الامور

(الغير)

الغير المحسوسة فذكر المشبه واريد المشبه به فعلى هذا تجرى استعارة مصرحة فى مفردات هذه الامور بان يشبه الشاهد بالدمع المنسجم ثم ذكر المنسجم واريد الشاهد وقس عليه السائر تدبر

﴿ لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ ❊ وَلَا أَرِقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ ﴾

ثم شرع فى اثبات دعواه بدليل آخر ايضا للتأكيد والتقوية وللاشارة الى ان دعواه صادقة غير زور وبهتان فقال لولا الهوى الخ يعنى ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك ولو لم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لم ترق دمعا على طلل ولا ارقت لذكر البان والعلم لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه ثم ان لولا يستعمل على اربعة اوجه الاول انه يدخل على جملة اسمية ويكون لامتناع الشئ لوجود غيره وخبر المبتدأ بعده واجب الحذف والثانى ان يكون للتحضيض والعرض فتختص بالمضارع والثالث ان يكون للتوبيخ والتنديم فتختص بالماضى والرابع للاستفهام وهنا من قبيل الاول فتقديره لولا الهوى موجود فيك والهوى بالقصر مصدر هوى من باب علم او هوى من باب ضرب وهو ههنا بمعنى العشق والمحبة لان الهوى يجئ على ثلاثة معان الاول ميل النفس الى ما يقتضيه الشرع وهو مذموم كما فى قوله تعالى (افرأيت من اتخذ الهه هواه) والثانى العشق والثالث بمعنى المهوى اى المحبوب كما فى قوله * هواى مع الركب اليمانين مصعد * ويحتمل ان يكون المراد من الهوى المعنى الثالث ايضا ويكون الالف واللام عوضا عن المضاف اليه اى لولا محبوبك ولم ترق مضارع من اراق يريق اصله يروق فاعل كاعلال يقيم ثم دخل عليه الجازم فحذفت الياء والاراقة بمعنى الصب كما فى قول ابن الحاجب حين قتله

* ارى قدمى اراق دمى * وهان دمى وهاندمى *

* وفى لم ترق التفات من الغيبة الى الخطاب والتفاته سريعا الى الخطاب لاخراج الكلام من البيان الى العيان وتعريف الدمع قدمضى فامض اليه وتنوينه للتعظيم كما ان تنوين طلل للتحقير كما فى قوله

* له حاجب فى كل امر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب *

وعلى متعلق بلم ترق والطلل بفتحتين اثر الدار الخربة فكأنه يقول لو لم تكن لك محبة من اهل المنازل وسكانها لما صببت من عينيك الدمع العظيم على اطلال المنازل الحقيرة ويحتمل ان يكون مراده بالطلل مكة المكرمة لانها بهجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منها صارت خربة معنى اذ معموريتها

(لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل)
(ولا ارقت لذكر البان والعلم)

يعنى * يا من اراق الدموع على الدمن والاطلال * وارق لذكر اماكن الوصال * ومنازل مشاهدة الجمال * او لم تكن لك محبة مع اهل المنازل وسكان الطلل * مالك تبكى على اطلال الكثيب والعقيق والدخول وحومل ومابالك تسهر الليالى بذكر الشجر والجبل * ومن المعلوم ان السهر والبكاء * من علامات اهل المحبة والولاء * والمحب لا يبكى الا للحبيب * والمريض لا يتمنى الا لقاء الطبيب * ولهذا قيل (سهر العيون لغير وجهك باطل * وبكاؤهن لغير فقدك ضايع * واما حل التركيب فهو ان لولا لامتناع الشئ لوجود غيره وخبر المبتدأ بعده واجب الحذف وعام لو لم يدل الدليل على تعينه فتقديره لولا الهوى

كانت يكون النبي عليه السلام فيها كما قال الله تعالى (لااقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) حيث استفيد منها ان كون مكة المكرمة لانفة بكونها مقسما به لله تعالى لاجل حلول النبي عليه السلام فيها فبعد هجرته عليه السلام كانت الآثار الباقية الدائمة فى مكة المكرمة الآن هى آثار الخربة معنى ولذا اتفقوا على ان التراب الماس لبدن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قبره الشريف افضل الامكنة وافضحها كما سيأتى تفصيله وعلى هذا المعنى يكون على بمعنى اللام الاجلية اى لولم تكن محبتك لم ترق دمعا لاجل ملاحظة مكة بان المحبوب قدهاجر منها وكانت الارض الباقية خربة فتأمل ويجوز ان يكون فى طلل استعارة مصرحة بان شبه آثار المحبة والعشق الكائنة فى قلب العاشق بآثار الدار الخربة فى كونهما دائرين بين الامرين اعنى عدم المعمورية بالكلية وعدم الانهدام بالكلية ثم استعير آثار الدار الخربة لآثار المحبة فذكر اللفظ الدال على المشبه به واريد المشبه ولاارقت عطف على لم ترق ولازائدة لتأكيد النفى وارقت من ارق يأرق من باب علم وهو بمعنى سهر الليالى وعدم النوم فيها فالمعنى لولم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لماسهرت الليالى لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه لان المحب لاينام كما قال الشاعر

* عجبا للمحب كيف ينام * كل نوم على المحب حرام *

واللام فى لذكر البان اجلية والذكر اما بالكسر اوبالضم وهو مصدر مضاف الى مفعوله وفاعله متروك اى لاجل ذكرك البان والبان شجر لطيف الرائحة وقيل المراد به الشجر المعهود القريب من مكة الذى قدكان النبي عليه السلام يجلس تحته ويكالم الاصحاب رضوان الله عليهم اجمعين فعلى هذا يكون مجازا من ذكر المحل وارادة الحال وقيل هو شجرة طيب الرائحة والقد ففيه استعارة مصرحة حيث شبه النبي عليه السلام بتلك الشجرة فى حسن الطلعة ونهاية اللطافة ثم استعير الشجرة المذكورة للنبي عليه السلام فذكر المشبه به واريد المشبه والعلم اسم جبل كما فى قوله

* وان صخر التأتم الهداة به * كانه علم فى رأسه نار *

قيل المراد منه ههنا جبل من جبال مكة فقيل هو جبل ابى قبيس وقيل جبل حراء وقيل جبل فيه غاره عليه السلام وعلى كل تقدير يكون مجازا مرسلا من ذكر المحل وارادة الحال لان هذه الجبال كانت امكنة النبي عليه السلام اواستعارة مصرحة بان شبه المحبوب بالجبل فى العظمة والمهابة وحسن الهيئة والرفعة ثم استعير الجبل للمحبوب فذكر المشبه به واريد المشبه وعلى

موجود فيك والهوى مصدر هويه احبه اراق الماء صبه وتنوين دمعا للتعظيم وطلل للتحقير كما فى قوله * له حاجب فى كل امر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب * وطلل اثر الدار ارق من باب علم سهر والذكر اى لاجل الذكر البان نوع من الشجرة يشبه به قد المحبوب والعلم الجبل يعنى قدعلم من كثرة بكائك على الطلل * وعدم رقادك بذكر الشجر والجبل انك ملكت ناصية محبة اهل الاطلال * وبلغت قاصية مودة المتغنى بالشجر والساكن على الجبال * اذليس حب الديار الالاهلها وان البكاء على الحبيب عند مشاهدة مكانه خاليا * من سجايا حب يكون بحلية الصدق حاليا * ولذا يقول بعضهم بالمدمع الباكى * ايامنازل سلمى اين سلماكى * واذا كان كذلك *

هذا يكون اللام فى قوله لذكر البان للوقتية كما فى قوله تعالى (لدلوك الشمس) قال الاستاذ طول الله بقاه وجعل آخرته خيرا من اولاه خاصية هذا البيت وحده انه من كان فى قلبه ضيق وكربة وعسرة من الآلام والاكدار فليكتب هذا البيت بالحروف المقطعة على تفاحة وليأكلها فانه يزول ضيق قلبه وعسرته ولوكتبه على زجاجة ومحاه بالماء وشربه يزول ضيق قلبه ايضا لكن فى الكتابة على التفاح يكون التأثير ازيد وقال الاستاذ جربناه مرارا فوجدناه صادقا

(فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهِدَتْ * بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ)

لما جاء العاشق على دعواه بشاهدين كانه قيل من طرف الشخص المجرد من نفسه ان شاهديك غير عدلين فلايثبت بهما دعواك فاثبت عدالتهما بقوله فكيف تنكر الخ الفاء فى فكيف فصيحة اى اذا دلت الادلة السابقة وبعدها شهدت الشواهد اللاحقة على دعوى ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك فكيف الخ وكيف حال لامفعول فيه والاستفهام اما للتعجب كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله) او للتوبيخ او للاستبعاد اى لاينبغى ان تنكره بعد هذا وتنكر من الانكار وهو الجحد ضد الاقرار وحبا مفعول تنكر وتنوينه للتعظيم كما فى قوله

* صبت على مصائب لوانها * صبت على الايام صرن ليا ليا *

وبعد بالنصب ظرف لتنكر وما اما مصدرية فضمير به للحب واما موصولة فضمير به له والشهادة خبر صادر من شخص صادق وبقرينة الاسناد الى العدول فيه استعارة مصرحة وتبعية بان شبه الدلالة بالشهادة فى اعلام الشئ واظهاره ثم استعير الشهادة لمفهوم الدلالة ثم كانه ذكر الشهادة واريد منها الدلالة وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الشهادة شهدت ومن الدلالة دلت وبواسطة العلاقة فى مصدرهما شبه هيئة دلت بهيئة شهدت ثم استعير شهدت لمفهوم دلت فذكر شهدت واريد مفهوم دلت وعلى فى عليك مستعمل فى الضرر كما فى قوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وكقوله

* قد اصبحت ام الخيار تدعى * على ذنبا كله لم اصنع *

وانما استعمل فى الضرر لان قلب العاشق غير راض باظهار عشقه واثباته بل ينكره غاية الانكار لينفرع عليه الاحوال والاسرار والعدول جمع عدل بمعنى عادل بمعنى الموثوق المعتمد فى الشهادة واضافته الى الدمع والسقم بيانية لغوية اوبمعنى من اى العدول المستفادة من جهتهما واعلم انهم

(فكيف تنكر حبا بعدما شهدت
(به عليك عدول الدمع والسقم
الفاء فصيحة على ما اشير اليه ويحتمل
ان يكون للعطف على الجملة الشرطي
وكيف حال لامفعول فيه على ماتوه
بدليل ان يجاب بالحال مثل راكب
فى جواب كيف جاء زيد وتبدل منه الحا
مثل كيف جاء زيد اراكبا ام ماشيا والاستفه
للتعجب والاستبعاد بمعنى ماينبغ
ان يكون وتنوين حبا للتعظيم والعام
فى بعد تنكر وما اما مصدرية وضمير

بينوا ان المضاف اليه امامباين للمضاف وحينئذ ان كان ظرفا له فبمعنى فى والافبمعنى اللام وامامساو اواعم مطلقا فالاضافة ممتنعة واماالخص مطلقا كيوم الاحد فبمعنى اللام واماالخص من وجه فان كان المضاف اليه اصلا للمضاف فبمعنى من والافبمعنى اللام ولايلزم فيمابمعنى اللام ان يصح التصريح بها بل يكفى افادة الاختصاص الذى هومدلول اللام ثم انهم قالوا يشترط فى الاضافة البيانية الاصطلاحية اى النحوية العموم والخصوص من وجه وكون المضاف اليه اصلا للمضاف وفى اللغوية قد يكون بينهما عموم مطلق وقد يكون من وجه لكن يشترط على صورة الوجه ان لايكون المضاف اليه اصلا وفى الاضافة اللامية قديكون بينها عموم مطلق فيجتمع من الاضافة البيانية كما كان فى هذاالمقام وقديكون عموم من وجه ولايكون المضاف اليه اصلا للمضاف فاحفظ هذا الكلام فانه مماينفعك فى اكثرالمقام ويجوزان تكون اضافة العدول من قبيل اخلاق ثياب والدمع قدمر تعريفه غير مرة والسقم المرض والالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه اى سقم القلب ومن قال الالف واللام فى الدمع ايضا عوض عن المضاف اليه اى دمع العين فقدسها فافهم ثم ان استعمال صيغة الجمع اعنى العدول فى المثنى اعنى الدمع والسقم اماللتعظيم كما فى قوله تعالى (وانا له لحافظون) اومبنى على ماقيل ان اقل الجمع اثنان مستدلا بقوله عليه الصلوة والسلام (الاثنان ومافوقهما جماعة) فتأمل ويمكن ان يقال اراد صيغة الجمع لكون كل من الدمع والسقم جمعا باعتبار الافراد والانواع من قبيل قوله تعالى (فقدصغت قلوبكما) فافهم ثم ان فى الدمع والسقم استعارة بالكناية بان يشبه كل واحد من الدمع وسقم القلب بالشخص الصادق فى اظهار شئ وقع فى نفسه وادعى الشخص الصادق فردان فرد متعارف وهو الشخص الصادق حقيقة وغير متعارف وهو الدمع اومرض القلب ثم استعير المشبه للمشبه به ثم ذكر فى الخارج المشبه واريد المشبه به وهذه الاستعارة مكنية ثم انتزع من جانب المشبه امر وهمى وهوشهادة الدمع والسقم وشبه بشهادة الشخص الصادق فى افادة الحكم واستعير الشهادة المحققة لمفهوم الشهادة المخيلة ثم ذكر الشهادة المحققة اى فى شهدت واريد منه الشهادة المخيلة ثم اثبات العدول ترشيح لهذه الاستعارة وهذا البيت اول الابيات الستة التى تمايل فيها النبى عليه السلام حين قرأه الامام فى رؤياه عليه السلام وينبغى للقارئ لحاجة ان يقرأ هذا البيت ثلاثا كذا قاله شارح هذه القصيدة جعفر باشا الهى لاتجعلنا من زمرة اهل الفسق والهوى واجعلنا ممن قلبه ملئ

(بمحبة)

للحب اوموصولة والضمير لهاوالشهادة مستعارة للدلالة الصادقة وذكر العدول ترشيح لها واضافته الى الدمع والسقم للبيان اوبمعنى من اى العدول المستفادة من جهتهما وهى كماذكرت خمسة فتأمل والمراد تحقق الدمع والسقم فى الاوقات المختلفة وتواليهما قيل شاهد المحبة دمع ساجم وسقم عن اللذة حاجم * وميل دائم * وقلب هائم * فكيف تنكر حب من خلوت به فى تلك المعاهد بعد ماشهدت عليك وشوهدت فيك هذه الشواهد *

بمحبة نبيك المصطفى وعينه فى كل وقت من عشقه جرى وبكى

(وَاَثْبَتَ الْوَجْدُ خَطَّىْ عَبْرَةٍ وَضَنًى * مِثْلَ الْبَهَارِ عَلٰى خَدَّيْكَ وَالْعَنَمِ)

ولما شهد على دعوى الناظم بان فى قلبك محبة وعشقا شاهدان صادقان عادلان حكم القاضى فى دار الحكومة بان دعواه حق صادق وقال لكاتب دار الحكومة اكتب دعواهما اى سجلها فسجلها ولهذا قال الناظم الفاهم للمخاطب واثبت الوجد الخ عطف على شهدت اى كيف تنكر حبا بعد شهادة الشاهدين وبعد اثبات الكاتب دعواه اى بالكتابة والاثبات جعل الشئ ثابتا مقررا سواء بالخط اوبغيره لكن المراد هنا اثباته بالخط بقرينة سياقه والوجد الاحزان القلبية والحالات العشقية وهو بالرفع فاعل اثبت واسناده اليه مجازى لانه سبب لها نحواهلك المرض وفيه استعارة مكنية بان شبه فى الذهن الحالات العشقية والاحزان القلبية بكاتب دار الحكومة فى الاعلام والانباء وفى الكتابة على الصحيفة ثم استعير فى الذهن اللفظ الموضوع لكاتب دار الحكومة اعنى النائب مثلا لمفهوم الحالات والاحزان القلبية ثم ترك هذه الاستعارة فى جانب الذهن وذكر فى الخارج اللفظ الدال على المشبه اعنى الوجد واريد ايضا معنى الوجد وهذه الاستعارة مكنية ثم اسناد الاثبات الذى هو من ملائم الكاتب الى الوجد تخييل وايقاعه على الخط ترشيح والخط اما خط عربى وهو تصوير اللفظ بحروف هجائه واما حكمى وهو ماله طول فقط وقيل هو الذى يقبل الانقسام طولا لاعرضا ولا عمقا وهو على صيغة التثنية سقط نونه بالاضافة والعبرة بفتح العين الماء الجارى من العين على الوجه وضنى بالفتح مجرور تقديرا معطوف على عبرة وهو الهزال والضعف الذى يلازمه عادة صفرة الوجه والمراد به ههنا لازمه واضافة الخط الى العبرة من اضافة المشبه به الى المشبه كما فى لجين الماء يعنى اثبت الحزن عبرة وصفرة كالخط لان الناظم الفاهم لما بكى طويلا ومزج الدمع بالدم ظهر على خده الشريف خطان رقيقان كالالف احدهما احمر وهو من اثر الماء الجارى من عينه وثانيهما اصفر وهو من حزن قلبه ومثل بالنصب على انه حال اومفعول ثان لاثبت بتضمينه معنى جعل ويجوز ان يكون صفة لخطى والبهار على وزن النهار اسم لورد اصفر ينبت فى اول الربيع والتشبيه فى صفرة اللون فقط لافى الجرم والصورة وعلى خديك متعلق بمقدر حال من خطى والعنم بفتحتين اسم شجر احمر لين الاغصان يشبه البنان قيل هو الحناء وقيل هو البقم ورجح الاول قوله

* النشر مسك والوجوه دنا * نير واطراف الاكف عنم *

وانبت عطف على شهدت اى كيف تنكر حبا بعد ما اثبت الوجد وهو الحزن ويستعمل فى الهم المستولى على القلب الناشى من الحب على خديك صفة عبرة وضنا عطف على خطى عبرة وهو الهزال والضعف ويلازمه عادة صفرة الوجه مثل منصوب على انه حال او مفعول ثان لاثبت بتضمين معنى جعل والبهار نوع من الور اصفر ينبت فى الربيع والعنم عطف عليه وهو شجر لين الاغصان يشبه ب البنان يقال بنان معنم اى مخضوب والمشبه بالبهار هو الضنا على ان المراد به لازمه وبالعنم هو خطا عبر واسناد اثبت الى الوجد مجاز عقلى من قبيل الاسناد الى السبب كما فى سرتنى رؤيتك فالمعنى انه يقول يامن مقلته العبراء بدوم انصبابها * وكبده الحر لا يزول التهابها * كيف تنكر المحب والاشواق * وكيف توارى سو القلب المشتاق * بعدشهادة عدول الدمع والسقم عليك واثبات الوجد المبر خطين من العبرة على خديك * وذبول جسمك من الضنا وذوبانه من الاوار وحمرة دمعك مثل العنم واصفرار لونك مثل البهار * فلابد لك من الاقرار * كما اقر بالهوى عند شهاد هؤلاء العدول بعض اهل الاسرار حيث قال * شوقى اليكم وصفه لايمكن يامن له فى ربع قلبى مسكن * لولا الهوى ما ذاب جسمى بالضنا * والدمع لولا الوجد هل لايسكن * عندى غرام نحوكم وتشوق * عن شرح ايسره تكل الا لسن * بعد ذلك يقرأ الناظم ويقول *

واياما كاى فالمماثلة فى الاحمرار فقط وفى هذا البيت من صنائع البديع لف ونشر معكوس حيث ذكر الحمرة ثم الصفرة فى المصراع الاول وعكس الحال فى هذا المصراع ونكتته للوزن والنظم وحاصل المعنى كيف تنكر المحبة بعد ان شهد بها شاهدا عدل مااستطعت على جرحهما وحكم عليك قاض لاينقض حكمه وكتب على صحيفة خديك منشور المحبة بخطين احمرين فكل من يراك يقرأ آية المحبة من خديك فانكارك لايسمن ولايغنى من جوع

* اغفرلى يامن بسعة مغفرته شوقنى * واعف عنى الفعل الذى من رضاك فرقنى * ولاتحرقنى بنار الجحيم لان عشق نبيك احرقنى *

(نَعَم سَرَى طَيْفُ مَنْ اَهْوَى فَارَّقَنِي * وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالْاَلَمِ)

فلما اثبت العاشق دعواه بان سلطان المحبة فى مدينة قلبك وانكر الشخص المجرد من نفسه المخاطب ثم اثبت ثم انكر الى ان يأتى العاشق بشاهدين عادلين واثبت دعواه وكتب الكاتب وسجله فلم يبق لذلك المخاطب مجال الى الانكار فاقر بتلك الدعوى بالتصديق والاقرار فقال نعم الخ فنعم حرف تصديق مخبر بعد قول القائل قام زيد واعلام مستخبر بعد قوله اقام زيد ووعد طالب بعد قوله افعل اولاتفعل وههنا من قبيل الثانى والفرق بينه وبين بلى ان نعم حرف تصديق لكن يقع تصديقا للايجاب والنفى فى الخبر والاستفهام جميعا وبلى يختص بالنفى خبرا اواستفهاما على معنى انها انما تقع تصديقا للمنفى على سبيل الايجاب ولاتقع تصديقا ولهذا لوقال القائل بلى كان مؤمنا فى جواب الست بربكم لانه فى قوة بلى انت ربنا ولوقال القائل نعم فيه لكان كافرا لانه فى قوة نعم لست ربنا وقد نظمه بعضهم

* بعد نفى قل نعم لابعد ايجاب كذا * بعد ايجاب نعم لابعد ايجاب بلى *

وجملة سرى استينافية لانه لما اقر بالعشق واعترف بالشوق كأن سائلا قال كيف كان الحال فقال سرى الخ وهو من السرى وهو مختص بالسير ليلا كما فى قوله تعالى (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا) الآية لايقال لانسلم ان اسرى فى الآية السير ليلا كيف وكونه فى الليل مأخوذ من قوله ليلا والا لكان مستدركا لانا نقول ذكر المفسرون ان اسرى هو السير ليلا وذكر ليلا بعده فى الآية اشارة الى ان السير كان فى بعض الليل لافى كله اذ تنوين ليلا للتقليل وسيأتى تفصيله والطيف الخيال ومن اسم موصول عبارة عن المحبوب ابهمه للتفخيم واهوى نفس متكلم من هوى يهوى وضمير المفعول الراجع الى الموصول محذوف اى اهواه واحبه والفاء فى فارقنى جواب شرط محذوف اى لما جاء الى خيال المحبوب ومحبة المعشوق فارقنى وفيه التفات

(نعم سرى طيف من اهوى فارقنى)
(والحب يعترض اللذات بالالم)
نعم حرف ايجاب لماسبق من الاستفهام عن تحقق الحب سرى يسرى اى ذهب بالليل والطيف الخيال من اهواء اى احبه ارقه اسيره يعترض من اعترض له بسهم اقبل به قبله فرماه فقتله فالالم يكون استعارة عن السهم واللذات عن الشخص المرمى ولك ان تعتبر التبعية فى يعترض كما (فى تقريهم لهذ ميات) فالحاصل انه لما استفهم منه على سبيل الانكار سبيلا * ولا الى

من الخطاب الى التكلم على عكس مافى المطلع وارق من التأريق وهو التسهير والايقاظ من النوم والنون فيه وقاية والايقاظ من النوم اماعلى حقيقته لانه اذا امتلأ قلب المشتاق بخيال المحبوب والاشواق يسلب النوم من عينيه ولايحجب عنهما ابدا فيكون فى اليقظة فى كل حال سرمدا واما مجاز من سلب الغفلة باحوال الدنيا ولذاتها وهو المناسب لسياقه كماترى والواو فى والحب اما حالية او استينافية معانية كأنه قيل هل شغلت فى اثناء عشقك باللذات فقال والحب يعترض اللذات بالالم ويقول الفقير يمكن ان يكون الواو عاطفة من عطف العلة على معلولها اذهو علة لما قبله فكأن الناظم الفاهم قال اذالحب يعترض فيمكن فيه ترتيب قياس تقريره هكذا الحب سالب النوم ودافعه لان الحب يعترض اللذات بالالم وكل شئ شانه كذلك فهو سالب النوم ودافعه ينتج الحب سالب النوم ودافعه ويعترض من اعترض له بسهم اقبل به قبله فرماه فقتله فيعترض بمعنى يقتل ففى اسناده الى الحب مجاز واستعارة تبعية حيث شبه القتل بالاعتراض فى شدة التأثير والتبديل اذ كما فى القتل تبديل الشكل فكذا فى الاعتراض ثم استعير الاعتراض لمفهوم القتل فذكر الاعتراض واريد القتل وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الاعتراض صيغة يعترض ومن القتل صيغة يقتل وشبه هيئة يقتل بهيئة يعترض بواسطة العلاقة التى فى مصدر هما ثم ذكر يعترض واريد يقتل وعلى مذهب السكاكى فى الحب استعارة مكنية كما لا يخفى واللذات جمع لذة بالنصب مفعول يعترض وبالالم متعلق بيعترض والالم كالكدر لفظا ومعنى لكن هنا مجاز ومستعار من السهم حيث شبه الالم بالسهم فى كونه مهلكا ويحتمل ان يكون فى هذا المصراع استعارة تمثيلية بان شبه الهيئة المأخوذة من الامور المعقولة وهو كون الحب قاتلا وكون الالم الحاصل منه مهلكا وكون اللذات مهلكا به وكون الحب راميا الالم الى اللذات بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة وهو كون الشخص راميا وكون السهم مرميا به وكون شخص آخر اوحيوان مرميا اليه وكون السهم مهلكا ثم استعير الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة لمفهوم الهيئة المأخوذة من الامور المعقولة ثم ذكر الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة واريد الهيئة المنتزعة من الامور المعقولة تدبر وحاصل المعنى ان العشق والمحبة يعرض ويهلك اللذات بسبب الالم كما ان الشخص الرامى يهلك الشخص المرمى اليه بالسهم لان العشق الحقيقى اذا دخل قلب احد يقطعه عن لذائذ الدنيا ونعيمها فلا يبقى له الذوق بشئ من الاشياء لان الدنيا والآخرة ضدان لايجتمعان فى شخص

التبرى عنه دليلا * فاعترف بعد ما اصبح خده بالدموع الممزوجة بالدم منقشا وفشا سره المكنون فى الحشا اعترافا بانه يدفق من جفونى ماء حزن تلظى فى الجوانح منه جمر * غدا العبرات مبرزة لسرى وهل يخفى مع العبرات سر فقال نعم ماظننتم كما ظننتم ثم كأن سائلا قال كيف كان الحال فاستأنف بقوله سرى * وفى قوله فارقنى التفات من الخطاب الى التكلم على عكس ماكان فى المطلع من التكلم الى الخطاب على مذهب السكاكى لان عنده تغيير مقتضى التعبير التفات ايضا

فيه وانما جعل الوقوع فى الهوى ظرفا للملامة لانه سبب لهـا فكأنه منبعهـا كما فى قوله نع (ولكم فى القصاص حيٰوة) والهوى العـذرى عبـارة عن الحب الشديد المفرط المتيم نسبه الى بنى عذرة وهى قبيلة مشهورة بالابتلاء بداء العشق وكثير من شبـانهم يهلكون بهذا المرض كما يحكى ان واحـدا سأل منهم عن سبب انهما كهم فى اودية المودة * وموجب هلاكهم من شـدة المحبة * فأجابوا بان فى قلوبنا خفة وفى نسائنـا عفة * ويجوز ان يكون الهوى العذرى عبارة عن الحب المستولى على القلب الذى من حقه ان يقبـل العذر من صاحبه كل احد وقيل فى بنى عذرة بوجد حسن مفرط ايضـا كما فى بنى هلال فعلى هذا يكون المعنى فى الهوى العـذرى اى فى محبة المحبوب الجميل المفرط فى الحسن والجمـال ويحكى عن الاصمعى انه مر بقبيلة بنى عذرة فاضافه بعضهم وجر محبته بالاضافة كما اشتهر ان الجر من عمل الاضـافة وكانت لمضيفه بنت رشيق القد صبيح الخد فصيح الكلام مليح الملام كما قال فيها الشاعر (وليس بها عيب سوى ان ضيفها * يعاب بنسيان الاحبة والوطن) يقول الاصمعى خرجت من بيت المضيف * لا تفرج باق اهلهم اللطيف * فرأيت شابا ضعيفا كالهلال * ونحيفـا كالخلال * تلوح اسرار المحبة من اسرته * وتجلى انوار المودة فى صفرة وجنته فى نظره نار موقدة وفى قلبه نار تطلع على الافئدة لا تنطفئ نيران قلبه بقطرات العبرات * (والعذرى)

كما روى ان هارون الرشيد نظر يوما فى نفسه وقال انى اجمع الدنيا مع الآخرة بغير تركهما فاطلع بهلول الولى على ما فى قلب هارون بالمكاشفة وجاء الى بيت هارون وكان فى بيته امام قصره عمود عظيم متروك من سنين حتى لو جمع اهل البلد كلهم على رفعه لعجزوا عن رفعه بل عن تحريكه فاخذ احد طرفيه فرفعه ثم ترك ذلك الطرف وجاء الى الطرف الآخر فرفعه ايضا وتركه ثم جاء الى وسطه فاخذه فما رفعه وهارون الرشيد ينظر الى ما فعله فطلبه الرشيد فجاء اليه فقال له الرشيد ما الغرض من هذا الفعل يا بهلول قال ارشاد الملك انى اردت ان اجمع الدنيا فقدرت عليها لكن لم يكن معها الآخرة ثم تركت الدنيا واردت الآخرة فقدرت عليها لكن بترك الدنيا ثم اخذت الوسط لاجمع الدنيا والآخرة فما حصل لى ذلك ففهمت ان تفكرك بان تجمع الدنيا والآخرة باطل وخاصية هذا البيت انك اذا كنت تتهم امرأة فاكتب هذا البيت على ورقة اترج وضعها على ثديها الايسر وهى نائمة فانها تنطق فى حال النوم بجميع ما فعلت من مليح او قبيح وهذا مجرب صحيح وكذا اذا كنت شككت فى احد انه هل اخذ شيأ من مالك فاكتب هذا البيت فى جلد ضفدع مدبوغ وعلقه فى عنقك فان السارق يندهش ويقر من ساعته باذن الله تعالى

(يالائمى فى الهوى العذرى معذرة * منى اليك ولو انصفت لم تلم)

لما كان المخاطب فيما قبل منكرا للدعوى بانه مبتلى بالهوى كان المكالمة والخطـاب بينهما بالكاف والضمير ثم لما اقر المخاطب بتلك الدعوى بعد منه المتكلم قليلا اذ الخصم اذا اقر بالدعوى التى انكرها فيما مضى يرخى له العنان ويوسع عليه فى ذلك الزمان ويفرق عنه خصمه برهة من الاوان فعدل عن الخطاب والضمير الى الخطاب بصيغة النداء فقال يالائمى الخ اذ صيغة النداء تدل على البعيد ويجوز ان يكون عدوله الى الخطاب بصيغة النداء لامالة المقصود بالنداء الى الاداء كذا ذكره سعدى چلبى فى تفسير قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) الآية والمقصود بالنداء هنا الاعتذار من المحبة والهوى ورجاء قبول عذره من اللائم واللائم اسم فاعل من اللوم كما فى قوله تعالى (ولا يخافون لومة لائم) وهو مضاف الى ضمير المتكلم والمعنى يا من يلومنى بلومه ويعاتبنى بعتابه وفى الهوى ظرف للملامة وانمـا كان ظرفا لها لكون الهوى سببا لها اذ من وقع فى الهوى يلام فى كل صبح ومساء اذ المحب يكون له فى كل حالة انين ويبكى فى جميع وقته بكاء شديدا ويقع فى ملامة ومذلة جدا ولذا قيل

* نون الهوان من الهوى مسروقة * فصريع كل هوى صريع هوان *

والعذرى بالجر صفة الهوى وهو بضم العين بمعنى المنسوب الى قبيلة بنى عذرة وهى قبيلة فى اليمن مشهورة بكثرة العشق معروفة بوفرة الشوق وكثير شبانهم يموت بهذا الداء لعدم وجدانهم دواء لمرضهم لان فى قلوب رجالهم ضعف اى ليس فيهم غش ولا دناءة وفى نسـائهم عفة اى ليس فيهن فحش ولا خيانة والمعنى يا من يلومنى فى وقوعى فى الهوى الذى هو مثل هوى قبيلة بنى عذرة فى الحب الشديد والعشق المديد والمعنى فى وقوعى فى الحب المستولى الذى من شأنه ان يقبل العذر به من صاحبه كل احد لان ذلك الحب مستول بالاضطرار فلا يلام من ابتلى عند الصغار والكبار ويمكن ان يرتب فيه قيـاس لطيف من الشكل الاول بان يقال هو اى مقبـول لانه عذرى وكل هوى العـذرى مقبـول ينتج ان هو اى مقبـول حكى ان الاصمعى اراد ان يذهب الى قبيـلة من الاعراب مشهورة بالفصاحة والبلاغة عند اولى الالباب ليتعلم منهم الفصاحة حتى يذهب من لسـانه الركاكة ففتش فى القبائل فسمع ان قبيلة بنى عذرة مشهورة بالفصاحة فيما بين العرب فذهب الى تلك القبيـلة فى اليمن فاضافه بعضهم وكان لصاحب البيت بنت رشيقة القد صبيحة الخد فصيحة الكلام مليحة الملام فجر الاصمعى منها المحبة لكونه مضافا لها والمشهور ان الجر من عمل الاضافة يقول الاصمعى ثم خرجت من بيت المضيف لا تفرج واطوف فى هذه القبيلة فرأيت شابا لطيفا كالهلال نحيفا كالخلال مصفر اللون من العشق كالعنم وعلامة المحبة فى وجهه كالشمس على العلم فى قلبه اتقاد واشتعال كانه مرتحل الى الآخرة بارتحال فسألته عن الحال وما فى جسمه من الملال فاجاب بالرعشة والاضطراب الحبيبة التى كنت فى بيتها ضيفا بنت عم ذلك المصاب ولنيران هواها فى قلبه اشتعال والتهاب وما رآها منذ سنين وله من فراقها زفرة وانين قال الاصمعى فمضيت الى بنت عمه لاحصل مرام هذا الفتى وارجو منها بلعل وليت ومتى وقلت يا راحة جراحة كل قلب كئيب ارى فيكم حرمة وذماما لكل غريب فجئت اليكم متشفعا فى امر هذا الشاب فتعطفى عليه باستمالة قلبه المصاب قالت صلاحه وفلاحه فى فراقنا وفوزه فى الاحتراق بلواعج اشواقنا فبعد اللتيا والتى قبلت انجاح منيتى فذهبت الى ذلك الشاب وقلت استعد لمشاهدة المحبوب وكن مراقبا لمواصلة المطلوب فبينا ذلك هاج الغبار من جانب المحبوب فغشى عليه ووقع فى النار التى كانت بين يديه فاحترق بعض اعضائه فمشيت الى الحبيبة وحكيت لها الحال فقالت يا سليم القلب انه لا يطيق مشاهدة غبار نعالنا

وهو يدمدم ويترنم هذه المقـالات * فلا عنك لى صبر ولا فيك حيلة * ولا عنك لى بد ولا لى منك مهرب * فلو كان لى قلبـان عشت بواحد * وافردت قلبا فى هواك معذب * ولى الف باب قد عرفت طريقه * ولكن بلا قلب الى اين اذهب * فسألت الحضار عن حاله * واستكشفت عن موجب بلباله * قالوا الحبيبة التى انت فى بيتها بنت عم ذلك المصاب * ولنيران هواها فى قلبـه اشـتعال والتهاب * وما رآها منذ سنين * وله من فراقها زفرة وانين * يقول الاصمعى فمضيت الى البيت * طالب المرام بلعل وليت * وقلت يا راحـة جراحـة كل قلب كئيب * ارى فيكم حرمـة وذماما لكل غريب * وقد جئت اليك متشفعا فى امر هذا الشـاب * فتعطفى عليه باستمالة قلبه المصـاب * وردى قرة عينه بنـور الجمال * وتكفلى مسرة قلبه بسعاد الوصال * قالت صلاحه فى فراقنـا * وفوزه فى الاحـتراق بلواعج اشواقنـا * فبعد اللتيا والتى قبلت انجاح منيتى * فذهبت الى المحب * وقلت اسـتعد لمشـاهدة المحبوب * وكن مراقبـا لمواصـلة المطلوب * فبينا ذلك هاج الغبار من جانب الحبيب فغشى عليه * ووقع فى النـار التى كانت لديه * واحترق بعض اعضائه * وزاد داء حوبائه * فمشيت الى الحبيبة

فكيف يطيق مشاهدة انوار جمالنا كذا ذكره شيخ زاده لكن لابعين عبارتنا وقال الشارح الشبراخيتى وحكى ايضا ان الاصمعى فى اثناء طوافه فى هذه القبيلة رأى حجرا قد كتب عليه هذا البيت

* ايامعشر العشاق بالله اخبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع *

فكتب الاصمعى على الحجر تحت هذا البيت بيتا وهو

* يدارى هواه ثم يكتم سره * ويصبر فى كل الامور ويخشع *

فلما جاء الاصمعى رأى مكتوبا بعد بيته هذا البيت

* فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم روحه تتقطع *

فكتب الاصمعى تحته هذا البيت

* اذا لم يطق صبرا وكتما لسره * فليس له شئ سوى الموت انفع *

فلما جاء الاصمعى فى اليوم الثالث رأى شابا واضعا رأسه على الحجر ميتا وقد كتب على الحجر هذا البيت

* سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى الى من كان للوصل يمنع *

وقد ذكر هذه الحكاية قره باغى فى محاضراته ايضا ومعذرة مصدر من العذر منصوب بفعل مقدر اى اقبل بصيغة الخطاب او اعذر ومنى متعلق به واليك صلة معذرة وقال شيخ زاده رحمه الله تعالى يجوز ان تكون معذرة مفعولا له واليك اسم فعل اى يالائمى اطلب معذرة ابعد فانك ظالم وقوله ولو انصفت الواو ابتدائية اوحالية ولو لانتفاء الثانى لانتفاء الاول نحو لو جئتنى لاكرمتك والانصاف العدل اى لو عدلت لما هجوتنى بالملام ولعذرت من ابتلى برزايا الآلام ولم تلم فعل مجد مطلق من الملامة وياء المتكلم مفعوله اى تنفى الملامة عنى ففى هذا المقام قياس استثنائى تقريره هكذا انك لم تنصف لانك لو انصف لما لمتنى لكن التالى باطل لانك لمتنى كما فهم من قوله يالائمى والمقدم مثله لانك لمتنى فثبت انك غير منصف

﴿ عدتك حالى لاسرى بمستتر * عن الوشاة ولادائى بمنحسم ﴾

لما كان العاشق ارتجى من اللائم ان يقبل عذره ويترك الملامة له لكون عشقه غير اختيارى بل هو عذرى ولم يقبل اللائم عذره بل لامه فقابل العاشق ذلك اللائم بقوله عدتك حالى الى آخره كلمة عدا ان تعدى بالى يكون بمعنى سرى وان تعدى بعلى يكون بمعنى ظلم وان تعدى بعن يكون للبعد والمجاوزة وهنا اما متعد بالى اى عدت اليك فيكون من قبيل الحذف والايصال كما فى قوله تعالى (واختار موسى قومه) فعلى هذا جملة عدت اما دعاء على اللائم او دعاء له اما كونه دعاء على اللائم فلكونه لاتماله صورة

فقالت ياسالم القلب انه لايطيق مشاهدة غبار نعالنا * فكيف يطيق مطالعة انوار جمالنا * قوله معذرة منصوب بفعل مقدر اى اقبل ومنى صلته واليك صلة معذرة ويجوز ان يكونا صفتين لمعذرة اى اقبل معذرة كائنة منى ملقاة اليك * ويجوز ان يكون معذرة مفعولا له واليك اسم فعل اى يالائمى اطلب معذرة ابعد فانك ظالم ويجوز ان يرفع معذرة على الابتداء لتخصصها بالظرف الواقع صفة لها ويجعل اليك خبرها ولكن السماع هو النصب ولو انصفت جملة شرطية حالية اى او عدلت لما جرعتنى ماء الملام * ولعذرت من ابتلى برزايا الآلام * ولو ذكرت ماجرى بين المحبين و محبوبهم المجازى الفانى لقبلت عذر الهائمين فى بوادى محبة الحبيب الحقيقى الباقى * (عدتك حالى لاسرى بمستتر) (عن الوشاة ولادائى بمنحسم) عدا اليه اى سرى عليه اى ظلم وعنه اى تجاوز وبدون الصلة بمعنى سار سريعا والمراد ههنا عدت اليك حذف الجار كما فى قوله تع (واختار موسى قومه) وهو فى الظاهر دعاء على اللائم المؤذى اى ابتلاك الله بمثل ما ابتلانى به اما فى نظر من يتلذذ ببلاء العشق فيكون دعاء له ثم كأن سائلا قال كيف الحال فاستأنف بقوله لاسرى ولا بمعنى ليس والسر الامر الخفى وجمعه الاسرار والوشاة جمع واش من الوشى بمعنى الغمز لان الغماز يزين

فحينئذ يكون فيه اشارة الى قوله عليه الصلوة والسلام (من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله) واما كونه دعاء له فاما لكونه ناصحا له حقيقة واما عملا بقوله عليه الصلوة والسلام (صل من قطعك واعف عن ظلمك واحسن الى من اساء اليك) واما متعد بعن اى عدت عنك والجملة ايضا اما دعاء عليه بالحرمان من الوصول الى مرتبة العشاق فيكون المعنى تجاوز عنك حالى ولم يبق فيك واما دعاء له بانى ادعو الله ليتجاوز عنك حالى اى سقم القلب وبكاء العين وكونى ملوما وعلى كل تقدير جملة عدت اخبارية مستعملة فى معنى الانشاء مجازا او استعارة بان يشبه النسبة الانشائية الكائنة فى ليعد بالنسبة الاخبارية واريد النسبة الانشائية وبتبعية هذه الاستعارة استعملت الصيغة الموضوعة للنسبة الاخبارية اعنى عدت حالى فى النسبة الانشائية اعنى ليعد حالى ونظيرها كثير فى الحديث والقرآن كما لايخفى على اهل البيان ونكتة المجاز اما التفأل كأنه دعا واستجيب واما لاظهار شدة حرصه ورغبته على وقوعه كأنه لكمال حرصه تخيل وقوعه فعبر بالماضى وقوله حالى بالرفع على انه فاعل عدت وهى مؤنث سماعى وقد تذكر والحال فى اللغة نهاية الماضى وبداية المستقبل وفى اصطلاح النحويين مايبين هيئة الفاعل او المفعول به لفظا نحو ضربت زيدا قائما او معنى نحو زيد فى الدار قائما وفى اصطلاح الحكماء كيفية فى النفس غير راسخة فيها لانهم قسموا الكيفيات النفسانية الى قسمين لانها ان كانت راسخة فى النفس فهى ملكة وان لم تكن راسخة فهى حال فالحال بهذا المعنى مالا يكون معدوما ولا موجودا ولادائما كالحزن والسرور الغير الدائمين والحال فى اصطلاح اهل الحق والتصوف معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب او حزن او قبض او بسط او هيبة او خشية ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل اولا فاذا دام وصار ملكة يسمى مقاما فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب والاحوال تأتى من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود والمراد ههنا الحال التصوفى فيكون المعنى سرى اليك ماكان فى قلبى من الحب الحقيقى لانك وان لمتنى صورة لكن ما لمتنى حقيقة او ابتلاك الله بمثل ما ابتليت به ثم كأن سائلا قال كيف كان حالك فاجاب بقوله لاسرى الى آخره فتكون جملة لاسرى بمستتر استينافية معانية ولا مشبهة بليس وسرى مضاف الى ياء المتكلم وهو الامر الخفى وهو بالرفع محلا اسم لا فان قلت ان اسم لا المشبهة بليس لايكون معرفة فكيف يكون قوله سرى اسم لا

كلامه حسمه قطعه فانحسم يعنى يامن اطال اللسان فى الملامة * ومن ملامته قامت على العشاق القيامة * مكنونات ضمائرى غير مستورة عن الوشاة * ومستورات سرائرى غير مكنونة لدى الشكاة * ولعمرى لا انحسام لدائى * ولا انقطاع لرجائى * فلا تسع فى هتك الاستار * وتلق بالقبول للاعذار * فانك لو ابتليت بما ابتليت به من الغرام * لما املت على الصب المتيم لسان الملام * ثم قال قدس سره *

مع كونه معرفة لكونه مضافا الى المعرفة قلت هذا مبنى على مذهب الاخفش فانه وان لم يجوزه الجمهور لكن الاخفش جوزه والباء فى بمستتر زائدة وهو خبر لا وعن متعلق بمستتر والوشاة جمع واش كالنحاة والغزاة والواشى بمعنى اللامز المنافق الذى يسعى بالفساد بين العاشق والمعشوق ليفرق بينهما قال الشاعر

* لئن كنت قد بلغت عنى جناية * لمبلغك الواشى اغش واكذب *

وقال آخر

* قالوا الوشاة قد ادعى بك نسبة * احزنت لما قلت قد صدقته *

وقوله ولا داعى عطف على لاسرى واعادة حرف النفى للتأكيد والداء المرض مضاف الى ياء المتكلم والمنحسم اسم فاعل من الانحسام بمعنى الانقطاع اى ولا مرضى بمنقطع بالوصول الى المحبوب ويمكن ان يرتب فيه قياس تقريره هكذا دائى ليس بمنحسم لان دائى لو كان منحسما لوجدله الاطباء ولو وجدله الاطباء لوجد وصلة الاحباء ينتج انه لو كان دائى منحسما لوجدله وصلة الاحباء لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه اعنى ان دائى ليس بمنحسم فحاصل معنى البيت يالائمى انى رجوت الاعتذار منك كثيرا فاقبلت وما تركت الملامة فانا ارجو الله تعالى ان يبتليك مثل ابتلائى فكأن السائل سأل عن ابتلائه بانه كيف الحال فى ابتلائك فقال كنت ملابسا بحال لم يكن سرى بمستتر عن النمازين بين المحب والمحبوب لانه سلب عنى الاختيار وكان سرى مكشوفا بالاضطرار اذ ورد من الكمل والكبار العشق هتك الاستار وكشف الاسرار وكان ايضا مرضى اعنى العشق للنبى المختار غير منقطع عنى فى كل ليل ونهار ولا ينفعنى البعد عنه والفرار الا الوصلة الى جنابه الذى كله الاحجار والاشجار والى جماله الذى طلعت منه الانوار

(مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ * إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَّالِ فِي صَمَمِ)

ولما فهم الناظم الفاهم ان لوم اللائم وان كان لوماله صورة لانه حمل عشقه على المجازى وقال ان عشقك لفلان ابن فلان لا للنبى ولا للرحمن لكنه فى الحقيقة نصح له بان العشق المجازى ليس كما ينبغى لانه تضييع الاوقات فيما لا يعنى وبذل النفس فيما لا يسمن ولا يغنى فقال هضما لنفسه وانكارا لحبه الحقيقى احترازا عن العجب الذى هو اعظم الذنوب وافخمها ولذا قال عليه الصلوة والسلام (لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اعظم من ذلك العجب العجب) قوله محضتنى النصح الخ وهو بصيغة الخطاب خطاب لمن يلومه

(محضتنى النصح لكن لست اسمعه)
(ان المحب عن العذال فى صمم)
محضت الشئ اخلصته وصفيته عما لا ينبغى والمحض من الشئ الصرف والخالص واسمعه اى اقبله كما فى سمع الله لمن حمده ولكن للاستدراك وهو دفع توهم تولد من كلام سابق ولما كان مظنة ان يقال لم تسمع استأنف بقوله ان المحب قوله عن العذال متعلق اما باسمعه او بصمم وهو اولى من جهة المعنى ولا بأس بتقدم معمول المصدر اذا كان ظرفا اذ يكفى فيه رائحة الفعل كما نص عليه الشيخ فى قوله تع (فلما بلغ معه السعى) وفى صمم خبر ان اى كائن فى صمم عن سماع كلامهم جعل الصمم ظرفا مبالغة فى بيان عدم القبول يعنى احاط بى الصمم احاطة الظرف بالمظروف اذ حبك الشئ يعمى ويصم حديث معروف

فى العشق المجازى وهو من التمحيض والتمحيض كالامحاض جعل الشئ محضا اى خالصا وصافيا عما لا ينبغى والنصح منصوب على انه مفعول ثان له اى جعلت لى النصيحة محضا خالصا بحيث لا يشوبها غرض من الاغراض الفاسدة والآراء الكاسدة والنصح النصيحة وهو ارادة الخير للغير وكلمة لكن للاستدراك وهو دفع توهم نشأ من الكلام السابق لانه لما قال محضتنى النصح تولد منه توهم بانك هل انتصحت بنصحه فدفعه فقال لكن لست الخ هضما لنفسه والا فلم يكن فى الناظم الفاهم عشق مجازى حتى يتركه بنصح ناصح لان عشقه حقيقى لانه للنبى عليه السلام وقوله لست اسمعه بمعنى لم التفت اليه بطريق المجاز التبعى بان يشبه الالتفات بالسماع فى توجه القلب فذكر السماع واريد الالتفات ثم اشتق من الالتفات التفت ومن السماع اسمع فشبه التفت بالعلاقة التى فى مصدرهما باسمع فذكر اسمع واريد التفت وقوله ان المحب الخ علة لعدم السماع فالتقدير لان المحب فحذف الجار لكونه قياسيا كقوله تعالى (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) والالف واللام فى المحب للاستغراق اى كل محب فان قلت اللام الداخلة على اسم الفاعل والمفعول بمعنى الذى فكيف يكون اللام ههنا للاستغراق قلت اللام الداخلة عليهما ليست بمعنى الذى مطلقا بل انما تكون بمعناه اذا كان الفاعل والمفعول بمعنى الحدوث نحو الضارب والمضروب بمعنى الذى ضرب واما اذا كان بمعنى الثبوت كالواجب والمؤمن وغيرهما فلا يكون كذلك بل يكون حكمه حكم الصفة المشبهة والالف واللام فيه للتعريف وما وقع ههنا من هذا القبيل فاحفظ هذا والمحب منصوب على انه اسم ان فان قلت ما النكتة فى نصب ان اسمه ورفعه خبره ولم لم يجعل الامر بالعكس قلت تفصيله انه لما صار عاملا فلا يخلو اما ان يرفع المبتدأ والخبر معا او ينصبهما معا او يرفع المبتدأ وينصب الخبر او ينصب المبتدأ ويرفع الخبر والاول باطل لان الخبر والمبتدأ كانا قبل دخول ان عليهما مرفوعين فلو بقيا كذلك بعد دخول ان عليهما لما ظهر له اثر ولانه اخذ العمل من المشابهة بالفعل والفعل لا يرفع الاسمين وكذلك ما يشابهه لان الفرع لا يكون اقوى من الاصل والثانى ايضا باطل لانه اخذه من الفعل وهو لا ينصب شيئين مع خلوه عما يرفعه والثالث ايضا باطل لانه لو رفع المبتدأ ونصب الخبر لكان بين الاصل والفرع تساو وهو باطل ولما بطلت الاقسام الثلاثة تعين القسم الرابع وكذا الكلام فى اخوات ان وان مع اسمه وخبره جملة استينافية كأن قائلا قال لم لم تسمع

النصيحة فاجاب بقوله ان المحب الخ وعن فى عن العذال متعلق بالصمم المؤخر فان قلت ان تقديم مافى حيز حرف الجر عليه ممتنع فكيف يصح تقديم معمول مافى حيز حرف الجر لان المعمول لايقع الاحيث يصح وقوع العامل فيه قلت تقديمه هنا للاتساع فى الظروف لان الظروف يغتفر فيها مالايغتفر فى غيرها اولضرورة الشعر كما قال الشاعر فى بيان ضرورة الشعر

* وقدجاء فى التركيب بعض تصرف * كفصل وتقديم ومثل زيادة *

والعذال جمع عاذل بمعنى اللائم ويجوز انيكون العذال هنا بمعنى المتكلم مطلقا لائما كان اوناصحا من قبيل ذكر الخاص وارادة العام كما يشيراليه التعميم فى الحديث وفى صمم اى فى وقر عن سماع كلامهم وهو ظرف مستقر خبران والصمم بفتحتين ضدالسمع والظرفية مجازية واستعارة تبعية بان يشبه شمول العموم المطلق بشمول الظرفية المطلقة فى الاحاطة المطلقة فاستعير شمول الظرفية المطلقة لمفهوم شمول العموم المطلق فذكر شمول الظرفية المطلقة واريد شمول العموم المطلق وبتبعية هذه الاستعارة شبه شمول العموم الجزئى بشمول الظرفية الجزئية فى الاحاطة ثم استعير الكلمة الموضوعة لشمول الظرفية الجزئية اعنى فى لمفهوم شمول العموم الجزئى ثم ذكر فى الموضوعة لشمول الظرفية الجزئية واريد شمول العموم الجزئى ونكتة المجاز المبالغة ويمكن انتكون الاستعارة مكنية فى مدخول فى اعنى صمم بان شبه الصمم بالكوز فى الاشتمال واثبت له ماهو من خواص المشبه به اعنى الاداة الدالة على الحلول الحقيقى وفى هذا البيت تلميح الى قوله عليه الصلاة والسلام فيمارواه البخارى (حبك الشئ يعمى ويصم) فاعلم انه يمكن انيكون فى هذا البيت قياس اقترانى ترتيبه هكذا انى لم اسمع نصحك لانى محب والمحب فى صمم عن العذال ينتج انى فى صمم عن العذال وكل من هو فى صمم عن العذال لايسمع نصحك ينتج انى لم اسمع نصحك وصغرى القياس الاول مسلمة عند الخصم ودليل كبراه الحديث السابق وتقريره بان يقال كل محب فى صمم عن العذال لانه لما قال صلى الله عليه وسلم (حبك الشئ يعمى ويصم) وكان هذا الحديث خاص اللفظ عام المعنى كان كل محب فى صمم عن العذال لكن المقدم حق والتالى مثله وخاصية هذا البيت انك اذا كنت تخاف من شراحد اومكره فاكتب هذا البيت فى كاغد ويكون الكاغد دائرة واجعلها على مقدم رأسك تحت العمامة فانك تكون باذن الله تعالى محفوظا من شره ومكره

(انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى * والشيب ابعد فى نصح عن التهم)

ولما ورد المنع على دليل عدم سمعه نصيحة الناصح بانه لانسلم ان عدم قبولك واستماعك النصح من كونك محبا لم لايجوز انيكون من حملك نصيحة الناصح على الحسد والطمع اثبت دعواه السابقة بقوله انى اتهمت الى آخره فتقدير انى لانى حذف الجار لكونه قياسيا فهو فى الحقيقة علة واتهمت نفس متكلم من باب الافتعال بمعنى حملت على التهمة يقال اتهمت فلانا بكذا اى نسبته الى شئ يورثه العار والتهمة اسم منه وتاؤه بدل من الواو اذ اصله وهمة كما فى تخمه ونصيح الشيب منصوب على انه مفعول لاتهمت والنصيح فعيل بمعنى الفاعل اى الناصح مضاف الى الشيب والاضافة امامن قبيل اضافة الصفة الى موصوفها اى حملت الشيب الناصح على التهمة وامامن قبيل اضافة المشبه به الى المشبه اى الذى هو كالناصح فى الاخبار عن قرب الموت اوالنصيح مصدر فاضافته الى الشيب من اضافة المصدر الى فاعله ويحتمل انتكون الاضافة بيانية والشيب كون الشعر بياضا وقيل هو الشعر الابيض والمراد بنصيحة الشيب كون الشيب قائلا بلسان الحال قدقرب الارتحال وحان الزوال فهذا اوان التوبة من سئ الاحوال كما قال الشاعر الفارسى

* موى سپيداز كفن آرد پيام * پشت خم ازمرك رساند سلام *

وورد فى الخبر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما كان خليفة نبه اعرابيا ان ينادى فى كل صباح وراء داره ياعمر لاتنس موتك واعمل فى الدنيا بقدر مقامك فيها فلما وجد عمر رضى الله تعالى عنه فى لحيته بياضا قال للاعرابى اترك النداء لان مخبرى ومذكرى حصل فى نصب عينى فلم يبق لندائك حاجة وقوله فى عذلى متعلق باتهمت والعذل بسكون الذال المعجمة بمعنى اللوم حرك الذال لضرورة الشعر وللخفة وقال المحقق العصام هو بالتحريك على الاصل واضافته الى ياء المتكلم من اضافة المصدر الى مفعوله اى فى لومه اياى والمعنى انى حملت على التهمة الشيب الذى هو كالناصح اوناصح شيب اى شيخ فى لومه اياى لان الناصح يلوم ويعاتب لمن يلق اليه النصح وقرئ ايضا فى عدلى بالدال المهملة فيكون مصدرا بمعنى العدول وعلى هذا يتعلق فى بنصيح واضافته اضافة المصدر الى الفاعل اى نصيح الشيب فى حق عدولى عن الاحوال السيئة وهذه القراءة احسن من جهة انه على هذا تكون اضافته الى الياء من اضافة المصدر الى فاعله فهو اصل فى المصدر والواو فى والشيب حالية والشيب مبتدأ وابعد خبره وهو

يعنى يامن يبالغ فى محاض النصح والتصدى للملام * كانك ماذقت جرعة من صهباء الغرام * (اذا كنت خلوا فاعذر الصب فى الهوى * فما المبتلى والمستريح سواء * لقد لمت اهل الحب مثلك فى الهوى * فما انا ازرى مثلهم واساء) فما اعتقادك فيمن يحترق فى نار المحبة والتهابها * ألهم قلوب يعقلون بها ام لهم اذان يسمعون بها * اتظن ان المحب لايتهم العذال * ولا يضرب عنهم الصفح وتضييع المقال * فابالك واضاعة الكلام * اما تدرى ان البلاغة فى رعاية مقتضى المقام * والصمت اجمل بالفتى من منطق فى غير حينه هب انك ماحض فى النصح والملام وبعيد عن مواقع الاتهام * اماتعلم ان نصيح الشيب والهرم * ابعد منك فى عذله عن مواضع التهم * وانى مع انه رأيت النسر عز ابن دائه وفى وكربه عششا * وربع الشباب بنزول ضيف الشيب اوحشا * ولى فى ذكر عهد الشباب زفرة تحرق الحشا * فمخزون دمعى بعدفقد انه همى * ومكنون سرى عقب هجرانه فشا * ومع هذا اتهم نذير الهرم ونصيح الشيب * فعليك ان لاتحوم حول العتب وحمى العيب * اتهمت فلانا بكذا اى نسبته الى شئ يورثه العار * والتهمة اسم منه والتاء بدل عن الواو مثل التخمة والنصيح فعيل بمعنى الفاعل مضاف الى الموصوف على تأويل عرفته فى جرد قطيفة اى الشيب الناصح او ترخيم نصيحة للضرورة واضافة المصدر الى الفاعل والمراد

من نصيحة الشيب دلالته على قرب الموت المقتضى للاستعداد ومن ﴿ ٣٢ ﴾ اتهامه ترك العمل بمقتضاه والعذل بفتح الذال
وسكونها بمعنى واضافته الى المفعول
اى فى عذله اياى وعن التهم او ومن التهم
على خلاف الروايتين متعلق بابعد ومن
التفضيلية محذوف اى من كل ناصح
والتنوين فى نصح عوض عن المضاف
اليه اى فى نصحه وقوله والشيب ابعد
جملة حالية وهذا البيت تأكيد من
حيث المعنى للبيت المقدم اى فما ظنك
فى اتهامى لك ايها اللائم بعد مالا يقبل
نصيحة الشيب قلبى الهائم * ولاريب
ان الشيب ابعد من التهم فى الامحاض
فقس حال قبول مقالك على هذا
واقض ما انت قاض * ومن ههنا انتقال
من بيان حال المحب والشكاية عن
اللائم الى بيان حال النفس والشكاية
منها لان المانع عن التوجه الكلى
الى الوطن الاصلى هذه النفس الامارة
بسوء الاعمال * والمرغبة الى قبائح
الافعال * ولهذا توجه الخطاب اليك
بقوله عليه الصلوة والسلام (اعدى
عدوك نفسك التى بين جنبيك) *
والانتقال فى الكلام من اسلوب الى
اسلوب يكون احسن تطرئة لنشاط
السامع واكثر ايقاظا للاصغاء
اليه وما اعجاز كلام رب العزة
وهو قرآنه الكريم * وفرقانه
العظيم * الا لانصبابه فى هذه القوالب
وروده على تلك الاساليب *
(فان امارتى بالسوء ما اتعظت)
(من جهلها بنذير الشيب والهرم)
الفاء للعطف على انى اتهمت وتفسير له
والسوء الشر والاتعاظ قبول الوعظ
ومن للسببية والنذير بمعنى الانذار كالنكير

اسم تفضيل ويلزم فى استعماله ولو تقديرا احد الشروط الثلاثة اعنى الاستعمال باللام او بمن او بالاضافة وهنا استعمل بمن المقدرة لان المعنى ان الشيب ابعد من كل شئ ناصح وفى نصح متعلق بابعد وتنوينه عوض عن المضاف اليه اى فى نصحه وعن التهم متعلق بابعد وفى بعض الروايات من التهم فان قيل فعلى هذا يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بمتعلق واحد مع انه غير جائز قلت فعلى هذا تكون من المذكورة متعلقة بمادة البعد لا بصيغة افعل التفضيل كما فى قولهم الانسان الاعم من زيد كذا فان قولهم من زيد متعلق بمادة العموم لا بالصيغة والالزم استعمال افعل التفضيل بمجموع الامرين اعنى اللام وكلمة من وهو باطل كما تقرر فى النحو كذا قاله كلنبوى فى حاشية التهذيب ثم اعلم انه لما كان هذا البيت علة لما قبله امكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال انى لم اسمع لومك ونصحك لانى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى مع ان الشيب ابعد فى نصح عن التهم وكل من شأنه كذا فلا يسمع نصحك ولومك ينتج انى لم اسمع لومك ونصحك ويمكن ان يرتب بترتيب آخر احسن من الاول بان يقال انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى والشيب ابعد فى نصح عن التهم ينتج من غير متعارف الشكل الاول انى اتهمت النصيح الابعد فى نصح عن التهم فنضم اليه الكبرى لينتج الدعوى بان يقال وكل من اتهم النصيح الابعد فى نصح عن التهم لا يسمع لومك ونصحك ينتج من المتعارف انى لم اسمع لومك ونصحك

(فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ * مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ)

لما فرغ من الكلام السابق الذى كان فى العشق والهوى انتقل الى الكلام الذى هو فى داء النفس ودوائها بانتقال حسن اذ جعل قوله فان امارتى الى آخره علة لما سبق اى لقوله انى اتهمت الى آخره وبين العلة والمعلول مناسبة تامة كما لا يخفى فالفاء فى فان للتعليل ويمكن ان يرتب ههنا قياس من الشكل الاول بان يقال انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى لان نفسى الامارة بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم وكل من شأنه كذا يتهم نصيح الشيب فى عذلى ينتج انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى * والامارة مبالغة اسم الفاعل بمعنى الآمر بالسوء مبالغة واضافته الى ياء المتكلم للعهد اى امارتى المعهودة وهى النفس ويجوز ان يكون من حذف الموصوف وذكر الصفة وارادته منها فان الآمر بالسوء مبالغة صفة النفس بقرينة تخصيصه تعالى بالنفس فى قوله حكاية عن يوسف عليه الصلوة والسلام (ان النفس لامارة بالسوء) فيكون فى هذا البيت صنعة تلميح الى هذه الآية وقوله بالسوء صلة لامارة والسوء بالضمة اسم بمعنى الفتنة والعذاب والبلاء

(بالفتح)

بمعنى الانكار او بمعنى المنذر كالبديع بمعنى المبدع والاضافة من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها على ما عرفت من التأويل او من قبيل الاضافة البيانية كما فى كتاب المفتاح وشهر رمضان وان اعتبرت المشابهة بين الشيب والنذير يكون من قبيل لجين الماء اعنى اضافة المشبه به الى المشبه وهو احد وجهى التشبيه للتأكيد والهرم تناهى الشيب وبالنذير يجوز ان يتعلق با تعظت وان يتعلق بجهلها فيكون من قبيل تنزيل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم فالمعنى ان نفسى الامارة بالسوء والعيب ما قبلت الوعظ من نذير الشيب فقادت فى غواية الجهل بعد الهرم ﴿ ٣٣ ﴾ وما كبحت عنان جماح الشهوة بايدى الندم اعلم ان الناظم نظمه الله فى سلك
اوليائه قد اورد اصول الصفات
الذميمة النفسانية فى عدة ابيات واثبتها
على حوبائه اقتداء للنبى الذى قال
لهضم نفسه (وما ابرئ نفسى ان
النفس لامارة بالسوء) واقتفاء لاثر
الحبيب الذى سلك طريق كلام المنصف
فى قوله (ومالى لا اعبد الذى فطرنى
واليه ترجعون) ولسلوك هذا الطريق
شأن عجيب فى البلاغة لانه يكون
اكثر ايقاظا لاصغاء السامعين واقوى
ذريعة لاصاختهم من حيث لا يخاطبهم
بما يمج عنه اسماعهم وينفر عنه طباعهم
فاذا لم يضربوا فى اول الامر عن كلامه
صفحا ولم يطووا دون مرامه كشحا
فيستدرجهم بالقاء الحق عليهم من
حيث لا يعلمون فالصفات المذكورة
من صفات المخاطب لكن المتكلم اثبتها
لنفسه لرعاية نكتة نبهناك عليها ولما آل
الكلام الى هذا وجب تمهيد مقدمة
لمعرفة ماهية النفس وطريق تزكيتها
المقدمة قال الله تع (ان النفس لامارة بالسوء الامارحم ربى) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك) اعلم ان النفس عين لطيفة هى معدن الاخلاق الذميمة مودعة بين جنبى الانسان اى جميع جسده وهى امارة بالسوء وهى مجبولة على ضد الروحانيات المخلوقة من الملكوت الا على فانهم يأمرون بالخير وينهون عن الشر وهى مخلوقة من الملكوت السفلى كالشياطين وهم لا يأمرون الا بالشر ومن طبعهم التمرد والاباء والاستكبار ولهذا تأبى النفس عن قبول الموعظة وتظهر التمرد كما اشار اليه بقوله فان امارتى بالسوء ما اتعظت البيت وفى بعض الروايات ان الله تعالى لما خلق النفس قال لها اقبلى فادبرت وقال لها ادبرى فاقبلت
٢

وبالفتح مصدر يقال رجل سوء على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل قولهم رجل عدل وقوله ما اتعظت ما نافية واتعظت من الاتعاظ بمعنى قبول الوعظ وجملته خبر ان ومن جهلها متعلق بالنفى ومن اما على معناه الاصل اى عدم قبولها الوعظ ناشئ من جهلها او بمعنى لام التعليل فعلى هذا يمكن ترتيب قياس هكذا نفسى الامارة بالسوء ما اتعظت لان نفسى الامارة بالسوء جاهلة بنذير الشيب والهرم وكل نفس شأنها كذا ما اتعظت ينتج نفسى الامارة بالسوء ما اتعظت وقوله بنذير يجوز ان يكون متعلقا باتعظت وان يتعلق بجهلها فيكون من قبيل تنزيل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم والنذير اما بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار او بمعنى المنذر كالبديع بمعنى المبدع فعلى الاول تكون اضافته من اضافة المصدر الى فاعله وعلى الثانى تكون من قبيل الاضافة البيانية ويجوز ان تكون اضافته من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها وان اعتبرت المشابهة بين الشيب والنذير يكون من قبيل لجين الماء والهرم عطف على الشيب وهو بفتحتين او بكسر الراء تناهى الشيب وقال الخادمى والمراد لازمه اعنى انحراف القامة ثم اعلم ان هذا المقام يقتضى بسطا من الكلام حتى يفهم المرام فنقول اولا اختلفوا فى ان النفس ماهى فذهب بعض المتكلمين الى انها الجسد والهيكل المحسوس وبعضهم ذهبوا الى انها الاجسام الاصلية باقية من اول العمر الى آخره وقال ابن الراوندى انها اجزاء لا تتجرد عن القلب والنظام ذهب الى انها جسم لطيف نورانى يسرى فى البدن كسريان النار فى الفحم وبعض الاطباء ذهب الى انها هى القوة المودعة فى الجانب

على ضد العقل واما منشأ خلقة النفس فان الله تعالى لما نفخ الروح في جسد آدم عليه السلام خلق من ازدواج الروح والجسد ولدين ذكرا وهو القلب يشبه والده الروح العلوى فيأمر بالخير وجعل موضعه المضغة الصنوبرية فى الجانب الايسر من الصدر وانثى وهى النفس تشبه والدتها الجسد السفلى فيأمر بالشر وجعل موضعها جميع الجسد وقد خلقها على صورة جهنم وخلق بحسب كل دركة فيها صفة لها وهى باب من ابواب جهنم يدخل فيها من هوى الى دركة من دركاتها السبع وهى سبع صفات ﴿ ٣٤ ﴾ الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد فمن زكى نفسه عن هذه الصفات فقد عبر عن هذه الدركات السفلية ووصل الى درجات الجنان العلوية كما قال تع (قد افلح من زكيها) ومن لم يزك نفسه عن هذه الصفات بقى فى دركات جهنم خائبا خاسرا كما قال تع (وقد خاب من دسيها) ثم اعلم ان هذه الصفات من مقدمات النفس وتتولد منها صفات اخرى ومنشأ جميع الصفات النفسانية صفتان مركوزتان فى جبلة كل حيوان ولابد منهما فى التعيش وهما الشهوة والغضب فبالشهوة يجذب المنافع الى نفسه وبالغضب يدفع المضار عن نفسه فاذا استعمل الشهوة فى طلب مايحتاج اليه يتولد منها الحرص واذا استعمل الغضب فى دفع مضرته تولد منه الحقد وان رأى شيئا مما يحتاج هو اليه مع غيره ولم يدفعه اليه تولد منه الحسد وان كان معه شئ وطلبه من يحتاج اليه فيمنعه عنه تولد منه البخل وان كان منه مايحتاج اليه جمع كثير ويتوا ضعون له ويتضرعون اليه فى طلب مقاصد همه منه وهو ينظر اليهم بنظر الحقارة والى نفسه بنظر العزة يتولد منه الكبر والعجب وان كان بغيره مايحتاج هو اليه ولم يدفعه اليه وهو قادر على ان يأخذه منه بالقوة وحمل الحرص على اخذه منه يتولد منه الظلم والتعدى وكذلك جميع الاخلاق الذميمة يتولد بعضها من بعض مالم يحسم مادتها وحسم مادتها بتزكية النفس على قانون الشريعة والطريقة عن صفاتها كما نبينه فى كل صفة يشير اليها الناظم فى خلال الابيات *

الايسر من القلب وتسمى الروح الحيوانى وعند بعض آخر منهم هى القوة المودعة فى الدماغ وتسمى بالنفس الانسانية وعند الحكماء جوهر مجرد يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف والمراد هنا النفس الانسانية وهى التى قد خاطبها الله تعالى وجعلها موضع الامر والنهى وهى معدن الاخلاق الذميمة مودعة فى جميع جسد الانسان وهى مجبولة على ضد الروح الرحانى التى فى اعلى عليين فانها تأمر بالخير وتنهى عن الشر فتلك النفس تابعة للارواح التى فى اسفل السافلين كالشياطين الذين لايأمرون الابالشر ولا ينهون الاعن الخير واما منشأ خلق النفس فان الله تعالى لما نفخ الروح المخلوق بامره فى جسد آدم عليه الصلاة والسلام خلق من ازدواج الروح مع الجسد ولدين ولدا ذكرا وهو القلب اللطيف الشبيه بوالده الذى هو الروح العلوى فيامر بالخير وينهى عن الشر وكان ذلك منظر رب ذى الرحمة والغفران وبين اصبعى الرحمن وولدا انثى وهى النفس الكثيفة الشبيهة بوالدتها التى هى الجسد السفلى فتأمر بالشر وتنهى عن الخير وجعل موضعها جميع الجسد ثم ان المتصوفين قالوا النفس سبع مراتب الاولى النفس الامارة وهى التى تميل الى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب الى الجهة السفلية فهى مأوى الشرور ومنبع الاخلاق الذميمة لانها مبدأ الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد والثانية النفس اللوامة وهى التى تنورت بنور القلب فتطيع العاقلة تارة وتعصى اخرى ثم تندم فتلوم نفسها وهى منبع الندامة لانها مبدأ الهوس والعثرة والحرص والثالثة النفس المطمئنة وهى التى تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة والرابعة النفس الملهمة وهى التى الهمها الله العلم والتواضع والقناعة والسخاوة فلذا كانت منبع الصبر والتحمل والشكر والخامسة النفس الراضية

(ولا اعدت من الفعل الجميل قرى) (ضيف الم برأسى غير محتشم) عطف على ما اتعظت اعده هيأه ومن لابتداء الغاية ومتعلق باعدت اولبيان القرى قدم للشعر الفعل الجميل هو المستحسن شرعا وعقلا وقراه اى اضافه قرى وله معنيان المصدر والحاصل به والم به نزل وهو صفة ضيف والاحتشام الاستحياء بالاحترام وغير بالجر صفة ضيف وبالنصب على انه حال من فاعل الم وهو الضمير الراجع الى ضيف او على انه حال من ضيف والعامل فى الحال وذى الحال شئ واحد وهو قرى لكونه مصدرا فيكون من قبيل اعجبنى ضرب زيد راكبا لامن قبيل قوله تعالى واتبع ملة ابراهيم ﴿ ٣٥ ﴾ حنيفا كما توهم لان بعض المحققين فى علم العربية صرح بان الحال من المضاف اليه انما يجوز اذا كان المضاف اليه كما ذكرنا او كان جزأ من المضاف اليه او بمنزلة الجزء حتى صح قيامه مقامه مثل اتبعت ابراهيم اذا اتبعت ملته ورأيت هند اقائمة اذا رأيت وجهها فح يكون العامل فى الحال هو العامل فى المضاف لما بين المضاف والمضاف اليه من الاتحاد بالوجه المذكور فتأمل فان قيل هذا مبنى على اشتراط الاتحاد بين عامل الحال وذى الحال وهو مم لما صرح صاحب الكشاف بان قوله تع غير المغضوب ان قرئ بالنصب حال من الضمير المجرور فى عليهم والعامل فيه انعمت فيكون العامل فى ذى الحال حرف جر وفى الحال الفعل قلنا ليس هذا من اختلاف العامل فى الحال وذى الحال اذ العمل فى مجموع الجار والمجرور عمل فى المجرور بمعنى انه غير خارج عن المعمولية على ان التحقيق ان المنصوب المحل والمرفوع هو المجرور فقط لان اثر الجار انما هو فى تعدية الفعل وافضائه الى الاسم وبهذا يندفع ما يقال ان الاسناد اليه من خواص الاسم والجار والمجرور ليس باسم ومن اراد المزيد فليرجع الى حواش علقناها لشرح الكشاف ولما استعار اسم الضيف للشيب رشحها بلفظ قرى كما فى قوله تعالى (فما ربحت تجارتهم) فمعناه ان نفسى ما هيأت شيئا من الاعمال الجميلة لضيافة ضيف كريم نزل برأسى اى ما تابت النفس عن ضلالها القديم * ولم تعد من الرجوع الى الله تع قرى الضيف الكريم * وما تزكت عن الادناس البشرية بجذبات الالوهية ثم الاصل فى تزكية النفس ترقيها من مقاماتها ولها اربع مقامات مقام الامارية قوله تع (ان النفس لامارة بالسوء) ومقام اللوامية قوله تع (فلا اقسم بالنفس اللوامة) ومقام الملهمية قوله تع (ونفس وما سواها

وهى التى رضى الله تعالى عنها ويظهر فيها اثر رضاه تعالى وهو الكرامة والاخلاص والذكر والسادسة النفس المرضية هى التى رضيت عن الله تعالى كما قال الله تعالى (ورضوا عنه) ويترك فيها الكرامات ويعرف فيها الله تعالى حق معرفته والسابعة النفس الصالحة وهى التى مقام الاسرار بين الله تعالى وبينها ثم ان الاولى نفس الكافرين والشياطين والفاسقين والثانية نفس الغير الفاسقين من المؤمنين والثالثة نفس المتعلمين العاملين والرابعة نفس المعلمين العاملين والخامسة نفس الاولياء الكرام والسادسة نفس العارفين والسابعة نفس الانبياء والمرسلين ونفس الناظم القاهم من قبيل الخامسة لانه ولى كامل ذو الكرامة والفخامة وعد نفسه من نفس الفاسقين لهضم نفسه كما قال يوسف عليه السلام هضما لنفسه (وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء) ولان فيه سلوكا الى طريق المنصف كما فى قوله تعالى (ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون) لكون هذه الطريقة عجيبة الشان فى البلاغة لانه يكون اكثر ايقاظا لاصغاء السامعين واقوى ذريعة لقبولهم من حيث انه لايخاطب بما يمجه سماعهم ولا ينفر منه طباعهم اللهم اجعلنا ممن نفوسهم راضية وقلوبهم وجلة وارحمنا حين وصلت الروح الى الحلقوم وصعدوا بها الى الحى القيوم

(ولا اعدت من الفعل الجميل قرى ۞ ضيف الم برأسى غير محتشم)

لما بين ان النفس الامارة بالسوء لم تجتنب عن شئ من القبائح ولم تنته بالنهى عنها اراد ان يبين كونها غير مؤتمرة بالامر بالافعال الجميلة والاخلاق الحميدة فقال ولا اعدت من الفعل الخ فعلى هذا تكون هذه الجملة معطوفة على جملة اتعظت على ان يكون الاتعاظ عبارة عن الاجتناب عن القبائح

فالهمها) ومقام المطمئنة قوله تع (ياايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك) وان ترقى النفس من مقاماتها على حسب مراتب التوبة والتوبة اول منزل من منازل السالكين * واول مقام من مقامات الطالبين * وحقيقة التوبة فى اللغة الرجوع والمراد بها فى الشرع الرجوع عما لا يرضاه الله تع وللتوبة اربع مراتب على حسب مقامات النفس فالمرتبة الاولى مختصة باسم التوبة وهى للنفس الامارة قال الله تع (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون) وقال عليه الصلاة والسلام (التائب من الذنب كمن لاذنب له) وهذه مرتبة عوام المؤمنين وهى ترك المنهيات * والقيام بالمأمورات * وقضاء الفوائت * ورد الحقوق والاستحلال عن المظالم والندم على ماجرى والعزم على ان لايعود ﴿ ٣٦ ﴾ الامامنه انتهى هذه توبة الافعال والاقوال والمرتبة الثانية الانابة وهى للنفس اللوامة قال الله تعالى (وانيبوا الى ربكم) وهذه مرتبة خواص المؤمنين من الاولياء والانابة الى الله تع ترك الدنيا والزهد فى ملاذها وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس بمخالفة هواها والمداومة على جهادها فان الله تع يحب التوابين ويحب المتطهرين ويشير الى ان التوبة وتطهير النفس عن دنس الاوصاف الذميمة من نتائج محبة الله الازلية بقوله يحبهم وهذا كما قال رجل لرابعة انى قد اكثرت من الذنوب والمعاصى فلو تبت هل يتوب على فقالت لا بل لو تاب عليك لتبت وذلك لان العصيان من صفة الانسان كما قال تع (وعصى آدم ربه فغوى) والتوبة من صفة الحق سبحانه وتعالى كما قال (فتاب عليه وهدى) وقال انه كان توابا فتوبة العبد اثر توبة سبحانه كما ان محبة العبد لله تعالى نتيجة محبة الله الازلية كما اشير اليه بقوله (يحبهم ويحبونه) بل جميع مايتعلق به مشية العبد وارادته اثر من آثار مشية الله تع وارادته كما قال تع (وماتشاؤن الا ان يشاء الله) ولذا قيل المراد مريد والمريد مراد فالنفس اذا تحلت بالانابة دخلت فى مقام القلب واتصفت بصفته لان الانابة من صفة القلب قال تع (وجاء بقلب منيب) والمرتبة الثالثة الاوبة وهى للنفس الملهمة قال الله تع (نعم العبد انه اواب) وهذه مرتبة خواص الاولياء والاوبة الى الله تع من آثار الشوق الى لقائه فمن تاب خوفا من عقابه فهو صاحب توبة ومن تاب طمعا فى ثوابه فهو صاحب انابة ومن تاب شوقا الى لقائه فهو صاحب اوبة فالنفس اذا تحلت بالاوبة دخلت فى مقام الروح وهو مقام العبودية الملكية لقوله تع (فادخلى فى عبادى) ومن امارات الاواب المشتاق ان يستبدل المخالطة بالعزلة ومنادمة الاخدان بالخلوة واستوحش عن ﴿ ٣٧ ﴾ الخلق واستأنس بالحق * وجاهد نفسه فى الله حق جهاده ساعيا فى قطع تعلقاتها عن الكونين والمرتبة الرابعة الرجوع وهى للنفس المطمئنة قال الله تعالى (ياايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك) وهذه مرتبة اخص الانبياء والاولياء وقوله ارجعى الى ربك صورة جذبة العناية الربوبية الى نفوس الانبياء والاولياء يجذبهما من انانيتها الى هوية ربوبيته راضية اى طائعة تلك النفوس شوقا الى لقاء ربها مرضية اى على طريق مرضية فى السير ولربها باذلة نفسها فى مشاهدة اللقاء طامعة برفع الاثنينية دوام الالتقاء قيل لما قدم الحلاج ليقطع يده قطعت اليد اليمنى اولا فضحك ثم قطعت اليسرى فضحك ضحكا بليغا فخاف ان يصفر وجهه من نزق الدم فكب بوجهه على الدم السائل ولطخ وجهه بدمه وانشأ يقول * الله يعلم ان الروح قد تلفت شوقا اليك ولكنى امنيها * ونظرة منك ياسؤلى ويا املى * اشهى الى من الدنيا ومافيها * ياقوم انى غريب فى دياركم * سلمت روحى اليكم فاحكموا فيها * ما سلم النفس للاسقام تتلفها * الا لعلمى بان الوصل يحييها * نفسى المحب على الآلام صابرة * لعل مسقمها يوما يداويها * ثم رفع رأسه الى السماء وقال يامولاى انى غريب فى عبادك * وذكرك اغرب منى والغريب يألف الغريب * ثم ناداه رجل وقال ياشيخ ما العشق قال ظاهره مايرى * وباطنه مادق عن الورى * والحمد لله الكاشف للكروب * والصلوة على نبيه الحبيب المحبوب

والاعداد عبارة عن الاتيان بالافعال الحميدة فيكون البيت الاول اشارة الى ان نفسه لم تنته بنهى العاقلة والبيت الثانى الى انها لم تأتمر بامرها ويحتمل ان يكون من قبيل عطف الخاص على العام على ان يكون الاتعاظ عبارة عن الاجتناب عن القبائح والاتيان بالمحاسن ويكون الاعداد عبارة عن الاتيان بالمحاسن فيكون اخص من الاتعاظ ثم ان تكرير لا لتأكيد واعدت من الاعداد وهو التهيؤ كما فى قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين) اى احضرت وهيئت وقوله من الفعل متعلق باعدت ويجوز ان يكون من الفعل الجميل بيانا لقرى ضيف قدم عليه للوزن والفعل الجميل ما يستحسن شرعا لا ما يستحسن مطلقا لان بعض الافعال يستحسنه العقل مع انه فى الشرع مذموم وفى الفعل الجميل استعارة مكنية تعبيرها هكذا شبه الفعل الجميل فى الذهن بالقرى فى تحصيل اللذة والسرور وادعى ان الفعل الجميل من جنس القرى ثم استعير القرى فى الذهن لمفهوم الفعل الجميل ثم ذكر القرى فى الذهن واريد منه الفعل الجميل وفى الخارج ذكر الفعل الجميل واريد نفسه واثبات الاعداد للفعل الجميل يكون تخييلية وقرى بكسر القاف والقصر مصدر قولهم قريت الضيف اذا احسنت اليه بالطعام فالقرى يجئ فى اللغة على معنيين احدهما المعنى المصدرى وهو الاطعام وثانيهما الحاصل بالمصدر وهو الطعام والمراد به ههنا التوبة والاعمال الصالحة واضافته الى الضيف لامية والمراد بالضيف الشيب مجازا واستعارة تعبيرها هكذا شبه الشيب بالضيف فى المجئ فجأة من غير خبر ولا مقدمة ولا ارادة فاستعير الضيف للشيب فذكر الضيف واريد منه الشيب فيكون قوله الم قرينة لهذه الاستعارة وقرى ترشيحا لها ويكون المراد بالقرى الفعل الجميل مجازا او استعارة تعبيرها هكذا شبه الفعل الجميل والعمل الصالح بالقرى فى ايراث المنفعة لصاحبه فاستعير القرى للفعل الجميل فذكر القرى واريد الفعل الجميل والعمل الصالح لا يقال لا يجوز الاستعارة فى هذا المقام لانه قد ذكر فيه المشبه والمشبه به معا وكل مقام ذكر فيه المشبه والمشبه به معا فلا تجوز الاستعارة فيه لانا نقول ان اردتم من ذكر المشبه والمشبه به ذكرهما على وجه ينبئ عن التشبيه فلا نسلم الصغرى كيف وفى هذا المقام لم يكن ما ينبئ عن التشبيه وان اردتم ذكرهما مطلقا فلا نسلم الكبرى كيف وان البيانيين صرحوا بان ذكرهما انما يضر الاستعارة لو كان على وجه ينبئ عن التشبيه والا فلا كما فى قوله

* لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زر ازراره على القمر *

ثم ان قوله الم ماض من الالماء بمعنى النزول كما فى قوله

* الم فحيت ثم قامت فودعت * فلما تولت كادت الروح تزهق *

وجملة الم مجرور محلا صفة ضيف وقوله برأسى متعلق به فان قيل لم خصص الرأس من بين الاعضاء قلنا لانه اول ما يظهر فيه الشعر البياض وقوله غير محتشم بالنصب حال من المضاف اليه اعنى الضيف لان المضاف مصدر لان بعض المحققين صرحوا بان الحال من المضاف اليه انما يجوز اذا كان المضاف مصدرا او يكون جزءاً من المضاف اليه او بمنزلة جزئه ومنهم ابن مالك فى الفيته

* ولا تجز حالا من المضاف له * الا اذا اقتضى المضاف عمله *

* او كان جزء ماله اضيفا * او مثل جزئه فلا تحيفا *

وما قيل انه من قبيل قوله تعالى (ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) لا يستقيم لانه مشروط بكون العامل فى الحال عاملا فى المضاف لما بين المضاف والمضاف اليه من الاتحاد وههنا لا يجوز ان يكون اعدت عاملا فى غير محتشم كما لا يخفى ويجوز ان يكون حالا من فاعل الم ويمكن ان يكون حالا من ياء المتكلم فى الرأس وهو المناسب لو قرئ محتشم على صيغة اسم الفاعل ويمكن ان يكون غير بالجر على انه صفة للضيف لكن فيه ما فيه فقوله محتشم اما على صيغة الفاعل من الاحتشام بمعنى الاحترام وهو المناسب للاول واما على صيغة اسم المفعول من الاحتشام بمعنى التوقير اى غير موقرا و من الاحتشام بمعنى الحشامة والعسكر اى غير مقارن بالعسكر بل جاء وحدانا وهو مناسب لكونه حالا من الضيف او من فاعل الم فان قيل لو كان محتشم على صيغة المفعول لورد عليه ان باب الافتعال لا يأتى منه صيغة اسم المفعول قلنا

وان لم يأت اسم المفعول منه مستقلا لكنه اتى مقارنا بحرف الجر وهنا مقدر اى غير محتشم فيه فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

(لوكنتُ اعلمُ انى ماأُوقّره * كتمتُ سِرّاً بدالى منهُ بالكَتَمِ)

فكأنه لما لم تتعظ نفس الناظم الفاهم بنصح الشيب اى نصيحة الناصح الكامل ولا اعدت الضيافة من الفعل الجميل مثل الطاعة والتوبة لضيفه الشيب حال كون ذلك الضيف غير موقر ومحترم فى نفسه ندمت من هذه الافعال السيئة واظهرت ندامتها قال لوكنت الخ اعلم ان لو لامتناع الثانى لامتناع الاول فالتقدير لكن لم اعلم فلم اكتم سرا بدالى الخ وكنت مع خبره اعنى جملة اعلم فعل شرط ومافى ما اوقره نافية واوقر على صيغة المتكلم من التوقير بمعنى التعظيم والتكريم والاحترام وضمير المفعول راجع الى الضيف والمراد منه الشيب وكتمت جزاء الشرط والكتم الاخفاء كما فى قوله تعالى ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه﴾ والمراد من السر هنا انذار الشيب بقرب الرحلة بلسان الحال وجملة بدا صفة للسر وبدا بمعنى ظهر كما فى قوله تعالى ﴿ ان تبدوا الصدقات فنعماهى ﴾ ومنه متعلق ببدا وضميره للشيب اى من طرفه والكتم نبت يختضب به كالحناء وفى هذا البيت من صنائع البديع رد العجز على الصدر وهو فى البيت ان يكون احد اللفظين فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الاول او يكون احدهما فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الثانى كقوله

* وقد كان البيض القواضب فى الوغى * بواتر فهى الآن من بعدها بتر *

وحاصل معنى البيت لوكنت عالما بانى ماأعظم وماأكرم وماأوقر الضيف اعنى الشيب بالاطعام بالفعل الجميل لكنت كاتما وساترا اول وهلة للامر الذى ظهر لى من ذلك الضيف اعنى الشيب بالخضاب بالحناء لانه سنة من نزل عليه الوحى فى جبل حراء فلا يعرف احد امرى ولا يظهر سرى ويرفع عنى الفضاحة ويقطع منى الهجو والشناعة وتلخيصه انى لوكنت عالما بانى لا اكون عاملا فى حال الاختيار والشيخوخة وزاهدا وتاركا للسيئات والشرور لكتمت شيبى بالخضاب بالحناء حتى لا يهجونى الناس بانه كان شيخا ذا شيب وهو فى هذا السن لا يكون عاملا وزاهدا بل يكون تاركا للاوامر والسنن لكن ماعلمت عدم عملى فلا كتمت فقد هجونى هذا ماظهر للخاطر الفاتر ونعم ماقيل معنى الشعر فى بطن الشاعر

(مَنْ لى بِرَدِّ جِماحٍ مِن غَوايَتِها * كما يُرَدُّ جِماحُ الخيلِ باللُّجُمِ)

فكأنه لما عجز عن سوء نفسه الامارة الغدارة المكارة ولم تقبل نصيحة الناصح

العلم والكتم اعلم خبر كان وان مع اسمه وخبره قائم مقام مفعوليه ما نافية وضمير المفعول فى اوقره راجع الى الضيف المراد منه الشيب التوقير التعظيم والكتم بسكون التاء السر وسرا مفعول كتمت وهو اما بمعناه او بمعنى مستورا وبدا صفته ومنه متعلق ببدا وضميره للشيب وبالكتم متعلق بكتمت والكتم بفتح التاء نبت يخلط بالوسمة او بالحناء ويخضب به والمعنى لو اعلم انى ما اراعى حق الشيب واخالف مقتضاه كنت التجئ الى الاستتار بسنة الخضاب لئلا اكون مستحقا لمزيد الطعن والعتاب

(من لى برد جماح من غوايتها)

(كما يرد جماح الخيل باللجم)

يعنى من يضمن لى برد مركوبى الجماح عن طريق الغواية الى سنن الفلاح ومن يردع نفسى السائمة فى فلوات الشهوات عن مرعى آثامها كما يرد جماح الخيل عن القيافى المهلكة الى طريق المقصد بلجامها وفى هذا البيت اشارة الى ان رياضة النفوس المعبر عنها بالتزكية اصل جميع الفلاح كما قال تعـ قد افلح من زكيها وهى لا تتيسر الا برائض عالم بقوانين الرياضة فائض على الطالب سجال الافاضة ولا تظنن ان تزكية النفس تتيسر بطريق العقل كما ظنت الفلاسفة والبراهمة وغيرهم من الجهال وشرعوا فى تزكية نفوسهم بالرياضات والمجاهدات على العمياء فوقعوا فى الآفات والشبهات والضلالات (الكامل)

الكامل فكأنه قيل له اصلح نفسك بارشاد المرشد الكامل لان المرشد له ارشاد كل من استغرق فى الهوى ولم يعلم ذلك الا النبى والولى وبه يكون اكثر الفاسقين صالحا واوفر العاصين زاهدا بل كل رجل يلزم له ان ينيب الى مرشد كامل ولهذا قال ابو يزيد البسطامى من لم يكن له شيخ فشيخه شيطان وقال غيره لو ان الرجل يوجه اليه ولم يكن له شيخ لا يجيء منه شئ والى ماقلنا يشير قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) فقال مجيبا لذلك القائل من لى الخ الاستفهام اما انكارى اى هل يوجد كفيل يتضمن لى برد الخ اى لا يوجد كفيل يتضمن ذلك المذكور لان نفسى فى الضلالة والطغيان فلا هادى لها الا الله الملك المنان نعم قد ورد (ولكل قوم هاد) لكن وجود مثل هذا الشخص انما هو بمحض عناية الله تعالى وتوفيقه كيف وقد آل الامر فى هذا الزمان الى ان من لم يكن مريدا قط يدعى الشيخوخة ويجيز بها لانتشار ذكره وشهرته وكثرة مريده وقد جعلوا هذا الشان العظيم لعبة الصبيان وضحكة الشيطان حيث يتوارثونه واذا مات واحد منهم يجلسون ابنه مقامه صغيرا كان او كبيرا ويلبسونه الخرقة ويتبركون به وينزلونه منازل الشيوخ فهذه مصيبة قد عمت ولعل هذه الطريقة قد انمحت واندرست آثارها والله اعلم باخبارها ويجوز ان يكون استفهام للتمنى والاستعطاف والاستغاثة بكل احد ثم ان قوله لى وبرد ظرفان متعلقان بالمقدر اعنى يتضمن او يتكفل والرد الصرف والمنع مصدر مضاف الى مفعوله والجماح جمع جموح هو من الخيل القوى الشديد الذى لا ينضبط لشدة رأسه وعلى هذا فيه تشبيه واستعارة حيث شبه النفس بالخيل فى صعوبة ضبطها وشدة امساكها واهلاك صاحبها ثم استعير الخيل للنفس ثم ذكر مايدل على المشبه به واريد المشبه وهذه الاستعارة مأخوذة من لسان الشرع كما جاء فى الحديث الشريف (نفسك مطيتك فارفق بها) وكما قال الامام الغزالى انت باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك بهيمة كالفرس وباعتبار عقلك ملك وانت مأمور بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم والاعانة لهم لتقبض بعونتهم شرف الدارين وسعادتهما فان روضت الفرس وادبت الكلب وسخرتهما للملك يتيسر لك الظفر بما طلبت والا فانت هلكت ويجوز ان يكون الجماح مصدرا بمعنى الشدة فحينئذ يكون التنوين فيه عوضا عن المضاف اليه اى جماح نفسى فيكون على حقيقته فتدبر ومن غوايتها متعلق برد وقيل صفة جماح اى جماح ناش من غوايتها والغواية الضلالة والضمير للنفس وحذف فى هذا المصراع آلة رد النفس عن الضلالة ولم يذكر كما فى المصراع الثانى

فان تزكية النفوس كمعالجة الابدان فكما لا يجوز للمريض استعمال الادوية الا بنظر طبيب حاذق ذى تجربة فى المعالجة كذلك تزكية النفس لا تتيسر الا بنظر نبى اوولى ذى تجربة فى هذا الشان وهذا احد اسرار بعثة الانبياء عليهم السلام فانهم الحذاق فى علم تزكية النفوس ولهذا بعثهم الله تعالى ليزكوا بعلاج الشرائع نفس كل قنوط ويؤس فالناظم رحمه الله يتمنى من يضمن له بهذا الشان ورد جماحه عن غواية الطغيان فالاستفهام للتمنى والاستعطاف واظهار التأسف والاستعانة بكل احد وبرد متعلق بيضمن وجمع الفرس يجمح جموحا وجماحا غلب راكبه والغواية الضلالة ومن غوايتها متعلق برد وقيل صفة جماح اوبيان له والكاف اما مجرور المحل صفة رد او منصوب صفة مصدر محذوف اى ردا مثل رد فما مصدرية وباللجم متعلق بيرد وهو جمع لجام ففيه تشبيه النفوس بالخيل كما جاء فى الحديث نفسك مطيتك فارفق بها *

لضرورة الشعر وهو وعظ المرشد ونفسه وهمته وقوله كما رد صفة مصدر محذوف اى ردا مثل ردجماح فما مصدرية وانما اتى بهذا التمثيل تسلية لقابه لانه استصعب وجود ردها عن المعاصى فرده بانه يوجد لان له نظيرا والجماح الثانى بكسر الجيم مصدر جمح جموحا بمعنى الشدة والغلظة وعلى هذا يكون الرد بمعنى الازالة ويجوز ان يكون جمعا فتكون اضافته بيانية او من قبيل اضافة الموصوف الى صفة اى الخيل الجماح فافهم وباللجم متعلق بيرد وهى جمع لجام ككتب وكتاب واللجام معرب لكام الفارسى وقال قوم انه عربى لاتعريب فيه كذا ذكره الجوالقى فى كتابه المعرب وهو الذى يضرب بفم الفرس ليكون صاحبه قادرا به ليتوجه نحو المطلوب وفى هذا البيت من صنائع البديع جناس بين من ومن وبين رد ويرد وبين الجماح والجماح وتناسب بين الخيل واللجم وحاصل معنى البيت ظاهر مما ذكرنا ظهورا لاحاجة الى اعادته

(فلا تَرُم بِالمَعاصى كَسرَ شَهوَتِها اِنَّ الطَّعامَ يُقَوّى شَهوَةَ النَّهِمِ)

فلما عد فى الابيات السابقة انغماس النفس فى اودية المعاصى والذنوب وعدم قبول وعظ الناصح بالانذار بقرب الوقت كالغروب وعجز عن اصلاحها بعد الندامة واسترشد بالمرشد الكامل ولم يجد ذلك المرشد فكأنه قيل ان مرشد نفسك حاضر عندك فلا حاجة الى الطلب وتبعيد وجوده وهو استيفاؤها بالمعاصى لان النفس اذا استوفت وشبعت من شئ كمال الشبع تسأم منه فلا ترغب اليه بعده ابدا فانت اذا استوفيتها بالمعاصى كلها كسرت شهوتها ولا تميل اليها بعده ابدا قال ردا لذلك القائل فلا ترم بالمعاصى اه بتغيير الاسلوب من التكلم الى الخطاب وهو التفات عند جمهور اولى الالباب ونكتته الشروع فى ردجماح النفس وبيان كيفيته ولا ترم نهى حاضر من رام بمعنى طلب وصيغة النهى دالة على كون المنهى عنه قبيحا كما ان الامر بالشئ يدل على حسنه والفاء فيه جزائية اى اذا اكرمت النفس واشبعتها بضيافة الذنوب فلا ترم اه والباء فى بالمعاصى للاستعانة كما فى كتب بالقلم والمعاصى جمع معصية وهى الذنب صغيرا كان او كبيرا وكسر بالنصب مفعول لفلا ترم والكسر بمعنى القطع والانكسار اى فلا تطلب انقطاع اشتهاء النفس بالمعاصى وانكسارها وفى قوله بالمعاصى استعارة مكنية تعبيرها هكذا شبه المعاصى للنفس بالطعام للانسان فى كونها مشتهيات ولذات وذكر المشبه كما فى قوله انشبت المنية اظفارها وقوله ان الطعام علة لما قبله حذف حرف التعليل اى لان لكون حذف حرف الجر من ان وان قياسا وفى هذا المقام

الروم الطلب والباء للاستعانة وضمير شهوتها للنفس والخطاب لكل من يصلح له كما فى قوله تع (ولو ترى اذ المجرمون) والفاء بنصح عن شرط محذوف يفهم مما سبق اى ان كنت عرفت ان النفس الامارة حريصة على الشرور والقبائح فلا تطلب باستعانة المعاصى كسر شهواتها والنهم بالتحريك افراط الشهوة فى الطعام والنهم بكسر الهاء صفة مشبهة منه فشبه النفس بالنهم والمعاصى بالطعام وانما اكد لكون المقام مظنة التردد للنفس اليقظى كما فى قوله تعالى (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) يعنى يامن زين له حب الشهوات من النساء والبنين لاتطلب كسرة شهوة النفس بمعصية الله رب العالمين اذ من المقرر والمعلوم ان الطعام يقوى شهوة المنهوم اعلم ان الشهوة مادة كل فتنة ومنبع كل فساد وهى بذر شجرة الحيوانية وثمراتها وهى حبائل الشيطان * ونواة شجرة الطغيان * وهى الدركة السفلى من صفات البشرية * واسفل السافلين من المنازل الخلقية * لان الروح الانسانى فى بدء عبوره تنزل من اعلى درجات القرب على العرش والافلاك والانجم وعلى مفردات العناصر والمركبات الى ان تعلق بالنطفة فى الرحم فرباها الى ان بلغ المولود حد البلوغ لا يزال يتنزل من دركة الى دركة الى ان ينهمك فى درجة الشهوة * وهى اسفل السافلين فيبقى فيه محبوسا مقيدا بقيد الحواس والقوى والاوصاف (قياس)

قياس اقترانى تقريره هكذا المعاصى لاتطلب بها كسر شهوة النفس لان المعاصى بمنزلة الطعام والطعام يقوى شهوة النهم ينتج المعاصى بمنزلة ما يقوى شهوة النهم ونضم اليه كبرى ينتج عين الدعوى فنقول وكل ما هى بمنزلة ما يقوى شهوة النهم لاتطلب بها كسر الشهوة ينتج المعاصى لاتطلب بها كسر الشهوة ويمكن ترتيبه من الاستثنائى وهو سهل فلا حاجة الى ذكره وقوله يقوى من التقوية خبر ان والشهوة بالنصب مفعوله والنهم بفتح النون وكسر الهاء صفة مشبهة على وزن حذر اى الحريص على كثرة الاكل والشرب ومن جعله مصدرا وقع فى تكلف وعلى كلا التقديرين فيه استعارة حيث شبه النفس بالنهم اى الآكل كثيرا فى عدم الشبع لان النهم كما لايشبع من كثرة الاكل كذلك النفس لاتشبع من كثرة المعاصى بل تتألف بها وتنهمك فيها ثم استعير النهم للنفس فذكر النهم واريد النفس فعلى هذا يكون الطعام ايضا مجازا واستعارة عن المعاصى كما سبق استعارة عكسه فتذكر وحاصل المعنى يامن زين نفسه بحب الشهوات والنساء والبنين وكان حاله من العشق فى البكاء والانين لاتطلب كسر شهوة النفس وقطعها بالمعاصى والذنوب اذ من المقرر والشهير بين الصغير والكبير ان المعاصى تقوى شهوة النفس والنفس لاتسأم ولاتشبع منها اللهم لاتكلنا الى انفسنا فى زمان يسير ولاتجعل مصيرنا دار السعير واجعل امورنا موافقة لمرضاتك انك كاشف كل عسير ومعين كل اسير وعنايتك لعبادك كثير ويسير

(وَالنَّفسُ كَالطِّفلِ اِن تُهمِلهُ شَبَّ عَلى * حُبِّ الرَّضاعِ وَاِن تَفطِمهُ يَنفَطِمِ)

لما فهم من الابيات السابقة ان النفس فى يد صاحبها اتى به تصريحا مع تشبيه المعقول اعنى النفس بالمحسوس اعنى الطفل فقال والنفس كالطفل الخ الواو اما عاطفة واما استينافية والنفس اظهرها فى مقام الاضمار اهتماما بشانها لان النفس مطية الانسان كما ورد نفسك مطيتك فارفق بها واما لضرورة الشعر والالف واللام فيها للعهد او للاستغراق لكن الاول اولى اى النفس المعهودة الامارة وقوله كالطفل الكاف بمعنى المثل رفع محلا على الخبرية اى النفس الامارة كائنة مثل الطفل والطفل ولد يمضى عليه بعد ولادته زمان قليل والانسان فى الرحم يسمى جنينا واذا ولد يسمى وليدا واذا مضى عليه زمان قليل يسمى طفلا وبعده يسمى صبيا وبعده مراهقا وبعده غلاما الى ان يبلغ تسع عشرة سنة ثم منه شابا الى ثلاث وثلثين ثم منه كهلا الى احدى وخمسين ثم منه شيخا الى آخر العمر وقيل الطفل من مضى عليه

الى ان تداركته العناية الازلية بجذبة ارجعى فى الباطن ودعوة الانبياء وتكاليف الشرع فى الظاهر فيرجع بالايمان والعمل الصالح من اسفل السافلين اى دركة الشهوة متوجها الى الحضرة بهدى العفة وقلع مواد الشهوة بالجوع وترك الملاذ والشهوات وملازمة الذكر بالجوع احدار كان المجاهدة وللجوع اختصاص بالمشاهدة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله تع الى عيسى عليه السلام انه قال تجوع ترانى تجرد تصل الى فالجوع ينبوع الحكمة ومفتاح باب العفة فمن اراد معالجة الشهوة فعليه بالعفة ومن اراد العفة فعليه بمفتاح الجوع ولاجل الايماء اليه شبه الناظم المعاصى بالطعام واوجب الاجتناب عنها وفى البيت الآتى اكد هذا المعنى حيث قال * (والنفس كالطفل ان تهمله شب على) (حب الرضاع وان تفطمه ينفطم) يعنى ان النفوس فى التعود بالشئ والانفطام منه كالاطفال فلا تهملها فيما تشتهيه كل الاهمال فان الطفل ان اهمل شب على حب الرضاع واشتد التذاذه بالوان الاطعمة وضاع

بعدولادته حولان كاملان وفيه اقوال اخر لكن المناسب لهذا المقام المعنيان المذكوران وانما قال كالطفل ولم يقل كالصبى لان الصبى العاقل كالبالغ الكامل فى كون ايمانه وردته وصومه وصلاته وغير ذلك معتبرا فاذا كان كذلك يكون فاعلا مختارا فلايطيع امر غيره فلايناسب التمثيل والمقام وقوله ان تهمله آثران الدالة على الشك دون اذا الدالة على القطع لكون مدخوله مشكوكا وتهمله مضارع من الاهمال على صيغة الخطاب وشب الصبى اذا بلغ اوان شبابه وعلى اما بمعنى الى متعلق بشب واما بمعناه متعلقا بمحذوف اى حريصا وملازما عليه واما بمعنى مع كما فى قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا) والحب معلوم والرضاع بالفتح والكسر شرب الولد لبن امه وفى كلام السلف كثرة الرضاع تفسد الطباع وان تفطمه عطف على ان تهمله وهو مضارع من الفطم على صيغة الخطاب اى ان قطعته عن الرضاع ينفطم وهو مضارع من الانفعال على صيغة الغيبة وضميره راجع الى الطفل والمعنى ان الطفل يقبل الانقطاع بسهولة وحاصله انه لولم يقطع الرجل ولده عن ثدى امه لغاية محبته لطفله فرضع الطفل ثلاث سنين مثلا كما هو مذهب بعض الفقهاء ثم لو ترك على حال شب ذلك الطفل على حبه الى بلوغه ثم وثم الى شبابته حتى لولم تعطه امه ثديها للطم امه لطما شديدا لان الله تعالى خلق فى لبن ثدى الام لذة جميع الاطعمة والاشربة فاذالم تعطه اياه يلطم امه حتى يهلكها فالنفس كذلك حتى لولم تقطع عن المعاصى شبت على المعاصى والفت بها وتكون ملذة لها فتزداد كل يوم لذتها بازدياد المعاصى فتهلك صاحبها حتى تكون سببا لسلب الايمان معاذالله تعالى فان قلت ان مافى هذا البيت من التشبيه اردأ التشبيهات لانهم قالوا اذا كان التشبيه على وجه ليس فيه شئ ينبئ عن التشبيه يكون استعارة وهى احسن التشبيه بلاغة وفصاحة واذا كان على وجه ذكر المشبه والمشبه به فقط يكون تشبيها بليغا فهو ادنى من الاستعارة واذا ذكر فيه المشبه والمشبه به واداة التشبيه ووجه الشبه يكون اردأ من التشبيه البليغ فهو عند البلغاء كهدير حمام وصرير باب مخل بالفصاحة فما وقع ههنا من هذا القبيل لانه ذكر فيه المشبه وهو النفس والمشبه به وهو الطفل واداة التشبيه وهو الكاف ووجه الشبه وهو الشب على حب شئ على تقدير الاهمال وقبول الانفطام على تقدير الفطم والناظم الفاهم مع كونه افصح الفصحاء ذهب هنا الى هذا التشبيه فما وجهه قلت ذهابه الى هذا الطريق

وان فصل عن الرضاع رضع بالانفصال وبلغ بالتدريج مبلغ الكمال فالنفس ان تصرفها عن المألوفات الطبيعية واللذات الكاذبات الوهمية الى ادراك الحقائق وذوق اللذات الروحانية تفوز بالسعادات وان القيت حبلها على غاربها وتركت سدى دامت حسراتها ولا يرجى نجاتها اهمل الشئ تركه سدى ومانعهده شب الصبى بلغ الى الشباب وعلى اما بمعنى مع اى مقارنا معه اوعلى معناه ومتعلق بمحذوف هو حال اى حريصا وملازما عليه فطمت الام ولدها فصلته عن الرضاع والجملة الشرطية يعنى ان تهمله تفسير وبيان للجملة السابقة *

(ليكون)

ليكون المقام اقرب الى فهم المرام ولشدة حرصه على طريق الافهام كما لايخفى على العلماء الكرام والفضلاء الفخام

(فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ اَنْ تُوَلِّيَهُ * اِنَّ الْهَوَى مَاتَوَلَّى يُصْمِ اَوْيَصِمِ)

لما كانت النفس كالطفل فى قبول التربية والانقطاع عما يحبه شرع الآن فى الامر بتربيتها فقال فاصرف الخ الفاء فصيحة اى اذا عرفت حال النفس الامارة بانك ان تركتها على حالها تأمر بالسوء والفحشاء وان ربيتها تقبل التربية كالطفل فاصرفها ولاتتركها على حالها اصرف امر من صرف يصرف بمعنى امنع وقيل بمعنى غير فعلى الاول مصدر هوى يهوى من باب علم بمعنى الميل والالتذاذ بالشهوات اذ النفس اذا خليت وطبعها تميل الى الشر لا الى الخير لانها امارة بالسوء وعلى الثانى المصدر بمعنى المفعول اى مهويها كما فى قوله

* هواى مع الركب اليمانين مصعد * جنيب وجثمانى بمكة موثق *

فالمعنى غير محبوب النفس السئ الى المحبوب الحسن فى الشرع وتقدير الكلام اصرفها عن هواها اواصرف عن النفس هواها وحاذر امر بمعنى احذر وصيغة المفاعلة للمبالغة وان توليه ان مصدرية وتوليه بالنصب مضارع من ولاه بالتضعيف اذا جعله واليا او بمعنى التقلد والالتزام او بمعنى الغلبة وهى بصيغة الخطاب للمخاطب الذى جرده من نفسه فى المطلع وضمير المفعول فيه راجع الى الهوى لكونه مصدرا والمصدر يجوز فيه التأنيث والتذكير وقوله ان الهوى علة الامر بالحذر اى لان الهوى ففيه ترتيب قياس تقريره هكذا الهوى يلزم لك الحذر من ان توليه لان الهوى ماتولى يصم اويصم وكل شئ شأنه كذا فيلزم لك الحذر من ان توليه ينتج الهوى يلزم لك الحذر من ان توليه ومافى تولى شرطية زمانية بمعنى كلما او بمعنى ان الشرطية وتولى فعل ماض والضمير راجع الى الهوى اى كلما كان هوى نفسك واليا عليك اوان كان هوى النفس غالبا وواليا عليك يصم من اصمى يصمى يقال اصمى الصيد اذا قتله فى مكانه اى يهلك ويقتل حذف منه الياء علامة للجزم لانه مجزوم بما الشرطية وقوله اويصم كلمة او للعطف وهو يجئ لمعان كما قاله الاصوليون انه فى الاكثر يجئ للشك اوللتشكيك وقد يجئ للاباحة والتخيير نحو جالس الفقهاء اوالمحدثين وقد يجئ بمعنى بل كقوله تعالى (فهى كالحجارة اواشد قسوة) وقد يجئ بمعنى حتى كقوله تعالى (ليس لك من الامر شئ اويتوب عليهم) وقد يجئ بمعنى الى نحو لالزمنك اوتعطينى حقى وقد يجئ بمعنى الا ان اذا وقع بعدها مضارع منصوب ولم يكن قبلها مضارع كذلك كقول امرئ القيس

(فاصرف هواها وحاذر ان توليه)
(ان الهوى ماتولى يصم اويصم)
الفاء امافصيحة اى اذا عرفت حال النفس اوللعطف صرفه منعه والهوى امابمعنى المفعول او بمعنى المصدر اى ميلها وهوى النفس غلب فى العرف على ماهوالخارج عن المصلحة ولايكون له عاقبة حميدة وحاذر بمعنى حذر وصيغة المفاعلة للمبالغة ولاه العمل قلده حذف مفعوله لقصد التعميم مع الاختصار اومن قبيل تنزيل المتعدى منزلة اللازم وضمير توليه * للهوى فى هواها وتولى الامر تقلده والتزمه وصار واليا عليه واما اسم موصول والعائد اليه محذوف اى تولاه اودائمة اى مادام مولى

* فقلت له لاتبك عينك انما * تحاول ملكا اوتموت فتعذرا *

وماوقع ههنا فهو بمعنى الشك كمالايخفى وقوله يصم مضارع من وصمه اذاجعله ذاعيب حذف مفعولهما للضرورة اى يصمك ويجعلك ذاعيب فى الناس ثم ان بين الفعلين اعنى يصم ويصم جناسا تاما كمالايخفى وحاصل معنى البيت ايها المخاطب اذاعرفت كون النفس قابلة للانفطام فاصرفها عن الهوى واستلذاذها بالآثام واحذر من ان يأمر الهوى على مملكة عقلك ولاتجعل عقلك مغلوبا للهوى فانه سبب للبعد عن المولى فانه اذا استولى تهلك فى الحال او يجعلك ذاعيب بالاضلال كما قال الله تعالى (ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية وفى آية اخرى (ومن اضل ممن اتبع هواه) وقال عليه الصلاة والسلام (ماعبداله فى الارض ابغض على الله من الهوى) وفى حديث آخر طويل (واما المهلكات فثلاث شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه) حكى عن ابراهيم بن شيبان انه قال مابت تحت سقف اربعين سنة وكنت اشتهى عدسا ولم يتفق لى اكله فوقتا حمل الى عدس فتناوله فخرجت فرأيت قوارير فظننته خلا فقيل خمر وهذان الدنان ايضا خمر فصببتها والخمار يتوهم ان فعلى بامر السلطان فعند معرفة حالى حملنى الى ابن طولون فضربنى مائتى خشبة وطرحنى فى السجن فبعد مدة شفع لى ابو عبدالله المغربى فلما وقع بصره على قال اى شئ فعلت فقلت شبعة عدس ومائتى خشبة فقال نجوت مجانا وعن السرى ان نفسى تطالبنى ثلثين سنة اواربعين ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعمتها وفى رسالة القشيرى عن ابى تراب البخشى ماتمنت نفسى من الشهوات الامرة تمنت خبزا وبيضا وانا فى سفر فعدلت الى قرية فاخذنى اهل القرية وقالوا انه من اللصوص فضربونى سبعين درة ثم عرفونى واعتذروا الى فحملنى واحد الى منزله فقدم الى خبزا وبيضا فقلت لنفسى كلى بعد اكل سبعين درة كذا فى الخادمى على الطريقة وحكى ايضا انه كان ملك عظيم السلطنة وكانت عادته اذاجاء شهر رمضان يأمر المداحين والملاحين بضرب الطنابير والمزامير فى كل يوم بعد العصر الى المغرب لينتهى عليه هذا الوقت بالسرور ولايجد الم الجوع والعطش لان الصائم يجد فى ذلك الوقت لاثر الصوم من الجوع والعطش نكاية فى قلبه فلو مضى وقته بالسرور والغرور لايجد الم الجوع والعطش فرعليه شيخ كامل واطلع على الحال فقال فى نفسه انى اذهب وارفع هذا المنكر واوقظ الملك من الغفلة لان هذا الوقت وقت الافطار وهو وقت الرحمة والمغفرة فلاينبغى للمسلم ان يشتغل فيه

اصمى الصيد قتله فى مكانه الذى ضربه فيه وصمه جعله ذاعيب وفاعلهما يرجع الى الهوى ومفعولهما محذوف والمعنى انه يقول ايها المحترق فى نار الجوى * والمبتلى بمقاسات شدائد البعد والنوى * فاصرف النفس عن متابعة الهوى * لان اتباعه سبب الضلال والبعد عن حضرة الآله المتعال * كما قال الله تع (ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) وكما بعض الصحابة عن الرسول روى * ما عبدا له ابغض على الله تعالى من الهوى * فلا تجعل النفس خليع العذار فيما تهواه * ولاتكن ممن اتخذ الهه هواه * اذ كل ما سلط عليه الهوى اهلكه واراده * اوجعله ضالا لايرجى هداه *

بالفعل الحرام مع ان دفع المنكر واجب على الانام فدخل الشيخ الى بيت الملك فضرب المداحين وكسر مزاميرهم وطنابيرهم والملك كان على قصره ينظر اليهم فغضب من فعل الشيخ فامر الخدم باخذه فاخذوه وجاؤا به امامه فقال ياشيخ لم فعلت هذا الفعل الغير المناسب فقال الشيخ هذا منكر ونحن مأمورون بدفع المنكر فقال الملك الم تخف منى فقال الشيخ اصبر على مايصيبنى منك كما قال الله تعالى (واصبر على مااصابك) بل لااخاف منك اصلا لانك عبد عبدى فقال لمن فى حول الملك من الاكابر هيهات ضيع الشيخ عقله فقال انى ماضيعت عقلى بل هو عبد عبدى فى الحقيقة لان الانسان على نوعين نوع جعل نفسه مغلوبا وكان غالبا على نفسه يصرفها الى اى عبادة شاء ونوع جعل نفسه غالبا عليه وواليا على مملكة بدنه فانت ايها الملك من اى قسم ففكر الملك فقال من الثانى فقال الشيخ فحينئذ النفس عبدى وانت عبد النفس فانت عبد عبدى فسلم الملك كلام الشيخ فتاب واسترشد

﴿ وَرَاعِهَا وَهْىَ فِى الْاَعْمَالِ سَائِمَةٌ * وَاِنْ هِىَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلَاتُسِمِ ﴾

لمافرغ من بيان منع النفس عن الهوى شرع فى بيان التحلية الموصوفة بالرياضة وقد تحقق فى موضعها ان رياضة النفس منعها عن هواها وجبرها على طاعة مولاها فقال وراعها الخ الواو عاطفة من عطف الانشاء على الانشاء اعنى على جملة حاذر وراع امر من راعى يراعى مراعاة من الرعى وهو ارسال الدابة الى موضع الكلاء لكن مع ترقب وانتظار اليها لئلا تدخل ملك الغير وضمير المؤنث الى النفس ففيه استعارة بالكناية كأنه شبه النفس فى الذهن بالدابة فى لزوم الترقب لها فى رعيها فى الكلاء واستعمالها فى العبادة ثم استعير الدابة فى الذهن للنفس فذكر الدابة فى الذهن واريد النفس وفى الخارج ذكر المشبه واريد عينه واثبات الرعى للنفس تخييلية وقوله وهى اى النفس اسكن الهاء لضرورة الشعر وقيل اسكان الهاء فى وهى جائز فى السبعة كما فى قراءة قالون والكسائى وغيرهما والواو حالية وفى الاعمال متعلق بسائمة والمراد من الاعمال الاعمال الصالحات لان السيئات لخلوها عن النفع ليست باعمال وقوله سائمة خبر المبتدأ وهو من سامت الماشية اذا رعت واخرجت الى المرعى فالسائمة حيوان مرسل الى المرعى بسير ويروح ويأكل ويشرب فقوله وهى فى الاعمال سائمة تشبيه بليغ عند الجمهور واستعارة على مذهب البعض والمعنى ان النفس مثل السائمة فى الاعمال الصالحة ان ترعها وتسقها ترح الى ماتشاء من العبادات وان لم ترع تبق فيما اعتادته وقوله وان هى استحلت الخ الواو للاستئناف والجملة جواب لسؤال مقدر وهو هل تترك النفس فى رعيها فى الاعمال فى كل

﴿ وراعها وهى فى اعمال سائمة ﴾
﴿ وان هى استحلت المرعى فلاتسم ﴾
عطف على حاذر والمراعاة بمعنى الرعاية وصيغة المفاعلة للمبالغة وهى فى الاعمال جملة حالية والمراد بالاعمال الاعمال الصالحات سامت الماشية رعت واسام الماشية اخرجها الى المرعى والسوم فى الافعال عبارة عن الاشتغال بها وفى الاعمال متعلق بسائمة واستحلى الشئ عده حلوا وان هى استحلت كقوله تع (وان احد من المشركين استجارك فاجره) وهى عطف الانشائية على مثلها لان خبرية الشرطية وانشائيتها تابعة للجزاء ان خبر فخبر وان انشاء فانشاء فمعنى البيت راع النفس فى اشتغالها بالاعمال * عما هو مفسد ومنقص للكمال * من الرياء والعجب والغفلة والضلال * وان عدت النفس بعض التطوعات حلوا واعتادت به والفت فاجتهد فى ان تقطع نفسك عنها واشتغل بما هو اشق عليها لان اعتبار العبادة انما هو بامتيازها عن العادة * ولان البلوغ الى قاصية الكمال * والاقتدار من الاخذ بناصية الاعمال * فى ارتكاب مشقة النفس ومقاساتها * واستقبال طوارق العوادى ومباراتها *

الاوقات والاحوال فقال لابل ان هى استحلت الخ ويجوز ان يكون الواو عاطفة وتكون الجملة الشرطية معطوفة على جملة راعها فان قيل على هذا يلزم عطف الاخبار على الانشاء وهو فاسد قلنا لايلزم هذا وانما يلزم لولم يكن الجزاء انشائية لانهم صرحوا ان خبرية الشرطية وانشائيتها تابعة للجزاء والجزاء هنا انشائية كمالا يخفى وان هى استحلت من قبيل قوله تعالى (وان احد من المشركين استجارك) اى وان استحلت هى استحلت واستحلت اصله استحليت من استحلى الشىء اى عده ووجده حلوا والمرعى بفتح الميم موضع الرعى والمراد منه النوافل لاالواجبات والمستحبات فانهما لايستوجبان الترك بالاستحلاء كما قاله صاحب الزيادة فنى الرعى مجاز واستعارة تعبيرها كذاشبه الاعمال الصالحة والعبادات الفالحة بالمرعى فى الانتفاع به واستعير المرعى لمفهوم الاعمال الصالحة ثم ذكر المرعى واريد الاعمال الصالحة وقوله ولاتسم نهى حاضر من اسام اذا اخرج الدابة الى المرعى فحذف منه الياء للجزم والمعنى فلاتبق نفسك فى ذلك بل ازجرها وامنعها ويجوز ان تكون فى هذا البيت استعارة تمثيلية بان انتزع هيئة من الامور المعقولة فى النفس من كون صاحبها راعيا وكونها سائمة بين الاعمال ووجدانها لذة فى العبادة وكون الاعمال مرعى لها وشبه تلك الهيئة بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة من كون الحيوان سائما فى المرعى ووجدانه لذة فيها وكون صاحبه راعيا له فى كون كل واحد منهما دائرا بين امرين وهو الحفظ ان حفظت وعدم الحفظ والضرر ان لم يحفظ ثم استعير الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الامور الغير المحسوسة فذكر المشبه واريد المشبه به وحاصل معنى البيت وراع النفس ولازمها والحال انها مثل السائمة فى الاعمال الصالحة فان ترعها وتحفظها فى رعيها عن الضرر والفساد تعمل صالحا وان يتركها ترح الى مااعتادته وتضر صاحبها بفعلها ضررا سيئا وان النفس اذا الفت بعض النوافل وعدته حلوا واعتادت فلاتسم تلك النفس ولاترسلها على حالها وازجرها وامنعها لان النفس لو وجدت فى عبادة من العبادات لذة فى غاية اللذات لكان فيها معصية من العجب والرياء والفخر بين القوم والورى فيلزم جعلها مشتغلة بعبادة لاتجد فيها حلاوة لانها لو جعلت العبادة عادة لما كان فيها نفع وفائدة * حكى عن بعض الصالحين انه قال حججت كذا وكذا مرة فبان لى ان جميع ذلك مشوب بحظى وذلك ان والدتى سألتنى يوما ان اسقيها جرعة ماء فثقل ذلك على نفسى فعلمت ان مطاوعة نفسى

فى الحجات كانت لحظ وشرف لنفسى اذ لو كانت نفسى على خلوص لم يصعب عليها ما هو حق الشرع كذا فى البريقة والمعنى التصوفى لهذا البيت ايها العارف بالله اجعل نفسك فانيا فى الله وحصل رضى الله ولاتبق فى الاعمال فان البقاء فى الاعمال مرتبة الصلحاء والزهاد من الرجال وكن مستغرقا فى ملاحظة واجب الوجود واترك رؤية القعود والسجود فان بقيت فيها تكن محجوبا وان تركتها و بلغت الى مافوقها تكن مطلوبا فان وراء الاعمال والاستدلال اصول الكمال وهو حقيقة الوصال فان النفس لخباثتها احبت ان تبق فى الذكر والتفكر والتأمل فعليك بالتحول ولو بالتحمل هذا

(كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً * مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ اَنَّ السَّمَّ فِى الدَّسَمِ)

لما ذكر فيما سبق قبول النفس الاتعاظ والصرف عن الهوى امر بالرعى فى الاعمال ونهى عن الاسامة لو وجدت لذة فى المرعى وكان سبب النهى عنها نظريا بينه بقوله كم حسنت لذة الخ وتقرير قياسه هكذا لما ثبت ان النفس كثيرا ما حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر كما ان السم لايدرى فى الدسم فالنفس ان وجدت لذة فى المرعى فلاتسمها لكن المقدم مسلم والتالى مثله ثم اعلم ان كم خبرية لااستفهامية والفرق بينهما ان قائل كم الخبرية يكون مخبرا وقائل كم الاستفهامية يكون مستخبرا وان مابعد كم الخبرية يكون اخبارا ومابعد كم الاستفهامية يكون انشاء وان مميز كم الخبرية يكون مجرورا فى الاكثر ومميز كم الاستفهامية يكون منصوبا غالبا وكم هنا منصوبة المحل على المصدرية اى كثيرا بمعنى كم مرة وحسنت ماض من التحسين على صيغة التأنيث وضميره راجع الى النفس ومعنى حسنت جعلت حسنا فى الظاهر فيكون المعنى كم مرة جعلت النفس حسنا فى الظاهر شيئا لذيذا بالعجب والغرور فعلى هذا يكون لذة مفعول حسنت او يكون صفة موصوف محذوف اى شيئا لذيذا والمراد منه العمل النفل ويجوز ان يكون المراد من الشىء اللذيذ الاغترار بكرم الله تعالى ورحمته قال القاضى فى قوله تعالى (ماغرك بربك الكريم) فاعل المعاصى بالاغترار بكرم الله تعالى مثل من يشرب السم اعتمادا لطبيعته فعلى هذا التقدير يكون السم استعارة من العذاب اليم والدسم استعارة من الاغترار بكرم الكريم فلاتغفل عن ترتيب استعارتهما أو معنى حسنت عدت حسنا ويكون مفعوله محذوفا اعنى المرعى ويكون اصل لذة بلذة ثم حذف الجار وانتصب المجرور ويكون تنوينه عوضا عن المضاف اليه اى العجب والغرور فعلى هذا يكون المعنى كم مرة عدة النفس المرعى حسنا بسبب لذة العجب والغرور وقوله للمرء متعلق بقاتلة قدم لضرورة الشعر

(كم حسنت لذة المرء قاتلة)
(من حيث لم يدر ان السم فى الدسم)
يعنى كثيرا من المرات زينت النفس لذة للمرء من اللذات قاتلة للمرء كالدسم والمرء لايدرى ان السم فى الدسم لاسيما اذا كان المرء من اهل المحبة والوداد فهلاكه فى لذة الطعم وطيب الرقاد وهذا البيت استيناف من مضمون المصراع الثانى من البيت السابق وكم منصوب المحل بالظرفية اى كثيرا من المرات حسنت اى جعلت حسنا واللذة ادراك الملايم ويطلق على الملتذ به ايضا قاتلة صفة لذة وضمير حسنت للنفس وللمرء اما متعلق بحسنت واما بقاتلة ومن لابتداء الغاية وحيث يستعار للجهة ويستعمل للتعليل ايضا ومن حيث متعلق بمحذوف والعامل فيه قاتلة او حسنت اى حال كون ذلك التحسين او القتل حاصلا من جهة ادراك كذا او لاجل كذا ولم يدر مجرور المحل باضافة حيث والضمير فيه الى المرء والسم بالفتح والضم مشهور والدسم بفتح السين اما المصدر او بمعنى الحاصل به وبكسرها شىء ذو دسم والكل ههنا صحيح

واللام لتقوية العمل اومتعلق بحسنت والمرء قال العاصم فى ترجمة القاموس المسمى باوقيانوس بالحركات الثلاث فى الميم وبسكون الراء الانسان مطلقا ذكرا كان اوانثى وعلى قول مختص بالرجل لكن هنا اعم ولم يوجدله جمع من لفظه وانما جمعه رجال وعلى قول جاء جمعه مرأون ويقال فى مؤنثه مرأة بتاء التأنيث وقد جاء مرة بترك الهمزة وفتح الراء وقد تدخل على اولها همزة الوصل وكذا لام التعريف وكذلك تدخل همزة الوصل على اول المرء فحينئذ ان لم يكن مقارنا بحرف التعريف يجوز فيه ثلاث لغات الاولى فتح الراء دائما فى الرفع والنصب والجر والثانية ضمها دائما فى الحالات الثلاث والثالثة كونها معربة اعنى بتبعيتها للحرف الاخير فى الاعراب فان كان آخره مرفوعا يكون الراء ايضا مرفوعا وان منصوبا يكون الراء ايضا منصوبا وان مجرورا يكون الراء ايضا مجرورا وان كان مقارنا بحرف التعريف كان الراء ساكنة البتة هذا وقوله قاتلة منصوب على انه حال من لذة اوصفة له والمراد من القتل ههنا الاهلاك بذكر الملزوم وارادة اللازم لان القتل لايكون الابآلة جارحة اوثقيلة وهنا ليس آلة كذلك وقوله من حيث متعلق بقاتلة وقيد الحيثية يستعمل لمعان ثلثة الاطلاق والتقييد والتعليل اما الاطلاق فكما فى قولهم الماهية من حيث هى هى والتقييد كقولهم علم الطب مايبحث فيه عن بدن الانسان من حيث الصحة والمرض اى لامطلقا بل من هذه الحيثية والتعليل كقول السابح الماء يبرد وجود الانسان من حيث انه بارد وههنا للتقييد اوللتعليل وحيث فى الاصل للمكان واستعير ههنا لمعنى الجهة وقال الاخفش ترد للزمان ويلزمها الاضافة الى الجملة اسمية كانت اوفعلية واضافتها الى الفعلية اكثر واضافتها الى المفرد نادر ولذا اضيف ههنا الى جملة لم يدر ولم يدر على صيغة المبنى للمفعول اوللفاعل بمعنى لم يعلم والسم بالحركات الثلاث فى السين لكن الرواية ههنا بالفتح للمناسبة دواء يهلك الانسان بسرعة وهو بالفارسية زهر والمراد ههنا المعصية من العجب والرياء على سبيل المجاز والاستعار بان شبه العجب والرياء بالسم فى الاهلاك لانه كما ان السم مهلك للانسان كذلك الرياء والعجب مهلك الاعمال كما ورد فى الحديث ان اخوف مااخاف على امتى الاشراك بالله امااني لست اقول تعبدون شمسا ولاقمرا ولاوثنا ولكن اعمالا لغير الله الحديث ثم استعير السم للعجب والرياء فذكر السم واريد العجب والرياء وقوله فى الدسم ظرف مستقر خبران وجملته نائب فاعل لقوله لم يدر اومفعوله وهو طعام فيه دسومة كثيرة والمراد منه الاعمال والطاعات مجازا واستعارة

تعبيرية هكذا شبه الاعمال والطاعة بطعام فيه دسومة فى كونه لذيذا ومشتهى بحيث لايدرى فيه السم استعير الطعام الذى فيه دسومة لمفهوم الطاعات والاعمال فذكر الدسم الدال على الطعام واريد منه الاعمال والعبادات ثم اعلم ان فى هذا البيت ايهاما حسنا الى انه كما ان السم فى الدسم فى المعنى كذلك لفظ السم فى الدسم كما قيل مثله فى قوله عليه الصلاة والسلام السفر قطعة من السقر كما لايخفى وقال الشاعر

* النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجارى *

وحاصل معنى البيت ان النفس امارة غدارة خداعة مكارة فكثيرا ماخدعت المرء وحسنت فى باصرته مايفسد باطنه اذهى كالاعداء لان الاعداء يدخلون السم فى الطعام اللذيذ ويهلكون المرء لانه لايعلم السم بسبب لذة الطعام وكذلك النفس تدخل الرياء والعجب فى العبادة وتهلك صاحبها لانه لايعلم شرها الخفى بسبب لذة العجب والرياء فان العجب يضر فى كل الاحوال ولوكان فى غير العبادة والاعمال الاترى الى ماروى انه لما نظر بعض من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كثرة العسكر واسلحتهم فى غزوة حنين قيل انه الصديق الاعظم رضى الله تعالى عنه قال اعجابا من الكثرة والشوكة لاانهزام لنا فيما بعد ولما وصل الى سمعه صلى الله تعالى عليه وسلم كره ذلك فرفع الله النصرة فى اول تلك الغزوة تأديبا لهم بان الكثرة لاتغنى شيئا بدون نصرة الله تعالى قال الله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم) الآية واما الرياء فانظر الى ما فى امرائيليات ان حكيما صنف ثلاثمائة وستين كتابا فاوحى الله الى نبيهم ان قل له قد ملأت الارض نفاقا ولم تردنى بشئ من ذلك ولااقبل منه شيئا فندم وترك وخالط العامة وتواضع فاوحى الله اليه ان قل له الآن قد وافقت رضاى انتهى وايضا الى حديث ان اخوف مااخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة انا اجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم فى الدنيا وفى حديث آخر طويل ان الله يقول للملائكة ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين

(وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ * فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ)

لما بين ان النفس يلزم حفظها وترقبها فى العبادات لئلا تقع فى الفسادات شرع فى بيان لزوم ترقبها وحفظها بين المباحات التى لابد للسالك منها فى الحالات فقال واخش الخ الواو عاطفة ويحتمل ان تكون استينافية معانية

(واخش الدسائس من جوع ومن شبع)
(فرب مخمصة شر من التخم)
عطف على قوله راعها والدسائس جمع دسيسة وهى الحيلة يقال دسائس فى هذا الامر اى مكايد خفية ومفاسد كامنة من جوع اما حال اوصفة اى صادرة اوالناشئة منه ولابأس بتقدير المعرفة بعد تبيين المعنى المراد واراد بالدسائس الآفات الكامنة الناشئة من كل منهما اما من الشبع فمثل القسوة والغفلة والكسل وغلبة الشهوة وانطفاء نور اليقين وغير ذلك واما من الجوع فمثل الحدة وسوء الخلق واراءة النحول والذبول وحدوث الكلال والملال وثوران الخيالات الفاسدة وغير ذلك

ويكون جوابا لسؤال مقدر كانه قيل فبأى شىء تستعمل النفس حتى تصلح فقال مجيبا واخش الدسائس اى اجعلها بين الجوع والشبع واخش امر من خشى يخشى من الباب الرابع وصيغة الامر ههنا للتأديب او للارشاد لانهم بينوا ان للامر معان على ستة عشر وجها الاول الايجاب كقوله تعالى اقيموا الصلاة والثانى الندب كقوله تعالى فكاتبوهم والثالث التاديب كقوله عليه السلام كل مما يليك والرابع الارشاد كقوله تعالى واستشهدوا والخامس الاباحة كقوله تعالى كلوا واشربوا والسادس التهديد نحو اعملوا ماشئتم والسابع الامتنان نحو كلوا مما رزقكم الله والثامن الاكرام نحو ادخلوها بسلام والتاسع التعجيز نحو فأتوا بسورة من مثله والعاشر التسخير نحو كونوا قردة خاسئين والحادى عشر الاهانة نحو ذق انك انت العزيز الكريم والثانى عشر التسوية نحو اصبروا اولا تصبروا والثالث عشر الدعاء نحو اللهم اغفرلى والرابع عشر التمنى نحو قول الشاعر * الا ايها الليل الطويل الا انجلى * والخامس عشر الاحتقار نحو قوله تعالى القوا ماانتم ملقون والسادس عشر التكوين نحو كن فيكون والدسائس جمع دسيسة كالكتائب جمع كتيبة والدسيسة الكيد والحيلة الخفية والالف واللام فيها عوض عن المضاف اليه اعنى النفس وهى بالنصب على انها مفعول اخش وقوله من جوع ظرف مستقر اما حال من الدسائس اوصفة لها اى احذر من الدسائس حال كونها ناشئة وصادرة من جوع ومن شبع اوالدسائس الناشئة والحاصلة المتولدة من جوع ومن شبع والجوع الانسانى حالة يشتهى الانسان بها اكل الخبز بلا ادام وقيل علامة جوع الانسانى شم الذباب ريقه وعدم وقوفه عليه كما قال الشاعر

* فى حد جوع الفتى قولان قيل بان * يشتهى به الخبز فردا حالة الاكل *
* وقيل ان وقعت فى الارض ريقته * شم الذباب وجد السير من عجل *

والشبع عكس الجوع ونقيضه والمراد من الدسائس الحاصلة منهما الآفات المتولدة منهما اما الآفات الحاصلة من الجوع فمثل الحدة والشدة والذبول والكلال وملال النفس فى تحصيل الكمال والخيالات الفاسدة والاوهام الكاسدة واما الآفات الحاصلة من الشبع فكثرة النوم المقتضية للكسل وقساوة القلب وغفلته وموته بطول الامل واطفاء نور اليقين وكثرة الشهوات وغير ذلك من الغفلات ويحتمل ان يراد بالجوع الفقر مجازا لانه ملزوم الجوع فعلى هذا يكون المراد من الدسائس المهالك فان الفقر يلق الانسان الى المهالك ولذا استعاذ منه عليه الصلوة والسلام وقال فى حديثه (كاد الفقر

والفاء للتعليل للامر بخشية الدسائس وشر مبتدأ ورب مخمصة خبره وفعلها محذوف اى وجدت خمص بطنه اذا التصق على ظهره والمخمصة شدة الجوع وتنوينها للتفخيم فان الشرهو الجوع الشديد لااليسير والتخمة عدم انهضام الطعام فى المعدة وتعفنه فيها وايذاؤه لصاحبه وقديفضى الى المرض والى الموت والتخم يجوز ان يكون مفردا فرخم للشعر ويجوز ان يكون جمعا مثل كلم وكلمة وكون المخمصة شرا من التخمة باعتبار الآفات الناشئة من الجوع المفرط فانه يضر بالقلب والروح والدين واما التخمة فغالب ضررها على الجسم

ان يكون كفرا) وفى آخر (الفقراء سود الوجوه يوم القيامة) وهى مثل السرقة وتغيير المذهب والملة كما قال الشاعر

* كم عالم عالم اعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا *
* هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا *

ويراد ايضا بالشبع الغنى ويراد بالدسائس مهالك الغنى وهى حب الدنيا مع انه رأس كل خطيئة وطول الامل والكسل عن الطاعة ونسيان الآخرة وقسوة القلب والكبر والعجب والحرص والطمع والبخل وغير ذلك ويجوز ان يراد من الجوع الجهل ومن الشبع العلم ويجوز ايضا ان يراد من الجوع عدم العمل ومن الشبع العمل ويجوز ايضا ان يراد من الجوع السكوت ومن الشبع الكلام ويجوز ايضا ان يراد من الجوع سهر الليل ومن الشبع نومه ويجوز ايضا ان يراد من الجوع العزوبة ومن الشبع الخلطة ويجوز ايضا ان يراد من الجوع العزوبة ومن الشبع التزوج ويكون فى لفظى الجوع والشبع على هذه التقادير مجاز واستعارة ويكون وجه الشبه فى كل منها خلو الغذاء للنفس وحصوله وتكون الدسائس عبارة عن مهالك كل منها كما لا يخفى على اهل البصيرة وقوله فرب مخمصة الخ الفاء للتعليل لانه علة لدعوى مقدرة مفهومة مما سبق وهو ان الخشية من دسائس الجوع لازمة كما لا يخفى ورب حرف جر لا يدخل الا على النكرة وهى للتقليل وعند البعض للتكثير وفى كلمة رب لغات عديدة لانها قد تكون مشددة ومخففة ويلحق آخرها التاء وكلمة ما والتاء مع ما مخففا ومشددا وبالجملة قال شيخ الاسلام زكريا الانصارى فى كلمة رب سبعون لغة وعدها فى شرحه على القصيدة المنفرجة وان اردت فارجع اليه فان قلت لم خص التعليل بالخشية من الجوع دون الشبع قلت لان ضرر الشبع بديهى بين الانام كما بينه كثير من الاعلام وقد اشار ابو سليمان الدارانى الى ست نكات فى الشبع فقال من شبع لم يجد حلاوة العبادة وتعذر عليه حفظ الحكمة وحصل له حرمان الشفقة على الخلق وثقل عليه العبادة وحصل لديه زيادة الشهوة وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشبعان حول المزابل وان اردت التفصيل فعليك التعويل على كتب مفصلة ومطولة واما ضرر الجوع فخفى بل يترتب عليه فوائد عديدة ومنافع كثيرة منها صفاء القلب ومنها رفع النوم ودوام السهر ومنها تيسر المواظبة على العبادة ومنها خفة المؤنة ومنها التمكن بذلك من الايثار والتصدق وغير ذلك مما لا يتناهى ولذلك علل به ثم ان المخمصة شدة الجوع المفرط وشر اصله اشرر فخفف باسقاط الهمزة وقد لحن ابو

قلابة فى قراءته سيعلمون غدا من الكذاب الاشر على صيغة التفضيل ولم يوافقه احد عليها قال الحريرى شرفيه معنى التفضيل لايثنى ولايجمع ولا يؤنث ولايقال اشر الافى لغة رديئة والتخم جمع تخمة وهى مصدر بمعنى عدم هضم الطعام مع استثقاله على صاحبه وتعفنه فى معدته وانما كانت المخمصة شرامن التخم مع ان اتفاق العلماء على شرية شدة الشبع وخيرية الجوع لان المخمصة وشدة الجوع تورث الانسان ضعفا حتى لايقدر على اداء العبادة قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ (ان نفسك مطيتك فارفق بها وليس من الرفق ان تجيعها وتذيبها) وقدقرر فى الكتب الفقهية ان الاكل امافرض ان كان مقدار مايدفع عنه الهلاك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله ليؤجر فى كل لقمة يرفعها العبد الى فمه) وامامندوب ان زاد على ذلك ليتمكن من اداء الصلاة قائما ويسهل الصوم قال عليه السلام (المؤمن القوى احب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف) وامامباح لااجر ولاوزر ان زاد على ذلك لمجرد تقوى البدن فيحاسب حسابا يسيرا واماحرام ان فوق الشبع لاضاعة المال والاسراف

(وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِامْتَلَأَتْ * مِنَ الْمَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ)

لمابين طريق استعمال النفس فى هذه الحال وفيماسيأتى اراد ان يبين سبب المغفرة للذنوب التى قدا كتسبها فيما مضى فقال تحريضا على التوبة وتحضيضا على الاوبة واستفرغ الدمع الخ الواو عاطفة ويجوز ان تكون استينافية جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل هل يكون طريق على عفو الذنوب التى فعلتها فيما مضى فقال واستفرغ اى نعم استفرغ واستفرغ امر من استفرغ وهو طلب الفراغ وهو جعل وعاء اونحوه خاليا عمافيه باخراج ما فيه واراقته والمعنى اجروارق واستخرج والدمع ماء مالح يجرى من العين وتقييد استفراغ الدمع بقوله من عين اظهار لما علم ضمنا لاللاحتراز وقوله قدامتلأت صفة العين وضمير المؤنث راجع الى العين لكن بطريق الاستخدام بان يراد من العين المذكورة الباصرة وبالضمير العين بمعنى القلب اذا لممتلئ بالمحارم القلب والمعدة فعلى هذا لاحاجة الى جعل امتلاء العين كناية عن كثرة الذنوب كما لايخفى على ذوى القلوب وقوله من المحارم متعلق بامتلأت والمحارم جمع محرم بمعنى الحرام كما يقال ذورحم محرم اذالم يحل للرجل نكاحها والمعنى اذا امتلأ قلبك ومعدتك بالمحارم والافعال السيئة ففرغ عينك الحسية لان البكاء للعصيان من خشية الرحمن يمنع العبد من دخول النيران كما قال عليه السلام (لايدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن

(واستفرغ الدمع من عين قدامتلأت)
(من المحارم والزم حمية النـدم)
استفرغ طلب الفراغ وبمعنى فرغ ايضا قدامتلأت صفة عين المحرم الحرام ويقال ذورحم محرم منهـا اذالم يحل له نكاحها وامتلاء العين عن المحرمات عبارة عن كثرة الذنوب الحاصلة من جهتها والحمية الاحتماء واضافتها الى الندم امابيانية اى الاحتماء الذى هو الندم على مامضى واما ان يكون بمعنى من اى الاحتماء الحاصل من النـدم والناشئ منـه لاالناشئ من مصلحة يعنى يامن فى عينه امتلاء المحرمات وفى قلبه مرض الغفلات فعليك باستفراغ الدموع والبكاء لان الاستفراغ هو العلاج للامتلاء وعليك بتطهير القلب عما سواه لان الخليل مأمور بتطهير بيت الله تعالى وانت تعلم ان معالجة القلوب والارواح * لايتيسر الابمعجون النجاح * وقيل ان ازالة النجاسات الظاهرة بالماء * وتطهير النجاسات الباطنة بالبكاء * ولكن ينبغى ان يكون البكاء من الخشية والندم * لان البكاء من الشكاية يفسد الصلوة ومن خشية الله اوشوق لقائه يعد من المكملات * والحمد لله الموفق للخيرات * وعلى حبيبه افضل الصلوات واكمل التحيات

(الضرع)

الضرع) وقيل اذا كان يوم القيامة تخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتقصد امة محمد فيجتهد الرسول الله عليه السلام فى دفعها فلم يقدر فينادى جبرائيل الحق الحق فان النار قدقصدت امتى لتحرقهم فيأتى جبرائيل بقدح من الماء فينادى الرسول فيقول خذ هذا ورشه عليها فيرشه فتنطفئ فى الحال ويقول ياجبرائيل ماهذا الماء لم ارمثله فى اطفاء النار فيقول جبرائيل ماهذا الادموع امتك الذين بكوا من خشية الله فى الخلوات امرنى ربى ان آخذ واحفظه الى وقت احتياجك اليه لتطفئ به النار التى قصدت امتك وقوله والزم دفع سؤال نشأ مما قبله وهو انه هل يكون البكاء مطلقا مذهبا للعصيان ومطهرا للانسان اى لابل يلزم ان تلزم حمية الندم مع البكاء والحمية بمعنى الاحتماء والحفظ وهو بالنصب مفعول الزم والندم بمعنى الندامة واليأس وبالفارسى پشيمان شدن واضافة الحمية اليه امابيانية اى حفظا هوالندامة على مامضى او بمعنى من اى الاحتماء الحاصل من الندم لانه لوندم حفظ من العصيان واما من اضافة المشبه الى المشبه به كما فى لجين الماء اى ندامة كالاحتماء فى عدم السلوك الى المعاصى فان قلت استفيد من هذا البيت ان علاج جميع المعاصى هو البكاء والندامة مع ان المظالم واخذ حق الغير لاتغفر بالبكاء والندامة بل بردها الى اصحابها والاستحلال منها قلت رد المظالم والاستحلال من الخصوم ونحوهما داخل فى الندامة كما لايخفى وحاصل معنى البيت يامن امتلأت عينه من المحرمات وشحن قلبه بمرض الغفلات عليك باستخراج الدموع والبكاء لانه يذهب كل ما اكتسبت من الهوى كما قالوا صب العبرات يحط السيئات ويرفع الدرجات وكما فى بعض الاخبار المروية انه يؤتى بعبد يوم القيامة وتشهد عليه اعضاؤه بالزلة والعصيان فيستحق ان يدخل النيران فتطاير شعرة من جفن عينه فتستأذن تلك الشعرة من الله تعالى بالشهادة له فيقول الله تعالى عزوجل تكلمى ياشعرة واحتجى عن عبدى فتشهد تلك الشعرة لذلك العبد بانه قدبكى فى الدنيا من خوف ربه فيغفرله وينادى منادهذا عتيق الله تعالى بشعرة كما سئل من الامام حجة الاسلام عن العينين المذكورتين فى قوله تعالى (فيهما عينان تجريان) هما لمن فقال عينان تجريان لمن له اليوم عينان تجريان هذا ماقرر فى التفسير وروح البيان ثم اعلم ان من خواص هذا البيت انه لوعسر عليك فى مطالعتك محل من درسك ولم يمكن لك كشفه فاقرا هذا البيت مائة وتسع عشرة مرة فانه يكشف عليك باذن الله تعالى

(وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا * وَاِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ)

(وخالف النفس والشيطان واعصهما)
(وان همـا محضـاك النصح فاتهم)
المخالفة اعم من العصيان مطلقـا لان العصيان ترك امتثال الامر اوالنهى والمخـالفة ترك الموافقة فكل عصيان مخـالفـة ولاينعكس والشيـطان اما من شـاط اى هلك ووزنه فعلا او من شطن بعد ووزنه فيعـال وان هما كان احـد والاصل فى اذا ان يسـتعمل فى مقطوع الوقوع وفى ان ان يستعمل فى المشكوك الالنكتة وهذا هو المعنى من قولنا الجازم فى غير الجازم وغير الجـازم فى الجازم وانما اتى ههنـا بان لان النصيحة الصـافية منهما عما يندر امامن الشيـطان فلانه عدونا وعدو ابينا آدم عليه السـلام وامرنا باتخاذه عدوا كما قال الله تع ان الشيـطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقد استنـظر من الله تعـالى لاغـوائنـا والالقـاء فى امنيتنا ولايفارق عنـا الى حلول حكم منيتنا ولقد اكد بالقسم مايريد بنـا من سوء فى قوله ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم وقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين * وهو قد طرد من الجنـاب

الاقدم * بواسطة ابينا آدم * ومثل
هذا العدو لايكون نصيحا شفيقا
مصافيا * ولاصديقا صادقا عن المين
متجافيا * ومانجا آدم مع كمال صفوته *
وعلو درجته * واستحقاق خلافته *
وتقرر نبوته * من شر مكايد هذا اللعين
فكيف انت يامسكين * فربما يدعوك
الى الطاعات * ويحرضك على
العبادات * ويزين عبادتك فى عينك
حتى تجعلها لك معبودا * ويصيرك
عن حضرة الحق الحقيق بالعبودية له
مردودا * حتى تكون ممن قيل * فيهم
افرأيت من اتخذ الهه هواه * واعرض
عن الله وعبد سواه * هذا حالك
مع عدوك المظهر لعداوته المريد بك
بغيا وطغيانا * والحاضر عندك حينا
والغائب عنك احيانا * فكيف يكون
حالك * مع اعدى عدوك * الذى بين
جنبيك * وهو اقرب منك اليك * فلا
تعتمد على نصائحه * لئلا يوقعك فى عار
فضائحه * لان الفوز فى مخالفة النفس
ومجانبة هواها * والعصيان فى احكامها
عليك قضاها * ولان السلامة
فى مخالفة اهواء النفوس قال عليه
الصلوة والسلام مشيرا الى هذ المعنى
شاوروهن وخالفوهن * ولهذا قيل
ان تعصهن تألف * قوله فاتهم اى فانسبهما
الى الكذب والخيانة وهو حسبنا
وعليه التكلان

لمابين ولوغ النفس فى هواها وبلوغ الهوى فى المضرة منتهاها وكون النفس فى يد صاحبها شرع فى بيان المخالفة التامة لها فقال وخالف آه الواو عاطفة من قبيل عطف الانشاء على الانشاء وخالف امر من المخالفة آثر صيغة المخالفة للمبالغة والنفس بالنصب مفعول خالف والالف واللام فيها للعهد اى النفس الامارة المكارة والشيطان بالنصب عطف على النفس واختار من الحروف العاطفة الواو ليدل على اجتماعهما واشتراكهما فى الامر بالسوء والفحشاء كما فى قوله تعالى (ان النفس لامارة بالسوء) وقوله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) فان قلت فعلى هذا يكون عطف الشيطان على النفس مستدركا لان الامر بمخالفة النفس مغن عن الامر بمخالفة الشيطان لانهما شريكان ومتحدان فى الامر بالسوء فالامر بالمخالفة لاحدهما امر بالمخالفة للآخر فلافرق بينهما قلت الفرق بينهما بين لان النفس لو امرت بمعصية تكون مصرة عليها حتى لو فعل معصية اخرى غير ما امرت النفس لاتسكن الا بفعل المعصية التى امرت بها لان النفس فيها نفسانية بخلاف الشيطان ثم ان الشيطان اما فيعال على ان تكون نونه اصلية من شطن اذا بعد لبعده عن الخير والرحمة او فعلان على ان تكون نونه زائدة من شاط اذا هلك او اذا اسرع فى السير لسرعة سيره فى باطن الآدمى او فى اضلال الآدمى او اذا احترق لكون اصله نارا او لكون اوله نارا فعلى هذين يجوز صرفه وعدمه اذا جعل علما قال الجعبرى الشيطان ابليس وجنوده والمراد الجنس وقيل عن تفسير الخازن جنس للمردة من الشياطين ثم اختلف فى الشيطان والجن هل هما موجودان او معدومان والاصح هو الاول فعلى الاول اختلف ايضا هل هما مجرد ان اولا واكثر المتكلمين على الثانى فعلى الثانى اختلف ايضا فى انهما هل هما مختلفان بمعنى ان الشيطان جسم لطيف نارى قادر على التشكل باشكال مختلفة والجن هوائى قادر على التشكل كذلك وايضا الملك جسم لطيف نورانى كذلك او متحدان جنسا فما يكون منهم خيرا سعيدا جن ومايكون شريرا شقيا شيطان فان قيل هل للشيطان نسل قال ابو المعين النسفى فى بحر الكلام قيل ان الشيطان يبيض بيضات ويخرج منها الولد وفى الخبران فى احد فخذيه فرجا وفى الآخر ذكرا فيجامع نفسه فيخرج منه الولد وهذه رواية شاذة وقيل يدخل ذنبه فى دبره فيخرج منه الولد وهذا غير صحيح فالصحيح هو الاول ثم اعلم ان المراد من الشيطان ههنا اعم من الانس والجن لان الشيطان الذى من الانس يأمر ايضا بالسوء فتلزم المخالفة لامره بل لاتجوز المقارنة به لان الطبيعة سارية الا ترى ان العلماء امروا بالمباعدة

عن الكسلان فكيف عن اهل العصيان فان قلت لم قدم النفس على الشيطان مع ان عداوة الشيطان ثابتة فى كل الزمان قلت اما لان النفس عدو فى الداخل لايفارق الانسان فى كل حالاته حتى الذكر والعبادة فتكون عداوته اشد من الشيطان لانه عدو من الخارج يدفع شره بالاستعاذة والذكر والثناء والشكوى الى صاحبه لانه كلب الله فيشتكى من شره الى الله تعالى فيخلص منه باذن الله تعالى بخلاف النفس واما لان النفس وان كانت عدوا لكنه محبوب والانسان عن عيب محبوبه عمى كما قال الشاعر

* وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا *

ويلزم فى النفس عدم القهر بالكلية لانها مطية المرء فى الايصال الى المقصد فمن قهرها تذله فى السبيل وعدم الموافقة لها بالكلية فمن وافقها تضله عن سبيله فالخلاص الاعتدال بينهما واما الشيطان فعداوته خالصة لايشوبها محبة اصلا لانه عدو قديم حيث بدأ العداوة مع ابينا آدم عليه الصلاة والسلام فقال (يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى) وعدو الاب لايكون لابنه محبا وقوله واعصهما عطف على خالف فان قلت هذا القول اى واعصهما مستدرك لان الامر بالمخالفة لهما يستلزم عصيانهما قلت ان العصيان اعم من المخالفة لان العصيان ترك الانقياد سواء امر بفعل اونهى عنه فتركه اولم يؤمر ولم ينه فتركه والمخالفة انما تكون بترك الفعل الذى امر به او بفعل الفعل الذى نهى عنه فيكون هذا العطف من قبيل عطف العام على الخاص فلا استدراك ويجوز الجواب بان يكون كل واحد من المخالفة والعصيان بالنظر الى كل واحد من الامر والنهى يعنى ان يكون خالف مختصا بالمخالفة لامرهما ويكون واعص مختصا بالعصيان لنهيهما فيصح حينئذ العطف لكن فيه مافيه وقوله وان هما ان شرطية وضمير التثنية راجع الى النفس والشيطان ومحضاك ماض من التمحيض او من المحض بمعنى التخليص اى اخلصاك والنصح بالنصب مفعول ثان لمحضا والنصح ارادة الخير للغير وقوله فاتهم الفاء للجزائية واتهم امر من التهمة اى احمل نصحهما على التكذيب فان قلت هل يكون للنفس والشيطان نصيحة حتى تحمل على الكذب قلت نعم اما نصيحة النفس فكما نقله الخادمى عن المنهاج من انه روى عن بعض يقال له احمد بن ارقم البلخى انه قال نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرنى بالخير قلت مرادها الخلاص من حبس الوحدة والوصول الى الخلطة

والاستراحة بالالفة واكرام الخلق فقلت لها اذا كان مرامك ذلك لاازلك العمران ابدا ولاادلك على معرفة احد فاجابت اسأت الظن فقلت الله تعالى اصدق وقلت اقاتل العدو مقدما على الكل فتقتلى فاجابت ثم عددت اشياء فاجابت عن كلها ثم قلت يارب نبهنى لها فانى متهم لها ومصدق لك فكوشفت كأن النفس تقول ياا حدانت تقتلنى كل يوم مرات بمنع شهواتى وبمخالفة ميولاتى فان قاتلت قتلت انا مرة واحدة فنجوت من قتلاتك ويتسامع الناس شها دتى فتكون لى ذكرا وشرفا قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو واما نصيحة الشيطان فاحكاه المولوى فى كتابه المثنوى ان معاوية كان نائما عند الصباح فجاء الشيطان وقال حى على الفلاح ففطن معاوية لمكره وغدره فى ظهوره وامره فقال انت ياشيطان ماتأمر الا بمعصية فكيف امرك لى بالطاعة فماسبب هذا الامر العجيب فانه من مثلك غريب فقال سببه انه قد فاتك الصبح يوما من الايام بسبب المنام عن صلاة الجماعة مع سيد الانام فندمت على مافات وتحيرت عليه فى الاوقات فكتب لك اضعاف ما كنت تلحقه من الطاعات فخفت ان تنام عن الصلاة مرة اخرى فيحصل لك زيادة المثوبة فى الاخرى فالزم الحذر من شرهما الاسيما فى وقت كانا قدا ختصما

(وَلَاتُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَاحَكَمًا * فَانْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ)

لما ظن انكار المخاطب اتهام نصحهما اذا لنصيحة بالخير لاتحمل على الشر اكدماقبله لكونه امرا مهما واجب الامتثال فقال ولاتطع منهما الخ من الاطاعة وهى قبول امر الآمر ومنهما ظرف مستقر حال من الخصم والحكم قدمت على ذى الحال لضرورة الشعر كما قال الشاعر فى بيان مواضع تجرى فيها الضرورة

* وقدجاء فى التركيب بعض تصرف * كفصل وتقديم ومثل زيادة *

والخصم العدو الذى ظهرت عداوته والحكم بمعنى الحاكم فى الدعوى يقال له قاضى الحكم والمعنى لاتطع الخصم ولا الحكم حال كونهما ناشئين من النفس والشيطان يعنى ان النفس لوكان خصما اوحكما وكذا الشيطان لوكان خصما اوحكما فلاتطعهما بل جانبهما قال الشارح الزركشى ان هذا البيت من اصعب الابيات فى القصيدة من جهة معرفة ان خصم النفس وحكمها ماهو ولذا قالت الشراح ههنا كلمات لاتسمن ولاتغنى بل كلها من قبيل مالايعنى واما انا فقد تحيرت فيه برهة من الزمان ثم رأيت فى المكاشفة الناظم الفاهم اعنى محمد البوصيرى فقلت له مامر ادك من هذا البيت ياامام فقال لو تأملت دواعى الانسان لعرفت المرام فقلت له ارجو منك التفصيل فقال

(ولاتطع منهما خصما ولاحكما فانت تعرف كيد الخصم والحكم) الاطاعة الامتثال والانقياد طوعا ومنهما حال من خصما وحكما متعلق بمحذوف اى لاتطع خصما ولاحكما كائنا من جهتهما اى النفس والشيطان المراد من الخصم من يخاصم عما يوافق النفس والشيطان ومن الحكم من يحكم عليك ويشير بمقتضى مرادهما ومقصودهما ولما امر بمخالفة النفس والشيطان نبه على ان لكل منهما من يكفى له شانا من ايقاع المسلم فى البغى والضلال ويهيج الفتن وجباب النكال كما روى جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجئ احدهم ويقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيئا ثم يجئ احدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه ويقول نعم انت وقديكون حزب الشيطان وسراياه من البشر الموصوفين بسجاياه ولقد جاء فى امثال هؤلاء فى الفرقان اولئك حزب الشيطان واورد شارح التفرق فى قوله تع (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) ان فى الآية الكريمة اشارة الى ان كل من يكون سببا للاعراض عن ذكر

ان الدواعى فى الانسان ثلاثة وهى القلب والنفس والشيطان فاذا اراد القلب ان يعمل خيرا تكون النفس له مانعة فتطلب تركه ومنعه فيختصمان ويريدان ان يحتكما فينصبان الشيطان حكما وهو يأمر بالسوء فعلى هذا كان الشيطان حكما والنفس خصما ولواراد الشيطان ان يعمل عمل الشر يقول القلب له لاتفعل فانه شر ويقول الشيطان لابل هو خير فاختصما واحتاجا الى الحكم فاحتكما النفس وهى تأمر بالسوء فعلى هذا كانت النفس حكما والشيطان خصما فكل واحد منهما خصم من جهة وحكم من جهة اخرى انتهى بتغيير عبارته وتفصيله والفاء فى فانت للتعليل لماقبله فيمكن ان يرتب ههنا قياس تقريره هكذا انك يلزمك عدم الطاعة كل منهما خصما ولاحكما لانك تعرف كيد الخصم والحكم وكل من يعرف كيد الخصم والحكم فيلزم له عدم اطاعة كل منها خصما ولاحكما ينتج انك يلزمك عدم اطاعة كل منهما خصما ولاحكما والكيد المكر والخيانة ويجئ بمعنى الحيلة والمراد من الخصم والحكم الثانى ماسبق لان لاميهما للعهد فان قلت ما كيفية الوسوسة مع انا لانرى الشيطان باحد مشاعرنا فكيف يكون لما فى قلبنا مدعيا وحكما وموسوسا قلنا نقل عن الاحياء فى كيفيتها ان القلب كالقبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثل هدف ترمى اليه سهام من كل جانب فكلما ادرك شيئا من الحواس الخمس الظاهرة ومن الباطنة كالخيال ونحوه حدث فيه اى القلب اثر وكذا عند هيجان شئ من نحو الشهوة والغضب وهذه الخواطر وهى محركات للارادة التى تحرك الاعضاء فان محمودة فالهام وان مذمومة فوساوس انتهى وفى حديث انس ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان ذكر الله تعالى خنس وان نسى التقم قلبه فان قلت باى شئ يخلص من وسوسته قلت قالوا سلاح المؤمن على الشيطان ستة الاستعاذة وكلمة الشهادة والبسملة وترك الطمع وترك الامل وترك الدنيا وروى ان قوما شكوا الى الحسن البصرى من الشيطان قال انه خرج من عندى الآن ويشكوا منكم وقال قل للناس يدعوا دنياى حتى ادع دينهم والنافع الكثير فى دفع وسوسته الاشتكاء الى الله والرجاء منه تعالى بحبسه وعدم اخراجه عليه لانه كلب مبين والكلب يلتجأ من شره الى صاحبه فان قلت انه وان لم يجب عليه تعالى شئ فى افعاله لكن لايخلو فعله عن حكمة ولاشك ان النفس والشيطان شر بديهى فما الحكمة فى خلقهما وتسليطهما على الانسان قلت اما الحكمة فى خلق النفس فى الانسان وعدم جعله مجردا كالملائكة الرحمن

الرحمن فهو للمرء بمنزلة الشيطان وقس عليه حال حزب النفس وجنوده ولاتظنن انحصار الامر بمخالفتهما لنفسهما ويجوز ان يكون من فى منهما للبيان قدم للضرورة والفاء للتعليل والكيد المكر واللام فى الخصم والحكم كما فى قوله تع (فعصى فرعون الرسول)

فتفضيله بهما على عامة الملائكة لان النفس فيها عوائق وموانع كالشهوات والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولاشك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف اشق وادخل فى الاخلاص وكل شئ شانه كذا فهو افضل وان اردت تفصيل هذا البحث فعليك بالمطولات واما الحكمة فى خلق الشيطان ففيه مسلكان اما المسلك الاول فالقول بان لا اطلاع لنا على حكمة جميع فعله تعالى لانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لانها وان لم تظهر علينا فهى ظاهرة على الراسخين واما المسلك الثانى فبيان حكمته كما قال بعض العلماء ان الحكمة فى خلقه اختبار اوليائه من غيرهم اذ من يتبع عدوه يعنى الشيطان ليس بوليه تعالى وقال بعضهم الحكمة عدم اغترار العابدين بعبادتهم وبعضهم قال الحكمة الاعتبار من حال الشيطان بسبب العصيان والانزجار عن الطغيان واعلام ضرر الكبر والعدوان على اهل الايمان والتفصيل فى المطولات وخاصية هذين البيتين انه اذا كان شخص مصرا على معصية ونزعت نفسه الى عدم التوبة فليكتب هذين البيتين فى صحيفة بعد صلاة الجمعة وليمحها بماء الورد وليشربه وليستمر جالسا مستقبل القبلة حتى يصلى العصر والمغرب والعشاء وهو ملازم على الابتهال والتضرع الى الله والصلاة على النبى عليه السلام ويسأل الله التوبة فانه لا يقوم من مقامه حتى يغلب على نفسه ويلهم الله اليه التوبة يااخى نصحى لك الاجتناب فى العبادات عن ملل والملازمة على مدا ومتها بلا زلل

﴿ استغفر الله مِن قولٍ بِلا عملٍ * لقد نسبتُ به نسلا لذى عقمِ ﴾

لما راى الناظم الصادق والناصح العاشق ان نفسه متلوث بالمناهى وملتبس بالملاهى وقد قال تعالى (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال الله تعالى ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) والامر بالمعروف من غير عمل وان كان حسنة لكنه بحسب العرف الظاهر سيئة فلذا اناب الى الله وتاب عما سواه فقال استغفر الله الخ اعلم ان الاستغفار بمعنى طلب الغفر وهو الستر وهو ههنا بمعنى تبت الى الله واطلب الستر من الله ورجعت الى الله عما فعلته وقوله من قول متعلق باستغفر فان قيل لو تعلق به يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بفعل واحد لانه فى تقدير استغفر من الله قلت لا نسلم لزوم هذا المحذور فى ذلك التقدير ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون من قبيل المطلق والمقيد ولو سلم فلا نسلم انهما متعلقان بفعل واحد كيف وان من الاولى متعلقة

(استغفر الله من قول بلا عمل)
(لقد نسبت به نسلا لذى عقم)
الغفر فى الاصل الستر والاستغفار طلب الستر وغفر الذنب ماجازاه بما يستحق به والغفر المحو وبلا عمل صفة لقول اى من قول ملتبس بترك العمل ولقد آه جملة استينافية وجواب لقسم محذوف والباء فى به للسببية والضمير يرجع الى القول النسل الولد عقمت المرأة عقما وعقما وذى عقم هو العقيم والمراد التى لا تلد والمعنى انى استغفر الله من قول امراونهى بلا عمل فانه امر يستحق الزجر والتوبيخ كما قال عز وجل (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) لان فى الامر بالفضائل نوع ادعاء الاتصاف بتلك الامور ولو كان ذلك الامر بدون الاتصاف بها يكون كنسبة الولد الى عقيم بالبهت والزور ومثل هذا الكلام لا يفضى الى اتيان المرام اذ الموعظة مالم يتحل بمقتضاها المذكر لن تجد سمعا يعيها ولا قلبا تلك الموعظة فيه تؤثر كما قيل ان القول الذى يخرج عن اللسان لن يبلغ الآذان * والذى يخرج عن الجنان * وقع على الجنان *

بالطلب المستفاد من السين ومن الثانية بمادة المغفرة والمراد من القول اللفظى وقوله بلا عمل ظرف مستقر صفة لقول اى من قول ملتبس بترك العمل والتنوين فى كل من القول والعمل عوض عن المضاف اليه اى من قول ملتبس بترك عملى وقوله لقد نسبت جملة استينافية معانية كأنه قيل لم تستغفر من القول الفصيح المشتمل على المصالح العارى عن المفاسد والقبائح فقال مجيبا لقد نسبت اللام لتوطئة القسم والنسبة بمعنى الاضافة والباء فى به للسببية وضميره راجع الى قول بلا عمل والنسل الولد كما فى الحديث تنا كحوا تناسلوا وهو مفعول نسبت والمراد بالولد والنسل العمل مجازا واستعارة حيث شبه العمل بالولد فى كونهما منتفعا بهما فكما ان الولد ينتفع به فى الدنيا كذلك العمل ينتفع به فى الآخرة واستعير العمل لمفهوم الولد فذكر واريد العمل ولذى متعلق بنسبت والعقم بالضم داء لا دواء له وهو عدم قبول الرحم او الصلب الولد واراد بذى عقم نفسه حيث شبه نفسه الغير العامل برجل ذى عقم فى عدم انتاج الشئ ثم استعار الرجل الذى له عقم لنفسه فذكر ذو عقم واريد نفسه وحاصل معنى البيت استغفر الله تعالى من قولى آمرا وناهيا بلا عمل لان الظاهر ان الآمر بالخير والناهى عن الشر مؤتمر به ومنته عنه فلما لم يكن مؤتمرا به ومنتهيا عنه فى نفس الامر كان ذلك كنسبة الفضل الى غير اهله وكنسبة الولد الى رجل ذى عقم وهو معصية وعصيان لانه زور وبهتان مع ان مثل هذا الكلام الذى لا يعمل به صاحبه لا يفضى الى اتيان المرام كما قيل ان القول الذى يخرج عن اللسان لا يبلغ الآذان والذى يخرج عن الجنان وقع على الجنان وفى حديث روى عن اسامة بن زيد انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول مررت ليلة اسرى بى الى السماء باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال خطباء امتك الذين يقولون مالا يفعلون وههنا حكاية لطيفة اوردها اسماعيل الحق فى تفسيره وهى ماروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا مايموت من اهل مجلسه واحدا واثنان من شدة تأثير وعظه وكان فى بلدة العالم عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحذره وتمنعه عن حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله ماوقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت

* اتهدى الانام ولا تهتدى * الا ان ذلك لا ينفع *
* فيا حجر الشحذ حتى متى * تحد الحديد ولا تقطع *

فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر عن فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فمات فيلزم لك العمل بكلام تكلمت به

(امرتك الخير لكن ما ائتمرت به * وما استقمت فما قولى لك استقم)

لما كان عدم عمله فى قوله غير معلوم بينه بقوله امرتك الخير الخ قال شيخ زاده انما ترك العاطف بين قوله امرتك وبين قوله نسبت لان بينهما كمال الاتصال لانه تفسيره وبيانه والامر صيغة تدل على طلب الفعل استعلاء فان قيل لم خص الامر بالذكر دون النهى وقد سبق منه امر ونهى قلنا اراد بالامر ما يعمهما كما يقال امر السلطان ان لا يؤذى احد احدا والخير بالنصب من قبيل الحذف والايصال اى بالخير والخير ماله عاقبة جيدة ولما كان قوله امرتك الخير موهما انه عمل به لانه لازم له فى الشرع استدرك وقال لكن ما ائتمرت به والائتمار لازم وهو قبول الامر وما استقمت عطف على ما ائتمرت والاستقامة دوام قيام العلم والعمل بلا ترك وانما نفى الاستقامة لانها امر عظيم ولذا قال عليه السلام شيبتنى سورة هود كما روى عن بعض الصلحاء انه قال رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى النوم فقلت له روى عنك انك قلت شيبتنى سورة هود فقال نعم فقلت فما الذى شيبك منها اقصص الانبياء ام هلاك الامم قال عليه السلام لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وذلك لان حقيقة الاستقامة هى الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط برعاية حد التوسط فى كل الامور من الطعام والشراب واللباس وفى كل امر دينى ودنيوى ترغيب وترهيب وذلك هو الصراط المستقيم فى الآخرة والتمشى على هذا الصراط الذى يقال له الاستقامة الاعتدالية عسير جدا كما قال فى بحر العلوم الاستقامة على جميع حدود الله على الوجه الذى امر الله بالاستقامة عليه مما يكاد يخرج عن طوق البشر ولذلك قال عليه السلام شيبتنى سورة هود فكل من كان اتم معرفة كان اتم استقامة وقال ابو على الجرجانى كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة فالكرامة الكبرى الاستقامة فى خدمة الخالق لا باظهار الخوارق وقيل لبعض الاولياء فلان يمشى على الماء فقال وكذلك الضفدع والسمك ثم قيل فلان يطير فى الهواء فقال وكذلك الذباب ثم قيل فلان يذهب من المشرق الى المغرب فى ساعة فقال كذلك الشيطان فقيل

وبين قوله لقد نسبت لان بينهما كمال الاتصال لانه تفسيره وبيانه الامر صيغة تدل على طلب الفعل استعلاء والايتمار لازم قوله الخير من قبيل الحذف والايصال اى بالخير وهو ماله عاقبة جيدة ولما كان قوله امرتك بالخير موهما انه عمل به استدرك وقال لكن ما ائتمرت به والاستقامة هى الثبات على مقتضيات الاوامر والنواهى الايجابية والندبية التى جاء بها محمد عم كما قيل فى تفسير قوله تع (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) والاستقامة عند ارباب التصوف درجة عالية بها كمال الامور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما فى حالته ضاع سعيه وخاب جهده كما قال الله تع (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) ومن لم يكن مستقيما فى امره لم يرتق مقامه الى غيره وحرم من ابتناء السلوك على الصحة قدس سره قال ابو على الجرجانى كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك تتحرك فى طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة ومراعاة هذا المقام فى غاية الصعوبة كما روى عن ابى على اليسوى انه يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له روى عنك انك قلت شيبتنى سورة هودفما الذى شيبتك منها اقصص الانبياء ام هلاك الامم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن ثوبان مولى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال استقيموا ولن تحصوا فيقول الناظم ما تحليت بحلية هذه

له ما المقبول عنده قال الاستقامة فى الدين وقوله فما قولى الخ الفاء للعطف وهو معطوف على قوله امرتك عطف الانشائية على الخبرية لفظا وعطف الانشائية على الانشائية نظرا الى المعنى المقصود ولان قوله امرتك فى الصورة اخبار وفى المعنى انشاء تحسر وتأسف على حاله كما فى قوله * هواى مع الركب اليمانين مصعد * اومن عطف الخبرية على الخبرية لان معنى قوله فما قولى لك ما ينبغى ان اقول لك وما فى قوله فما استفهامية يولد منها معنى مناسب للمقام مثل التوبيخ والتعجب والاعتراف بالقصور ومثل الانكار وقوله لك متعلق بالقول فالقول هنا بمعنى الخطاب لانه مستعمل باللام وقوله استقم امر من استقام وجملته مقول قول لقولى اى فما خطابى لك باستقم فان قلت ان امره باستقم بل هو غير موجود فلا يستقيم هذا القول لانه لم يسبق منه هذا القول قلنا وان لم يسبق منه هذا القول تصريحا لكنه قد سبق تلويحا وضمنا اذ المقصود مما قبله تطويع النفس الامارة واطاعتها للنفس المطمئنة بحيث تأتمر باوامرها وتنتهى بنهيها وذلك لا يحصل الا بالاطاعة لها حتى تستقيم وبالجملة انه وان لم يسبق لفظ استقم لكن سبق معناه والمراد هنا معناه لا لفظه وحاصل المعنى انى مسئ وعاص لانى امرتك ونصحتك بالخير مع انى ما انتصحت وما استقمت به وقلت لك استقم فعجبا ما فائدته اذ وعظ الغير المتعظ غير مؤثر فى السامع كما قيل * ولا يستقيم الظل والعود * اعوج * وكقول الشاعر *

* وغير تقى الناس يأمر بالتقى * طبيب يداوى الناس وهو مريض *

ولذا قيل لبعض الواعظين عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى من الله تعالى ولكن يلزم للمؤمن ان يقبل قول كل واعظ ولا ينظر اليه لان الحكمة ضالة المؤمن اينما وجدها اخذها * اف من شر نفسى لم احصل بها راحلة * ولم ادرك بسببها رفيقا وقافلة

(ولا تزودت قبل الموت نافلة * ولم اصل سوى فرض ولم اصم)

لما كان قوله فيما سبق لكن ما ائتمرت به نظرا وخفيا بينه وكشفه فقال ولا تزودت الخ الواو عاطفة وتكرير لا لتأكيد النفى والتزود من باب التفعل من الزاد وهو الطعام الذى يتخذ للسفر والمراد منه هنا الطاعات والعبادات ففيه استعارة مكنية شبه نفسه فى الذهن بالرجل الذى يريد السفر فى كونهما محتاجين لاتخاذ ما يلزم لهما فيه فكما ان مريد السفر من مكان يلزم له اتخاذ الزاد والراحلة فكذلك يلزم للنفس التى تريد السفر من الدنيا الى الآخرة اتخاذ زاد وهو تقوى الله تعالى والاعمال الصالحة ثم استعير فى الذهن الرجل الذى

يتولد منه معنى مناسب للمقام مثل التوبيخ والتعجب والاعتراف بالقصور والتقصير ومثل الانكار والفاء عاطفة على قوله امرتك عطف الانشائية على الخبرية لفظا وعطف الانشائية على الانشائية نظرا الى المعنى المقصود لان قوله امرتك بما فى حيزه فى الصورة اخبار وفى المعنى انشاء تحسر وتأسف على حاله او عطف الخبرية على الخبرية لان معنى قوله فما قولى لك ما كان ينبغى ان اقول لك بل كان الواجب على العمل اولا ثم الامر بالخير ثانيا لما ورد فى الحديث ان الله تع قال لداؤد عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس فالانسب بحالى ان اقول وارى عيوب العالمين ولا ارى عيبى وعيبى فهو منى اقرب * كالطرف يستجلى الوجوه ووجهه ادنى اليه وهو عنه مغيب * يحكى ان واحدا من كبار المشايخ قدم للامامة فقال استقيموا واستووا رحمكم الله وغشى عليه فلما افاق قال آه مالى آمر غيرى بالاستقامة * وانى تحلية نفسى بتلك الكرامة * ارى كل انسان يرى عيب غيره * ويعمى عن العيب الذى هو فيه * وما خير من تخفى عليه عيوبه * ويبدو له العيب الذى لاخيه * اللهم بصرنا بعيوبنا * وانصرنا على التبراء عن حوبنا *

(ولا تزودت قبل الموت نافلة
(ولم اصل سوى فرض ولم اصم)

عطف على ما استقمت التزود اخذ الزاد واعداده والنفل بسكون الفاء والنافلة عطية التطوع من حيث

يريد السفر ثم فى الخارج ذكر المشبه اعنى نفسه حيث ذكر بضمير التكلم واريد المشبه نفسه والرمز والاشارة الى هذه الاستعارة التى فى الذهن اثبت التزود الذى من لوازم المشبه به للمشبه وهذا الاثبات تخييلية ويحتمل ان يكون فى تزودت استعارة مصرحة وتبعية بان يشبه كسب العبادات والاتقاء والسير الى الله باتخاذ الزاد للسفر فى كونهما منتفعا بهما ثم استعير التزود الذى هو اتخاذ الزاد للسفر للاتقاء من الله الذى هى اتخاذ الزاد للآخرة فذكر التزود الذى هو اتخاذ الزاد للسفر واريد منه كسب العبادات والاتقاء من الله وبتبعية هذه الاستعارة اشتق صيغة تزودت من المصدر الذى هو التزود وصيغة اتقيت من الله من المصدر الذى هو الاتقاء وشبه اتقيت بصيغة تزودت ثم ذكر هيئة تزودت واريد اتقيت ونكتة المجاز اى التعبير بتزودت دون اتقيت وتنفلت اشارة الى ان الدنيا دار رحلة والناس عابروا سبيل فلابد من الزاد واثاث السفر كما قال عليه السلام (كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور) فكما ان الزاد وصلة الى قرب المقصود كذلك النافلة وصلة الى قرب الله تعالى كما قال تعالى فى الحديث القدسى (لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه) وقوله نافلة بالنصب مفعول تزودت والمراد من النافلة قربة ليست بواجب ولافرض وقوله ولم اصل عطف تفسير لماقبله ودفع لتوهم انه لم يصل الفرائض ولم يصمها وهو بمعنى ولم اتم الصلاة سوى الفرض والفرض فى اللغة التقدير والقطع وفى الشرع ماثبت بدليل قطعى لاشبهة فيه وقوله ولم اصم عطف على لم اصل ومفعوله محذوف بقرينة سابقة اى لم اصم سوى فرض والصوم فى اللغة الامساك وفى الشرع عبارة عن امساك مخصوص عن الاكل والشرب والجماع من الصبح الى المغرب والفرضان فى الموضعين صفة موصوف محذوف اى صلاة فرض وصوم فرض فان قلت الاقامة بالفرض خير وفيه ثواب وله عاقبة جيدة فهلا ينافى هذا القول بقوله لكن ما أتمرت بالخير قلت تنوين فرض للتقليل والمراد انى ماقمت بحق العبودية حق القيام بزيادة النوافل فى الليالى والايام والصلاة والصوم المفروضان دينيان كأنه لم يجعلهما معتدا بهما فى جنب الامتثال لقوله تعالى (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) وحاصل معنى البيت ماجمعت شيئا من النوافل زاد السفر قبل الفوت ولا تهيأت للوصول الى مراتب الكمال قبل الموت واقتصرت من قصور همتى على فرض الصلاة والصيام وماقمت بحق العبودية حق القيام بزيادة النوافل كما زاد السلف كما نقل ان الجنيد كان يدخل كل يوم حانوته ويرسل الستر

لايجب والنفل بفتح الفاء الغنيمة ومراده هنا من النافلة قربة ليست بفرض ولاواجب ولاسنة مؤكدة حملا لحاله على الاصلح به والفرض مايكفر منكره ويعاقب تاركه وتنوين نافلة للتقليل وتنوين فرض للتحقير اى فرض مشوب بتقصيرات ومثل هذه الاعتبارات مستفادة من المقام * بمعونة الذوق وموصوف نافلة محذوف وقوله ولم اصم اى سوى فرض بالاكتفاء. ولفظ البيت خبر ومعناه تحسر وتأسف على تضييع العمر فى الغفلات * والتقصير فى الصوم والصلوات * مع ان افضل السكنات الصيام * واحسن الحركات القيام * اذ الصلوة افضل العبادات واعلاها واشرف الطاعات واسناها * ويحكى الحديث عماد الدين * واحب اعمال

ويصلى اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته وعن ابى عبدالله بن خفيف انه كان يقول ربما كنت اقرأ فى ابتداء امرى فى ركعة واحدة عشرة آلاف مرة قل هو الله احد وربما كنت اقرأ فى ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت اصلى من الغداة الى العصر الف ركعة وفى بعض الكتب قال شريك كنت مع ابى حنيفة رحمه الله تعالى سنة فما رأيته وضع جنبه على الارض وكان اصحابه يشهدون انه كان يصلى صلاة الغداة بوضوء العشاء وقال شعبة احببت اباحنيفة وقت دخول الناس مضاجعهم فخرج من منزله ودخل المسجد واشتغل بالصلاة فلم اقدر على السهر والقيت حصيبات فى نعليه ورجعت فعند قرب الصبح رجعت فوجدته فى مكانه يدعو ويبكى ونظرت نعليه والحصيات باقية والتفصيل فى المطولات واما الصوم فما ذكر فى الرسالة القشيرية كان سهل بن عبدالله يفطر فى كل خمسة عشر يوما مرة وفى رمضان الى رؤية الهلال وكان فى كل ليلة يفطر بالماء القراح وابو تراب النخشبى اكل اكلتين من البصرة الى مكة وابو عثمان المغربى يقول الربانى يأكل مرة فى اربعين يوما والصمدانى فى ثمانين يوما وروى ان سهلا اقتات بثلث درهم فى ثلاث سنوات كذا ذكره فى شرح الطريقة

* خالفت امر رسول شانه قد علا * ولم اطع قوله فى كل امر جلا *

(ظلمتُ سنّةَ مَن احيى الظلامَ الى * ان اشتكتْ قدماه الضُرَّ من وَرَمِ)

لما فرغ من الفصل الثانى الكائن فى بيان معرفة النفس من كونها امارة بالسوء وكونها غير معدة علاجها وكونها مشتغلة بالهوى وكونها قابلة للتربية كالطفل وبيان تربيتها والاستغفار مما عملت من المحارم شرع فى الفصل الثالث فى مدائح النبى عليه الصلوة والسلام فقال ظلمت سنة من الخ بترك الواو والواصلة اشارة الى ربط ولطافة فان قلت وما المناسبة بين الفصلين قلت انه لما بين فى الفصل المقدم معرفة النفس اراد ان يبين فى هذا الفصل معرفة الرب عملا بما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعرفة الرب انما تكون بمعرفة النبى فيكون مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم راجعا الى مدح الله تعالى اذ مدح النقش راجع الى مدح نقاشه كما لايخفى وانما اختار صيغة المتكلم وحده اظهارا لتذلله فى مقام مدح النبى واعلاما لاستقلال مدحه بانه لايشوب فى مدحه مدح غيره وظلمت مشتق من الظلم وهو فى اللغة وضع الشئ فى غير موضعه وفى الشرع التجاوز عن الحق الى الباطل والتصرف فى ملك الغير بغير اذنه والمراد هنا الترك مجازا من معناه اللغوى لانه يلزم لوضع الشئ فى غير موضعه ترك موضعه الاصلى فيكون من قبيل ذكر

اهل اليمن * واول مايحسب به العبد فى القيمة * ويساق به الى دار السلامة * وهى اشمل الواجبات للاشخاص والازمان * ثابتة فى جمع الاديان ثابتة فى الذكر للايمان * والصوم سبب الولوج فى ملكوت السموات وواسطة الخروج عن رحم مضايق الجسمانيات * المعبر عنه بالنشأة الثانية كما اشير اليه بقوله عليه السلام لن يلج فى ملكوت السموات من لم يولد مرتين بل مجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء واليه يشير الحديث القدسى وهو قوله عليه السلام الصوم لى وانا اجزى به يعنى انا جزاؤه ولذلك علق سبحانه نيل سعادة الرؤية بالجوع حيث قال فى مخاطبة عيسى عليه السلام تجوع ترانى ولكونهما عمدة العبادات خصهما الناظم بالذكر *

(ظلمت سنت من احيى الظلام الى)
(ان اشتكت قدماه الضر من ورم)

الظلم وضع الشئ فى غير موضعه والنقص كما فى قوله تع (ولايظلمون فتيلا) السنة يطلق على الطريقة المسلوكة فى الدين مطلقا ولكن غلب على ماورد به النبى عليه السلام قولا وفعلا ولايكون واجبا ولا فرضا وقوله ظلمت اما ان يكون بمعناه الاول فكانه ظلم عليها بتركها لان من حقها ان يقام ويؤتى بها او بمعناه الثانى بمعنى نقصت من اعالى

الملزوم وارادة اللازم وسنة بالنصب مفعول ظلمت وهى فى اللغة الطريقة وفى الشرع الطريقة المسلوكة فى الدين غير فرض ولاواجب فالسنة ان واظب النبى عليها كانت مؤكدة وان لم يواظب كانت سنة الهدى وههنا اعم من السنن المؤكدة وسنة الهدى فالمراد الطريقة الشريفة الحنيفية المنسوبة الى النبى عليه الصلاة والسلام التى من سلك فيها يصل الى مقصوده ومن موصولة والمراد به النبى عليه الصلاة والسلام وانما ابهمه للتفخيم اى سنة الذات الفخيم العظيم الكريم الحليم النبى المخلص الرحيم الذى احيي وهو بمعنى ترك النوم للعبادة مجازا لان النوم يشبه الموت فى انتفاء الادراك وانتفاء الانتفاع وكذلك اليقظة تشبه الحياة ففى احيي استعارة مصرحة وتبعية حيث شبه ترك النوم للعبادة بالاحياء فى الانتفاع والسرور فاستعير الاحياء لترك النوم للعبادة فذكر الاحياء واريد ترك النوم للعبادة وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الاحياء صيغة احيي ومن ترك النوم للعبادة صيغة ترك اوسهر وشبه ترك باحيي بواسطة العلاقة فى مصدرهما فذكر احيي واريد ترك النوم للعبادة وانما قيدنا ترك النوم بقولنا للعبادة لان ترك النوم للفسق والمعاصى لايعد احياء بل اماتة وخسرانا والظلام بالفتح ذهاب النور والمراد به الليل مجازا من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم وايقاع احيي على الظلام مجاز كما كان الطرفان مجازين فمعنى احيي الظلام ترك منامه فى الاوقات اللطيفة الشريفة المباركة التى يكون فيها خير الانام مشتغلا بالوحى والالهام فى الليالى المظلمة الخالية عن الاغيار والرقباء المانعة وقوله الى ان اشتكت الى للانتهاء متعلق باحيي وان مصدرية واشتكت من الاشتكاء وهو اخبار المظلوم عن ظلم من لا يستطيع دفع ظلمه فاشتكت بمعنى اظهرت الشكوى كما فى قوله

* شكوت وما الشكوى لمثلى بعادة * ولكن تفيض الكأس عند امتلائها *

وههنا ليس على معناه الاصلى بل هو الاظهار والدلالة على الوجع الناشئ من العوارض البشرية والامور الحسية اى اظهرت ودلت قدماه اى رجلاه المكرمتان المحترمتان اللتان تراب نعلهما كحل عين العالمين والضر بالفتح اوالضم شدة الحال وهو بالنصب مفعول اشتكت وقوله من ورم حال من الضر اوبيان له والورم بفتحتين الانتفاخ يعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل عليه الوحى اجتهد فى العبادة وكان يصلى الليل كله ويقوم على احدى رجليه تخفيفا على الاخرى لطول القيام ويتعب نفسه كل الاتعاب حتى ورمت قدماه المحترمتان المكرمتان وانتقلتا من الحالة الاولى الى الحالة

سنة من احيى وايقاع احيى على الظلام مجاز ان لان المراد من الظلام الليل من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم ومن الاحياء ترك النوم مشتغلا فيه بنوع من القرب وكذا اسناد اشتكت الى قدماه والى متعلق باحيي والضر شدة الحال وحرف الجر محذوف اى من الضر ومن ورم اما ظرف لغو متعلق باشتكت بدل من الضر او حال اى كائنا منه او صفة اى الكائن منه او يكون من للسببية متعلقا باشتكت وتنوين ورم للتعظيم وهو انتفاخ لا على مقتضى الطبيعة ومن احيي الظلام حتى اشتكت قدماه هو سيدنا ونبينا محمد حبيب الله عليه من الصلوات افضلها * ومن التحيات اكملها * فانه لما خوطب بيا ايها المزمل قم الليل كان يحيي الليل ويقوم على احدى رجليه حتى ورمت قدماه فنزل طٰهٰ ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعب يعنى ضع قدميك على الارض يامن تورمت قدماه من قيام الليل فى عبادة مولاه وابق على نفسك فان لها عليك حقا لانا ما انزلنا عليك القرآن لتهلك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة القادحة ومابعثناك الا بالحنيفية السمحة ولقد غفرنا ما تقدم من ذنبك وما تأخر والحبيب يزيد فى الطاعة ويقول افلا اكون عبدا شكورا ليرى الناظرين طريق العبودية كى لا يكونوا قوما بورا ولا يطيعوا من الغاوين آثما او كفورا * والله اعلم

الاخرى فانزل الله تعالى تسلية لنفسه الشريفة وتخفيفا له عليه الصلاة والسلام ولامته الضعيفة (طٰهٰ ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) اى ضع يامحمد قدميك على الارض ولاتتعب نفسك فان لها عليك حقا لانا ما انزلنا عليك القرآن العظيم لتتعب نفسك وتجعلها فى حالة تقرب الهلاك ثم كانت عادته عليه الصلوة والسلام بعد هذه الآية انه يقوم بعد ثلثى الليل يتهجد ثم اعلم ان المفسرين قالوا كانت صلاة التهجد فرضا له عليه الصلوة والسلام لا لامته بقوله تعالى (فتهجد به نافلة لك) الآية فكان هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انهم قالوا ان التهجد سنة لامته عليه الصلوة والسلام كيف وقد قال عليه الصلوة والسلام ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل الاخير خير له من الدنيا ومافيها ولولا ان اشق على امتى لفرضتهما وفى حديث آخر (مازال جبرائيل يوصينى بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتى لاينامون) ثم انهم قالوا ان التهجد من اربعة الى اثنى عشر وقال بعضهم من اثنين الى اثنى عشر ثم انهم اختلفوا فى ان التهجد هل يطلق على قيام الليل كله اولا والاصح عند الخادمى على ماذكره فى شرح الطريقة مايكون بعد النوم فان قيل لم قدم الناظم الفاهم هذا المدح من مدائحه عليه السلام على غيره قلت اشارة الى ان هذه الخصلة الحميدة اشرف الخصال واكرم الفعال مع مافى هذا المدح من التوبيخ لامته من انه عليه الصلوة والسلام كان يعبد ربه غاية العبادة ويطيع له غاية الاطاعة مع رفعة جاهه وعلو منصبه حتى قيل له حين ورمت قدماه المحترمتان اتكلف وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا اى على ماانعم ربى على من المغفرة مع ايمائه عليه الصلوة والسلام فى ذكر لفظ العبد الى انه لابد له من القيام بوظائف العبودية والمبالغة فى اداء شكر حقوق الربوبية وانكم ايها الامة مع كونكم مختلطين بالمعاصى والذنوب بل بترك اوامر علام الغيوب لاتعبدون الله وتنامون من المساء الى الصباح كأنكم مبشرون بالجنة والكوثر والفلاح فهيهات ماتظنون والله خلقكم للعبادة وانكم لاتعلمون فان قيل لم قدم من بين عباداته عليه الصلوة والسلام احياء الليالى قلت اقتداء بالنظم الكريم لانه تعالى كلما ذكر فى القرآن الصوم قدم عليه الصلوة لان قيام الليالى افضل العبادات لان الليل يكون فيه بين العابد والمعبود خلو من الاغيار وتكون فيه الدعوات اسرع اجابة اذهو وقت الاخيار ولذا قيل ان العابد فى الليالى يستحق اجرين اجرا لترك النوم واجرا للعبادة مع ان ترك النوم فى الليالى الكثيرة المتوالية واحياء جميعها بالصلاة لايقدر عليه الا رسول الله الوهاب * الهى لاتجعلنا ممن ضل وغوى

* فاخذته بذنوبه فتوى * واحشرنا فى زمرة من لا ينطق عن الهوى *

(وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ اَحْشَاءَهُ وَطَوَى * تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الْاَدَمِ)

لما بين عبادته صلى الله تعالى عليه وسلم التى هى الوسيلة الى الدرجات العليا فى العقبى شرع فى بيان مقام زهده فى الدنيا واختياره الرياضة فى مرضاة المولى فقال وشد من سغب آه الواو عاطفة لجملة شد معطوفة على احيى ومعنى شد عقد وكلة من سببية اى بسبب سغب والسغب بفتحتين الجوع مطلقا وقيل السغب الجوع المقارن بمشقة وتعب والمعنى هنا عقد من اظهار سغب ليستن به غيره من الصحابة الكرام عليهم رضوان الملك العلام والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوع اصلا لان قلبه مملوء بنور مولاه لا يحتاج الى الاكل وشرب المياه مع انه يطعمه ربه ويسقيه كما ورد فى حديثه عليه الصلاة والسلام *انا ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى* واحشاء بالنصب مفعول شد وضميره راجع الى الموصول والاحشاء جمع حشى بمعنى القلب وانما جمع مع انه ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه للتعظيم والتفخيم كما فى قوله تعالى (فنعم الماهدون) فيكون مجازا واستعارة بان شبه قلبه عليه الصلاة والسلام بالقلوب الكثيرة فى العظم والخطر ثم استعير القلوب لقلبه عليه الصلاة والسلام وذكر القلوب واريد منها قلبه عليه الصلاة والسلام وقوله وطوى عطف على شد عطف تفسير فحرف العطف بمعنى حرف التفسير او من قبيل عطف العلة على المعلول فحرف العطف بمعنى اذ ومعنى طوى لف وقال الشهاب فى شرح الشفاء فى معنى الحديث انه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله فى الليالى المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء الطى بمعنى الجوع لكن الانسب لهذا المقام كونه بمعنى اللف كما لا يخفى واذا كان بمعنى اللف يكون المراد ههنا تداخل الجسد بعضه فى بعض لانتهاء الجوع الى حد الكمال وقوله تحت الحجارة ظرف لطوى بتضمين معنى الوضع وكشحا بالنصب مفعول طوى والكشح بالفتح والسكون ما بين الخاصرة والضلع ومترف بالنصب حال من الكشح وهو اسم مفعول من الاتراف بمعنى النعومة فالمراد من المترف المفرط فى النعومة واللطافة والادم بفتحتين جمع اديم وهو بمعنى الجلد واضافة المترف اليه من اضافة الصفة الى موصوفها اى الجلد الناعم اللين وحاصل المعنى انى سهرت وتركت سنة الذات الفخيم والنبى الحليم المخلص الصفى الذى عقد بطنه الشريف اللطيف لاظهار جوعه الى الاصحاب ليستنوا به ووضع خاصرته اللطيفة الناعمة الجلد تحت الحجارة المقبولة المباركة لتدفع برودة الحجر عنه عليه الصلاة والسلام حرارة الجوع وحاصل معنى البيت

(وشد من سغب احشاءه وطوى)
(تحت الحجارة كشحا مترف الادم)
عطف على احيى شده اوثقه ومن للسببية السغب الجوع والحشى ما احاط به الجوف وطواه لفه الكشح الخصر وهو مفعول طوى ومترف صفة كشحا والترف النعومة الادم جمع اديم وهو الجلد مثل افيق وافق والاضافة لفظية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحرا اذا غلب عليه الجوع يوثق الحجر على بطنه وروى مسروق عن عائشة رضى الله عنها انها قالت قلت يارسول الله الا تستطعم الله تعالى فيطعمك قالت وبكيت

اما كناية عن مبالغة رياضته عليه السلام لانه عليه الصلاة والسلام كان فى اكثر اوقاته دائم الجوع حتى قالت عائشة رضى الله تعالى عنها بكيت لما رأيت به من الجوع وشدة السغب *فقال يا عائشة والذى نفسى بيده لو سئلت ربى ان يجرى معى جبال تهامة ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن اخترت الجوع فى الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد * الحديث وفى حديث آخر قالت عائشة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم * عرض على ان يجعل بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذى اجوع فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذى اشبع فاحمدك واثنى عليك * وفى الرسالة القشيرية ان فاطمة رضى الله عنها جاءت بكسرة خبز لرسول الله عليه السلام فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة قالت قرص خبزة ولم تطب نفسى حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال* اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام* واما اشارة الى ما وقع فى غزوة الخندق وبيانه انه عليه السلام لما اخرج بنى النضير من اليهود من اطراف المدينة ذهب ابو عمرو الراهب منهم الى مكة لتحريك المشركين للمحاربة مع النبى فجاء الى بيت ابى سفيان حين جهالته فاخبره بالحال فاكرمه ابو سفيان وشرع فى جمع عسكر فجمع مقدار عشرة آلاف من الاحزاب وخرجوا الى جانب المدينة فوصل هذا الخبر الى سمعه عليه السلام فاستشار مع الاصحاب فقال سلمان الفارسى يا رسول الله ان فى بلاد العجم اذا هجم العدو فى بلدة ولم يقدر اهل البلدة على محاربتهم يحفرون اطراف تلك البلدة ويجعلونها خندقا ويحفظونها فاستصوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الرأى فشرعوا فى حفر الخندق خمسين يوما ثم جاء العدو فحاصروا المدينة تسعة وعشرين يوما فوصل للمسلمين فيه مشقة كثيرة واستولى عليهم خمسة انواع من المشقة الاول القحط والثانى كثرة الاعداء والثالث خوف القتل والرابع الجوع والخامس شدة البرد حتى رحم النبى عليه السلام حال الصحابة ونادى من يأتينى باخبار العدو فهو رفيقى فى الجنة ولم يجيبوا له عليه السلام لشدة جوعهم وعدم طاقتهم على الذهاب ثم صرح باسماء اربعة من الصحابة فقالوا يا رسول الله لا يحركنا من موضعنا ما معنا من الجوع والبرد ثم دعا حذيفة بن اليمان وارسله للاستخبار فذهب فجاء بخبر فرارهم وهلاكهم من شدة البرد وروى انه عليه الصلوة والسلام ربط على بطنه الشريف حجرا دفعا لثقل الجوع وتعليما للاصحاب ولذا كان سنة لمن كان جائعا ولم يجد خبزا ان يعقد حجرا على بطنه لانه يسكن الم الجوع وهذا

لما رأيت به من الجوع وشد الحجر على بطنه من السغب فقال يا عائشة والذى نفسى بيده لو سألت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها * وحزن الدنيا على فرحها * يا عائشة ان الدنيا لا ينبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض لاولى العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل والله ما لى من طاعته وانى والله لاصبرن كما صبروا بجهدى * ولا حول ولا قوة الا بالله ربنا افرغ علينا صبرا على فاقتنا * ولا تحملنا فوق طاقتنا *

من هدايا النبي عليه السلام اللهم لاتبلنا في الدنيا بالكرب واجعل رتبتنا في الدارين ارفع الرتب بحرمة النبي ذي المجد والحسب

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ * عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ ﴾

فلما توهم العوام من عقده عليه السلام على بطنه الشريف اللطيف الحجر بالحكم الالهية الحجارة لاجل السغب الظاهري ان رياضته عليه السلام وشدة الحجر لضرورته واحتياجه دفع الناظم الفاهم ذلك المقال فقال وراودته الجبال الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على القريب او البعيد والمراودة المطالبة بالجد والاشتهاء وصيغة المفاعلة اذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة وضمير المفعول راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم او المراودة بمعنى المجيئة والجبال بالرفع فاعل راودت وهي جمع جبل والشم بضم الشين جمع اشم بمعنى الرفيع غاية الرفعة وهي صفة الجبال اي جاءت الجبال الرفيعة او طلبت الجبال الرفيعة ومن ذهب صفة الجبال او حال منها والالف واللام في الجبال للعهد اذ الجبال التي راودت الرسول عليه السلام خمسة جبال في حوالي مكة المكرمة اعني جبل ابي قبيس وجبل حرا وجبل ثور وجبل بطحاء وجبل عرفات وعن نفسه متعلق براودته بتضمين معنى الميل يعني ان الجبال الرفيعة المنقلبة الى الذهب طلبت النبي عليه الصلاة والسلام مائلة لنفسه عليه الصلاة والسلام والفاء للتعقيب بلا تراخ واري ماض من الاراءة فاعله راجع الى النبي عليه السلام وضمير المفعول راجع الى الجبال ومفعوله الثاني محذوف اي اري رسول الله عليه السلام الجبال حين عرضت نفسها عليه شمما واستغناء ايما شمم وما زائدة وقيل صلة للتأكيد واي صفة موصوف محذوف هو مفعول ثان لاري واي يفيد في هذا المقام معنى الكمال لانهم قالوا ان اي كان مضافا الى ما هو من جنس الموصوف فهو يفيد الكمالية كما تقول رأيت رجلا اي رجل اي كامل في الرجولية والمعنى شمما واستغناء في غاية الاستغناء وكمال الارتفاع وحاصل المعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرض عن الدنيا واقبل على المولى وآثر متاعب الفقر الظاهري على مناصب الغنى حتى ان الجبال الشامخة عرضت نفسها عليه ومالت غاية الميل اليه رجاء ان يوقع النظر عليها فترفع عن الالتفات اليها وفي هذا البيت اشارة الى ما روي ان جبرائيل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرؤك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك اينما كنت فتوقف ساعة فقال ياجبرائيل ان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له قد يجمعها من لاعقل له فقال له جبرائيل عليه السلام ثبتك الله يامحمد بالقول الثابت وفي هذا

﴿ وراودته الجبال الشم من ذهب ﴾
﴿ عن نفسه فاراها ايما شمم ﴾
راوده طلب منه ان يكون له وعلى مراده ومنه وراودته التي هو في بيتها عن نفسه والشمم الارتفاع ويستعمل بمعنى الرفع ايضا والشم جمع الاشم ومن ذهب حال او صفة اي كائنة او الكائنة منه وما في ايما صلة للتأكيد واي صفة لموصوف هو ثاني مفعولي اراها اي شمما اي شمم اي ترفعا لايكتنه كنهه ولايقادر قدره قال عليه الصلوة والسلام * ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لايارب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له محمد والذي بعثني بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال رسول الله امر الله القيمة ان تقوم فقال لا ولكن هذا اسرافيل قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت

الحديث برهان شاف وبيان كاف على فضل الفقير الصابر على الغني الشاكر كما اجتمعت عليه السادات السنية والطائفة الصوفية والى هذا المقام اشار من قال من ارباب الكمال همة الرجال تهدم الجبال وفي هذا البيت تلميح الى قوله تعالى * وراودته التي هو في بيتها عن نفسه * وايماء مليح الى مزية فضيلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على يوسف عليه السلام من وجوه لان المراودة ليوسف عليه السلام كانت لحسنه الغير الاختياري ولانها كانت هناك على ماحرم الله تعالى ولانها كانت هناك من ذي عقل تتصور المراودة منه ولان يوسف عليه السلام اختار في الدنيا مازيد في اللذة واما المراودة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فوقعت لخلقه الاختياري وعلى ما اباحه الله تعالى ومن جماد لاتتصور المراودة منه وانه عليه السلام مااختار لذة الدنيا مع انه تعالى قال له عليه السلام لاحساب لما اخذته من الدنيا فعلى هذا يكون في هذا البيت استعارة تمثيلية بان تشبه الهيئة المنتزعة من الجبال ومراودتها عن نفسه عليه السلام وعدم ميله عليه السلام اليها بالهيئة المنتزعة من زليخا ومراودتها عن نفس يوسف عليه السلام وعدم ميله اليها في الطلب المطلق فاستعير الهيئة المنتزعة من المشبه به للهيئة المنتزعة من المشبه فذكر المراودة الدالة على مراودة زليخا واريد مراودة الجبال وقال الشارح الشبرخيتي ان الاشم من الشمم وهو الانف ومعناه طابت الجبال التي هي اولو انف ميل نفسه عليه السلام اليها يعني ان الجبال انحنت واطالت انفها اي طرفها الذي كالانف في الانسان الى النبي عليه السلام فما مال اليه اصلا بل اظهر الترفع والاستغناء

﴿ وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ * إِنَّ الضَّرُورَةَ لَاتَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ ﴾

لما توهم المتوهم ان ضرورته واحتياجه يكون مانعا لعبادته وزهادته دفعه فقال واكدت زهده الخ الواو عاطفة او ابتدائية واكدت من التأكيد والتأكيد والتوكيد هو التقرير والتثبيت والزهد قلة الرغبة في الشيء وفي الاصطلاح الاعراض عن الدنيا وترك راحته روي ان رسول الله عليه السلام كان مضطجعا على سرير مفروش بشيء خفيف رطب اخضر وتحت رأسه وسادة من اديم مملوءة بليف فدخل عليه عمر رضي الله تعالى عنه مع جماعة من الصحابة فانحرف النبي عليه السلام فرأى عمر اثر الفراش في جنبه عليه السلام فبكى فقال عليه السلام مايبكيك ياعمر فقال فكيف لاابكي ان كسرى وقيصر يتنعمان فيما يتنعمان فيه في الدنيا وانت على هذه الحالة فقال عليه السلام ياعمر اما ترضى ان يكون لهم في الدنيا ولنا

ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبرائيل ان تواضع لله فقال نبي عبد ثلاثا * رأى زينة الدنيا التي هي للفنا * وامسى الى دار البقا يتجهز * زخارف دنيانا لاجد لم ترق * ولا كان من شيء بها يتحيز * زهادته فيها وقد عرضت له دليل بان القلب للحق مبرز * زيوفا رأى كل النقود التي بها * ومن مثله في نقد دنيا مميز * اللهم صل عليه وعلى اشياعه * وثبت اقدامنا على سنن اتباعه *

﴿ واكدت زهده فيها ضرورته ﴾
﴿ ان الضرورة لاتعدو على العصم ﴾
التأكيد والتوكيد هو التقرير والتثبيت والزهد قلة الرغبة وضمير فيها للجبال او للدنيا لدلالة المقام عليها والمراد من الضرورة شدة الحاجة والفقر والفاقة وضرورته فاعل اكدت وزهده مفعوله وان الضرورة استيناف كأن سائلا قال لما كان في شدة الحاجة والضرورة فكيف رغب عنها فقال ان الضرورة لاتعدو اي لاتغلب على العصم يقال عدا عليه ظلمه وغلب عليه والعصم جمع عصمة وهي قوة اودعه الله تعالى في العبد يمنعه عن التعرض لمنهياته ومكروهاته ويجوز ان يراد بالعصم المعصومين بارادة اسم المفعول من المصدر فالمعنى ان النبي الذي

فى الآخرة قال بلى فنزل جبرائيل و قال سنة الله قدجرت على ان لذة الآخرة
تنقص على كل احد بحسب ازدياد لذة الدنيا فكلما كانت لذة الدنيا اكثر
كانت لذة الآخرة اقل كما فى قوله تعالى (اذ هبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا)
لكن الله يقول قل لمحمد خذ من عظائم الدنيا ما تريد واطلب ماتشاء فانك
مجاب لاتنقص من لذاتك فى الآخرة بسبب لذاتك فى الدنيا فقال عليه السلام
والله خيروابقى ثم ان زهده بالنصب على انه مفعول اكدت والضمير راجع
اليه عليه الصلوة والسلام وفيها متعلق باكدت ايضا وضميره راجع الى الدنيا
المذكورة ضمنا والاولى ان يكون راجعا الى الجبال وضرورته بالرفع فاعل
اكدت والضرورة شدة الاحتياج ومنها الاضطرار ضد الاختيار
والاحتياج وان لم يكن فى نبينا عليه الصلوة والسلام حقيقة لكن يكون المراد
منه الضرورة الظاهرية والاحتياج الحسى وقوله ان الضرورة الخ استيناف
كأنه قيل كيف تؤكد الضرورة الزهد فيها مع الضرورة توقع الانسان فى
المهالك وقداشار عليه السلام الى مشقة الضرورة وعدم تحملها كل احدفى
قوله * كادالفقر ان يكون كفرا * فقال مجيبا ان الضرورة لاتعدو على العصم
ويمكن ان يرتب فيه قياس تقريره هكذا ان الضرورة لاتعدو على النبى لان
الضرورة لاتعدو على العصم والنبى معصوم ينتج من غير متعارف الشكل الثانى
الضرورة لاتعدو على النبى فان قيل لم اظهر فى مقام الاضمار لان المناسب ان
يقول انها قلت لضرورة الشعر ولئلا يختل مرجع الضمير لانه لو قال لانها
لتوهم ان ضميره راجع الى مرجع ضمير فيها كما لايخفى وتعدو من عدا عليه
اذاغلبه واستولى عليه فمعنى لاتعدو لاتغلب ولاتستولى والعصم جمع عصمة
وهى قوة زاجرة اودعها الله تعالى فى خواص عباده واكابر عباده تمنعهم
عن التعرض لمنهياته مع بقاء اختيارهم وقدرتهم والعصمة مصدر هنا
بمعنى المفعول اى المعصوم وحاصل المعنى قداكد فقره الظاهرى واحتياجه
الحسى زهده واعراضه عن الدنيا وعدم اقباله على الجبال العليا مع كونها
ذهبا فتعب نفسه تعبا فكيف تكون ضرورته غالبة عليه مع ان ضرورته تابعة
لعصمته الاحمى وتايداته الكبرى ومغلوبة له والمغلوب لايستولى على الغالب
بخلاف ضرورة سائر الناس فانها غيرتابعة لهم فجاز ان تغلب عليهم
وتجذب همتهم الى زخارف الدنيا وزهرتها حفظنا الله تعالى منها

(وَكَيْفَ تَدْعُوا اِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ * لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ)

لما بين رياضته الشديدة ومجاهدته السديدة اراد ان يشرع فى بيان
افضليته وعيان اشرفيته لكن مع ربط انيق وترتيب رشيق حيث كان

فضله الله على جميع البشر ورفع درجته
بحيث لايبلغها كل ذى خطر وشرح
صدره ووضع وزره الذى انقض
ظهره وقرن اسمه فى كل موضع
باسمه ورفع ذكره وعصمه من حيث
الاعتصام بحبل عنايته وحفظه الله وهو
خير حافظا بكمال هدايته فلم تعد شدة
حاجته على العصمة الازلية بل اكدت
ضرورته زهده فى الدنيا الدنية فازاغ
بصر همته فى الدنيا وما طغى عين
تهمته فى العقبى كما روى انه صلى الله
عليه وسلم عرض عليه عشار من النوق
وهى الحوامل منها فاعرض عنها وغض
بصره مع انها من احب الاموال اليهم
وانفسها عندهم لانها كانت تجمع الظهر
واللحم واللبن ولعظمتها فى قلوبهم قال الله
تع (واذا العشار عطلت) فلما لم يلتفت
اليها قيل له يارسول الله هذه انفس
اموالنا فلم لا تنظر اليها قال قد نهانى الله
تعالى عن ذلك ثم تلاقوله تعالى (ولاتمدن
عينيك الى مامتعنا به) الآية هذه معاملته
مع الدنيا وفى التوجه الى الآخرة ماكان
يريد الا الرفيق الاعلى * اعاذنا الله من
المقام السفلى ويسرلنا المقام العلوى
(وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من)
(لولاه لم تخرج الدنيا من العدم)
الاستفهام للاستبعاد بيان
لكمال زهده فكيف ظرف لتدعو
دعاه اليه طلبه اليه وحمله عليه
الدنيا تأنيث الادنى من الدنواى
الاقرب اومن الدناءة اى الاخس وهى

هذا البيت تأكيدا لماقبله فقال وكيف تدعوالخ الواو عاطفة على مقدر
اى انه عليه الصلاة والسلام مائل الى الله تعالى فقط وكيف تدعوه الدنيا
ونعيمها والجنة ونعيمها وفيه اشارة الى حديث قدسى (الدنيا حرام على اهل
الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وكلاهما حرامان على اهل الله تعالى)
والى ان الدنيا والآخرة لاتجتمعان على وجه الكمال ولذاقيل انهما ضرتان
اومثل كفتى الميزان (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من احب دنياه اضر
بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى) وكيف استفهام
انكارى وتدعو من الدعوة وفاعله ضرورة ومفعوله محذوف اى تدعوه
صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورته والدنيا نقيض الآخرة وهى اما ما على
الارض من الهواء والجو واما كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل
الآخرة والاصل فى الدنيا دنوى بدلالة قولهم دنوت الى الشئ دنوا فقلبت
الواوياء ولم تقلب مثل ذلك فى القصوى لانه ذهب بالدنيا مذهب الاسم
فى قولهم الدنيا والآخرة وان كان اصلها صفة فخففت لان الاسم احق
بالتخفيف ثم ان المسموع من العرب فى النسبة الى الدنيا دنيى ودنيوى ومنهم
من شبه الفها بالف بيضاء فى كونهما علامتى التأنيث فقال فيها دناوى
واما الحاق الهمزة بها فلاوجه له لانه اسم مقصور غير مصروف والهمزة
انما تلحق الممدود المنصرف ثم ان الدنيا نصبها بالتنوين غلط لان دنيا وماهو
على وزنها لاينون فان قيل لم سميت الدنيا قلت امالدنوها اى لقربها
الى الآخرة اولقرب مشتهياتها الى القلب اولدناءة تراوخسا ستها ولذا
من اتبع الدنيا يكون خسيسا فان قلت لوقبل النبى عليه الصلوة والسلام
اموال الدنيا وانفقها الى الفقراء هلايكون حسنا من الفقر قلنا لايكون
حسنا لانه لوقبل المال وصرفه الى الفقراء يكون برا ولو لم يقبل لكان ابر
والابر يكون ابر من البر والضمير فى لولاه مرفوع على انه اسم لولا وخبره
محذوف وجوبا اى لولاه موجود وقوله لم تخرج جواب لولا وتخرج اما
على المبنى للفاعل من الخروج او على المبنى للمفعول من الاخراج وعلى كل
تقدير لايخلو من الاشارة الى انه عليه السلام قدبلغ فى السببية الى مرتبة
كأنه عليه الصلوة والسلام اخرجها من العدم ولذا آثر الناظم الفاهم قوله تخرج
على قوله لم تخلق فتأمل وفى هذا البيت تلميح الى مانقل فى الحديث القدسى
(لولاك لما خلقت الافلاك) والمراد من الافلاك جميع المكونات اطلاقا
لاسم الجزء على الكل واشارة الى ماوقع له عليه السلام فى ليلة الاسراء فانه
عليه الصلوة والسلام لما سجد لله تعالى فى سدرة المنتهى قال الله تعالى له

عبارة عن الدار التى هى محل الحيوة
الاولى ولاشك انه اقرب الحيوة
بالنسبة الى الدار الآخرة وقيل الدنيا
ماشغلك عن التقرب الى المولى وخبر
لولا واجب الحذف ان كان اعم العام
مثل موجود اوثابت والافغير جائز
الحذف الابقرينة دالة على خصوصية
قوله لولاه بحذف المضاف الذى هو المبتدأ
اى لولاتقدير وجوده ثابت لم يخرج
الدنيا من العدم الى الوجود عن سعيد بن
المسيب عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام
ان صدق بمحمد وأمر امتك من ادركه
منهم ان يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت
آدم ولولا محمد ماخلقت الجنة والنار
ولقد خلقت العرش فاضطرب فكتبت
عليه لااله الا الله محمد رسول الله فسكن
فمن كانت الدنيا رشحة من فيض ديمه
وقطرة من زواخر بحار نعمه فكيف
تدعو الى الدنيا ضرورة فاقته
وكيف تعت حاجته فى عضد
اصطباره وطاقته والصبر عند الحاجة
مع الوجد ان من خواص من عصم
بعصمة الرحمن

عليه السلام انا وانت وما سوى ذلك خلقته لاجلك فقال عليه السلام انا وانت وماسوى ذلك تركته لاجلك واشارة ايضا الى ان الدنيا تابعة له عليه السلام ولاخافت الاله ولاصحابه فكيف يكونون تابعين لها او مغلوبين لهواها وحاصل معنى البيت ان الدنيا محتاجة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولوكان الرسول محتاجا اليها لدار او تسلسل وكل منهما باطل كما لايخفى على اولى الالباب وذوى الآداب الحمد لله ملهم الصواب واليه المرجع والمآب

(مُحمدٌسيِّدُالكونَينِ وَالثَّقلَينِ * وَالفَرِيقَينِ مِنْ عُربٍ وَمِنْ عَجَمِ)

لما ذكر الرسول الاكرم والنبى المحترم صلى الله عليه وسلم وابهم اسمه الشريف تفخيما له اراد ان يتبرك بذكر اسمه فى قصيدته مع ان الابهام اولا والتفصيل ثانيا اوقع فى النفوس فقال محمد الخ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو اوبالجر على انه بدل من من والاظهر انه مبتدأ وسيد خبره وهو على صيغة اسم المفعول مبالغة من كثرة الحمد ثم نقل من الوصفية الى الاسمية فسمى به النبى عليه السلام لانه محمد وموصوف فى خلقه وخلقه قال القاضى عياض فى الشفاء حمى اسم محمد ولم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده وميلاده عليه السلام ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله تعالى يعلم حيث يجعل رسالته فان قيل لم اختار هذا الاسم من بين اسمائه عليه السلام لانه ذكر البخارى فى شرح الارشاد ان للنبى عليه السلام الف اسم وقيل ثلاثمائة وقيل وتسعة وتسعون قلنا لان هذا الاسم اشهرها وافضلها لانه يفيد المبالغة فى المحمودية وهى تستلزم المبالغة فى الحامدية فيكون هو افضل منها هذا وسيد على وزن جيد اصله سيود وهو بصيغة اسم الفاعل من السيادة بمعنى العلو والرفعة قيل فى تعريفه هو الذى يلجأ اليه الناس فى حوائجهم والمراد من الكونين الدنيا والآخرة او عالم الشهادة وعالم الغيب وتفصيل بان سيادته فى الدارين وان ذكر فى الكتب المفصلة لكن علينا ان نذكره ههنا ايضا اجمالا فنقول اما سيادته فى الدنيا فلانه عليه الصلوة والسلام كان خاتم جميع الانبياء والمرسلين وكان المعراج مخصوصا به دون سائر الانبياء ولانه عليه الصلاة والسلام ارسل الى كافة الثقلين دون سائر الانبياء وارسل الى الجن والملك وبعث رحمة للعالمين حتى الكفار بتأخير العذاب وبلده افضل البلاد ومسجده افضل المساجد والبقعة التى دفن فيها افضل من الكعبة كما سيأتى تفصيله وكذا سيادته

(محمد سيد الكونين والثقلين)
(والفريقين من عرب ومن عجم)
يجوز فيه الجر بالبدل عن من والرفع بالخبرية لمبتدأ محذوف والنصب ايضا للمدح والكون الاول هو الدنيا والثانى هو الآخرة او الاول عالم الشهادة والثانى عالم الغيب والثقلين الجن والانس وهو تخصيص بعد التعميم والفريقين تخصيص آخر تنبيها على شرفهم وفضلهم كما فى ذكر جبريل بعد ذكر الملائكة ومن عرب صفة الفريقين اى الكائنين منهما والعرب بالفتح والضم اسم جنس كذا العجم والمراد من العجم غير العرب كائنا من كان والدليل على انه سيدهما قوله عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم ولا فخر وكنتم خير امة اخرجت للناس وفضله على الثقلين يستفاد من قوله لى مع الله وقت لايسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل وفضله على الكونين يعرف مما اشير به الى تحققه عليه السلام فى مقام الوحدة وبروزه برفع الاثنينية والانسلاخ عن البشرية بخلعة الملكية فى الحضرة العندية الاحدية وهو قوله عز اسمه وشانه ومارميت اذرميت ولكن الله رمى وان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وفى امثال هذه المعانى قيل من لسان حقيقته * وانى وان كنت ابن آدم صورة * فلى فيه معنى شاهد بابوتى * ولولاى لم يوجد ولولاى لم يكن * شهود ولم يعهد عهود بذمتى *

عليه الصلوة والسلام بحسب نوره الروحى مفضل على الجميع ثابت بالآثار وتكاثر الاخبار بل نوره اللطيف اصل انوار جميع الانبياء قال فى المواهب قوله تعالى (واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا) الآية عن على وابن عباس رضى الله تعالى عنهما مابعث الله تعالى نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد عليه الصلوة والسلام وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وفى المواهب ايضا عن عبد الرزاق عن جابر ما اجاله اعلم ان الله تعالى خلق نور نبينا عليه السلام قبل كل شئ فخلق منه القلم واللوح والعرش وحملته والكرسى وسائر الملائكة والسموات والارض والجنة والنار وايضا نور ابصار المؤمنين ونور قلوبهم ونور انفسهم واما سيادته فى الآخرة فلما ذكره القرطبى ان الزبانية يأتون بجهنم يوم القيمة وهى تمشى على اربع قوائم وتقاد بسبعين الف زمام فى كل زمام سبعون الف حلقة على كل حلقة سبعون الف ملك فاذا انفلتت من ايديهم لم يقدروا على امساكهم لعظم شأنهم فيجثو كل من فى الموقف على الركب حتى المرسلين ويتعلق ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بقوائم العرش وهذا قد نسى الذبيح وهذا قد نسى هرون وهذا قد نسى مريم عليهم الصلوة والسلام قائلين نفسى نفسى لااسئلك اليوم غيرها ومحمد عليه السلام يقول امتى امتى سلمها ونجها يارب فيقوم عليه الصلوة والسلام ويأخذ بخطامها ويقول ارجعى مدحورة الى خلفك فتقول خل سبيلى فانك يا محمد حرام على فينادى من سرادقات العرش اسمعى واطيعى له ثم تجذب وتجعل شمال العرش فخف وجل اهل الموقف وقوله والثقلين عطف على الكونين من قبيل عطف الخاص على العام ونكتته دفع قول من قال انه عليه السلام رسول الى الانس لا الى الجن فالمراد من الثقلين الانس والجن لكونهما ثقيلين على الارض فان قيل ان الجن ليس له ثقل فكيف يطلق عليه الثقل قلت اطلاق الثقل عليه تغليب من تغليب الثقيل على الخفيف ثم ان عطف قوله والفريقين مع دخوله فيما سبق مرتين لنكتة الرد على من خص رسالته عليه السلام بالعرب دون العجم وانما بين الفريقين بقوله من عرب ومن عجم دون الكونين والثقلين لان الكونين والثقلين معلوم فى عرفنا فلا يحتاج الى البيان بخلاف الفريقين وعرب كقفل بمعنى العرب وهو خلاف العجم والعرب مؤنث بتأويل الطائفة يقال العرب العاربة والعرب العرباء وبعضهم خصص العرب بمن سكن فى بلادهم وبعضهم جعله شاملا للبلدى والبدوى وهو

المراد هنا قال في البصائر ان الاعراب ليس جمع عرب كما توهم لانه لم يكن لها مفرد لكن قال الراغب في مفرداته انه جمع عرب وفي مصباح اللغة ان عرب يجمع على اعرب كزمن وازمن وعلى عرب كاسد واسد انتهى والمراد من العجم ماسوى العرب فيشتمل الترك والكرد والفرس والروم والهند وغير ذلك واعادة حرف الجر لضرورة الوزن

(نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلَا اَحَدٌ * اَبَرَّ فِي قَوْلِ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ)

لما كان معنى السيد مشتبها اراد ان يبينه فقال نبينا الآمر الناهي الخ لان المراد من السيد المولى الكريم الرفيع ومثل هذا يأمر وينهى لانه لازمه والنبي من النبأ بمعنى الخبران كان مهموزا او بمعنى الارتفاع ان لم يكن مهموزا وفي الاصطلاح انسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ ما اوحى اليه والنبي مرادف للرسول على ماحكى ابن الهمام عن المحققين وقيل الرسول هو المأمور بتبليغ امر لم يكن قبله سواء كان له كتاب ام لا والنبي اعم من ذلك وتفصيل الكلام في كتب الكلام فان قلت لم آثر النبي على الرسول مع عدم الضرورة لوزن النظم فيه ايضا وان منصب الرسالة افضل من النبوة قلت امالان عند الناظم الفاهم الرسول والنبي مترادفان فلا افضلية لاحدهما على الآخر واما لايهام انه لولا جهة الرسالة فيه عليه السلام لكفت جهة النبوة في الافضلية واما لان في معنى النبي الارتفاع دون الرسول فالنبي اولى للمقام لان المقام تفسير السيد وهو بمعنى المرتفع كما سبق فالمناسب تعريفه بما في معناه الارتفاع هذا والامر من يخاطب الى من دونه بما آل صيغة افعل والناهي من يخاطب بصيغة لا تفعل واطلاق الآمر والناهي على الرسول عليه الصلوة والسلام اما حقيقة كما دل عليه آيات كثيرة كقوله تعالى (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) وغير ذلك وهو الاصوب واما مجاز في الاسناد اي في اسناد الآمر والناهي الى الرسول عليه الصلوة والسلام لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله تعالى والرسول مبلغ وما قال الرسول عنده فهو ايضا من عند الله تعالى لانه عليه الصلوة والسلام ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وحذف مفعول آمر وناه للتعميم اي كل معروف في الاول وكل منكر في الثاني ومن قال ان حذف مفعوله للتعميم باطل لافادته انه آمر بكل شيء فهو يشمل النواهي وناه عن كل شيء فهو يشمل الاوامر فهو غافل عن مادة الامر ومادة النهي لان الامر يقتضى ان يكون مفعوله كل معروف لا كل شيء لان الامر بجملته لا يتعلق بالنهي وكذا مادة النهي تقتضى ان يكون مفعوله كل منكر لان النهي

(لا يتعلق)

(نبينا الآمر الناهي فلا احد)
(ابر في قول لا منه ولا نعم)
اما صفة محمد وكذا الآمر الناهي اوخبر مبتدأ محذوف والآمر الناهي صفة له او خبران بعد خبر النبي فعيل من النبأ بمعنى المنبئ كالنذير بمعنى المنذر والرسول فعول من الرسالة بمعنى اسم المفعول من ارسل وفي اصطلاح اهل الشرع النبي من اوحي اليه سواء انزل اليه كتاب اولا وفيهما عموم وخصوص مطلق وانما ترك متعلق الامر والنهي ليعم اي بكل معروف وعن كل منكر وفرقوا بين قولنا لارجل في الدار بالتنوين وبين قولنا لارجل بغير التنوين فان الثاني قطعي في الاستغراق لتضمنها من الاستغراقية وهذا هو السبب للبناء والاول غير قطعي حتى يجوز في الاول بل رجلان لا في الثاني بخلاف لفظ احد فانه

لا يتعلق بالامر كما لا يخفى والفاء في قوله فلا احد للجزاء اي اذا كان محمد سيد الكونين ونبينا الآمر الناهي فلا احد والاحد اتفق النحاة واهل اللغة على انه مشترك بين معنيين احدهما بمعنى الواحد نصف الاثنين والثاني جنس العقلاء من الاقل الى غير النهاية والاول فاؤه همزة مبدلة من واو والثاني همزته اصلية غير مبدلة منها وهذا مما شاع وذاع الا انه اشكل عليهم بان اللفظين صورتهما ومادتهما واحدة ولفظ الوحدة يتناولها والواو فيهما اصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها وان يكونا مشتقين من الوحدة اما جعل احدهما مشتقا منها دون الآخر فترجيح من غير مرجح واجيب بان الفرق المذكور اشار اليه سيبويه في الكتاب وغيره وما قولكم لفظهما واحد مادة وصورة فسلم ولكن لانسلم ان اتحاد لفظيهما يدل على اتحاد معنييهما لم لا يجوز ان يكون معناهما متغايرين وله نظائر كثيرة كقلى فهو قال بمعنى ابغض وقلا فهو قال بمعنى شوى ونضج وايضا ان الذي بمعنى الواحد ليس بعام ويكون في النفي والاثبات ويطلق على العقلاء وغيرهم ولا يكون بمعنى الجماعة والثاني يختص بالنفي خلافا للمبرد ويختص بالعقلاء ويجيء بمعنى الجماعة ويعم والاول لايعم والتفصيل في رسالة مستقلة للشهاب في حق كلمة احد فان اردت فارجع اليها قوله ابر اسم تفضيل من البر بمعنى الصدق في الكلام كما يفيد هذا المعنى سياقه وفي قوله في قول لا متعلق بابر اي في قوله لا ولا كناية عن النفي وقوله ولا نعم عطف على لا اي اصدق منه ايضا في قوله نعم وهو كناية عن الاثبات ولم يكن لا ونعم كناية عن عدم اعطائه عليه السلام واعطائه لانه عليه الصلوة والسلام ماسئل عن شيء قط الا قال نعم كما قال بعض الكمل في شانه عليه الصلوة والسلام

* ما قال لا قط الا في تشهده * ولا نعم قط الا جاءت النعم *

وحاصل معنى البيت سيدنا ونبينا محمد عليه السلام هو الآمر بما هو مأمور من عند الله من العقائد الرضية والاعمال السنية والناهي عن الامور الدنية والافعال الردية وهو في كل اخباره صادق وفي تكميل الناقصين حاذق فلا احد اصدق منه في النفي والاثبات ولا احق منه في الوعد والوعيد وسائر الحالات لانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وكان صدقه بديهيا ومسلما عند الخصم والكفار كما قال الله الملك الجبار (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) اللهم اجعلنا رفيقا للصديقين والشهداء والصالحين آمين

(هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ * لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْاَهْوَالِ مُقْتَحَمِ)

في الصورتين قطعي في الاستغراق بخلاف لا واحد فانه مثل لارجل والفاء في فلا اما لمجرد العطف على جملة هو نبينا او يكون مع العطف نتيجة لما سبق يعني لما تقرر انه سيد الانبياء كان شريعته اقوام الشرائع وابرافعل التفضيل من برفي الحديث صدق وفي ومنه يتعلقان به والمراد من لا ونعم اما الايجاب والتحريم او القبول والرد او التخلي والتحلي وكيف يكون احد ابر منه في قول من الاقوال * والحال ان جميع الفضل والكمال * انما افيض عليهم من وجود جوده الفياض (هو الحبيب الذي ترجى شفاعته) (لكل هول من الاهوال مقتحم) الحبيب فعيل بمعنى مفعول من حبه الشفاعة طلب العفو او الفضل للغير من الغير وقيل طلب الخير للغير من الغير فطلب ترك الظلم شفاعة على الثاني دون الاول هاله خوفه والهول مصدر اما بمعنى الهائل او المهول اي الامر الصعب اقتحم في الامر والشيء

لما كان كونه عليه السلام سيد جميع الانام نظريا عند بعض الاقوام اراد ان يثبته بدليل فى غاية الاحكام فقال هو الحبيب الذى الخ اى لانه هو الحبيب الذى فيمكن ان يرتب ههنا قياس تقريره هكذا محمد سيد الكونين والثقلين لان محمدا هو الحبيب الذى يرجو كل الناس شفاعته وكل من شانه كذا فهو سيد الكونين والثقلين فينتج المطلوب ثم اعلم ان جملة هو الحبيب صفة بعد صفة لمحمد واورد ضمير الفصل ليدل على الحصر وهو مبتدأ راجع اليه عليه السلام والحبيب بالرفع خبره وتعريف الخبر باللام لافادة قصره على المبتدأ فان قلت كيف يجوز حصر الحبيبية فيه عليه السلام مع ان ابراهيم عليه السلام خليل الله تعالى بل كل من اتبع الرسول فهو محبوب الله تعالى كما يدل عليه قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وما اجيب عن هذا السؤال من ان الحصر هذا اضافى يعنى بالنسبة الى بعض الانبياء فيرده المقام اذهو لايناسب المقام لانه مقام المدح فيقتضى المبالغة والحق فى الجواب ان الحصر فى هذا الباب حقيقى ويجوز ذلك الحصر فيه عليه السلام وما اوردتم من ان ابراهيم عليه السلام خليله لايضر الحصر لانه فرق جلى بين الحبيب والخليل من وجوه لان الخليل فعيل بمعنى الفاعل مسند الى ابراهيم عليه السلام فى قوله تع «واتخذ الله ابراهيم خليلا» واما الحبيب فيحتمل ان يكون بمعنى فاعل او مفعول ولاشك ان نسبة المفعولية اتم من نسبة الفاعلية فى المرام اذ يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد ولا يقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله لما فيه من ايهام ان يكون مأخوذا من الخلة التى هى الحاجة والثانى ان الخليل يصل الى من اتخذه بالواسطة والحبيب يصل اليه بذاته بلا واسطة والثالث ان الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع كما قال ابراهيم عليه السلام والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى والحبيب هو الذى مغفرته فى حد اليقين كما قال تعالى (ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر) والرابع ان الخليل من اعطى بسؤال والحبيب هو الذى اعطى بلا سؤال فالحبيبية بهذه المعانى المذكورة مقصورة على نبينا عليه السلام دون غيره من الانبياء فكيف سائر الناس ويمكن الجواب بان يقال ان حصر الحبيبية حقيقى لكن مع مابعده اى مع قوله الذى ترجى شفاعته لان الشفاعة العامة خاصة نبينا عليه السلام دون غيره ولذا روى ان الامام الغزالى قال كنت فى ليلة خارج البلدة واطلعت بالمكاشفة على ان اهل تلك البلدة كلهم نائمون فى ذلك الوقت ولم يكن احد منهم فى عبادة ربه وطاعة خالقه فقلت فى نفسى لو كنت قادرا على احراق اهل هذه

اذا دخل فيه بشدة وامعان والمراد مقتحم فيه اى مدخول فيه وهو صفة هول اى لكل خطب يقع الانسان فيه واللام متعلق بترجى او بشفاعته اى لدفع او لوقت كل هول ومن الاهوال صفة هول جمعه ليشمل الدنيوية والاخروية قوله هو الحبيب من قبيل حصر حقيقى لا كما فى قولك زيد هو المنطلق وكونه حبيبا ثبت بدلالة الكتاب وعبارة الحديث اما الكتاب فقد استفاد صاحب الكشاف كونه حبيب الله من قوله تعالى (ما ودعك ربك وماقلى) وجه الاستفادة ان لكل احد مع من يعرفه احد الاحوال الثلث اما التوديع واما القلى اما المحبة فلما نفى الاولان بقى الثالث وهو كونه حبيب الله هذا ولكن الآية الكريمة تدل على الودادة والخلة لا على صريح المحبة فالاحسن ان يستفاد كونه

البلدة لاحرقتها كلها لتركهم عبادة ربهم ثم تأملت ان احراق العباد مختص بالله تعالى فندمت ورجعت عن هذا القول فقلت لو كنت شافعا لشفعت لهم كلهم عامة ثم تأملت ان الشفاعة العامة مقصورة على نبينا عليه السلام فاذا جاء نداء من هاتف يقول ياشيخ لولم ترجع عن هذا القول ايضا لانزلتك الى قعر الارض ومحوتك من دفاتر الاولياء وقوله الذى ترجى شفاعته صفة الحبيب وترجى من الرجاء بمعنى الطلب قال بعض الفضلاء الرجاء بالمد الطمع ويرادفه الامل والفرق بينه وبين الرجاء بمعنى الخوف بالاستعمال اذ الاول يستعمل فى الايجاب والنفى كقوله تعالى (وترجون من الله مالا يرجون) والثانى فى النفى فقط فان قيل ما الفرق بين الرجاء والتمنى قلت قال ابن الجوزى الرجاء الطمع فيما يمكن حصوله بخلاف التمنى وقيل الرجاء مختص بالطمع فى الممكن والتمنى عام وهو على صيغة المبنى للمفعول وانما ترك فاعله ليعلم ان شفاعته عليه السلام يرجوها كل احد من الانام والشفاعة هى طلب العفو والفضل من الغير الى الغير وشفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام ثابتة بالاخبار والاحاديث الصحيحة مذكورة فى كتب الاحاديث قال المحقق الدوانى انه عليه السلام يشفع لجميع الانس والجن الا ان شفاعته للكفار لتعجيل فصل القضاء فتخفف عنهم اهوال يوم القيامة وللمؤمنين للعفو ورفع الدرجات فشفاعته عامة لقوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) قال فى المواهب الشفاعات خمس الاولى فى الاراحة من هول الموقف وهى اعظمها واعمها والثانية فى ادخال قوم الجنة بغير حساب والثالثة فيمن استوجب النار والرابعة فى اخراج من دخل النار والخامسة فى رفع الدرجات وزاد السيوطى سادسة هى فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار وزاد فى المواهب ايضا سابعة وهى لاهل المدينة خاصة وقوله لكل هول من الاهوال مقتحم متعلق بترجى او بشفاعته واللام فى لكل بمعنى فى كما فى قوله تعالى (ياليتنى قدمت لحياتى) او للتوقيت كما فى قوله (اقم الصلوة لدلوك الشمس) او فيه حذف مضاف اى لدفع كل هول والهول الشدة والمصيبة واضافة الكل اليه تفيد العموم اى كل بلية والمراد بلايا الآخرة بقرينة الشفاعة او المراد بلايا الدارين كما يفيده قوله من الاهوال لانه عليه الصلوة والسلام دفع ببركة وجوده فى الدنيا المسخ والخسف والاستيصال واخر العذاب ومقتحم من الاقتحام اما على صيغة اسم الفاعل اى بلية داخلة بين الناس واما اسم مفعول اى فى كل بلية مقتحم فيها ثم اعلم ان هذا البيت اول ابيات المناجات واجابة الدعاء فمن كان له حاجة دنيوية او اخروية فليقرأ هذا البيت فى مجلس واحد الفا

حبيب الله من قوله سبحانه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) لانه لما نال من اتبعه لشرف اتباعه مرتبة محبوبية الاله فهو احرى بان ينال درجة كونه حبيب الله وهذا كما استدل على كونه خير الانبياء والرسل من قوله تع (كنتم خير امة اخرجت للناس) واما الحديث فهو ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم فسمعهم يتذاكرون قال بعضهم ان الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كليم الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولافخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة تحته آدم ومن دونه ولافخر وانا اول شافع وانا اول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله تعالى فيدخلنيها مع فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين على الله تعالى ولافخر ولما كان فى هذا الحديث ذكر كونه حبيب الله مشفوعا بكونه شافعا مشفعا نظم الناظم رحمه الله كونه شفيعا فى سلك كونه حبيبا

وواحدة فان الله تعالى يقبل دعاه ويقضى حاجته بلاتخلف ان شاء الله تعالى قال المولى ابوسعيد الخادمى ان هذا البيت كان ترياقا لكل حاجتى وقال استاذنا طول الله بقاه وانال ماتمناه انه كان استاذنا الشهير بالحاج عثمان افندى الاقشهرى مفتيا فى بلدة قيصر فنزل منها يوما فكان محزونا ومتكدرا واشتهى ان يكون مفتيا ايضا فدعانى مع اثنين من شركائى الى بيته فقرأنا هذا البيت الفا وواحدة فى مجلس بلاتكلم فى اثنائه فبعد زمان قليل ظهر منشوره لافتائه

دَعَا اِلَى اللهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ * مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

لما قصر كمال الحبيبة عليه عليه السلام وكان ذلك صغرى للقياس المقدم وكانت تلك الصغرى نظرية اثبتها بهذا البيت فقال دعا الى الله الخ فانه وان لم يكن فى صورة الدليل لكنه دليل حقيقة لان الدليل والعلة اما تصريحى وهو ما كان مصورا فى اللفظ او التقدير باذا وباللام او بالفاء واما تلويحى بان يكون صفة او حالا او غير ذلك وههنا كذلك فيمكن ان يرتب هنا قياس تقريره هذا محمد هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لان محمدا دعا الى الله تعالى فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم وكل من شانه كذا فهو الحبيب الذى ترجى شفاعته ينتج المطلوب ثم ان دعا من الدعوة ودعوته عليه الصلوة والسلام كانت الى جميع ذى نطق من العرب والعجم واهل الكتاب والمجوس والوثنى والجن وغير ذلك ولاجل هذا التعميم حذف الناظم الفاهم مفعول دعا وكذا آثر دعا على هدى لاجل هذا التعميم فان قيل ما الفرق بين الارشاد والدعوة قلت ان الارشاد انما يستعمل فى الاولياء والدعوة فى الانبياء وفى الى الله حذف مضاف اى الى دين الله او الى عبادة الله تعالى او الى شرع الله تعالى وقوله فالمستمسكون به الفاء تفريعية اى اذا كان داعيا الى الله تعالى فالمستمسكون آه وهو من الاستمساك بمعنى التمسك والاخذ باليد وبه متعلق بمستمسكون والضمير راجع اليه عليه الصلاة والسلام لكن المراد شرعه عليه الصلوة والسلام او ما بلغه ففى ضمير به استخدام لانه اريد بالمرجع معنى والضمير الراجع اليه معنى آخر لكن الاول حقيقة والثانى مجاز وبعد هذا يكون فى هذا المقام استعارة مكنية بان شبه الشرع بالحبل الممدود من الله تعالى الى العباد فى كونه موصلا الى المقصود كما ان ذلك الحبل لو استمسك به احد فذهب يصل الى الله تعالى كذلك الشرع الشريف ثم استعير الحبل فى الذهن لمفهوم الشرع ثم ذكر الشرع فى الخارج اعنى تقديرا واريد هو ايضا وذكر الاستمساك وهو ملائم المشبه به واريد الشريعة فعلى هذا يكون

(دعا الى الله فالمستمسكون به)
(مستمسكون بحبل غير منفصم)
دعى اليه طلبه اليه والله اسم للذات واجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال ومفعول دعا محذوف اى كل احد كما فى قوله تع (والله يدعو الى دار السلام) والفاء للنتيجة استمسك به تمسك والمراد من الحبل الرسول لانه الواسطة فى وصول الخيرات * والرابطة فى وصول الكمالات * او القرآن كما جاء فى الحديث فى حقه * هو حبل الله المتين ونوره المبين * وفيه تلميح الى قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله) الفصم بالفاء القطع بغير الفصل والقصم بالقاف بالفصل ومطاوعهما انفعل منهما والبيت استيناف مسرود على نمط التعديد كما فى قوله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) ولهذا ترك العاطف فى قوله

المستمسكون ترشيحا لهذه الاستعارة فيكون باقيا على حقيقته على مذهب ومجازا واستعارة تبعية على مذهب آخر بان يشبه الاطاعة بالاستمساك فى الايصال الى المطلوب ثم استعير الاستمساك لمفهوم الاطاعة فذكر الاستمساك واريد الاطاعة ثم اشتق من الاستمساك مستمسكون ومن الاطاعة مطيعون فشبه مطيعون بمستمسكون فاستعير المستمسكون لمفهوم المطيعون فذكر مستمسكون واريد المطيعون ثم غير منفصم ترشيح على الترشيح وكلما ازداد ترشيح الاستعارة زاد حسنها ومنفصم اسم فاعل من الانفصام بمعنى القطع من غير فصل واما الانقصام بالقاف فهو القطع بفرق وفصل ثم اعلم ان فى اول هذا البيت تلميحا الى قوله تعالى (ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه) والى قوله تعالى (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله) الآية وفى المصراع اقتباس من قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا) وفى هذا البيت اشارة ايضا الى قوله عليه السلام * من تمسك بسنتى عند فساد امتى فله اجر مائة شهيد * كما لايخفى على من القى السمع وهو شهيد

(فَاقَ النَّبِيِّينَ فِى خَلْقٍ وَفِى خُلُقٍ * وَلَمْ يُدَانُوهُ فِى عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ)

فلما ورد النقض على البيت الاول الذى قد كان دليلا لدعوى حصر الحبيبة عليه عليه السلام من ان دليلك هذا اى قولك دعا الى الله الى آخر البيت جاز ايضا فى سائر النبيين مع ان المدعى متخلف عنه اراد ان يثبت دعواه بدليل آخر قوى فانتقل اليه فقال فاق النبيين الى آخره فتقرير قياسه هكذا محمد هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لان محمدا فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم وكل من شانه كذا فهو الحبيب الذى ترجى شفاعته فينتج المطلوب ثم ان فاق بمعنى رجح وزاد عليه فى الرفعة وهو من الفوق والفوق والتفوق حقيقتهما ان يستعملا فى الرفعة المكانية لكن استعمل ههنا فى الرفعة الرتبية مجازا واستعارة تبعية بان شبه علو القدر ورفعة المرتبة بالتفوق المكانى فى الرفعة المطلقة ثم استعير التفوق المكانى للعلو القدرى ثم ذكر التفوق المكانى واريد العلو القدرى وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من العلو القدرى علا ومن التفوق المكانى فاق فشبه علا بفاق بواسطة العلاقة التى فى مصدر هما ثم استعير فاق لمفهوم علا فذكر فاق واريد علا ويمكن ان يراد حقيقة التفوق فتبصر والنبيين جمع نبى وهو بالنصب مفعول فاق والخلق بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام فى اللغة بمعنى التقدير والايجاد وهنا بمعنى المفعول والمراد الكمالات الظاهرة من حسن

(فاق النبيين فى خلق وفى خلق)
(ولم يدانوه فى علم ولا كرم)
فاقه وعليه زاد فى شئ من الفوق الخلق فى الذات والخلق فى الصفات او المراد من الاول الكمالات الظاهرة ومن الثانى الكمالات الباطنة ولم يدانوه لم يقربوا منه وبيان خلقه وخلقه وعلمه وكرمه قد اشير اليه فى بعض الآيات وورد فى الاخبار الثابتة من الثقات والاصل فى جميع ذلك قوله تع (وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) وتوضيحه ان الله تع فضل الانبياء

الصورة وتناسب الاعضاء والاشكال والالوان واعتدال الاطراف والخلق
بضم الخاء واللام جمع خلق بمعنى الطبيعة الحسنة والمراد الكمالات الباطنة
واعتدال قوى النفس وانما افرد الاول وجمع الثانى اشارة الى ان الاخلاق
كثيرة والخلق واحد اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفوقه على سائر
الانبياء فى ابتداء الخلق والحسن والكمال والخصال الحميدة من الجلال والجمال
وفقك الله تعالى واياناً فى كل حال ان نبينا عليه الصلاة والسلام افضل الانبياء
بالآيات والاحاديث اما الآيات فكما قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض) قال اهل التفسير المراد به محمد عليه السلام كما قال تعالى فى مقام
آخر (وكان فضل الله عليك عظيما) وقال ايضا (ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات) قال اهل التفسير اراد به محمدا عليه السلام واما الاحاديث (فكقوله
عليه السلام (انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر) وقوله عليه السلام (انا سيد
ولد آدم ولا فخر) وقوله عليه السلام (انا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله
ولا فخر) وكرواية عائشة رضى الله عنها انها قالت قال عليه السلام (اتانى جبرائيل
فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد عليه السلام
اما بيان فضيلته فى ابتداء خلقه عليه السلام فيكفيك قوله عليه السلام
(كنت نبيا وآدم بين الجسد والروح) وقوله عليه السلام (كنت اول الانبياء
فى الخلق وآخرهم فى البعث) وقول العلماء فى تفسير قوله تعالى (واذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما آتيتكم) الآية ان الله تعالى اخذ الميثاق والعهد على كل
من النبيين لئن بعث محمد عليه السلام وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه كما سبق
فنبينا عليه السلام كان نبيا لجميع الانبياء تقديرا واما بيان فضيلته عليه السلام
على سائر الانبياء فى الحسن والجمال والبهجة والكمال فمستفاد من اشارة قوله
تعالى (والضحى والليل اذا سجى) حيث استعير الضحى من وجهه عليه السلام
والليل من صدغه عليه السلام وكفاك شاهدا حديث انس انه قال قال
عليه السلام (مابعث الله نبيا الا حسن الوجه وحسن الصوت وكان نبيكم
احسنهم وجها واحسنهم صوتا) وقوله عليه السلام حين سئل عن حسن
يوسف وحسنه عليه السلام (انا املح) واما بيان فضيلته عليه السلام عليهم
فى الاخلاق المرضية فيكفيك قوله تعالى فى شانه عليه السلام (انك لعلى
خلق عظيم) حيث حصر الله تعالى الخلق العظيم فيه عليه السلام دون
غيره وقوله عليه السلام فيما رواه احمد ومالك فى الموطأ (بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق) وحيث اشار فى هذا البيت الى ان الانبياء عليهم السلام كانوا
موسومين بالاخلاق المرضية لكنه عليه السلام كان جامعا لجميع الاخلاق

بعضهم على بعض فاعطى لكل نبى فضلا
ثم جمع الفضل كله وزاد عليه حتى
صار فضلا عظيما ثم اومى الى حسن
خلقه وجمال طلعته بقوله (والضحى
والليل اذا سجى) حيث استعار الضحى
من وجهه البهى والليل من صدغه
الذكى واقسم بهما على مانص عليه
بعض اهل التفسير * وكفاك شاهدا
قوله عليه السلام (انا املح) وحسبك
فى عظمة خلقه (وانك لعلى خلق عظيم)
ودليل على انه من الجميع اعلم قوله تع
(وعلمك مالم تكن تعلم) وزيادة شرفه (الم
نشرح لك صدرك) وناهيك فى كونه اكرم
من ارباب الجود والكرم قوله (انا اكرم
ولد آدم) صلوات الله وسلامه عليه فى
كل وقت وحين *

العلية ومشتملا على الاحوال السنية بحيث لايتصور فوقه كمال فان قلت
قد ورد النهى عن تفضيل بعض الانبياء على بعض وعن تفضيله عليه الصلاة
والسلام على غيره من الانبياء حيث قال عليه السلام فى حديث (لا تفضلوا
بين الانبياء) وفى حديث آخر (لا تفضلونى على يونس ابن متى) فكيف يصح
من الناظم الفاهم هذا البيت مع مابعده قلت ان للعلماء فى هذه الاحاديث
تأويلات الاول ان لايفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقيص بعضهم عن
بعض الثانى منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد
واحد اذهى شئ واحد لا تفاضل فيها وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها
ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا العزم من الرسل قال الله تعالى (ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض) والثالث انه عليه السلام نهى عن تفضيله على
غيره قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم والرابع انه نهيه عليه السلام كان على
طريق التواضع وتحرزا عن العجب والتفصيل فى الكتب المطولة ثم قوله
ولم يدانوه فى علم ولا كرم الواو استيناف كأنه قيل فهل فاق عليهم فى اخلاق العلم
والكرم مع كونهما اعظمها واشرفها فقال مبالغة ولم يدانوه اى لم
تقاربه عليه السلام الانبياء عليهم السلام فى العلم والكرم ولا تتوهمن
من ظاهر هذا الكلام انهم لايعلمون ويجوز عليهم اطلاق الجهل لانه
يؤدى الى نسبة النقص والبله والغفلة اليهم عليهم السلام وانهم منزهون
عنه وعن الجهل فيما يلزم لهم نعم يجوز ان يقال انه عليه السلام كان اعلم
منهم ببعض الامور كامور الآخرة واشراط الساعة واحوال السعداء
والاشقياء وعلم ما كان ومايكون ثم اعلم ان بيان علمه ثابت بقوله تعالى (وعلمك
مالم تكن تعلم) وبقوله عليه السلام (انا مدينة العلم) الحديث وغير ذلك ثم
ان تفوقه فى الكرم ايضا ثابت بقوله تعالى على ماذكره بعض المفسرين (انه
لقول رسول كريم) وبقوله عليه السلام * وانا اكرم ولد آدم ولا فخر * وسيأتى
بيان بعض ماوقع من كرمه عليه السلام وهذا ثانى الابيات التى تمايل فيها
النبى عليه السلام عند قرائة الناظم الفاهم فى رؤياه عليه السلام فينبغى
لقارئ هذه القصيدة ان يكرره عند قرائته لكن يلزم ان يكرره وترا

(وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ * غَرْفاً مِنَ الْبَحْرِ اَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ)

لما توهم ان يرد على البيت الاول شبهة المجاز او غيره اراد ان يدفعه فقال تأكيدا
وكلهم من رسول الله الخ الواو اما للعطف او للابتداء لكن الثانى اولى كما
لايخفى ولفظة كل مأخوذة من الاكليل الذى هو المحيط بجوانب الرأس
فلذلك توجب الاحاطة وهو من الاسماء الملازمة للاضافة ولهذا لاتدخل

(وكلهم من رسول الله ملتمس)
(غرفا من البحر اورشفا من الديم)
معطوف على البيت السابق والكل
اما افرادى بحذف المضاف اليه اى
واحد او مجموعى وافراد اخبره باعتبار
اللفظ وفى لفظ ملتمس نوع رعاية للادب
مع الانبياء فان الالتماس يستعمل بين
المتقاربين بخلاف السؤال ومن متعلق به
قدمه للتخصيص اى لامن غيره غرف
الماء بيده واغترف منه اخذ منه ملأ
كفه غرفا والرشف المص الديمة
المطر المتصل وقوله غرفا اورشفا
اما مفعول للملتمس والالف واللام
فى البحر او الديم بدل من المضاف اليه
اى من بحره وهو سره وقلبه وباطنه
ومن ديمه اى اضافته فيكون معناه
انهم ملتمسون منه فى كل امر واما
حالان بمعنى اسم الفاعل اى غارفين
اوراشفين اى ملتمسون منه المطالب
والمقاصد فى كل حال مع كونهم اكملين
اوكاملين وقوله من البحر * يجوز ان
يكون بدلا من قوله من رسول الله فيكون
من البحر مجازا للعلوم والديم الفياضة
ومن شانه الافاضة ومن الانبياء *
الافاضة عليه وعليهم السلام *

الاعلى الاسماء اذ الاضافة من خصائص الاسم قال الاصوليون ان لفظ كل اذا اضيف الى معرفة يوجب احاطة الاجزاء واذا اضيف الى نكرة يوجب احاطة الافراد فيصح قول الرجل كل التفاح حامض اى جميع اجزائه ولا يصح كل تفاح حامض لحلو البعض منه وضمير الجمع راجع الى النبيين ومن رسول الله متعلق بملتمس قدم للوزن وللحصر اى منه دون غيره من الانبياء فان قلت لم اظهر فى مقام الاضمار قلت للتنبيه على وصفه العظيم لان الرسالة صفة عظيمة فى غاية العظمة لا يقال لا يستفاد من قوله من رسول الله ان الانبياء ملتمسون من نبينا عليه الصلوة والسلام اذ الرسل على ماروى عنه عليه السلام ثلثمائة وثلاثة عشر لانا نقول المقام قرينة على ان المراد منه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على انهم قالوا كلما ذكر لفظ رسول الله فى كتب هذه الامة فالمراد نبينا دون غيره وله جواب آخر فتأمل وقوله ملتمس خبر المبتدأ اعنى كلهم والضمير فيه راجع الى الكل باعتبار لفظه والاولى ان تكون العبارة ملتمسون الفرق بين السؤال والالتماس والامر ان طلب الادنى من الاعلى سؤال ودعاء وطلب المساوى من المساوى التماس وطلب الاعلى من الادنى امر وانما اختار الالتماس لرعاية الادب فى حق الانبياء وقوله غرفا من البحر ورشفا من الديم غرفا بالنصب مفعول ملتمس والغرف بفتح الغين المعجمة وسكون الراء اخذ الماء بالىدملئ الكف ومن البحر متعلق بغرفا والمراد من البحر اخلاقه عليه الصلوة والسلام ففيه استعارة مصرحة حيث شبه اخلاقه الباطنية بالبحر فى الكثرة والوفرة وعدم الاختلاط بشئ قليل ثم استعير البحر لخلقه عليه السلام فذكر البحر واريد منه اخلاقه عليه السلام واثبات الغرف ترشيح لها وفى الترشيح ايضا استعارة بان يشبه اخلاق الانبياء بغرفة من البحر فى القلة بالنسبة اليه عليه السلام فاستعير الغرفة لاخلاقهم عليهم السلام فذكر الغرفة واريد اخلاقهم واو فى رشفا بمعنى الواو الواصلة والرشف اخذ الماء بالفم اى الجرعة من الماء ومن الديم متعلق برشفا ويجوز ان يكون كل من البحر ومن الديم حالا او صفة والديم جمع ديمة وهو مطر ينزل بسكون بلا رعد ولا برق ويدوم واقله ثلث النهار او ثلث الليل واكثره يوما وليلة والياء فى لفظة ديمة بدل من الواو لان اصله دومة من الدوام فان قلت لم خص الغرف بالبحر والرشف بالديم قلت للاشارة الى ان ماء البحر لا يشرب لكونه مرا بل يجوز استعماله للوضوء والغسل وغير ذلك بخلاف ماء المطر فانه يشرب للطافته بل هو الذ من جميع ماء العيون وفى الديم والرشف استعارة كما فى البحر والغرف لكن المراد من البحر علمه عليه الصلوة والسلام ومن الديم كرمه فتذكر وانما افرد

البحر وجمع الديم اشارة الى ان البحر اسم جنس يطلق على الصغير والكبير بخلاف الديمة وحاصل معنى البيت ان جميع الانبياء وكل واحد منهم طلبوا واخذوا العلم من علمه عليه الصلوة والسلام الذى هو كالبحر فى السعة والكرم من كرمه عليه السلام الذى هو كالديم لانه عليه السلام مفيض وانهم مستفاضون لانه تعالى خلق ابتداء روحه عليه السلام ووضع علوم الانبياء وعلم ما كان وما يكون فيه ثم خلقهم فاخذوا علومهم منه عليه السلام او المراد انه تعالى لما خلق نور محمد قبل الاشياء خلق اللوح والقلم والسموات والارضين والعرش والكرسى والملائكة والجنة والنار وارواح الانبياء والمؤمنين ونور قلوبهم ونور انفسهم من نوره عليه السلام فعلم الانبياء كان كنقطة بالنسبة الى ما فى اللوح والقلم مخلوقان من نوره عليه السلام فيكون علمهم نقطة من علمه عليه السلام كما لا يخفى ثم اعلم ان هذا البيت ثالث الابيات التى تمايل فيها النبى عليه السلام فيلزم لقارئه ان يكرره بشرط كونه وترا

(وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ * مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ اَوْمِنْ شَكْلَةِ الْحِكَمِ)

وهذا البيت تأكيد آخر لما قبله آكد من الاول وابلغ فى مدحه عليه السلام وتفوقه على سائر الانبياء والواو للعطف او للحال وواقفون خبر بعد خبر للمبتدأ اعنى قوله كلهم وقد جمع الناظم الفاهم بين اللغتين حيث افرد الخبر اولا وجمعه ثانيا وواقفون بمعنى مطلعون فمفعوله الثانى محذوف اى مطلعون شيئا ولدى بمعنى عند وضميره راجع اليه عليه السلام وفى لدى ثمان لغات الاولى لدى بالالف المقصورة والثانية لدن بفتح اللام وضم الدال وسكون النون والثالثة لدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون والرابعة لدن بفتح اللام والدال وسكون النون والخامسة لدن بضم اللام وسكون الدال وكسر النون والسادسة لد بفتح اللام وسكون الدال والسابعة لد بضم اللام وسكون الدال والثامنة لد بفتح اللام وضم الدال وكلها بمعنى عند والفرق بينه وبين عند ان لدى مختص بالحضرة دون عند مثلا يقال المال عند زيد فيما يحضر عنده وفى ما فى خزائنه ان كان غائبا عنه ولا يقال المال لدى زيد ولدن زيد الا فيما يحضر عنده ولديه حال من ضمير واقفون متعلق بمحذوف اى كائنين لديه وعند متعلق بواقفون والحد بفتح الحاء يجيئ على ستة معان الاول بمعنى المرتبة والثانى بمعنى الغاية والنهاية والثالث بمعنى الحاجز والمانع بين الشيئين والرابع بمعنى تشحيذ السيف والخامس بمعنى عقوبة مقدرة تجب اقامتها على الامام والسادس بمعنى التعريف المشتمل على ذاتياته والمراد ههنا هو المعنى الاول وضمير الجمع الى الانبياء عليهم السلام وقوله من نقطة العلم من لبيان

(وواقفون لديه عند حدهم)
(من نقطة العلم اومن شكلة الحكم)
وقف يجيئ لازما ومتعديا واقفون اما عطف على ملتمس والجمع باعتبار المعنى او خبر مبتدأ محذوف والجملة حال او عطف على السابقة وعند لحضور الشئ ودنوه وهى ظرف يستعمل فى الزمان والمكان ولدى بمعناه وقوله لديه اى فى حضرته وحد الشئ غايته ونهايته من نقطة العلم اما حال عن حدهم او صفة له اى كائنا او الكائن منها والنقطة فعلة من نقطت الكتاب نقطا معناها الحاصل بالنقط العلم هو الادراك المطابق للواقع ويستعمل

المفعول الثانى لواقفون فتكون زائدة فعلى هذا حاصل معنى البيت ان الانبياء مطلعون عند النبى عليه الصلوة والسلام على مراتبهم شيئا هو نقطة العلم او شكلة الحكم فيكون علم نبينا عليه الصلوة والسلام كالنقطة فى جنب علم الله تعالى وحكمته كالشكلة من الحكم فى جنب حكمة الله تعالى لكون علم سائر الانبياء جزأ من تلك النقطة وحكمتهم جزأ من شكلة الحكمة وهذا الاطلاع كان فى ليلة المعراج حيث حضروا مجلسه عليه السلام وقعدوا حضوره على مراتبهم واطلعوا على علمه وحكمته او يكون فى القيامة تحت اللواء حيث روى ان جميع الانبياء تجتمع تحت لواء الحمد الذى هو علم النبى عليه الصلوة والسلام ويجلسون على مراتبهم او كان فى خلق الارواح قبل الاجساد ثم اعلم ان النقطة فعلة من نقطه نقطا اى وضع عليه النقطة واظن ان النقطة مشترك بين اللغات كالصابون واو بمعنى الواو انما قلنا انه بمعنى الواو لانه لو كان بمعناه للزم ان يكون فى بعض الانبياء علم دون حكمة وفى بعضهم بالعكس وهو مخالف لما ثبت انه تعالى اعطى الانبياء علما وحكما كما قال الله تعالى (ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما) وقال ايضا (وكلا آتيناه حكما وعلما) فتأمل والشكلة بالفتح من شكلت الكتاب قيدته بالاعراب اعنى الرفع والنصب والجر والحكم جمع حكمة وهى علم باحوال اعيان الموجودات على ما هى عليه فى نفس الامر وانما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لان النقطة اولى بمزية الظهور ولذا اضيفت اليه والشكلة امر زائد خارج من ماهية المفهوم المتوقف على النقطة التى مدار الدائرة عليها ولذا نسبت الى الحكم وهى علوم دقيقة عن العلوم الشرعية ثم اعلم انه يجوز ان يكون واقفون بمعنى ساكتون حاضرون فى حضور رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مراتبهم ويكون من متعلقا بواقفون بتضمين معنى آخذين وتكون اضافة النقطة الى العلم من اضافة المشبه به الى المشبه اى العلم كالنقطة فحاصل معنى البيت على هذا ان الانبياء حاضرون وساكتون فى حضور النبى عليه الصلوة والسلام على مراتبهم آخذون العلم كالنقطة والحكم كالشكلة بالنسبة الى علمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون فى هذا استعارة تمثيلية بان ينتزع هيئة من امور اى من كون النبى عليه السلام رئيسا ومتبوعا لسائر الانبياء وكونهم متوقفين فى حضوره عليه السلام واخذهم العلم منه عليه السلام وكونهم فى امره عليه السلام وشبه هذه الهيئة بالهيئة التى انتزعت من امور محسوسة لنا ككون ملك عظيم قاعدا فى مجلس وكون اتباعه واقفين على مراتبهم وانتظارهم الى كلام الملك واخذهم الفائدة منه وكونهم فى امره ثم استعير

(الهيئة)

بمعنى المعلوم والشكلة بالفتح فعلة من شكلت الكتاب قيدته بالاعراب وشكلت الطائر والفرس بالاشكال والحكمة استعمال النفس الانسانى فى جانبى العلم والعمل بالاحكام وقيل حسن العلم او العمل ولما كان يحصل بالشكل مزيد تفهيم لا يحصل بمجرد النقط اضاف النقطة الى العلم والشكلة الى الحكمة فالحاصل ان علوم الكائنات وان كثرت فبالنسبة الى علم الله تع نقطة اوشكلة ومشربها بحر روحانية محمد صلى الله عليه وسلم فكل رسول ونبى وولى آخذون بقدر القابلية والاستعداد مما لديه * وليس لاحد ان يفوقه او يتقدم عليه *

الهيئة المشبهة بها الى الهيئة المشبهة فذكر الالفاظ الدالة على الهيئة المحسوسة واريد الهيئة الغير المحسوسة لنا ثم اعلم ان فى هذا البيت ايماء الى قوله تعالى (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) واشارة الى قول الخضر لموسى عليه السلام حين اتباعه لاخذ العلم (ما علمك وعلمى وعلم الخلائق الا كما اخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر بالنسبة الى علم الله تعالى) والى ان فى كل من الانبياء نوعا من العلوم دون نوع وانه عليه السلام جمع انواع العلوم التى فى الانبياء وسائر الخلائق وفى الشفاء خص الله تعالى به عليه السلام الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومصالح امته وما كان فى الامم وما سيكون فى امته من النقير والقطمير وعلى جميع فنون المعارف كاحوال القلب والفرائض والعبادة والحساب وقد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصورها وفى حديث روى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم) مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب ولم يقرأ من كتاب الاولين قطعا كما قال الله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) الآية بخلاف سائر الخلق

(فَهُوَ الَّذِى تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ * ثُمَّ اَصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ)

لما كانت الابيات السابقة دليلا على كونه عليه الصلوة والسلام حبيبا كاملا وكانت تلك ثابتة مبينة انتجت المطلوب فلذا قال فهو الذى تم الخ فالفاء فى فهو للنتيجة وهو بسكون الهاء وهو راجع الى نبينا عليه الصلوة والسلام وتم بمعنى كمل من تمام الشئ بمعنى كماله والمعنى اسم مكان او مصدر ميمى بمعنى المفعول او مخفف معنى اسم مفعول من عنيت بكلامى كذا اى قصدته فمعنى الشئ هو المقصود منه ومعنى الرجل كماله اى الذى تم به والصورة بمعنى الشكل والهيئة وانما قدم المعنى على الصورة لكون المعنى اصل المقصود والمراد من المعنى والصورة ههنا كماله الباطنى وكماله الظاهرى اعنى حسن خلقه وعظم خلقه او الوحى الباطنى والبعث الظاهرى او طريقته وشريعته او روحانيته وجسمانيته او علمه وعمله او عبادته للحق ومعاملته للخلق وكلمة ثم اما على اصلها اعنى للتراخى الزمانى بناء على ان المراد من اصطفائه حبيبا بعد بعثه ولا شك ان بعثه متراخ عن بلوغه الى مرتبة الكمال وبناء على ان اصطفاءه حبيبا كان فى المعراج حيث حكى ان الله تعالى قال له فى تلك الليلة يا محمد ان الملوك اذا آثروا عبدا باثناء الملك اياه وجعله ملكا ذا اعتبار بادروا لاظهار شرفه فاى شئ تريد ان نجعل لك فقال عليه السلام اضفنى اليك يا رب بالعبودية فارسل اليه (سبحان الذى اسرى بعبده) الآية وقال هذا ما طلبت ولك احسن

وقال هذا ماطلبت ولك احسن من هذا وهو اضافتك الينا بالحبيبة

(ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم) الفاء تارة تدخل على السبب واخرى على المسبب كما فى (اذا جاء الشتاء فتأهب وابشره فقد اتاك الغوث) والملائم هنا هو الثانى والمعنى اسم مكان او مصدر بمعنى اسم مفعول من عنيت بكلامى كذا اردته وقصدته ومعنى الشئ هو المقصود ومعنى الرجل كماله الخاص به او اريد به ماهيته الكلية وبالصورة مشخصاته ويجوز ان يراد ظاهره وباطنه او جسمانيته وروحانيته او العلم والعمل الى غير ذلك من المحتملات المناسبة وكلمة ثم اما على اصلها على ان المراد من اصطفائه حبيبا بعد بعثه ولا شك ان بعثه متراخ عن بلوغه الى مرتبة الكمال صورة ومعنى واما للتراخى الرتبى والتنبيه على ان مرتبة الاصطفاء اعلى من مرتبة الكمال وحبيبا حال او مفعول ثان بتضمين الاصطفاء معنى الجعل وبارئ النسم اى خالق النسم فاعل اصطفاه قدم المفعول حذرا للانفصال والنسم جنس النسمة وهو الانسان واذا حملت كلمة ثم على اصلها يجوز ان يكون اصطفاؤه سبحانه وتعالى اياه واتخاذه حبيب الله فى اوان التشريف بالمعراج والاسراء وتكريمه بديباج العز وتاج العلى كما يحكى ان الله تعالى قال له يا محمد ان الملوك اذا آثروا عبدا باثناء الملك اياه وجعله ملكا ذا اعتبار بادروا لاظهار شرفه على النثار فاى شئ تريد ان نجعل لك نثارا فقال عليه السلام اضفنى اليك بالعبودية يا رب فارسل اليه سبحان الذى اسرى بعبده ليلا فانت حبيب الله صلى الله عليه وعلى آله

من هذا وهو اضافتك الينا بالحبيبة فانت حبيب الله فلاشك ان المعراج كان بعد البعثة والكمال واما للتراخي الرتبي فيكون ثم مجاز واستعارة تبعية لان الحقيقة فيه التراخي الزماني وذلك بتشبيه التباعد الرتبي بالتراخي الزماني في الاشتمال على مطلق التباعد وتكون نكتة المجاز الاشارة الى ان مرتبة الاصطفاء اعلى من مرتبة الكمال والاصطفاء بمعنى الاختيار والانتخاب وحبيبا حال من ضمير اصطفاه او مفعول ثان له بتضمين معنى الجعل والبارئ بمعنى الخالق كما في قوله ع * ياباري البرايا ني بمستمل * والنسم بفتحتين جمع نسمة وهي النفس اوكل ذي روح وقيل هي الآدمي ثم اعلم ان في هذا البيت ايماء الى وجه انتظار الاصطفاء الى المدة الاربعينية وترجيحه على عيسى ويحيى ممن اعطي النبوة في حال الطفولية وان كان المتبادر الى الوهم عكس هذه القضية وتلويحا الى قوله تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا) الآية وتلميحا الى حديث روى عن واثلة بن الاسقع انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) ولو تأملت معاني البيت لوجدت فيه اشارة الى شيء كثير كما لا يخفى

(مُنَزَّهٌ عن شريكٍ في محاسنه * فجوهرُ الحسنِ فيه غيرُ منقسمِ)

لما بين الناظم الفاهم الصفات الثبوتية له عليه السلام شرع في بيان صفاته السلبية ثم لما علم مما سبق ان نبينا فائق على جميع الانبياء والاولياء فانهم لم يصلوا الى خلقه الباطني وخلقه الظاهري ناسب ان يسلب عنه الشريك في محاسنه فقال منزه عن شريك في محاسنه الخ منزه خبر مبتدأ محذوف وهو على صيغة اسم مفعول من التنزيه بمعنى التبرئة والتبعيد وشريك نكرة وقع في سياق النفي فيفيد العموم فان قيل لم يكن في هذا المقام نفي حتى يفيد العموم قلنا وان لم يكن في الظاهر لكنه في معنى التنزيه لانه في معنى لم يكن له شريك وهو فعيل بمعنى فاعل اي معادل والمحاسن جمع حسن على خلاف القياس وهو متعلق بشريك وانما لم يقل في شمائله ليعم الحسن والجمال ولا يخص الخلق والخصال ولقائل ان يقول ان هذا الحكم اي كونه عليه السلام منزها عن شريك في كل محاسنه فاسد لانه قد كان سائر الانبياء شريكا له في محاسن النبوة والرسالة وعدم العبادة لغير الله اللهم الا ان يقال انه ادعائي فليتأمل وقوله فجوهر الحسن فيه الخ الفاء للنتيجة اي لما كان منزها عن شريك في محاسنه لزم ان يكون جوهر الحسن الذي فيه غير منقسم والا اي

(لوكان)

(منزه عن شريك في محاسنه)
(فجوهر الحسن فيه غير منقسم)

اما خبر بعد خبر لهو اومحذوف نزهه بعده عما يليق به المحاسن جمع حسن على خلاف القياس كالمقابح جمع قبيح وفي متعلق بشريك والجوهر معرب گوهر والفاء فيه للنتيجة واضافته الى الحسن بيانية وفيه صفة الحسن اي الكائن فيه او خبر وغير منقسم خبر بعد خبر ومعناه غير مشترك فيه بل هو المنفرد بذلك الجوهر الفائض من معدن الكمال ومنبع الخير وفي وصفه بالفردية في الحسن وذكر الجوهر وحديث الانقسام من الحسن واللطافة مالا يخفى

لوكان جوهر الحسن الذي فيه منقسما للزم ان يكون مشتركا فيه اذ الانقسام انما يكون بالتقسيم اليه والى غيره لكن التالي باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو ان جوهر الحسن الذي فيه غير منقسم والجوهر اختلف فيه هل هو معرب اولا فقال بعضهم انه معرب گوهر فارسي وقال بعضهم انه مشتق من الجهر اومن الجهارة وهو يجيء بمعنى الحجر المستخرج من البحر المنتفع به كالياقوت والزبرجد والزمرد وبمعنى اصل الشيء وجبلته الذي طبع عليه والجوهر عند الحكماء خمسة الاول الهيولى والثاني الصورة والثالث الجسم والرابع العقل والخامس النفس وعند المتكلمين اثنان الاول الجوهر الفرد الذي لا يتجزأ والثاني النفس وتفصيل الكلام في علم الحكمة والكلام والمراد منه ههنا هو الثاني اعني اصل الحسن ومادته الذي خلق عليه الحسن فلا حاجة الى جعله بمعنى الحجر المنتفع به وجعل اضافته بيانيا او جعله بمعنى الجوهر الفرد الذي لا يتجزأ لان كله تكلف والشارحون وقعوا ههنا في حيص بيص وقوله فيه ظرف مستقر صفة الحسن الكائن فيه اوخبر اوحال من الحسن فمن جعله متعلقا بقوله غير منقسم وقع في تكلف وقوله غير منقسم خبر اوخبر بعد خبر ومعناه غير مشترك فيه بل هو منفرد بذلك الجوهر الفائض من معدن الكمال ومنبع الخير ثم اعلم ان في هذا البيت لطافة حيث اثبت الجوهر للحسن الذي هو عرض وحكم عليه بعدم الانقسام وهو بحث طويل بين اهل الحكمة والكلام والحمد لله الملك المنعام

(دَعْ ما ادَّعته النصارى في نبيِّهمِ * واحكُمْ بما شئتَ مدحاً فيه واحتكمِ)

لما جعل عليه الصلوة والسلام منزها عن الشريك في جميع اوصافه ومحاسنه توهم منه بعض العوام انه يجوز وصفه عليه الصلوة والسلام بما وصف به النصارى نبيهم عيسى عليه الصلوة والسلام لان ذلك الوصف نهاية الاوصاف وغاية الامداح فدفع ذلك الوهم فقال دع ما ادعته النصارى في نبيهم الى اخره دع امر من ودع يدع بمعنى اترك وما زعم بعض الصرفية من ان العرب اماتوا ماضي يدع ومصدره فمحمول على قلة الاستعمال والا فالنبي عليه الصلوة والسلام افصح العرب وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال عليه الصلاة والسلام (لينتهين اقوام عن ودعهم الجماعات او ليختمن على قلوبهم) اي على تركهم اياها وقال الشاعر

* ليت شعري عن خليلي ما الذي * غاله في الحب حتى ودعه *

وعن عروة ومجاهد انهما قرآ ماودعك بالتخفيف كذا ذكره حسن چلبي في حاشية المطول وخطاب دع عام لكل من يصلح ان يكون مخاطبا ممن مدح

(دع ما ادعته النصارى في نبيهم)
(واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم)

دع امر من ودعه تركه وماضيه غير مستعمل كوذر والخطاب لكل من يصلح مخاطبا ممن آمن به وما موصولة والنصارى جمع نصران كسكران وسكارى وهم قوم عيسى عليه السلام سموا انفسهم بذلك لادعائهم انهم نصروا عيسى عليه السلام وما ادعته النصارى ما يفضي التوليد والحلول والاتحاد اوالانقسام والنزول في حق

النبي عليه الصلوة والسلام وقوله ادعته عبر بالادعاء لكونه باطلا لان الادعاء يستعمل كثيرا فى الباطل كما ان الدعوى تستعمل فى الحق والنصارى جمع نصران كالندامى جمع ندمان والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى الاحمرى سموا بذلك لانهم نصروا نبيهم عيسى عليه السلام اولانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران اوناصرة فسموا باسمها اومن اسمها والمراد من نبيهم عيسى روح الله ابن مريم عليه السلام والمراد مما ادعته النصارى ما يفضى الى التوليد والحلول والاتحاد اذالنصارى تفرقوا بعد عيسى عليه الصلوة والسلام اثنين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلاث الملكائية والنسطورية واليعقوبية الملكائية اصحاب ملكان الذى ظهر بالروم واستولى عليهم ومعظم الروم الملكائية وهم قالوا ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوتيته ويعنون بالكلمة اقنوم العلم وقالوا ان المسيح قديم ازلى وقد ولدت مريم الها ازليا واطلقوا لفظ الابوة والبنوة على الله تعالى الله عن ذلك وعلى المسيح الابن لما وجدوا فى الانجيل حيث قال انك انت الابن الوحيد والنسطورية اصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون وتصرف فى الانجيل وقال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات وحلت هذه الصفات فى بدن عيسى عليه السلام ولذا يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص واليعقوبية اصحاب يعقوب رجل من النصارى قالوا بالاقانيم الثلاثة كما ذكرنا انهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فسار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده وبيانهم على الوجه المفصل فى كتاب الملل والنحل وقوله واحكم بما شئت مدحا الى آخره دفع سؤال نشأ مما قبله اى هل لا يجوز وصفه عليه السلام بما شئنا من الامداح فقال واحكم على صيغة الخطاب بما شئت اى احملوا عليه ما اردته من المدح وقوله مدحا حال من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اى حال كونك مادحا فيكون المصدر على هذا بمعنى اسم الفاعل وقوله واحتكم اما بمعنى احكم فيكون تأكيدا للاول او بمعنى اتقن فى الحكم بالمدحة حتى لا تتجاوز عن الحد الانسانى الى الوصف الصمدانى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا يشبه الذوات كذلك صفاته تعالى لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك وكفى فى هذا قوله سبحانه (ليس كمثله شئ) وقوله (يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) وانه عليه السلام وان وصف باكثر ما وصف الله به تعالى لكن صفاته عليه السلام حادثة وصفاته تعالى قديمة

واجب الوجود تعالى وتقدس واحتكم اما بمعنى احكم * فيكون تأكيدا للاول اومن احتكم القوم الى الحاكم تحاكموا اليه والحكم ايقاع النسبة المفيدة اثباتا اونفيا ومدحا اما مفعول مطلق لان الحكم الصادق فيه لا يكون الا المدح اوحال بمعنى مادحا ويحتمل ان يكون تميزا اما جعله مفعولا له فغير مرضى وفيه متعلق باحكم اوبشئت او بمدحا فالحاصل امدحه باى مدح تقدر بعد ترك مالا يجوز فان المجاهدة بمدحه قربة من القرب كما ان ترك الادب فى حقه كفر *

(فانسب الى ذاته ماشئت من شرف * وانسب الى قدره ماشئت من عظم)

لما كان معنى قوله واحكم بما شئت الى آخره خفيا اذ لا يطلق كل شئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسره بهذا البيت فقال فانسب الى ذاته الى آخره الفاء للتفسير والنسبة الاضافة والذات قال صاحب الكشاف ان التاء فى الذات ليست كالتاء فى بنت بل جرت مجرى التاء فى نحو لات ولهذا جوزوا اطلاقه على الله تعالى مع تحاشيهم عن اطلاق علامة التأنيث انتهى وقال ابن سيده التاء فى ذات وشاة ليست للتأنيث لانها غير موقوف عليها هاء وتاء التانيث هى التى يوقف عليها هاء انتهى وقال الچارپردى اصل ذات ذوى فحذفت الياء فبقى ذو وعوض التاء فصارت ذوت فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصارت ذات وكذلك شاة وجملة الكلام على ماحققه التفتازانى فى سورة آل عمران ان الذات وان كان فى الاصل مؤنث ذو لكن تاءه قد انسلخ عنه الدلالة على التأنيث واجريت مجرى التاء الاصلية ثم اطلق على معنى النفس والحقيقة ولذلك قالوا فى النسبة ذاتى باثباتها وجوزوا اطلاقه على الله تعالى مع امتناع اطلاق العلامة عليه تعالى لوجود التاء وقد يطلق الذات ويراد به ماقام بذاته وقد يطلق ويراد به المستقل بالمفهومية ويقابل الصفة وقد يطلق ويراد به الرضى وقد يطلق ويراد به مفهوم الشئ كذا فى كليات ابى البقاء والتنوين فى شرف للتعظيم والتعميم اى من شرف عظيم وكرم كثير من تناسب الاعضاء وجمال الخلق وكرم اليد وطيب العرق وذكاء اللب وصفاء الجنان وبلاغة الكلام وفصاحة اللسان وسائر كمالات الانسان فانه منبع الاحسان ومبدع الرحمن وقوله وانسب الى قدره والقدر المقدار والمراد مقدار المرتبة وعظم على وزن كبر جمع عظمة بمعنى الفخامة فان قيل ماالفرق بين الشرف والعظمة قلنا ان الشرف ينسب الى الذات والعظمة تنسب الى الصفات كما قال النبى عليه الصلاة والسلام فى مكتوبه الى هرقل (من محمد رسول الله الى هرقل عظيم ملك الروم) فعظيم فى مكتوبه بالنسبة الى مرتبته لا ذاته فالمراد بما شئت من عظم علو قدره ومرتبته وجمال طوره وعظمته والمعجزات والارهاصات والمعراج والمناجات والامامة للانبياء والدنو الى جنابه الاعلى والتفضيل فى القيامة باللواء والوسيلة والشفاعة العظمية وهذا البيت اجمال ماسيأتى من الابيات المشتملة على امداحه عليه الصلوة والسلام

(فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم)

لما كان فى مضمون البيت السابق شبهة بعض المشبهة من انه لا يجوز اطلاق

(فانسب الى ذاته ماشئت من شرف)
(وانسب الى قدره ماشئت من عظم)

اما للتفسير لقوله واحكم اوللعطف على قوله دع نسبه اليه اضافه اليه والذات يطلق على الحقيقة وعلى الهوية المخصوصة والشرف كمال يتعلق بالحقيقة والعظمة كمال يتعلق بالمرتبة والوصف وقيل العظم يشمل الالذاتى والوصف والقدر المقدار والمراد مقدار المرتبة وما اسم موصول منصوب المحل على المفعول ومن للبيان والتنوينان للتعظيم فالمعنى انك لا تخف من الغلو والاغراق فى وصف من اشرق بتبليغ رسالته الآفاق * واضف الى ذاته ماشئت من الشرف والكمال * وانسب الى قدره ماردت من العظمة والجلال * فان صفات ذاته من المجد والكبريا * وسماة قدره لغاية العزة والعلا * خارجة عن طوق البشر فنيت العبارات * وطاحت الاشارات فى بداية شرح شمائله * فضلا عن نهاية احاطة فضائله *

(فان فضل رسول الله ليس له)
(حد فيعرب عنه ناطق بفم)

فضل عليه فاق والحد النهاية اعرب مراده بين الفاء الاولى لمجرد العطف ويحتمل ان يكون للتعليل لمحذوف اى لا تطمع فى استيفاء كمالاته واستقصاء نوادر حالاته والثانية فى جواب النفى والفعل منصوب بان مقدرة بعد

جمع الاوصاف الكاملة عليه بل انما يقتصر على توصيفه بما ورد من الشرع في وصفه نفسه اثبته وعلله فقال فان فضل رسول الله الخ فالفاء للتعليل فيمكن ان يرتب ههنا قياس من الاقتراني بادنى تغيير بان يقال يجوز ان تنسب الى ذات رسول الله ماشئت من شرف وتنسب الى قدره ماشئت من عظيم لان رسول الله ليس لفضله حد فيعرب عنه ناطق بفم وكل من شانه كذا فيجوز ان تنسب الى ذاته ماشئت من شرف وتنسب الى قدره ماشئت من عظيم فينتج المطلوب واما تقريره من الاستثنائي فظاهر بان يقال يجوز ان تنسب الى ذات رسول الله ماشئت من شرف لانه لما كان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم جاز ان تنسب الى ذاته ماشئت من شرف لكن المقدم حق فالتالي مثله والفضل بمعنى الزيادة والتفوق وهو مصدر مضاف الى فاعله والحد ههنا بمعنى الغاية والنهاية او بمعنى الوصف المحيط والفاء في فيعرب جواب للنفي ويعرب منصوب بان المقدرة وهو من الاعراب وهو يجيء بمعنى اظهار والابانة ويجيء بمعنى التحسين يقال جارية عروب اى حسناء وبمعنى التغير يقال عربت معدة الفصيل اذا تغيرت والمراد ههنا هو الاول وعنه متعلق بيعرب والناطق بمعنى المتكلم والباء في بفم للاستعانة متعلق بناطق والنطق لايكون الا باللسان فالتعبير عنه بالفم من ذكر المحل وارادة الحال وتقييد النطق بالفم اما للتوكيد على طريقة قوله تعالى (يطير بجناحيه) اولان النطق يطلق على مايجرى على الجنان ايضا كما هو مذهب بعض العلماء وانما قيد الحد بقوله يعرب عنه ناطق بفم احترازا عن الحد المعلوم له عليه السلام عند ربه عز وجل فانه تعالى يعلم فضل رسوله اذ لو لم يعلم لزم الجهل والتالي باطل وبما قررنا اندفع ما اورده شيخ زاده فتأمل وفي هذا البيت تلميح الى قوله تعالى (فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

(لو ناسبت قدره آياته عظماً * احيي اسمه حين يدعى دارس الرمم)

لما اراد الناظم الفاهم ان يدفع التوهم الناشئ من ايراد اوصافه عليه السلام انه مبين اوصافه ومورد لكل امداحه قال معترفا بعجزه عن وصفه على ماناسب له عليه السلام لو ناسبت قدره الى آخره كلمة لو حرف شرط وهو لانتفاء الثاني لانتفاء الاول اى لو ناسبت قدره آياته عظما احيي اسمه لكن ما احيي اسمه حين يدعى دارس الرمم فلم تكن آياته مناسبة لقدره يعني ان آياته غير مناسبة لعلو قدره وعظم مرتبته بل المناسب لقدره ان يعطى ازيد مما فيه وافضل من الآيات التي اعطيها فان قلت الآيات صيغة جمع وصيغة الجمع

الفاء وهي للعطف ايضا اى ليس له حد فيعرب ناطق عنه بفم اما على طريقة قوله يطير بجناحيه اولان النطق يطلق على الجنان ايضا والباء اما متعلق بيعرب او بناطق وانما آثر الناطق على المتكلم لان الناطق لايطلق على الله تع فقوله بفم تأكيد لذلك اعلم ان المستفاد من البيت هو انتفاء الحد المقيد كما ترى وهو لايستلزم انتفاء الحد مطلقا لان انتفاء الخاص لايستلزم انتفاء العام فهذا على قول من يقول بتناهي كمال الانسان الكامل واما على قول من يقول انه غير متناه فالبيت لايساعده الا اذا اريد بنفي الخاص نفي العام على سبيل المجاز والحق ان من اطلع على الحقيقة المحمدية * وعلم تدرجه بانسلاخه عن العوارض البشرية * مدارج المعارج الاحدية اعترف بعدم تناهي فضله على الاطلاق كما يعترف باستحالة تناهي كمالات الملك الخلاق * عليه صلوات الله كفاء فضله الرائق * وكماله الفائق * (لو ناسبت قدره آياته عظما) (احيي اسمه حين يدعى دارس الرمم) المناسبة هي الاشتراك في شيء او اكثر وقدر الشيء مبلغه في الكمال او النقصان وغلب استعماله في الكمال خصوصا عند الاطلاق والآية العلامة والعظم العظمة والاحياء احداث الحيوة وهي صفة تقتضي الحس والحركة الارادية

من صيغ العموم فيدل على جميع الافراد وهو باطل قطعا لان من افراد آياته القرآن والمعراج على قول الرؤية ايضا فلو كان المراد من الآيات جميع الافراد لزم كون القرآن والمعراج على قول الرؤية غير لائق بشانه عليه السلام وهو باطل قطعا لان القرآن كلام الله القديم وكذا المعراج على هذا شيء عظيم لائق بشانه بل فائض عنه قلت اجيب عنه بوجوه اما اولا فبانا لانسلم ان صيغة الجمع باقية ههنا على عمومها كيف وهو عام قد خص منه البعض فيكون المراد بالآيات غير القرآن والمعراج واما ثانيا فبأنا لو سلمناه على عمومه فلانسلم ان القرآن والمعراج داخلان في الآيات لان المراد منها ماعداهما بقرينة كون اضافتها للعهد اى الآيات التي صدرت عنه عليه السلام بالاختيار وهما حاصلان بالاضطرار واما ثالثا فبأن المراد من الآيات الآيات السابقة بقرينة ان الالف واللام فيها للعهد وهما غير داخلين فيما سبق فتدبر واما رابعا فبأن يقال ان المراد بالآيات الآيات الدالة على عظمته اعني المقصودة في الدلالة على العظمة لا في الشرافة والقرآن والمعراج غير ظاهرين في الدلالة على العظمة وفيه مافيه ثم ان ناسبت من المناسبة وهي الاشتراك في شيء او اكثر وقدره بالنصب مفعول ناسبت وقدر الشيء مبلغه في الكمال او النقصان وغلب استعماله في الكمال خصوصا عند الاطلاق وآياته بالرفع فاعل ناسبت وهي جمع آية بمعنى العلامة وعظما بالنصب تمييز عن اسناد ناسبت وهو بمعنى العظمة وجملة احيي جواب لو واحيي من الاحياء وهو ايجاد الحياة واعطاؤها واسمه بالرفع فاعل احيي والمراد من الاسم اما مرادف العلم او بمعنى التسمية بمعنى ذكر الاسم واسناد احيي اليه مجاز اذ المحيي هو الله ويدعى على صيغة المجهول من دعاه اذا طلبه ودعا الله سأله وضمير يدعى راجع الى الله تعالى ودارس الرمم بالنصب مفعول احيي والرمم جمع رمة كالقطع جمع قطعة وهي العظام البالية يقال درس الرمم اذا عفا فدراستها زيادتها في البلى واضافة الدارس اليها من اضافة الصفة الى الموصوف اى الرمم الدارسة وحاصل معنى البيت انه لو كانت آياته العظام مناسبة لمقدار كماله لاحيي الله تعالى بعد وفاته ببركة اسمه العظام البالية والاجساد الفانية لكن ما احيي الله تعالى بعد وفاته تلك العظام لستر غايات كمالاته بين الانام فان قلت لم لم يعط صلى الله تعالى عليه وسلم هذه المعجزة اعني احياء الموتى بعد وفاته ببركة اسمه حين يدعى الله تعالى كما اعطى سائر المعجزات قلت لو اعطاها ايضا لكان ايمان المؤمنين بعد عصر سعادته عليه الصلوة والسلام

والاسم هنا اما مرادف العلم او بمعنى التسمية اى ذكر الاسم واختلاف البصرية والكوفية في اشتقاقه مشهور دعاه طلبه ودعاه زيد سماه به ودعى الله سأله درس بلى والرمم جمع الرمة وهي القطعة البالية من العظم قوله آياته فاعل ناسبت وقدره مفعوله وعظما تمييز كطاب زيد نفسا واراد بالآيات امارات نبوته مثل خاتم النبوة وتظليل الغمامة او معجزاته سوى القرآن لانه صفة الله تع فلا يناسب شيئا لذاته واسناد احيي الى اسمه مجاز اذ الفاعل الحقيقي هو الله تع ودارس مفعوله وضمير يدعى الى الله تعالى اى حين يدعى الله تعالى باسمه ويسأل فحاصل المعنى انه لو كانت آياته العظام مناسبة بمقدار كماله لاحيي الله تع ببركة اسمه اموات العظام والاشباح كما احيي بما من ذاته اموات القلوب والارواح ولقامت القيامة بدعاء كل من يدعو باسم من اسمائه وابرزت

اعانا بالمشاهدة وايمان الغيب اولى من الايمان بالمشاهدة كما لايخفى ومن فهم من هذا البيت ان مراد الناظم ان احياء الموتى لم يعطله عليه الصلوة والسلام اصلا فقال معترضا على الناظم ان هذا البيت مخالف لما سيأتى من قوله وكل آى اتى الرسل اما اذ يفهم منه ان احياء الموتى اعطى اليه عليه السلام اذ كان ذلك معجزة لعيسى عليه السلام وهذه المعجزة اتصلت الى عيسى عليه السلام من نور نبينا عليه الصلوة والسلام انتهى فقد خبط خبط عشواء وركب متن عمياء اذ ليس مراد الناظم انه لم نعطله عليه السلام هذه المعجزة اصلا بل مراده ان تلك المعجزة لم تعطله عليه السلام بعد وفاته الى يوم القيامة والا فهو عليه السلام جامع لجميع المعجزات التى ظهرت فى ايدى سائر الانبياء مع معجزات خاصة به عليه الصلوة والسلام وان كنت فى ريب مما ذكرناه فانظر الى ماذكر فى دلائل النبوة من انه مات فى زمانه عليه السلام فتى من الانصار فزمله من فى اطرافه فجاءت امه الضعيفة العمياء فاخبروها بموته فقالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تغيثنى فى كل شدة فلاتحمل على هذه المصيبة بحرمة نبيك فبعد هذا الدعاء كان ابنها الميت حيا فكشف وجهه فقام واكل الطعام مع الحاضرين وكذا ماروى ان جابر ابن عبدالله دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة فذبح له غنما فجاء ابنه الكبير فسأل من اخيه الصغير قائلا كيف ذبح ابونا الغنم فقال الغلام الصغير له جئ حتى اريك فاطاعه الغلام الكبير فشد يديه ورجليه فاخذ السكين وذبحه فذهب برأسه الى امه فبكت امه فخاف الغلام منها ففر وصعد السطح فجرت امه من خلفه فرمى الغلام نفسه من السطح فمات فصبرت امهما على هذه المصيبة فلفتهما فى خرقه وحفظتهما فى البيت وشرعت فى طبخ الطعام فلما جاء الرسول عليه الصلوة والسلام حضروا الطعام فنزل جبرائيل فقال له عليه السلام امر الله تعالى لك ان تأكل هذا الطعام مع ابنى جابر فاعلم رسول الله عليه الصلوة والسلام جابرا فجاء جابر الى زوجته فسألها فقالت ليسا بحاضرين هنا فجاء جابر اليه عليه الصلوة والسلام فقال انهما ليسا بحاضرين يارسول الله فامر رسول الله تكرارا باتيانهما فجاء جابر فاقدم على زوجته فاضطرت واخبرت بالسر فجاء جابر اليه عليه الصلوة والسلام باكيا فاخبره بالقضية فتفكر رسول الله فنزل جبرائيل فقال ان الله تعالى يأمرك ان تدعو لهما ويقول منك الدعاء ومنا الاجابة فدعا رسول الله لهما بالحياة فاحياهما الله تع فقاما واكلا معه عليه السلام ومثل هذا كثير وفير كما لايخفى على من هو بكتب الاحاديث خبير ثم اعلم ان خاصية هذا

(البيت)

الطامة الكبرى بطلبت كل من يستشفع بعظم قدره وكبريائه ولكن اقتضت الحكمة الآلهية ستر غايات كماله * واخفاء نهايات عظمة قدره وجلاله * اما الامتياز المصدق المؤمن بالغيب * عن المتمادى فى غواية الشك والريب * اذ التصديقات والعبادات * عن ظهور الغيب عظيم شانها * وبعد بروز الآيات وظهور الدلالات لاينفع نفسا ايمانها * واما الغيرة المحبة عن خلوة الحبيب لدى الاغيار وهذا سر يعرفه من فى قلبه من المحبة اوار *

البيت انه لو قرئ على محتضر قد اشتدت سكرات موته فى آخر وقته ان تم اجله يموت والا فيفيق ويخلص من الم ذلك الوقت وشدته كذا اخبر به الاستاذ طال بقاه

(لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَى الْعُقُولُ بِهِ * حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ)

لما توهم مما سبق انه عليه الصلوة والسلام فى غاية العظمة ونهاية المهابة فلايبالى بامته الضعيفة كسلاطين الزمان لانهم اذا وصلوا الى المرتبة العليا لم يبالوا بالرعايا بل كلما فاقت مراتبهم يحملون رعاياه على الاعمال الشاقة والافعال التى لاوسع لهم عليها ولاطاقة دفعه فقال لم يمتحنا بما تعيى العقول به الخ لم يمتحنا من الامتحان بمعنى الاختبار والابتلاء او من المحنة اى لم يحملنا على المحنة والباء فى بما متعلق بيمتحن وماعبارة عن الشرع الشريف وتعى مضارع من عيى لامن اعيى والفرق بين العى والاعياء ان كل عجز حصل بعد حركة وسكون فهو اعياء وكل عجز حصل فى رأى وعقل فهو عى وههنا حكاية وهى ان الكسائى تعلم النحو فى كبر سنه وكان سبب تعلمه انه مشى يوما حتى اعيى فجلس عند قوم ليستريح فقال عييت بالتشديد بغير همزة فقالوا له لاتجالسنا وانت تلحن قال الكسائى فكيف اقول قالوا ان اردت من التعب والمشقة فقل اعييت وان اردت من التحير فى الامر والرأى فقل عييت مخففا فقام الكسائى من فوره وسأل عمن يعلم النحو فارشدوه الى معاذ فجاء وقرأ عليه حتى نفد ما عنده ثم خرج الى البصرة الى الخليل بن احمد كذا ذكره الحق فى تعريفاته والعقول جمع عقل وهو فى الاصل بمعنى الحبس سمى به الادراك الانسانى لحبسه عما يقبح ومنعه عما لايحسن وفى الدرر العقل فى الاصل بمعنى الدية سميت به لانها تعقل الدماء من ان تسفك ومنه العقل والعقل والنفس والذهن واحد بالذات الا انه اذا كان مدركا يسمى عقلا واذا كان متصرفا يسمى نفسا واذا كان مستعدا للادراك يسمى ذهنا ثم اعلم ان العقل له معان منها جوهر مجرد متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف قال التفتازانى هذا ما قيل جوهر ليس بجسم ولا جسمانى ومنها قوة للنفس الانسانية بها تمكن من ادراك الحقائق ولعل هذا ماقالوا قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات ومنها القوة الغريزية التى يلزمها العلم بالضروريات ونفس العلم بذلك ومنها قوة مميزة بين الامور الحسنة والقبيحة ومنها هيئة محمودة للانسان ومنها قوة للنفس بها تنتقل من الضروريات الى النظريات ومنها جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله وهى النفس الناطقة التى يشير اليها كل احد بقوله انا ثم اختلف فى محل العقل فقيل نور فى بدن الآدمى وقيل فى الرأس ونوره فى القلب وقيل فى القلب

(لم يمتحنا بما تعى العقول به)
(حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم)
امتحنه به ابتلاه اعيى بالامر اذا لم يهتد لوجهه العقل قوة مهيأة لادراك الكليات بالذات * والجزئيات بواسطة الآلات * حرص عليه اشتد ميله اليه ورغبته فيه وحرصا مفعول له او حال اى ذا حرص علينا فلم نرتب عطف على لم يمتحنا وكالنتيجة له الارتياب التشكك * وقوله نهم امامن هام يهيم اذا تحير اومن وهم يهم اذا غلط والادراك الجازم المطابق هو العلم والراجح الظن والمرجوح الوهم والمساوى الشك وحاصل المعنى ماكلفنا بما يعجز عن العمل به اصحاب العقول * وماحملنا مالاطاقة لنا به ببركة الرسول * بل وضع الله بحبه عنا الاصر والاغلال ورفع التكاليف الشاقة التى كانت على الامم السالفة والقرون الماضية * فرجعنا بعقولنا المطمئنة الى ربنا راضية مرضية * فلم نشك ولم نغلط فى العقائد الدينية ولم نتحير فى تشييد مبانى القواعد اليقينية اذ من المعلوم ان الانسان اذا وقع فى خطب معجز يرتاب ويغلط ويضعف جزمه ويرتد منه الى غيره *

واشراقه فى الدماغ ثم اعلم ان الحكماء اثبتوا العقول العشرة وسموا جبريل بالعقل العاشر والعقل الفعال وقالوا انه خلق العالم الاصغر من السطح المقعر لفلك القمر من العناصر الاربعة والمواليد الثلاثة وزعموا انه لايصدر من الواحد الا الواحد وكله كذب وتفصيل قواعدهم فى علم الحكمة وقوله به متعلق تعي والضمير راجع الى الموصول وقوله حرصا بالنصب مفعول له او حال اى ذا حرص وعلى متعلق بالحرص والحرص شدة الرغبة فى الشئ والميل اليه وصرف الهمة له والفاء فى فلم نرتب نتيجة لما قبله من المقدمات ينتج هذا المطلوب فترتيب قياسه هكذا ان نبينا عليه الصلوة والسلام لم نرتب به ولم نهم لانه عليه الصلوة والسلام لم يمتحنا بما تعي العقول به ومن امتحننا بما تعي العقول به نرتاب ونهيم به ينتج من الشكل الثانى عين المطلوب وترتيبه من الشكل الاول سهل لمن هو اهل ونرتب من ارتاب بمعنى شك ونهم مضارع من هام اذا تحير كقوله * كل البلابل فى افصاح خصلته * سحبان هام به مافاز بالزمل * وحاصل معنى البيت انه عليه السلام لم يختبرنا ولم يبتلنا ولم يحملنا على تعب ومحنة باتيان شريعة تعجز عنها العقول ولم يكلفنا شيئا من التكاليف الشاقة كما كان فى امم قبلنا مثل تعيين القصاص فى العمد والخطأ وحرمة الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وقتل النفس فى التوبة وقطع الثوب المتنجس بالمقراض وترك العمل فى يوم السبت وعدم جواز الصلاة فى غير الكنائس وفرض خمسين صلاة فى يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغيرها بل اتانا بالحنيفية السهلة السمحاء فلم نتحير فى متابعته ولم نشك فى رسالته قال الحسن فى تفسير قوله تعالى (عزيز عليه) اى ان تدخلوا النار (حريص عليكم) اى ان تدخلوا الجنة وقال فى التفسير الكبير المراد انه حريص بايصال الخيرات اليكم فى الدنيا والآخرة وقال الفراء الحريص الشحيح ومعناه انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار انتهى قال فى المواهب قال تعالى فى شانه (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم وبالجملة فى هذا البيت تلميح الى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه الآية) وايماء الى قوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) واشارة الى قوله تعالى (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) وتلويح الى قوله عليه السلام (بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء) والى قوله عليه السلام (لقد جئتكم بها بيضاء نقية) اللهم انت خالق الورى اجعلنا من اهل المغفرة والتقى بحرمة النبى الذى فى صورة قد بدا

(اَعْيَى الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى * لِلْقُرْبِ وَالبُعْدِ مِنْهُ غَيْرُ مُنْفَحِمِ)

(اعيي الورى فهم معناه فليس يرى)
(فى القرب والبعد منه غير منفحم)

اعيي اى اعجز الورى مفعوله وفهم فاعله والاسناد مجازى اى اعجز الله الورى فى فهم كنه كماله * وادراك عظمة جلاله * فان معنى الرجل كماله الانسانى الخاص به ويقال للمقصود ايضا وليس اذا دخل على الفعل ففيه ضمير الشان وذلك الفعل خبره والقرب والبعد اما زمانيان او مكانيان وانما تعرض للقرب والبعد ولم يتعرض لزمانه ومكانه لانه قد اشتهر وتواتر بحيث لا ينكر احد والمراد بالمنفحم العاجز عن الاتيان بمثل ما اوتى به او العاجز عن بيان كماله وهو الانسب بالسياق والرؤية ان كانت بصرية فغير منفحم مفعول لها القائم مقام الفاعل وان كانت قلبية فالمفعول الثانى احد الجارين مع مجروره وكل منهما اما متعلق بليس او يرى ويجوز نصب غير على انه مفعول يرى اى ليس يرى احد منهم غير منفحم ويجوز ان يكون منهم حالا من غير منفحم وضمير منهم للورى ويروى فيه وهو متعلق بمنفحم وضميره للنبى او لمعناه والمعنى انه اعجز الورى فهم كمالاته وابكم اولى النهى شرح حالاته فلا يرى فى القرب والبعد احد غير عاجز فى فهم معانيه وفضائله * ولا يوجد منطلق غير منفحم فى شرح ما فيه من شمائله *

لما احتمل ان يتوهم من قوله فلم نرتب ولم نهم انا وصلنا الى فهم حقيقة معناه دفعه فقال اعيي الورى فهم معناه الخ الاعياء التعجيز والورى بمعنى الخلق والالف واللام فيه الاستغراق فالمعنى اعجز جميع المخلوقات لان استغراق المفرد اشمل وهو بالنصب مفعول اعيي وفهم بالرفع فاعله وهو مضاف الى مفعوله اى فهمهم معناه ومعنى الرجل كماله الخاص به والفاء فى فليس فصيحة اى اذا عجز المخلوقات عن فهم معناه فليس يرى الخ وليس قالوا ان اصل ليس لا ايس والايس اسم للموجود فاذا قيل لا ايس فمعناه لا موجود ولا وجود ثم كثر استعماله فحذفت الالف فبقى ليس ثم اعلم ان القاعدة فى كلمة ليس انه اذا دخل على الفعل يكون اسمه ضمير شان فههنا كذلك ويرى مضارع على صيغة المجهول اما من الرؤية البصرية او من الرؤية القلبية فان كان من الاولى يكون قوله الآتى مفعولها القائم مقام الفاعل وان كان من الثانية فالمفعول الثانى احد الجارين مع المجرور وقوله للقرب وقع فى بعض النسخ بفى وبعضها باللام فاللام بمعنى فى والقرب والبعد اما زمانيان او مكانيان ومنه وقع فى بعض النسخ بدله منهم فعلى الاول يكون الضمير راجعا الى معناه وعلى الثانى يكون راجعا الى الورى والانفحام قبول الالزام والمراد به العجز عن اتيان كمال معناه وحاصل معنى البيت ان فهم معانيه الخفية البهية وكمالاته العالية السنية اعجز الكائنات باسرها والمخلوقات بشرا شرها فلا يبصر بل لا يعلم للقرب والبعد غير العجز عن ادراك حقيقة معناه وغير السكوت عن حقيقة مبناه فكان وصفه عليه الصلاة والسلام اصعب من جميع الجهات بين الانام ولذا قال الشيخ بدر الدين الزركشى ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابى تمام والبحترى وابن الرومى مدحه عليه السلام مع كونهم مسومين بالفصاحة والبلاغة بين الانام لان مدحه عليه السلام كان من اصعب ما يحاولونه فان المعانى دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل علو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ وصفه وقال فى تذكرة القرطبى لم يظهر كمال حسنه عليه السلام والا لما اطاقت اعين الصحابة رضى الله تعالى عنهم النظر اليه انتهى

(كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ * صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ)

لما كان فى مفهوم البيت الاول خفاء اتى له بنظير فقال كالشمس تظهر الخ الشمس كوكب نهارى مضئ لجميع العالم وتظهر من الظهور على صيغة التأنيث لان الشمس مؤنث وتظهر مع ما بعده اشارة الى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا وقد بين عيب التشبيه بها على الاطلاق ابونواس حيث قال

(كالشمس تظهر للعينين من بعد)
(صغيرة وتكل الطرف من امم)

خبر مبتدأ محذوف اى هو كالشمس وتظهر اما صفة مؤكدة كقولنا امس الدابر واللام كما فى قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا او استيناف وبيان لوجه الشبه او يكون حالا ومن الاولى متعلقة بتظهر والثانية بتكل وبعد بضم العين وسكونها كقفل وقفل وصغيرة حال من فاعل تظهر ويجوز ان يكون حالا على مذهب البعض كل الرجل بعيره اعياه والامم القرب او المقابلة والمقابلة فى طرف المشبه التوجه والاقبال الى معرفة كماله وصرف الهمة الى احاطة كنه حاله ولك ان تجعل هذا التشبيه من التشبيه المقلوب كما فى قوله * وبدا الصباح كان غرته * وجه الخليفة حين يمتدح * وانما اختير هذا الطريق فى التشبيه لان ضوء الشمس مستفاد من نور النبوة على ما سيجئ فى الحديث المروى عن جابر رضى الله عنه فلا سبيل الى الرد للمعترض المكابر بل المستفاد من الحديث اى ذات الشمس جزء من نوره * وظهور كل الكائنات من ظهوره *

* بتيه الشمس والقمر المنير * اذاقلنا كأنهما الامير *
*لان الشمس تغرب حين تمسى *وان البدر ينقصه المسير*

وهذا التشبيه وغيره مماورد فى حقه عليه السلام انما هو على سبيل التقريب والتمثيل والافذاته اعلى واجد فان قلت المناسب ان يشبه جماله عليه السلام بالقمر والبدر لان القمر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كلل ينزع قلت نعم كذلك الاان الناظم الفاهم قصد تشبيهه عليه السلام بالشمس فى العجز عن التمكن من النظر على وجه الكمال الى وجهه عليه السلام وفى اتمية الضياء لان الشمس اتم ضياء من القمر كما لايخفى وقوله للعينين على صيغة التثنية متعلق بتظهر والالف واللام فيه للاستغراق اى لكل عين سواء كانت عين الاولياء او الاصفياء ومن بعد متعلق به ايضا والبعد بضمتين لغة فى البعد والبعد ضد القرب وهو عبارة عن امتداد قائم بالجسم او بنفسه عند القائلين بوجود الخلاء وقوله صغيرة بالنصب حال من فاعل تظهر وقوله وتكل من الاكلال وهو التعجيز عن الادراك والطرف العين ومن امم متعلق بتكل او حال من الطرف والامم بفتحتين القرب وحاصل معنى البيت انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى وصفه الذى تقدم من انه عجز عن فهم مبناه وعلم معناه كالشمس التى تظهر للعينين من جهة البعد حال كونها صغيرة وتعجز البصر والنظر من القرب وتصير نفس الرائى حسيرة والحاصل ان الشمس على ماقيل انها قدر كرة الارض مائة وبضعا وستين مرة كانها تظهر من المسافة البعيدة صغيرة واذا تقرب الشخص لادراك حقيقتها يرى نفسه عاجزة حقيرة كذلك عليه السلام يرى فى بادئ النظر انه فرد من افراد البشر واذا تأمل فى جمال ذاته وكمال صفاته عجز وتحير وفى هذا البيت اشارة دقيقة الى قوله عليه السلام اللهم اجعلنى فى عينى صغيرا اى لمشاهدة عظمتك وفى اعين الناس كبيرا اى لمكاشفة قدرتك

(وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِى الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ * قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ)

لمابين العجز عن ادراك كمالاته عليه السلام بالغ فيه مع الاشارة الى علة ذلك العجز فقال وكيف يدرك فى الدنيا الخ وفى بعض النسخ وقع بالفاء فيكون تفريعا لماتقدم وفى بعضها بالواو فتكون عاطفة وكيف ظرف يدرك قدم عليه لصدارته لانه كلمة استفهام والاستفهام لانكار الوقوع ويدرك مضارع معلوم من الارراك والادراك بمعنى مطلق التصور او بمعنى الاحاطة بجوانب المرئى قال بعضهم اول مراتب وصول العلم الى النفس الشعور ثم الادراك ثم الحفظ وهو استحكام المعقول فى العقل ثم التذكر وهو محاولة النفس فى استرجاع

يدرك والاستفهام للاستبعاد والنفى واراد بحقيقته كماله الخاص به ونهاية منزلته فى القرب والقبول لاماهيته فانها معلومة لكل احد من ذوى العقول والنيام جمع نائم والمراد من النيام الغفل تسلوا عنه اى تكفوا عنه والحلم مايراه النائم وتسلوا اماصفة بعد صفة اوحال اواستيناف وانما قال فى الدنيا لان استتار الحقيقة المحمدية * واختفاء قربه من الحضرة الاحدية * فى الدنيا لافى الآخرة فان المراتب والمقادير فيها لكل احد ظاهرة فالحاصل انه لايدرك فى الدنيا حقيقته قوم غافلون قنعوا بخياله وتسلوا بمارأوا فى النوم من تمثاله فقصروا النظر على صورته البشرية ورؤية افعاله النفسية وظلمات الشواغل الحسية * ولم يدركوا بالبصيرة انسلاخه الكلى عن ملابس ذاته * ومقادر صفاته ومكائد افعاله وسماته * بفناء افعاله فى افعال الحق وصفاته فى صفات الحق واستنشاق روائح روح القرب واستبشاره بالاستشراف على مشاهدة اسرار الوحدانية والعبور عن غيوب الحضرات الجبروتية فهؤلاء النيام اذا انتبهوا بالموت عن منامهم * وانجلى بصرهم بانكشاف اغطية ظلامهم * وتجردوا عن قيودهم الناسوتية * وكشفوا بايدى الغيرة استار الغيرية عن وجه الحقيقة اللاهوتية * شموا روائح وحدانية الذات الاحدية * من رياض الحضرة الاحدية اى لايكشف النقاب عن وجه حقيقة الحقائق * الامن السلخ عن ظلام الاثنينية وقيود العلائق * فان تعريف لذة السماع للبليد الذى لايجد منه ذوقا

مازال من المعلومات ثم الذكر وهو رجوع الصورة المطلوبة الى الذهن ثم الفهم وهو التعقل ثم الفقه وهو العلم بغرض المخاطب ثم الدراية وهى المعرفة الحاصلة بعد ترتيب مقدمات ثم اليقين ثم الذهن وهو الاستعداد لكسب العلوم الغير الحاصلة ثم الفكر ثم الحدس وفى الدنيا متعلق بيدرك وانماقيد عدم الادراك بالدنيا لان استتار حقيقة المحمدية واختفاء كمالاته الاحدية مخصوص بالدنيا لان فى الآخرة تظهر مراتب كل واحد ولذا يرى المؤمنون فى الآخرة ربهم بغير كيف ومكان ولذاقال صاحب الامالى * يراه المؤمنون بغير كيف * لان فى الآخرة تبدل الاعيان الى حالة اخرى ولذا قال بعض العارفين وانما امتنع رؤية الله تعالى فى الدنيا الفانية لان الباقى لايرى الابالعين الباقية وقوله حقيقته بالنصب مفعول يدرك وضميره راجع اليه عليه الصلاة والسلام وحقيقة الشئ كماله الخاص به يقال حقيقة الله ولايقال ماهية الله لايهامها معنى التجانس وقوله قوم بالرفع فاعل يدرك والقوم اسم لجماعة الرجال خاصة لانهم القوامون بامور النساء فاللفظ مفرد بدليل انه يثنى ويجمع واختصاص القوم بالرجال دون النساء صريح فى قوله تعالى (لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء) وقول زهير (ع) أقوم آل حصن ام نساء * واما فى مثل هذا المقام فذكر الذكور وترك النساء لانهن توابع لرجالهن فيكون تغليبا ثم اعلم ان فى القوم ثلاثة اقوال احدها انه اسم جمع وثانيها انه جمع لاواحد له من لفظه وثالثها انه جمع له واحد من لفظه كماقال صاحب الكشاف فى سورة الحجرات هو فى الاصل جمع قائم وقوله نيام بالرفع صفة قوم وهى جمع نائم والنوم ريح يقوم من اغشية الدماغ فاذا وصل الى العين فترت واذا وصل الى القلب نام والمراد من النيام الغفل اماعلى طريق الاستعارة او المجاز اما الاول فبان يقال شبه الغفلة بالنوم فى عدم ادراك فائدة ما ثم استعير النوم للغفلة وذكر النوم واريد الغفلة ثم اشتق من الغفلة الغفل الذى هو جمع غافل واشتق من النوم نيام وشبه الغفل بالنيام فاستعير النيام للغفل فذكر النيام واريد الغفل فعلى هذا يكون قوله تسلوا عنه بالحلم ترشيحا لهذه الاستعارة واما الثانى فبأن يكون مجازا مرسلا تبعيا بان يقال ان الغفلة لازمة للنوم فذكر الملزوم واريد اللازم ثم اشتق من الغفلة غفل ومن النوم نيام فذكر النيام واريد الغفل وقوله تسلوا من التسلية بمعنى قنعوا او اكتفوا وعنه متعلق بتسلوا والضمير اما راجع اليه عليه السلام واما الى حقيقته والحلم بضمتين مايراه النائم فى نومه من الخيالات وحاصل معنى البيت كيف تعلم فى الدنيا الدنية حقيقة الذات المحمدية وحقيقة الصفات

وطيب الرائحة للمزكوم من جملة المحالات * فانه لايعرف الشمس الامن يشاهدها *

الاحدية جماعة غافلة كالنيام قنعوا عن معرفته بالخيالات والاوهام وفى هذا البيت تنبيه الى قوله عليه الصلوة والسلام *الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا* والحمد لله العلام

(فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ * وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللّٰهِ كُلِّهِمِ)

فلما كان المراد بتسليتهم بالحلم خفيا اراد ان يفسره فقال فمبلغ العلم الخ فالفاء للتفصيل والتفسير والمبلغ بمعنى المنتهى والغاية والعلم الالف واللام فيه عوض عن المضاف اليـه اى منتهى علم الناس وفيه متعلق بمبلغ اوظرف مستقر صفة للعلم وفيه حذف مضاف اى فى شانه عليه السلام وان مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ والضمير له عليه السلام والبشر هو علم لنفس الحقيقة من غير اعتبار كونها مقيدة بالتشخصات والصور واما الرجل فهو اسم لحقيقـة معتبرة معها تعينات وصور حقيقية فالمتبادر فى الاول نفس الحقيقة وفى الثانى الصورة وفى القاموس البشر الحركات الانسان ذكرا كان او انثى واحدا كان او جمعا نحو قوله تعالى (بشرا سويا) وقوله *اما ترين من البشر احدا* وقد يثنى ويجمع على البشار فان قلت هل العلم بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط فى صفة الايمان اوهو من فروض الكفاية قلت اجاب عنه الشيخ ولى الدين العراقى بانه شرط فى صحة الايمان لانهم قالوا لو قال شخص آمنت برسالة محمد عليه السلام الى جميع الخلق ولكن لا ادرى هل هو من البشر اومن الملائكة اومن الجن اولا ادرى هل هو من العرب اومن العجم فلاشك فى كفره لتكذيبه القرآن وجحده ماتلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعرف فى ذلك خلافا وان كان جاهلا بالقرآن اوكان فى غيب لا يعرف ذلك الاتفاق وجب تعريفـه له فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى قوله وانه خير خلق الله كلهم عطف على انه بشر والخير قد سبق تفصيله والخلق بمعنى المخلوق وضمير كلهم راجع الى الخلق وجمعيته باعتبار المعنى اومبنية على ماذكره القاضى من ان ضمير الجمع قد يرجع الى المفرد وبالعكس وانما اكد بالكل دفعا لخلاف البعض وحاصل معنى البيت ان نهاية بلوغ علمنا وغاية وصول فهمنا فى مبنى ذاته انه بشر عظيم وجوهر جسيم من افراد الانسان واجياد الاعيان وفى معنى صفاته انه افضل المخلوقات وسيد الكائنات

(وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِهَا * فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ)

لما كان قوله فى المصراع الثانى وانه خير خلق الله كلهم نظريا اثبته واحكمه فقال وكل آى اتى الرسل الخ قالوا الواو عاطفة والعطف من قبيل عطف العلة على معلولها اى

(فمبلغ العلم فيه انه بشر)
(وانه خير خلق الله كلهم)
الفاء للعطف ومابعدها كالنتيجة للسابق واراد بمبلغ العلم العلم الحاصل من جميع مايعلم منه والمراد من العلم اما المصدر او المعلوم وفيه مجرور المحل على انه صفة للعلم ويجوز ان يكون منصوبا على الحالية على طريقة واتبع ملة ابراهيم حنيفـا ويجوز ان يتعلق بقوله مبلغ والخلق بمعنى المخلوق يعنى غاية ارتقـاء هؤلاء النيـام * ومدارج معرفة النبى عليـه السلام * انه افضل البشر وخير خلق الله ولا يدرون غاية قربه من حضرة الآله ولا يلاحظون انفراده فى مقـام جمعه * ورؤيته بحكم الحديث بعين الله وسماعه بسمعه

(وكل آى اتى الرسل الكرام بها)
(فانمـا اتصلت من نوره بهم)
الآى جمع الآية واتى صفتها والرسل تخفيف الرسل والكرام صفة مؤكدة والبـاء فى بها اما للتعدية او للمصـاحبة وبهـا حال من الرسـل اى مصاحبين بها والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وانما بمعنى ما والا اى ما اتصلت تلك المعجزات بهم الا من ميـامن نوره بل ماظهر وجودهم الا من ظهوره والاصل فى اثبـات هذا المرام مارواه جابر الانصـارى رضى الله عنـه عن النبى صلى الله عليه وسـلم عن اول شئ خلقه الله تعـالى فقال *هو نور نبيك ياجابر خلقـه ثم خلق منـه كل خير وخلق

اذ كل آى فيمكن ان يرتب ههنا قياس من الشكل الاول بادنى تغيير بان يقال نبينا خير الانبياء كلهم لان نبينا عليه الصلوة والسلام كل آى اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم وكل من شانه كذلك فهو خير الانبياء كلهم فينتج المطلوب وترتيبه من الاستثنائى سهل لمن هو اهل وكل بالرفع مبتدأ مضاف الى نكرة فيفيد عموم الافراد فيناسب المقام والآى جمع آية بمعنى العلامة الظاهرة واشتقاقها من اى لانها تبين ايا من اى ويستعمل فى المحسوسات والمعقولات والمراد ههنا المعجزات واتى يجئ لمعان كمعنى فعل ومعنى حضر يقال اتى المكان اى حضره وبمعنى جامع يقال اتى المرأة اتيانا اى جامعها ومعنى انفذ يقال اتى على شئ اى انفذه ومعنى بلغ ومعنى اهلك يقال اتى عليهم الدهر اى اهلكهم وافناهم ومعنى امر كقوله تعالى (وما آتيكم الرسول) اى امركم ومعنى انتسب يقال اتى الرجل القوم اى انتسب اليهم وليس منهم وقد يتعدى الى الثانى بالباء مثل اتيته بالبلية وذكر الزمخشرى انه يجئ بمعنى صار كما فى قولك اتى البناء محكما اى صار وبمعنى كان وقوله تعالى (ولا يفلح الساحر حيث اتى) اى كان والمراد ههنا اما معنى حضر او معنى جاء والرسل بسكون السين لضرورة الوزن جمع رسول لا يقال المناسب ان يقول كل النبى بها ليعم ويشمل لانا نقول بنى الناظم هذا القول على ان النبى والرسول مترادفان اوالنبى يفهم بطريق الدلالة مع انه فى الرسل دخل رسل الملائكة كجبريل وعزرائيل وميكائيل واسرافيل فظهر افضليته عليه السلام عليهم جميعا كيف وقد قال جمهور اهل السنة والجماعة ان خواص بنى آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم الاربعة المذكورة وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم قال التفتازانى بالاجماع بل بالضرورة وعوام بنى آدم من المؤمنين افضل من عوام الملائكة فالمسجود له افضل من الساجد وفيه بحث مفصل فى كتب الكلام والكرام جمع كريم وهو امامن الكرم لانهم منعمون على اممهم بالشرائع واراءة طريق الهداية والخلاص من الكفر والضلالة وامامن الكرامة عند الله تعالى ولذا جعلهم رسلا وانبياء والباء فى بها للملابسة متعلق باتى والضمير راجع الى الآى ومن نوره متعلق باتصلت وضمير نوره راجع الى محمد عليه الصلوة والسلام والنور الجوهر المضئ والنار كذلك غير ان ضوء النار مغمور بالدخان والنار الصرفة كالنفس فى اللطافة ولزوم الحركة لها الان كرة النار تتحرك على استدارتها بمتابعة لفلك والنفس تتحرك دائما بحركات مختلفة ارادية كذا قالوا وبهم متعلق باتصلت ايضا والضمير للرسل وحاصل معنى

بعده كل شئ وحين خلقه اقامه قدامه فى مقام القرب اثنى عشر الف سنة ثم خلقه اربعة اقسام فخلق العرش من قسم والكرسى من قسم واقام القسم الرابع فى مقام الحب اثنى عشر الف سنة ثم جعله اربعة اقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم واقام القسم الرابع فى مقام الخوف اثنى عشر الف سنة ثم جعله اربعة اجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء واقام الجزء الرابع من مقام الرجاء اثنى عشر الف سـنة ثم جعله اربعة اجزاء فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء واقام الجزء الرابع فى مقام الحيـاء اثنى عشر الف سنة ثم نظر الله تع اليه فترشح النور عرقا فقطرت منه مائة الف وعشرون الفـا واربعـة آلاف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبى او رسول ثم تنفست ارواح الانبياء فخلق الله تع من انفاسـهم نور ارواح الاولياء والسعداء والشـهداء والمطيعين من المؤمنين الى يوم القيمة فالعرش والكرسى من نورى والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نورى وملائكة السموات السـبع من نورى والجنة وما فيها من النعم من نورى والشـمس والقمر والكواكب

البيت ان جميع ماانى الرسل والانبياء من خوارق العادات فانما اتصلت وحصلت تلك الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة من اثر نوره الاصلى فمعجزات السابقين معجزة له كما ان كرامات اللاحقين كرامة له فالسابقون واللاحقون انما هم فى الحقيقة له نائبون كالمقدمة والساقة للامير ومعنى البيت لايظهر الابنقل ماروى عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله الانصارى وهو انه قال قلت يارسول الله بابى انت وامى اخبرنى عن اول شئ خلق الله تعالى قبل الاشياء قال (ياجابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولاقلم ولاجنة ولانار ولاملك ولاسماء ولاارض ولاشمس ولاقمر ولاجن ولاانس فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث باقى الملائكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثانى الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور انفسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله فالعرش والكرسى من نورى والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نورى وملائكة السموات السبع من نورى والجنة ومافيها من النعم من نورى والشمس والقمر والكواكب من نورى والعقل والقلم والتوحيد من نورى وارواح الانبياء والرسل من نورى والشهداء والسعداء من نورى فاقام النور وهو الجزء الرابع فى كل حجاب الف سنة وهو مقام العبودية وهو حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فلما خرج النور من الحجب ركبه فى الارض فكان يضئ منه مابين المشرق والمغرب كالسراج فى الليل ثم لما خلق الله تعالى آدم من الارض ركب فيه النور فوق جبينه ثم انتقل الى شيث) الحديث فمن هذا الحديث علم ان كل آى وصل الى سائر الانبياء فهو من نوره عليه الصلوة والسلام لان كل مافى الكونين من نوره

﴿ فَاِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا * يُظْهِرْنَ اَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِى الظُّلَمِ ﴾

لما كانت صغرى القاس التى هى البيت الاول غير مبينة اراد ان يبينها ويثبتها فقال فانه شمس فضل الخ فترتيب قياسه هكذا نبينا اتصلت من نوره الآيات التى اتى الرسل الكرام بها اليهم لان نبينا شمس فضل هم كواكبها

والصالحون من تاريخ نورى ثم خلق الله اثنى عشر حجابا فاقام النور وهو الجزء الرابع فى كل حجاب الف سنة وهى مقامات العبودية وهى حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبدالله تعالى ذلك النور فى كل حجاب الف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله فى الارض فكان يضئ منه مابين المشرق والمغرب كالسراج فى الليل المظلم ثم خلق الله آدم من الارض وركب فيه النور فى جبينه ثم انتقل منه الى شيث وكان ينتقل من طاهر الى طيب ومن طيب الى طاهر الى ان وصل الى صلب عبدالله بن عبد المطلب ومنه الى رحم امى اى آمنة ثم اخرجنى الى الدنيا فجعلنى سيد المرسلين * وخاتم النبيين * ورحمة للعالمين * وقائد الغر المحجلين * هكذا كان بدأ خلق نبيك ياجابر فثبت ان المكونات تكونت بافاضة فيض نور النبى صلى الله عليه وسلم الذى هو المستفيض من الفيض الاول فوجود الانبياء عليهم السلام * و كل آى اتى بها الرسل الكرام * انما هى من نور النبى عليه صلوات الملك العلام * (فانه شمس فضل هم كواكبها) (يظهرن انوارها للناس فى الظلم) الفاء للعطف ومابعدها اما نتيجة لماسبق اوعلة له واضافة الشمس الى

وكل من شانه كذا فانما اتصلت من نوره الآيات التى اتى الرسل الكرام بها اليهم فينتج المطلوب وقوله يظهرن علة لصغرى هذا القياس فترتيب قياسه هكذا نبينا عليه السلام هو شمس فضل هم كواكبها لان نبينا عليه السلام يظهر سائر الانبياء انواره للناس فى وقت عدم وجوده دون حين وجوده عليه الصلوة والسلام وكل من شانه كذلك فهو شمس فضل فينتج المطلوب فالفاء فى فانه للتعليل والضمير راجع اليه عليه السلام وشمس فضل اى كشمس فضل اذ هو من التشبيه البليغ لان طرفيه مذكوران وبعضهم جعله استعارة مصرحة بان يقال شبه النبى عليه السلام بالشمس فى الظاهرية وازالة الظلمة فاستعير الشمس له عليه السلام فذكر الشمس واريد النبى عليه السلام ولايضر هذه الاستعارة ذكر الطرفين لانه انما يضر اذا كان على وجه ينبئ عن التشبيه وههنا ليس كذلك واضافة الشمس الى الفضل بمعنى من اى شمس من فضل الله ثم اعلم ان القسطلانى عدالشمس فى المواهب اللدنية من اسمائه عليه الصلوة والسلام حيث قال واما الشمس فسمى بها صلى الله تعالى عليه وسلم لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته وجلالة قدره وعظم منزلته لانه لايحاط بكماله حتى لايسع الرائى ان ينظر اليه ملئ عينه اجلالا له كما ان الشمس فى الرتبة ارفع من انواع الكواكب لانها فى السماء الرابعة والانتفاع بها اكثر من غيرها كما لايخفى وايضا لما كان سائر الكواكب يستمد من نورها ناسب تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بها لان نور الانبياء استمد من نوره عليه السلام انتهى وهم راجع الى الانبياء وجعله راجعا الى اصحاب النبى عليه السلام غير ظاهر والكواكب جمع كوكب والمراد بها اما الاقمار او النجوم والضمير راجع الى الشمس فالاضافة لادنى ملابسة لان الشمس سبب لكونها نجوما ذوات نور وحمل الكواكب على الانبياء اما بطريق التشبيه البليغ والاستعارة كما سبق فتذكر فلما كان وجه الشبه فى تلك الاستعارتين خفيا اظهر بيظهرن اى تلك الكواكب انوارها اى انوار تلك الشمس للناس اى لجميع العباد الظلم جمع ظلمة اى فى غيبوبة تلك الشمس فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هى مستمدة من الشمس على قول فهى عند غيبة الشمس يظهر نور الشمس فيها فكذلك الانبياء قبل وجوده عليه الصلوة والسلام كانوا يظهرون فضله لجميع ماظهر على ايدى الرسل عليهم الصلوة والسلام من الانوار فانما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من غير ان ينقص منه شئ واول ماظهر ذلك فى آدم عليه الصلوة والسلام حيث جعله الله تعالى خليفة وامده بالاسماء كلها من مقام جوامع الكلم لمحمد عليه الصلوة والسلام فظهر بعلم الاسماء كلها

الفضل بمعنى من اى شمس من افضال الله تع اومن كمال اى كمال بشهادة التنوين وهم كواكبها اماصفة للشمس اواستيناف والكواكب اما على حقيقتها والاضافة الى الشمس باعتبار انها سلطان الكواكب فوجه الشبه كتمانها عند ظهورها اوعلى معناها المجازى وهو الاقمار والبدور والاهلة فيكون من قبيل ذكر العام وارادة الخاص واضافتها باعتبار انها تستفيد الانوار منها ويؤيد ذلك قوله فانما اتصلت من نوره بهم فعلى الوجه الاول ضميرا نوارها للكواكب وعلى الثانى للشمس ويظهرن اما حال اواستيناف اوصفة شمس اوحال مؤكدة من مضمون هم كواكبها والاسناد مجازى اى يظهر الله انوارها

على الملائكة القائلين (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية ثم توالت الخلائق فى الارض الى ان وصل الى زمان وجود جسم نبينا عليه الصلوة والسلام لاظهار حكم منزلته فلما برز كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها فى صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطى صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها فآدم عليه الصلوة والسلام اعطى ان الله تعالى خلقه بيد قدرته فاعطى سيدنا محمد عليه الصلوة والسلام شرح صدره تولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوى مع ان المقصود كامر بخلق آدم خلق نبينا عليه الصلوة والسلام واما سجود الملائكة لآدم فلاجل ان نور نبينا عليه الصلوة والسلام كان فى جبهته واما تعليم آدم عليه السلام اسماء كل شئ فكذلك نبينا عليه الصلوة والسلام علم اسماء العلوم وذواتها ولاريب ان المسميات اعلى رتبة من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهى المقصودة بالذات واما ادريس عليه السلام فرفعه الله تعالى مكانا عليا واعطى سيدنا محمدا عليه الصلوة والسلام المعراج والرفع الى مكان لم يرفع اليه غيره واما نوح عليه السلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق والخسف واعطى سيدنا محمدا عليه السلا انه لم تهلك امته بعذاب من السماء قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) واما ابراهيم عليه السلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما واعطى سيدنا محمدا عليه السلام نظير ذلك اطفاء نار الحرب عنه عليه السلام قال تعالى (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) وكذلك انه عليه السلام مر ليلة المعراج على بحر النار مع سلامته منه واما ما اعطى ابراهيم عليه الصلوة والسلام من مقام الخلة فاعطى عليه السلام اياه وزاده بمقام المحبة واما ما اعطى ابراهيم من كسر الاصنام والازلام فاعطى سيدنا محمدا عليه السلام كسرها باسرها فى مكة بمحضر من اولى نصرها من غير تعريض فى القول ولا تمريض فى الصول بل قال جهرا (قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) واما ما اعطى موسى عليه السلام من قلب العصا حية فاعطى عليه السلام انه لما اراد ابو جهل ان يرميه عليه السلام بحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واما ما اعطى موسى عليه السلام من اليد البيضاء فاعطى سيدنا محمد عليه السلام انه لم يزل نورا فى اصلاب وبطون وكان يرى من نوره فى الليلة المظلمة ما سقط على الارض من الخياط واما ما اعطى موسى ايضا من انفلاق البحر فاعطى سيدنا محمد انشقاق القمر كما سيجئ

والمراد من الانوار العلوم والحكم والفوائد الدينية ومن الظلم الجهالات والضلالات * ولما كان الجهل يجعل صاحبه كمن يمشى فى الظلمة فلا يهتدى للطريق ولا يأمن ان يلحقه مكروه شبهه بها فلزم بطريق العكس ان يشبه العلم بالنور والمشبه والمشبه به يشتركان فى وجه الشبه التخيلى كما فى قوله * وكان النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع * مع ان الطرفين خيالى ملحق بالحسى كما فى قوله وكائن محمر الشقيق اذا تصوب او تصعد * اعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد فالمعنى ان سيدنا صلى الله عليه وسلم

ان شاء الله تعالى فموسى تصرف فى عالم الارض وسيدنا محمد فى عالم السماء والفرق واضح وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف يكفون بحر الارض بالنسبة اليه كالقطر فى البحر المحيط قال فعلى هذا كان ذلك البحر منفلقا لنبينا عليه السلام فى ليلة المعراج واما ما اعطى موسى من اجابة الدعاء فقد اعطى سيدنا محمد مالا يحصى وسيجئ بيان بعضه واما ما اعطى موسى عليه السلام من تفجر الماء له من الحجارة فاعطى سيدنا محمد ان الماء تفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ واما ما اعطى موسى عليه السلام من الكلام فى الطور فاعطى سيدنا محمد مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو ومقامه عليه السلام كان فوق السموات العلى وسدرة المنتهى ومقام موسى كان طور سينا واما ما اعطى هرون عليه السلام من الفصاحة فكان نبينا عليه السلام افصح جميع بنى آدم واما ما اعطى يوسف عليه السلام من شطر الحسن فاعطى سيدنا محمد عليه السلام كله وقد سبق وسيأتى بعضه واما ما اعطى يوسف عليه السلام من تعبير الرؤيا فقد اعطى محمد عليه السلام مالا يعده عاد واما ما اعطى داؤد عليه السلام من تليين الحديد فاعطى نبينا عليه السلام مثل ذلك وزاد عليه ما اعطى من الخشب لبعض الاصحاب حيث كان سيفا قويا واما عدا الجن من جنود سليمان عليه السلام فخير منه عد الملائكة مع جبريل من جملة اجناده عليه الصلوة والسلام واما ما اعطيه من الملك فنبينا عليه الصلوة والسلام خير بين ان يكون نبيا ملكا وبين ان يكون نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا واما ما اعطى عيسى عليه الصلوة والسلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى فاعطى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جميع ذلك لانه رد العين الى مكانها بعد ما سقطت فعادت احسن ما كانت وكذا ما روى ان امرأة معاذ بن عفراء كانت برصاء فشكت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح عليها بعصا فذهب البرص منها ذكره الرازى واما احياؤه عليه الصلوة والسلام الموتى فقد سبق فتذكره وما ذكرنا كواحد من العشر بالنسبة الى ما جاء فى هذا البحث من الخبر

(اَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ * بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ)

لما بين اجمالا حسن خلقه وصورته عليه الصلوة والسلام بتشبيهه بالشمس اراد ان يذكر بعضا من تفصيله مع جعل بيان بعض خلقه وسيرته تابعا له فقال اكرم بخلق نبى زانه خلق الخ اكرم فعل تعجب على صيغة امر الحاضر والفاعل مستتر راجع الى الله اى ما اكرم الله بخلق نبى اى تعجب من اكرام الله بخلق نبى والباء فيه زائدة على ما ذهب اليه الاخفش متعلق باكرم والخلق

شمس من فضل الله تع طلعت على العالمين والانبياء اقمارها يظهرن الاقمار الانوار المستفادة منها فى عالم الشهادة عند غيبتها عنها ويخفين عند ظهور سلطان الشمس فينسخ دينه جميع اديانها صلى الله على صاحب الملة ومشيد اركانها وممهد قواعد الشرع * وبنيانها (اكرم بخلق نبى زانه خلق) (بالحسن مشتمل بالبشر متسم) اكرم به صفة تعجب والكرم عبارة عن ايثار الصفح عن الجانى بالاحسان الى المسئ واسبق بالامعان والخلق بمعنى المخلوق والاضافة الى الموصوف والخلقة والبنية وهى شخصه والمراد من الخلق الاوصاف الروحانية والاعراض النفسانية بذكر الفرد وارادة الجمع كما فى قوله تع (وانك لعلى خلق عظيم) او ارادة الجنس كما فى قوله تع (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها)

بمعنى الذات والصورة والتنوين فى نبى للتعظيم اى نبى فخيم والمراد محمد عليه الصلوة والسلام بقرينة المقام وجملة زانه صفة النبى وهو من الزينة وزان يتعدى بنفسه كقول امرئ القيس فى قصيدته المعلقة

* وفرع يزين المتن اسود فاحم * اثيث كقنو النخلة المتعثكل *

والخلق بالرفع فاعل زان وهو بضمتين جمع خلق بمعنى الصفة والسيرة والمراد شمائله عليه السلام وقد اشار فى هذا المصراع الى ان حسن الصورة انما هو حسن ان كانت الاخلاق حسنة وبالحسن متعلق بالمشتمل المؤخر وانما قدم ليفيد الحصر والالف واللام للاستغراق يعنى اشتمال جميع انواع الحسن مقصور على نبينا عليه السلام دون غيره ومشتمل بالجر صفة بعد صفة لنبى وهو على صيغة اسم الفاعل من الاشتمال بمعنى الاحاطة والاجتماع لانه من شمل بمعنى جمع واحاط لا من شمل بمعنى تفرق والفرق بين الاشتمال والشمول ان الاشتمال يستعمل فى تناول الكل لاجزائه والشمول فى تناول الكلى لجزئياته وبالبشر متعلق بالمتسم المؤخر والبشر بكسر الباء تحرك بشرة الوجه عند السرور والبشاشة يقال لقينى فاظهر البشر اى الطلاقة والبشاشة وفى بعض النسخ وقع بدل البشر البر بمعنى الصدق لكن الاول اولى لكون الثانى مستلزما للتكرار حيث سبق بيان ابريته عليه الصلوة والسلام فى قوله نبينا الآمر الناهى الخ ومتسم بالجر صفة بعد صفة لنبى وهو اسم فاعل من الاتسام بمعنى الاتصاف من الوسم بمعنى العلامة ومنه مافى قول الشاعر

* اوكلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم *

وحاصل المعنى ما اكرم خاتم محمد وصورته الظاهرة الذى زينه وحسنه خلقه وسيرته الباطنة فهو كما قال الله تعالى (نور على نور) وقال (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الموصوف باشتمال الحسن واحاطته جميع حالاته ومقالاته وسكناته وقد وردت فى بسط حسن صفاته احاديث مشهورة كثيرة كقول ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مارأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك يتلألأ فى الجدر وقول ام معبد فى بعض ما وصفه به كان عليه السلام اجمل الناس من بعيد واحلاهم واحسنهم من قريب وقول على رضى الله عنه فى آخر وصفه من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك مما يطول سرده فى هذا المختصر وكذلك كان عليه الصلوة والسلام هو الموصوف بالاتسام بالبشر التام والبشاشة على طريق الدوام وفيه احاديث

وحسن الصورة عبارة عن تناسب الاعضاء والاجزاء على ماينبغى وحسن الخلق عبارة عن كونه على حد الوسط بغير افراط وتفريط فان كلا الطرفين مذموم وخير الامور اوسطها الاشتمال التلبس مع الاحاطة والبر سعة الخير * والبشر تغير البشرة من السرور والبشاشة الاتسام بالشئ الاتصاف به مع الاشتهار وظهور اثره عليه وتنوين نبى للتعظيم وزانه خلق اما صفة نبى او صفة خلق ومشتمل صفة نبى وبالحسن متعلق به ومتسم صفة اخرى له وبالبشر او بالبر على اختلاف الروايتين متعلق به وتقديم الظرفين للاختصاص يعنى فيا عجبا من نبى جميل الخلق موسم بالبشر والالطاف * رؤف عطوف اجمل الخلق * واعظمهم خلقا ومنشرح الصدر * رحيم حليم طيب القول واللقا * فاول مايلقاك يلقاك بالبشر * رأت وجهه الانصار لما اتاهم * فقالوا تجلى البدر * من ساكنى البدر عليه من الصلوات اجلها * ومن التحيات اكملها *

معروفة يطول ذكرها منها قول عبدالله بن الحارث مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله عليه السلام وقول ابى هريرة اذا ضحك رسول الله يتلألأ فى الجدر فان قلت المستفاد من هذا الحديث ثبوت ضحكه عليه السلام مع انه ينفيه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى حيث قالت مارأيت رسول الله عليه السلام مستجمعا قط ضاحكا قلت ان عائشة انما نفت رؤيتها وابوهريرة اخبر بما شاهد والمثبت مقدم على النافى وقال ابن حجر والذى يظهر من مجموع الاحاديث انه عليه السلام كان فى اكثر احواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك فان لم يكن ماذكرته لك كافيا بالوفاء فعليك بما فى المواهب والشفاء * فلعله يكون لك به اكتفاء * ثم اعلم ان هذا البيت رابع الابيات الستة التى تمايل فيها النبى عليه الصلوة والسلام ويلزم لقارئه ان يكرره وترا

﴿ كَالزَّهْرِ فِى تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِى شَرَفٍ * وَالْبَحْرِ فِى كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِى هِمَمِ ﴾

ثم ترقى تفصيل اوصافه من خلقه وخلقه فقال كالزهر فى ترف الخ المصراع الاول لبيان حسن خلقه وصورته والثانى لبيان حسن خلقه وسيرته فقوله كالزهر ظرف مستقر مجرور على انه صفة بعد صفة لنبى او مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو كالزهر والكاف للتشبيه والزهر بفتح الزاى المعجمة نور النبات قيل هو مختص باصفره لكن الاصح انه اعم وجمعه ازهار وازاهر والزهر ايضا يقال لشئ نورانى فى غاية الضياء الذى وجهه يلمع كالسراج الوهاج والمراد ههنا المعنى الاول بقرينة سياقه وفى ترف متعلق بالتشبيه المستفاد من الكاف فهو بيان لوجه الشبه والترف بفتحتين النعومة فى الجلد والاولى ان يكون المراد من الزهر الورد لانه سلطان الازهار مع طيب رائحته ولطافة نعومته على سبيل المجاز بذكر العام وارادة الخاص وعلى التقديرين يكون التشبيه مقلوبا والا فلم يكن بشئ انعم واترف واطيب والطف من رسول الله عليه الصلوة والسلام ولو كان التشبيه على حقيقته لزم ان تكون نعومته عليه السلام انقص من الزهر اذ قاعدة التشبيه نقصان مايشبه وهو غير صحيح كيف وقد قال فى المواهب اللدنية وقد جاء فى رواية ابن عساكر انه عليه السلام قال (الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبرائيل والورد الاصفر خلق من عرق البراق) وقوله البدر بالجر معطوف على مدخول الكاف والبدر هو القمر فى ليلة اربعة عشر وفى شرف عطف على فى ترف لا يقال فحينئذ يكون من قبيل عطف شيئين بحرف واحد على معمولى عاملين مختلفين وهو فاسد لانا نقول لانسلم اختلاف العامل على ان المجرور مقدم كما لا يخفى والشرف

(كالزهر فى ترف والبدر فى شرف)
(والبحر فى كرم والدهر فى همم)

اما صفة لنبى فيكون مجرورا محلا او خبرا لمبتدأ محذوف وزهرة النبت نوره والترف النعومة والشرف العلو قوله فى شرف اما وجه الشبه كباقى الظروف فيكون صفة الكاف لما فيها من رائحة الفعل او يكون صفة او حالا اى فى وقت شرفه بتقدير الكائن او كائنا فيكون وجه الشبه محذوفا وعلى السامع استخراجها وهذا ابلغ وبعض البروج للبدر بيت الشرف كالسنبلة مثلا فان كمال حسن حاله يكون فيه اكثر والكرم نقيض اللوم وكرم البحر عموم الانتفاع به والدهر الزمان والهمم جمع همة وهمة الدهر توجهه وقصده الى الكمال باخراج مافى الامكان الى الفعل وهذه التشبيهات كلها من قبيل مافيه المشبه اتم من المشبه به كما فى وبدا الصباح البيت كما روى فى حسن خلقته ولطف سيرته عن انس رضى الله عنه انه قال والله مامسست خزا ولا ديباجا ولا حريرا الين من كف رسول ولا شممت مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رأيت احسن خلقا منه خدمته تسع سنين فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم افعله هلا فعلته ومن كمال كرمه انه لما كسر سنه كان يقول (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) وعلى علو همته وكون التشبيه فى امثال هذا البيت مقلوبا اشار حسان بن ثابت حيث قال

بمعنى العلو لكن المراد العلو القدرى لا العلو المكانى فتأمل (ثم اعلم ان البدر من اسمائه عليه السلام وقد صادف تشبيهه عليه السلام بالبدر لان التشبيه بالبدر ابلغ عند العرب من التشبيه بالقمر والشمس اما الاول فلان البدر وقت كماله دون القمر واما الثانى فلما سبق ان البدر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من شاهده ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس التى تغشى البصر فتمنع من تمكن الرؤية ولقد احسن من قال

* كالبدر والكاف ان انصفت زائدة * فلا تظنن فيه الكاف للشبه *

وبالجملة انهم قالوا ان التشبيهات الواردة فى صفاته عليه السلام انما هى على عادة شعراء العرب والافلا شئ من هذه المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية وقوله والبحر بالجر عطف على قريبه او بعيده يعنى ان رسول الله كالبحر فى اعطاء ماينفع لانه كما ان البحر المالح يعطى الانسان لؤلؤا ومرجانا وجواهر كثيرة فكذلك رسول الله عليه السلام ولذا قال فى وجه الشبه فى كرما والفرق بين الكرم والجود والسخاء ان من اعطى البعض فهو سخى ومن بذل الاكثر فهو جواد ومن اعطى الكل فهو كريم وقد ثبت كرمه عليه السلام باخبار كثيرة وآثار وفيرة منها حديث انس مرفوعا * انا اجود بنى آدم * وفى رواية لمسلم ماسئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا الا اعطاه فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لايخاف الفقر وفى رواية اعطى صفوان يوم حنين واديا مملوأ ابلا ونعما ولله در ابن جابر حيث قال

* هذا الذى لايتق فقرا اذا * يعطى ولو كفر الانام وداموا *

* واد من الانعام اعطى آملا * فتحيرت لعطائه الاوهام *

وفى رواية البخارى عن انس انه عليه الصلوة والسلام اعطى العباس من الذهب والفضة مالم يطق حمله والتفصيل فى المطولات وقوله والدهر بالجر عطف على القريب او البعيد والدهر بفتح الدال بمعنى الزمان وعلى قول بمعنى الابد وقيل هو مدة الدنيا وقيل زمان طويل وقيل هو الف سنة وسيجئ ما يتعلق بالدهر فتبصر والهم همة وهو قصد اكمال التوجه يعنى كما ان الدهر الطويل والزمان المديد يقبل الرجل ويعطيه ما رغبه ويكمله كذلك النبى عليه السلام وفى البيت تضمين من قول حسان فى وصفه عليه السلام * له همم لامنتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر *

(كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ فِى جَلَالَتِهِ * فِى عَسْكَرٍ حِيْنَ تَلْقَاهُ وَفِى حَشَمٍ)

لمابين وصفه عليه السلام من بشاشته وزيادة كرمه توهم القاصرون انه من خوفه

له همم لامنتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر

(كأنه وهو فرد فى جلالته)

(فى عسكر حين تلقاه وفى بهم)

الفرد الوتر والمراد هنا المنفرد والكبير يرجع الى الذات والجليل الى الصفات والعظيم يشملهما واراد بجلالته الكمالات الصفاتية وقوله وهو فرد حال وفى جلالته بمعنى مع وخبر بعد خبر لايجوز ان يتعلق بفرد وفى عسكر خبر كأن ومتعلق بمحذوف اى كأنه كائن فى عسكر وهو العامل فى حين ولايجوز ان يتعلق بفرد بشهادة الذوق الصحيح واستلزامه بعض التعقيد اللفظى والخطاب فى تلقاء لغير معين والبهم جمع بهمة وهو الغار الشديد البأس ويقال للجيش ايضا وروى فى حشم ايضا وهو السماع والمقصود من البيت بيان كمال شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى انه فى ثبات القدم وقوة الجاش فى حال تفرده وتوحده كمن يكون فى قلب الجيوش والشجعان ويجوز ان يراد ان هيبة رواته وابهة لقائه يعمل عمل الجيوش والعساكر * ويفعل فعل الشجعان والهزابر * فصار هذا مظنة ان يتوهم متوهم انه غليظ القلب حاشاه * او قيل البشر فدفعه بقوله

من قومه دفع ذلك فقال كأنه وهو فرد الخ كأن للتشبيه لا للظن والضميران راجعان اليه عليه الصلوة والسلام والواو فى وهو للحال والفرد بمعنى المنفرد اى حال كونه منفردا غير مقارن لاحد وفى جلالته متعلق بالتشبيه المستفاد من كأن وهو بيان وجه الشبه والجلالة المهابة والعظمة قيل الكبير يستعمل فى الذات والجليل فى الصفات والعظيم فيهما وفى عسكر ظرف مستقر خبر كأن يعنى ان النبى عليه الصلوة والسلام فى كمال متانته وتمام شجاعته كمن كان فى عسكر منفردا لان من كان له عسكر وكان هو واقفا فى وسطهم يلزم له الشجاعة البتة والمتانة عادة قوله حين تلقاه ظرف التشبيه وتلقاه من الملاقاة بمعنى الوصول وهو خطاب لكل احد من شانه ان يخاطب * لايقال انه ركيك انه يلزم ان يكون عم شجيعا ومهيبا على المؤمنين مع انه عم رحيم بهم لانا نقول التشبيه مقيد بكونه فى عسكر وهو يدل على انه عليه السلام كان شجيعا على عسكر غيره على انه لايلزم من كونه عليه الصلوة والسلام وقت الملاقات شجيعا الشجاعة على المؤمنين وجعل تلقاه على صيغة التأنيث وارجاع ضميره الى جماعة الاعداء ركيك كما لايخفى وفى حشم عطف تفسير وبيان وتأكيد للعسكر وفى بعض النسخ وفى بهم بضم الباء جمع بهمة وهو الفارس الذى لايعلم من اين يجئ وبالمقابلة الى العسكر يراد من العسكر الجيش المشاة وهذه النسخة اولى من النسخة الاولى لان التأسيس خير من التأكيد وحاصل معنى البيت كأنه عليه السلام والحال انه منفرد بذاته وثابت فى عظمة صفاته وكأن فى كمال هيبته وجمال ابهته قائم فى قلب عسكر كبير وفى وسط جيش كثير تلقاه ايها المخاطب وتراه فى ذلك الموكب ومن كمال شجاعته ماروى ان ابا جهل كان وصيا ليتيم فجاء اليتيم اليه عريانا يسأله من مال نفسه فطرده ولم يعطه ماله فأيس الصبى فقال اكابر قريش قل لمحمد لك يشفع وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبى عليه السلام والتمس منه ذلك وهو عليه السلام كان لايرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا أصبوت فقال لا والله ماصبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة فخفت ان لم اجبه يطعننى ذكره شيخ زاده فى سورة الماعون وكذا ماذكر فى كتب الاحاديث انه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع يقال له ركانة وكان الناس يأتون اليه من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينا هو ذات يوم فى شعب من شعاب مكة اذ القيه رسول الله عليه السلام فقال ياركانة الا تتق الله وتقبل ما ادعوك اليه فقال له ركانة يامحمد هل من

شاهد على صدقك قال أرأيت ان صرعتك اتؤمن بالله ورسوله قال نعم يامحمد فقال له تهيأ للمصارعة قال تهيأت فدنا منه رسول الله عليه السلام فاخذه ثم صرعه فتعجب ركانة من ذلك ثم سأله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا ووقف ركانة متعجبا وقال ان شأنك عجيب رواه الحاكم فى مستدركه

(كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِى صَدَفٍ * مِنْ مَعْدِنَى مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسِمِ)

لما توهم القاصرون والجاهلون العاجزون من البيت السابق انه عليه الصلوة والسلام كان غليظ القلب عبوس الوجه شديد الكلام دفعه فقال كأنما اللؤلؤ المكنون الخ كأن للتشبيه وما كافة عن العمل واللؤلؤ الدر البيض وانما اطلق عليه الجوهر الابيض لتلألؤه وهو مبتدأ خبره قوله الآتى من معدنى منطق اى مستخرج وحاصل من معدنى منطق والمكنون بالرفع صفة اللؤلؤ بمعنى المستور والمصون المحفوظ وفى صدف متعلق بمكنون وجعله خبر المبتدأ بعيد كل البعد كما لا يخفى واما جعل اللؤلؤ خبر مبتدأ محذوف وجعل من معدنى صفة صدف بان يقال كأن كلامه عليه السلام اللؤلؤ المكنون فى صدف مستخرج من معدنى الخ فقريب وظاهر فتأمل والصدف ظرف اللؤلؤ قال الحياتى فى شرح التحفة الصدف حيوان من حيوانات البحر يكون اكثريا فى بحر بلاد الهند والصين فاذا جاء شهر نيسان يخرج على وجه البحر ويكشف فمه الى جانب السماء فاذا سقط فى فمه قطرة واحدة من المطر فى ذلك الوقت تكون تلك القطرة فى بطنه درة ذات قيمة كثيرة يقال لها الدرة اليتيمة والفريدة واذا سقط فى فيه منه قطرتان تكون تانك القطرتان فى بطنه درتين يقال لهما اخوان لكن تكون قيمتهما انقص واقل من الاول واذا سقط فى فيه منه قطرات ثلاث تكون دررا ثلاثا وان اربعا فاربع وقس على هذا لكن كلما زادت القطرات كانت قيمة درها انقص ثم ان الصدف حيوان اولا واذا سقط الدر فى فمه ينزل الى قعر البحر ويتأصل فيه كتأصل الشجر ولا يتحرك الى طرف اصلا كالحجر انتهى وفى هذا المصراع استعارة حيث شبه جوامع كلمه ومنظوم اسنانه عليه الصلوة والسلام باللؤلؤ المكنون فى صدف فى كونه بريئا من الفساد ومورثا للسرور والنشاط ثم استعير اللؤلؤ لكلامه ومنظوم اسنانه فذكر اللؤلؤ واريد كلامه وثغره عليه السلام والمعدن بكسر الدال وهو فصيح محل العدن بمعنى الاقامة وهو على صيغة التثنية حذف نونه بالاضافة والمنطق والمبتسم اما مصدران فالاضافة بمعنى اللام والمعدن للمنطق هو القلب لانه يظهر منه الكلام الدال على المرام لا يقال الكلام فى اللسان لا فى القلب لانا نقول حقيقة الكلام فى القلب دون اللسان بل هو دليل عليه ترجمان له كما افاده قول الاخطل

* ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا *

(كأنما اللؤلؤ المكنون فى صدف)
(من معدنى منطق منه ومبتسم)
ما كافة اللؤلؤ المبتدأ المكنون اى المستور صفته وفى صدف متعلق به ومن معدنى خبر اللؤلؤ اى كائن او صادر منهما والمنطق والمبتسم مصدران واراد بالمنطق مايجرى على اللسان ومعدن الابتسام هو الفم والبادى منه الثغر ومعدن النطق القلب والبادى منه الكلام الدال عليه فان اللسان ترجان القلب ومنه صفة منطق والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون المنطق والمبتسم اسمى مكان ولما كان الفم يبدو منه شيئان صار كأنه معدنان ويجوز ان يكون فى صدف خبر المبتدأ ومن معدنى بيانه فيكون استعارة كما فى رأيت اسدا يرمى او محذوف المشبه اى كان ثغره وكلامه * ويجوز ان يكون المشبه محذوفا ويكون هو المبتدأ اى كأن البادى منهما اللؤلؤ المكنون * اوهو الخبر ويكون التشبيه مقلوبا *

ومعدن الانبساط هو الفم لانه يظهر منه الاسنان والثغر واما اسما مكان فعلى هذا تكون الاضافة بيانية كما لا يخفى وحاصل المعنى انه عليه السلام كان فى غاية البشاشة ونهاية اللطافة ولم يكن غليظ القلب كما يشهد عليه شاهد صدق وكان كلامه وثغره المصون كالدر المكنون وكان فمه عليه السلام فى حفظ الكلام كالصدق المقبول بين الانام قال صاحب الزبدة فيها قال المحلى حكى ان بعضهم رأى فى المنام الصديق يرثى النبى بهذا البيت والبيت الذى قبله

(لَاطِيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ * طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ)

لما اشار الى بعض كمالاته الصورية والمعنوية فى خلقه وخلفه وافضلية قدره فى حال الحيات اراد ان يشير ايضا الى افضليته على جميع المخلوق فى حال الممات فقال لاطيب يعدل تربا ضم اعظمه الخ لا لنفى الحكم عن الجنس والطيب اسم لما يتطيب به ويعدل اى يساوى يقال فلان عديل فلان اى مساويه وجملة يعدل خبر لا واسمها الطيب والمعنى لا شئ طيبا يساوى تربا بضم التاء وسكون الراء لغة فى تراب او بمعنى التربة وضم بمعنى التصق ومس والجملة صفة تربا والاعظم جمع عظام والمراد جميع اعضائه عليه الصلاة والسلام وانما خصها بالذكر لكون قيام الاعضاء عليها والضمير فيها راجع اليه عليه السلام ومراد الناظم الفاهم اثبات الطيبة لبدنه عليه السلام بطريق الكناية اذهو ابلغ من الحقيقة فوصف تراب روضته عليه السلام بانه شريف لاطيب مثله وصف ذاته عليه السلام بطريق الكناية فالتراب انما اخذ الطيب من مقارنته له عليه السلام اذ كان عليه السلام متصفا برائحة الطيب كما روى عن انس انه قال ماشممت مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله عليه السلام وطوبى بمعنى الطيب والحسنى والخير قاله فى القاموس وقال غيره هى فرح وقرة عين وقال الضحاك عطية وقال عكرمة نعمة وشجرة فى الجنة اسمها طوبى وقد يكنى بها عن الجنة وفى الحديث طوبى للشام فان الملائكة باسطة اجنحتها عنها وطوبى ههنا اما صفة لتربا اى تربا مقولا فى حقه طوبى او مبتدأ خبره لمنتشق فليتأمل ومنتشق اسم فاعل من الانتشاق وهو الاشتمام يعنى طوبى لمن شم ذلك التراب ومنه متعلق بمنتشق وملتثم عطف على منتشق هو من الالتثام بمعنى التقبيل والبيت مقتبس من مرثية فاطمة الزهراء رضى الله عنها حيث قالت

* ماذا على من شم تربة احمد * ان لا يشم مدى الزمان غواليا *
* صبت على مصائب لو انها * صبت على الايام صرن لياليا *

(لاطيب يعدل تربا ضم اعظمه)
(طوبى لمنتشق منه وملتثم)
لا لنفى الجنس والطيب اسم لما يتطيب به يعدل اى يساوى خبر لا والتراب والترب والتوراب بمعنى والتنوين فيه للتعظيم وضم اعظمه صفة ترابا والعظم يجمع على عظم واعظم واراد بها جميع بدنه صلى الله عليه وسلم مجازا من قبيل ذكر الجزء وارادة الكل وطوبى فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا وهو فى معنى التعجب والتمنى وقع صفة لتربا اى مقولا فى حقه طوبى واللام فى لمنتشق متعلق به وقد يقال طوبى شجرة فى الجنة وهى مبتدأ والظرف الذى بعدها خبرها ومتعلق بمحذوف اى حاصل لمنشق والجملة انشائية معنى لانها للدعاء بدخول الجنة ولهذا قطعت عن الجملة الاولى وهذا من قبيل ذكر لازم الشئ وارادة ملزومه والانتشاق الاشتمام ومنه متعلق به والالتثام التقبيل ولا يبعد ان يكون المراد من المنتشق الغابر ومن الملتثم المقيم المجاور فالحاصل ان عند المحب ترب ارض الحبيب انفع من كل كحل واطيب من كل طيب او المعنى ان طوبى الجنة ونعيمها لمن يزور روضة النبى ويشم نسيمها ولعمرى حقيق بان يكون التراب الذى ضم جسمه المطهر اطيب من الكافور والعنبر فان ضم الجنس الى الجنس من سنن الله تعالى ولن تجد لسنة الله تحويلا *

 ابانه وابان عنه اظهره وكشف عنه

والمولد اسم الزمان والمكان واسناد ابان اليه مجاز العنصر الاصل والمراد من طيب العنصر طهارته وخلوصه عما لا ينبغى وجوده والمقصود بالنداء فى ياطيب محذوف اى ياايها العقلاء انظروا الى طيب وقت ابتدائه وطيب وقت انتهائه اى الى طيبه فيهما وقد يذكر طرفا الشئ ويراد مجموعه كما فى قوله وسبحوه بكرة واصيلا اى دائما والمراد من هذا النداء التعجب او التعجيب من الطيب المستمر وفى نداء الطيب اشعار بان طيبه شمل جميع العالم بحيث لا يجد المنادى غيره فيقع خطابه عليه ويكون اشارته اليه ومنه صفة لمفتتح وضميره اما للنبى او للعنصر او لطيب العنصر وقوله ومختتم اى منه لمكان العطف والمراد من طيبه المستمر خواصه ولوازمه المستمرة معه وغرائبه وعجائبه وفضائله التى انتشرت وعجائب مفتتحه ومختتمه ومايروى من طيبه الغالب على الكافور والعنبر كثيرة جدا ومذكورة فى المطولات منها بعض ما يروى عن كعب الاحبار وهو انه كان قريش فى شدة من الزمان وقحط فسميت السنة التى حمل فيها رسول الله سنة الفتح والابتهاج وذلك انه اخضرت لهم الارض واتاهم الميرة من كل مكان فاخصبوا ببركته وقبل ولادته واصبحت يومئذ اصنام الدنيا كلها منكوسة واصبح عرش ابليس عدو الله منكوسا والملك يغمسه فى البحار اربعين يوما فافلت منه هاربا حتى اتى جبل ابى قبيس فصاح صيحة اجتمعت اليه جنوده فقال لهم ويلكم هلكتم هذه المرة هلاكا لم تهلكوا مثله قد قالوا وما القصة فقال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المبعوث بالسيف

القاطع الذى لاحيلة بعده يبطل عبادة اللات والعزى وسائر الاصنام ولاتأتى موضعا الاوجدنا فيه ذكر الوحدانية علانية وهذه الامة هى التى لعننى ربى من اجلها وجعلنى شيطانا رجيما وسيأتى من هذا النبى مايحزن قلبى ويسخن عينى وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان من دلالات حمل محمد صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقال حمل محمد ورب الكعبة وهو امان لاهل الدنيا ولم يبق كاهن فى قريش ولاقبائل العرب الاحجبت عن صنعتها وانتزع علم الكهنة ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا واصبح الملوك خرسا وهرب وحش المشرق الى المغرب ووحش المغرب الى المشرق يبشر بعضها بعضا وسمع نداء فى الارض ونداء فى السماء ابشروا فقد آن لابى القاسم ان يخرج الى الارض ميمونا مباركا طيبا طاهرا الى خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فياطوباها وقالت آمنة آت اتانى فى منامى بعد ماحملته بستة اشهر فقال لى ياآمنة قد حملت بخير العالمين طرا فاذا ولدته فسميه محمدا واكتمى شانك وتقول لقد اخذنى بعد ستة اشهر كاملة مايأخذ النساء ولم يعلم بى احد من قومى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه وكان عبد الله ابوه قد قبض قبل ولادته باربعة اشهر وفى رواية غيرها لابل قبض بعد ولادته باربعة اشهر قالت فسمعت وجبة عظيمة فهالنى ذلك وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة من ربيع الاول فرأيت كأن جناح طائر ابيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع كنت اجد ثم التفتت فاذا انا بشربة بيضاء ظننتها لبنا وكنت عطشى فتناولتها ثم رأيت نسوة كالنخل كأنهن من بنات عبد مناف احدقن بى واذا بديباج ابيض قد مد بين السماء والارض واذا قائل يقول خذوه عن اعين الناس ورأيت قطعة من الطير قد اقبلت لها مناقير من الزمرد واجنحتها من الياقوت وكشف لى عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلثة اعلام منصوبات علم بالمشرق وعلم بالمغرب وعلم على ظهر الكعبة ثم كثر النساء عندى فلما خرج من بطنى درة فنظرت اليه فاذا هو ساجد يرفع اصبعته الى السماء كالمتهلل ثم رأيت سحابا قد اقبلت فغيبته عنى فسمعت مناديا يقول طوفوا بمحمد على شرق الارض وغربها والبحار ليعرفوه باسمه وصورته ونعته ثم انجلت عنه فى اسرع من طرفة عين فاذا اتى به مدرج فى ثوب صوف ابيض اشد بياضا من اللبن والطيب ريحا من المسك ثم اقبلت سحابة اخرى اعظم من الاولى اسمع منها صهيل الخيل وكلام الرجال وسمعت مناديا ينادى طوفوا بمحمد على الجن والانس والسباع واعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسمعيل وجمال يوسف

ولله در الناظم الفاهم حيث اشار فى هذا البيت الى النوعين المستعملين فى الطيب لانه اما ان يستعمل بالشم واشار اليه بقوله لمنتشق واما بالتضمخ واليه اشار بملتثم وهذا مبنى على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك امالانه كذلك فى نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واماباعتبار اعتقاد المؤمن فى ذلك فان المؤمن لايعدل بشم رائحة تربته عليه الصلاة والسلام شيئا من الطيب فان قلت لوكان المراد الحقيقة الحسية لادرك ذلك كل احد والجواب لايلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد بل حتى توجد الشرائط وتنتفى الموانع وعدم الادراك لايدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لايدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لايدرك رائحة المسك مع ان الرائحة قائمة بالمسك لم تنتف ولما كانت احوال القبر من الامور الاخروية لاجرم لايدركها من الاحياء الامن كشف له الغطاء من الاولياء المقربين لان متاع الآخرة باق ومتاع الدنيا فان والفانى لايتمتع بالباقى للتضاد ولاريب عند من له ادنى تصديق بشريعة الاسلام ان قبره روض من رياض الجنة وافضلها وانه لاطيب يعدل تراب قبره عليه السلام لتماس جسمه اللطيف الذى هو اطيب الطيب ولذا قال العلماء ان تربة قبره افضل من البيت والمسجد الاقصى والعرش والكرسى (ثم اعلم انهم اختلفوا فى زيارة قبره عليه السلام هل هو واجب اوسنة فذهب بعض المالكية الى الاول واستدلوا عقلا ونقلا اما الاول فلان الزيارة تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب فزيارته واجبة واما الثانى فلقوله عليه السلام من وجد سعة ولم يعد الى فقد جفانى وفى حديث آخر من حج ولم يزرنى فقد جفانى فانه ظاهر فى حرمة ترك الزيارة لان الجفاء اذى والاذى حرام بالاجماع فتجب الزيارة اذ ازالة الجفاء واجبة وهى بالزيارة فالزيارة واجبة حينئذ وذهب اكثر الشافعية والحنفية الى الثانى كما قال القاضى عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها والاحاديث السابقة مؤولة وبيانها فى كتب القوم مفصلة

(ابان مولده عن طيب عنصره * ياطيب مبتدأ منه ومختتم)

لمابين شرافة آخره ولطافة انتهائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى البيت السابق قيل فكيف كان ابتداؤه فاجاب ببيان شرافة ابتدائه ولطافة اوله عليه السلام فقال ابان مولده عن طيب عنصره الخ ابان بمعنى اظهر وكشف والمولد بكسر اللام اسم زمان وهو فاعل ابان ومفعوله محذوف اى عجائب كثيرة واسناد ابان مجازى وعن طيب متعلق بابان وكلمة عن قد تكون للبدل كما فى قوله * جزى ربه عنى عدى بن حاتم * وقد تكون لافادة كون مابعدها سببا لماقبلها كما فى قولك فعلت هذا عن امرك وقد تكون بمعنى بعد كما فى قوله تعالى (لتركبن طبقا عن طبق) وههنا للمعنى الثانى لان طيب عنصره سبب لاظهار زمان ولادته العجائب كما لا يخفى والمعنى اظهر الله زمان ولادته بسبب طيب عنصره عليه السلام عجائب كثيرة وسنبين بعض تلك العجائب ان شاء الله تعالى والطيب معلوم والعنصر بمعنى الاصل فى اللغة العربية كالاسطقس فى اللغة اليونانية والمراد من طيب عنصره عليه السلام طهارته وخلوصه عما لاينبغى كما يقع فى سائر المولودين وكلمة يا للنداء والمقصود بالنداء محذوف اى ياايها العقلاء انظروا بنظر التعجب الى طيب ابتدائه وانتهائه فالمبتدأ والمختتم بمعنى المصدر ويجوز ان يكونا اسمى زمان فان قلت قد بين طيب ابتدائه من هذا البيت وطيب انتهائه من البيت السابق فاين بيان طيب اوسطه عليه السلام قلت قد بين طيب اوسطه ايضا فى الابيات السابقة فى بيان شرافة خلقه وخلقه عليه السلام على ان المشهور بين العرب انهم يذكرون طرفى الشئ ويريدون مجموعه كما فى قوله تعالى (وسبحوه بكرة واصيلا) ومثله كان كثيرا (ثم اعلم ان ماروى فى انباء فضائله فى زمان ولادته واخبار عجائبه فى زمان ابتدائه كثير لايعد ولايحصى منها ماذكر فى كتب الاحاديث انه لما استقرت نطفته الزكية ودرته المحمدية فى صدف آمنة القريشية نودى فى الملكوت ومعالم الجبروت ان عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات فى صفف الصفا لصفوفية الملائكة المقربين اهل الصدق والصفا فقد انتقل النور المكنون الى رحم آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون وقال سهل بن

وبشرى يعقوب وصورة داود وامر سليمان وحكمة لقمان وقوة موسى وصبر ايوب وزهد يحيى وكرم عيسى عليهم السلام انجلت فى اسرع من طرفة عين وعن صفية بنت عبد المطلب انها قالت كنت قابلته حين ولد فرأيت نوره قد علا ضوء السراج ورأيت فيه ستة علامات رايته حين سقط على الارض سقط ساجدا والثانية لما رفع رأسه قال بلسان فصيح لا اله الا الله انى رسول الله والثالثة رايت البيت مستضيئا من نوره قد غلب ضوءه ضوء السراج والرابعة اردت ان اغسله فهتف هاتف ياصفية لاتتعبى نفسك فانا اخرجناه مغسولا طاهرا طيبا والخامسة ﴿ ١١٢ ﴾ اردت ان اعرف أذكر ام انثى فوجدته مختونا مسرورا والسادسة اردت ان الفه فى لفافة فوجدت على ظهره خاتم النبوة بين كتفيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله هذه شمة من طيب عنصره وقت مفتحه فعليك بشمام نسمة من نسمات طيب مختمة قال ابو هريرة رضى الله عنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل ابو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر وعمر بن الخطاب يكلم الناس فلم يلتفت الى شئ حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية البيت مسجى عليه برد حبرة فاقبل حتى كشف عن وجهه فقال وانبياه واصفياه واخليلاه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابى انت وامى ما اطيبك حيا وميتا اما الموتة التى قد كتب الله عليك قد رزقتها ثم لن يصيبك بعدها ابدا ومن المشهور ان معاذا حين اقبلت فاطمة من القبر قال اسألك بحق القبر ومن فيه الا اخبرتنى كيف وجدت حبيبى عند الوفاة فبكت فاطمة وقالت يامعاذ لوشهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى سكرات الموت وعيناه تدمع وجبهته ترشح عرقا اطيب من رائحة المسك ماهنالك العيش ايام الدنيا وفى التفاسير ان طيب النبى صلى الله عليه وسلم كان بحيث يجد اصحابه طيب رائحته فى المحلات وكانوا يعرفون بحسن عرقه انه عليه السلام اين ذهب حتى ان زيدا علم من طيب النبى صلى الله عليه وسلم انه جاء الى بيته واستخبر من زينب عن مجيئه عليه السلام واجيب بما اجيب وعجائب حالاته وغرائب طيب ذاته مما لايعد ولايحصى ومنها ما اشار اليه الناظم بقوله *

عبد الله التسترى لما اراد الله خلق محمد عليه السلام فى بطن آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة امر الله فى تلك الليلة خازن الجنان ان يفتح الفردوس ونادى مناد فى السموات والارض ان النور المخزون الذى يكون منه نور النبى الهادى فى هذه الليلة يستقر فى بطن امه الذى يتم فيه خلقه عليه السلام وروى انه كانت قريش فى جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحلت الاشجار فسميت تلك السنة التى حمل فيها رسول الله عليه السلام سنة الفتح والابتهاج وفى رواية ان آمنة قالت ثم اخذنى مايأخذ النساء ولم يعلم فى ذكر ولا انثى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه سمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالنى ثم رأيت كأن جناح طير ابيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع اجده ثم التفت واذا انا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابنى نور عال ثم قالت ورأيت رجالا قد وقفوا فى الهواء بايديهم اباريق من فضة فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة اعلام مضروبة علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذنى المخاض فوضعت محمدا عليه الصلوة والسلام فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غابت عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه فى البحار ليعرفوه بنعته وصورته وهذه القصة طويلة يتحير منها الافهام حتى ان بعض الفضلاء الكرام وضعوا لمولده عليه السلام كتابا مستقلا فى حسن النظام ومن اراده فعليه الرجوع والقيام

(يوم تفرس فيه الفرس انهم) ﴿ ١١٣ ﴾ قد انذروا بحلول البؤس والنقم)

(يوم تفرس فيه الفرس انهم * قد انذروا بحلول البؤس والنقم)

لما قدر المفعول فى البيت السابق اعنى قوم عجائب او علامات وكان ذلك فى غاية الاجمال اراد ان يفصله بذكر بعض منه فقال يوم تفرس فيه الفرس الخ يوم بدل من المولد والمراد من اليوم النهار وقد يستعمل فى مطلق الزمان لكن المراد هنا النهار اذ المشهور والاصح انه عليه السلام ولد يوم الاثنين فعن قتادة انه عليه السلام سئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وعن ابن عباس انه قال ولد عليه السلام يوم الاثنين وانزل عليه النبوة يوم الاثنين وخرج مهاجرا يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ووضع القبر يوم الاثنين وكذا فتح مكة يوم الاثنين وانزل عليه سورة المائدة يوم الاثنين ومن قال المراد من اليوم ههنا مطلق الزمان فليس له خبر بكتب الاحاديث وتفرس اى نظر وعلم بالفراسة والفراسة قوة يدرك بها الانسان المعانى الباطنة من المخايل الظاهرة وفيه متعلق به وضميره راجع الى اليوم والفرس بالرفع فاعله والفرس اسم جمع لاهل فارس وفارس معرب پارس وهو اسم لپارس بن ناسور بن سام بن نوح وهو بلاد كثيرة بناها المزبور وبلاده المشهورة شيراز واصفهان وقد ورد فى مدح اهل فارس حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال (ان الله اختار من بين خلقه من العرب قريشا ومن العجم فارسا) وفى حديث آخر (ابعد الناس عن الاسلام الروم) ولو كان الاسلام معلقا بالثريا لتناوله رجال من فارس وانهم ان مع اسمها وخبرها مفعول تفرس والضمير للفرس وقد للتحقيق وانذروا ماض مجهول من الانذار بمعنى التخويف مع الابلاغ وبحلول متعلق بالانذار والحلول بمعنى النزول والبؤس الشدة والمضايقة واللام للاستغراق او للجنس او للعهد والنقم عطف تفسير للبؤس وهو بفتحتين جمع النقمة بكسر النون وهى الشدة والعقوبة اعلم انه روى ان الليلة التى ولد فى فجر نهارها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ملك فارس وهو نوشيروان رؤيا تحير منها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا منجما من اهل مملكته الا جمعه مع طائفة من احبار اليهود فقال لهؤلاء انى رأيت رؤيا حيرتنى فاخبرونى بها قالوا اقصصها علينا حتى نخبرك بتاويلها قال لا اطمأن بتأويلكم بعد القصص وانى اريد ان تخبرونى بالرؤيا وتأويلها قبل القصص عليكم فتحيروا ولم يقدروا على اخباره فقال رجل منهم ان كنت تريد هذا فابعث الى سطيح حتى يخبرك فبعث الملك اليه عبد المسيح فبلغ عبد المسيح الى البحرين وكان سطيح يخرج فى كل سنة مرة وكانوا يضعونه على صحيفة من الذهب فيخبر عن احكام السنة الآتية والناس يكتبونها فانتظر عبد المسيح خروجه فلما خرج بدأ الكلام برؤيا الملك

خبر مبتدأ محذوف اى مولد هو يوم وهو زمان مابين طلوع الفجر الى غروب الشمس وقد يستعمل فى مطلق الوقت وهو المراد هنا تفرس اى نظر وعلم بالفراسة والفراسة قوة يدرك بها الانسان بالمخايل الظاهرة المعانى الباطنة والفرس جمع لاهل بلاد فارس وان مع اسمه وخبره قام مقام مفعولى تفرس وضمير الجمع للفرس والحلول النزول * والبؤس الشدة الموروثة للهم والحزن والنقم جمع نقمة وهى العقوبة روى ان الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس ايوان كسرى وسقطت عنه اربعة عشر شرفة ومابقى الا ثمانية شرفات على وفق عدد ثمانية من الاكاسرة الذين يملكون الفرس الى عهد خلافة عمر رضى الله عنه وفتح الفارس وقد راوا كسرى وهوسا سان رؤياها له وفزع بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا منجما من اهل مملكته الا جمعه وجمع طائفة من احبار اليهود يقال لهم موبدان فقال لهؤلاء انى رأيت رؤيا هالتنى وخضعت بها فاخبرونى بها وبتأويلها قالوا اقصصها علينا نخبرك بتأويلها قال انى ان اخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم من تأويلها وانه لايعرف تعريفها الا من عرفها قبل ان اخبره بها فقال له رجل منهم فان كان يريد الملك كسرى هذا فليبعث الى سطيح واسمه ربيع بن ربيعة ابن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن غسان وانما سمى سطيحا لانه كان مستلقيا على قفاه لايقعد لانه ماكان فى بدنه عظم سوى عظم جمجمته وقيل ذلك لانه تولد من امرأتين والعظم انما تولد من نطفة الرجل ومسكنه بالبحرين وولد فى سيل العرم فبقى الى ملك ذى نواس وذلك

وقال انه رأى رؤيا تحير منها وهى انه رأى خيلاعرابا تملأ المدائن وتسوق الابل العراقية وتخرجها منها وانما هذه العلامة علامة ولادة النبى الامى العربى الهاشمى محمد الذى هو افضل ابناء الخليل الموصوف فى التوراة والانجيل وتأويل رؤياه ان خيل العرب هم اصحاب ذلك النبى يدخلون بلادفارس وستفتح لهم ويأخذون المدائن من آل ساسان ثم بكى فقيل مايبكيك فقال امابكى وقدبقى من عمرى قليل ولاادرك بعثة هذاالنبى فرجع عبدالمسيح فاخبر ساسان فامر ساسان بقتل سطيح فقتلوه وشقوارأسه

﴿ وَبَاتَ اِيوانُ كِسْرَى وهو مُنْصَدِعٌ * كَشَمْلِ اَصْحَابِ كِسْرَى غيرَ مُلْتَئِمِ ﴾

ثم شرع فى بيان العلامة الثانية والآية الواقعة فى يوم ولادته فقال وبات ايوان كسرى الخ بات يجئ لمعنيين الاول الفعل فى الليل يقال بات فى الليل اى كذا فعله فى الليل والثانى بمعنى صار سواء كان فى الليل او فى اليوم وهذا عام كما ان الاول خاص ويجوز ههنا كلا معنييه والجملة معطوفة على جملة تفرس والعائد محذوف اى بات فيه فليتأمل وايوان بكسر الهمزة اسم معرب لسقف لايكون لجانب مقدمه جدار وهمزته اصلية اذلو كانت زائدة لانقلبت الواو ياء كما انقلبت فى ايام فعلم بهذا ان ايوانا مثل ديوان ووزنهما فوعال والاصل فيهما اووان ودووان فقلبت الواو الاولى ياء لكسرة ماقبلها كراهة التضعيف وكسرى معرب خسرو وهو اسم جنس لمن يملك العجم ويجمع على اكاسرة كما ان قيصر اسم جنس لمن يملك الروم والنجاشى لمن يملك الحبشة وخاقان لمن يملك الترك وفرعون لمن يملك مصر وتبع لمن يملك اليمن والواو فى وهو حالية والضمير راجع الى الايوان ومنصدع اسم فاعل من الانصداع بمعنى الانهدام والتفرقة اذروى ان بنى ساسان بنى ذلك الايوان فى تسعين سنة وطلاه بماء الذهب ونقشه بالزبرجد واللؤلؤ وبكل جوهر عظيم القيمة فلما كانت ليلة ولادته عليه السلام اهتز وانصدع ذلك فسقط اربع عشرة شرفات من شرفاته ومابقى الا ثمان شرفات وفى سقوط الاربع عشرة شرافة اشارة الى انه يملك منهم بعده ملوكا بعدد الشرفات الباقية وقوله كشمل اصحاب كسرى دفع لما يتوهم ان يقال من انه هل بنى بعد انشقاقه كالاول اوبقى فى انشقاقه فقال كشمل اصحاب كسرى يعنى كما ان اصحابه تفرقوا وما جمعوا كالاول كذلك ذلك الايوان تفرق وانشق وماجمع ومابنى بعده ويكون كشمل فى التركيب ظرفا مستقرا حالا ولك ان تجعله صفة مصدر محذوف اى وهو منصدع انصداعا كشمل الخ وعلى كلا التقديرين يكون قوله كشمل اصحاب كسرى من قبيل التكملة والاحتراس كما لا يخفى على

اكثر من ثلثين قرنا والقرن اكثر من ثلثين سنة فبعث ساسان الى سطيح عبد المسيح ﴿ ١١٤ ﴾ وهو من خواص اصحابه فبلغ البحرين والسطيح كان يخرج فى كل سنة مرة وكانوا يضعونه على الصحيفة من الذهب ويخرجونه من بيته فيتكلم من احكام تمام السنة الآتية والناس يكتبونها فانتظر عبدالمسيح خروج السطيح فلما خرج بدأ الكلام برؤيا ساسان وسقوط شرفات الايوان ويبس بحيرة ساوة وانطفاء النيران وقال ان ساسان كسرى كسرى المداين رأى رؤيا هالته وهى انه رأى خيولا عربيا يملأ المداين ويسوق الابل العراق ويخرجها منها وانما هذه العلامات علامة ولادة النبى الامى العربى الهاشمى المكى الابطحى محمد الذى هو من اشرف ابناء الخليل الذى كان نعته فى التوراة والانجيل فبعد هذا اليوم لايقدر الشياطين على استراق السمع فان الله تع جعل الشهب رجوما لهم ولا يروج بعد اليوم امر الكهنة وتأويل رؤيا ساسان هو ان خيل العرب هو اصحاب ذلك النبى الزكى * الذى يأتيه الوحى من قبل الملك العلى يدخلون الفارس وسيفتح لهم هذه البلاد ويأخذون المداين من الملك الثامن من ساسان على عدد شرفات بقين على الايوان ثم بكى وقال مابقى من عمر السطيح ايضا الاقليل * فلا يدرك ايام بعثة هذا النبى الجليل المأمور باتباع ملة الخليل فرجع عبد المسيح واخبر ساسان بما قال السطيح وامر رؤيا ربيعة بن نصر ملك اليمن وشق وسطيح الكاهن معه مذكور فى التواريخ الها شمى فمن اراد استيفاء القصتين واستقصاءهما فليرجع اليه والى المستقصى وغيرهما من كتب التواريخ * ﴿ وبات ايوان كسرى وهو منصدع ﴾ ﴿ كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم ﴾

من له من علم المعانى ادنى اختلاس * والشمل من الاضداد وهو ههنا بمعنى التفرقة وقوله اصحاب كسرى فان قلت اللازم ان يقول اصحابه بالضمير فما فائدة الاظهار فى مقام الاضمار قلت فائدته تقريره فى الذهن ودفع توهم رجوع الضمير الى الايوان ويمكن الجواب بالتغاير بين كسرى الاول والثانى فلايكون من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير ويؤيده ماقاله بعضهم من ان فى هذا البيت اشارة الى قصتين حيث اشير فى المصراع الاول الى سقوط ايوان كسرى اعنى انقراض ساسانيان وخرابه وفى الثانى اشارة الى ماروى ان كسرى الذى هو يزدجرد بن شهريار وهو آخر الاكاسرة وقد ملك الفرس كلهم جعل رستما من الارامنة وهو غير رستم المشهور من العجم صاحب الجيش ورئيسهم ووهب له جميع خزائنه وقال له خذ من السلاح والذهب والفضة ماشئت وادفع شر العرب عنى فذهب رستم من بلاد خراسان بمأتى الف رجل الى بلاد العراق وتبعه جميع اهل الذمة ونقضوا العهد وكان ذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه فوجه عمر رضى الله عنه عساكر كثيرة وجعل سعد بن ابى وقاص صاحب الجيش وامر جيشه الذى كان فى العراق اولا ان يبايعوا سعدا فوصل سعد مع العساكر الى عسكر رستم فلما تقابل الفريقان رأى هلال ابن علقمة الهيثمى رستما فتوجه اليه فرماه فقتله فاعطاه سعد سلبه فبلغ سلبه سبعين الف درهم سوى قلنسوته فانها بلغت مائة الف وانهزمت الفرس فنهض سعد خلفهم يفرق شملهم ويقتل حزبهم ولم يلتئم بعد ذلك شملهم فوصل الى المسلمين مغانم كثيرة روى انهم اخذوا علم الكفار وذهبوا به مع المغانم الى عمر رضى الله تعالى عنه فقسمه بين المسلمين فبلغ سهم على كرم الله وجهه شبرا منه فباعه بعشرة آلاف دينار

بات من الافعال الناقصة وهو اما بمعناه او بمعنى صار وعطف على تفرس فلابد من تقدير فيه والايوان معرب اسم لمسقف لايكون بعض جوانبه جدار كسرى بكسر الكاف وفتحها اسم لمن يملك الفرس وجمعه اكاسرة على غير القياس انصدع انشق وهو منصدع خبر بات والواو لتأكيد لصوق الخبر بالاسم كما يكون لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف فعلى هذا اى على تقدير ان يجعل وهو منصدع خبر بات يحمل الواو على واو التأكيد للصوق الخبر باسم ويكون كشمل حالا ولك ان تجعل كشمل خبر بات وقوله وهو منصدع ﴿ ١١٥ ﴾ حالا يقال فرق الله شملهم اى ما اجتمع من امرهم التأم انضبط واجتمع وغير ملتئم حال شبه وقوع الانصداع فى منزل احتشامه بوقوع التفرقة فى اصحابه وخدامه ويجوز ان يكون المراد من كسرى فى قوله كشمل اصحاب كسرى يزدجرد بن شهريار وهو آخر الاكاسرة وقد ملك الفرس واستقام الامر وجعل رستم ابن فرخزاد صاحب الجيش وقال له هذه الخزائن بين يديك فاحمل منها من السلاح والذهب والفضة ماشئت واكفنى امر العرب الذين دخلوا فى بلادنا فذهب رستم من خراسان فى مأتى الف رجل الى وادى العراق ونقضت الدهاقنة عهودهم ووثبوا على المسلمين من كل جانب فوجه عمر رضى الله عنه العساكر المنصورة وجعل سعد بن ابى وقاص صاحب الجيش وامر جرير بن عبدالله والمثنى بن حارثة بمتابعة سعد وانقياده وهما كانا فى العراق مع الجيش الكثير فلما لحق بهما سعد واقبلوا اعلى رستم للمحاربة وهو كان كاهنا منجما وكان يكره الخروج الى قتال العرب ومع هذا رأى فى المنام كان ملكا يجمع سلاح اهل فارس ويعطيها النبى صلى الله عليه وسلم ويعطيها النبى عمر فازداد غمه وجبن الا انه ماوجد بدا من طواغية يزدجرد وكان فى عسكر رستم خمسة آلاف شريف مطبوع شاكى السلاح يدور عليهم رجاء الحرب وبعث يزدجرد معه عشرين الفا ومائة الف وقيل مأتى الف فلما اصطف الفريقان رأى هلال بن علقمة الهيثمى رستما فتوجه اليه فرماه رستم بنشابه فسك بها ركابه وحمل عليه هلال فضربه فقتله فاعطاه سعد سلبه فبلغ سلبه سبعين الفا سوى قلنسوته فانها بلغت مائة الف وانهزم الفرس ونهض سعد بن ابى وقاص خلفهم يفرق شملهم ويقتل

حزبهم ولما رجعت الفرس منهزمة الى يزدجرد واتاه خبر رستم ومقتله حمل ﴿ ١١٦ ﴾ من الخزائن ماامكنه يريد نهاوند وارض الجبال ولم يجتمع بعد ذلك شمله وشمل اصحابه واشار الناظم الى هذا بقوله كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم وباق قصة فتح المداين مذكور فى التواريخ

﴿ والنار خامدة الانفاس من اسف ﴾
﴿ عليه والنهر ساهى العين من سدم ﴾

معطوف على الجملة الفعلية السابقة بتقدير فيه ولحظ المعطوف عليه من الاعراب لاستهجان فى اختلاف الجملتين المتعاطفين اسمية وفعلية لكون كل واحد منهما فى تقدير المفرد ولك ان تجعل هذه الجملة حالية كما فى قولك لقيتك والجيش قادم خامدة اى منطفئة الانفاس جمع نفس بفتح الفاء الاسف الحزن ومن لابتداء الغاية مع السببية ومتعلقة بخامدة وعليه متعلق بالاسف وضميره امالفرس اوللكفر بدلالة المقام كافى ولابويه الى المولود لكن يتضمن الاسف معنى الغيظ النهر اى ماؤه عطف على النار ساهى العين اى غافل العين من سدم اى ندم اى ضل الطريق من التحير لان النادم لايخلو عن حيرةما والحيرة بظهور العجائب وحدوث الغرائب وفى البيت استعارتان بالكناية حيث ذكر المشبهتين وهما النار والنهر واستعارتان تخييليتان حيث اثبت الانفاس للنار والعين للنهر واراد بالنهر الفرات فانه روى انه فى الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمدت النيران التى حفظوها من الفسنة وطفئ الفرات وملأ سماوة وهى بادية بين دمشق وعراق وصلى الله على حبيبه الذى اختص بحسن الاخلاق وطيب الاعراق *

﴿ والنار خَامِدَةُ الانفاسِ مِنْ اسَفٍ * عليهِ والنهر ساهِى العينِ مِنْ سَدَمِ ﴾

ثم شرع فى بيان العلامة الثالثة والرابعة فقال والنار خامدة الانفاس من اسف الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على الجملة السابقة ولابدفيه من فيه ايضا ولا يرد ان هذه الجملة اسمية والاولى فعلية فلايحسن عطفها عليها لكون كل واحدة منهما فى تأويل المفرد وتقديره فحينئذ لايضر العطف كمالايخفى وخامدة من الخمود وهو انقطاع شعلة النار مع بقاء جرها والانفاس جمع نفس وهو بالفتح مايدوم ببقائه الحيوان والمراد ههنا به شعلة النار بطريق الاستعارة بان شبه شعلة النار بنفس الحيوان فى كونهما سببا للدوام واستعير الانفاس لشعلة النار فذكر الانفاس واريد الشعلة والقرينة على هذه الاستعارة ايقاع الخامدة على الانفاس هذامبنى على ان تكون النار على حقيقتها ويجوز ان يراد من النار الكفار مجازا واستعارة بان شبه الكفار فى هلال من قرب منها فاستعير النار للكفار فذكر النار واريد الكفار فعلى هذا يكون الخمود تجريدا والانفاس تخييلا والاسف ترشيحا ويجوز ان يكون النار استعارة مكنية بتشبيهها بالحيوان المضر والانفاس تخييلها والاسف ترشيحها وقوله من اسف متعلق بخامدة والاسف بمعنى الحزن كما فى قوله تعالى حكاية (يااسفا على يوسف) وعليه متعلق باسف والضمير اماراجع الى النار فيكون المعنى ان نار المجوس فى يوم الميلاد قد خمدت من اسفها على نفسها وبقائها بين الكفار وكونها معبودا لهم واماراجع الى يوم الميلاد فيكون المعنى ان نار المجوس كانت مشتاقة الى جماله صلى الله تعالى عليه وسلم فتأسفت من فرقه وعدم وصولها اليه عليه السلام فخمدت شعلتها وانطفأ لهبها واماراجع الى الفرس الذين عاونوها باحراقها دائما وعدم انطفائها اصلا فيكون المعنى ان نار المجوس قد خمدت لتأسفها وحزنها على عونتها لانهم تفرقوا عن هذا ولم يجتمعوا بعده ابدا وقوله والنهر عطف على النار والمراد من النهر ماء ساوة فذكر المحل واريد الحال وساهى العين بالرفع خبر المبتدأ اعنى النهر والساهى بمعنى الغافل والعين من الالفاظ المشتركة تجئ لمعان كثيرة والمراد ههنا منبع الماء ومن سدم متعلق بالساهى ومن اجلية والسدم الحزن والندامة وفى بعض النسخ من ندم بالنون ولابد من تقدير عليه فى هذه الجملة بقرينة سياقه ففى ضمير عليه المقدر يجرى ايضا احتمالات ثلاثة بان يرجع ضميره الى النهر ويكون المعنى ان نهر ساوة قد غفل عن مجراه السابق وافرط فى اخراج الماء فجاوز عينه فى يوم الميلاد للتأسف على نفسه اى لبعده عنه عليه السلام وبقائه فى ارض بعيدة اويرجع الى يوم الميلاد والمعنى ان نهر ساوة كان

مشتاقا الى جماله ورؤيته عليه السلام فتأسف فى ذلك اليوم من عدم وصوله فبكى فطغا ماؤه فغفل عن مجراه السابق اويرجع الى الفرس لانهم كانوا خدمة ذلك الماء اذ كان عين ذلك الماء فى بلادهم والمعنى ان ماء ساوة قد تأسف على عونته وخدمته فغفل عن مجراه السابق فافرط ماؤه لان عونته قدتفرقوا بعد ولادته عليه السلام ثم اعلم ان النهر يجوز فيه وجوه الاستعارة التى قد سبقت فتذكرها ورتبها

﴿ وَسَاءَ سَاوَةَ اَنْ غَاضَتْ بُحَيرَتُهَا * وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِى ﴾

ثم شرع فى بيان العلامة الخامسة فقال وساء ساوة ان غاضت بحيرتها الخ الواو للعطف والجملة معطوفة على قريبها او بعيدها فلا تنس تقدير فيه ههنا ايضا وساء امالازم بمعنى حزن اومتعد بمعنى احزن والانسب الثانى وساوة اسم مدينة عظيمة والمراد من ساوة اهلها اما بطريق المجاز المرسل بان يكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال او بطريق المجاز الحذفى كقوله تعالى (واسئل القرية) وهى غير منصرفة لكونها مؤنثة وعلما ثم ان ساء ان كان لازما تكون ساوة بالرفع فاعلا له وان متعديا تكون بالنصب مفعوله وفاعله قوله ان غاضت وغاض بمعنى غاب يقال غاض الماء اذا غاب وبحيرتها بالرفع فاعل غاضت والضمير الى ساوة والبحيرة اسم لمياه عظيمة فى مملكة عراق العجم بين همدان وقم وتركب فيها السفن ويسافر بها الى ماحولها من البلاد مثل اذرعات والرى وماجاوز ذلك وكانت اكثر من ستة فراسخ وكان ماؤها لطيفا لايشابه مياه سائر البحار وكان فى اطرافها كنائس كثيرة واسواق غفيرة وكان الكفار يروجون كفرهم عندها وقيل كانوا يعبدونها فلما ولد رسول الله الماحى جميع طرق الكفر غاب ماء تلك البحيرة ثم اعلم ان فى البحيرة ايضا مجازا من ذكر المحل وارادة الحال وفى اضافتها الى الضمير الراجع الى ساوة احتراز عن بحيرة طبرية فانها كانت ايضا على حواليها كنائس معتبرة منقوشة بالذهب فغاب ماؤها وقت ميلاده عليه الصلوة والسلام وكان غيبوبة ذلك الماء سببا لخرابها واساساوة فلم تكن خربة بل بنى اهلها فى موضع البحيرة مدينة عظيمة وهى باقية الآن كذا رأيت فى رسالة مصنفة فى مولده عليه الصلاة والسلام وقوله ورد على بناء المفعول وواوه اماللحال او للعطف فالجملة معطوفة على غاضت والمعنى واحزن اهل ساوة ان رداه ولايجوز ان تكون معطوفة على ساء والا يلزم ان يكون قوله ورد بيانا لعلامة مستقلة او وقت مولده عليه الصلوة والسلام ولايكون من تتمة الاولى وهو باطل ومن قال انها معطوفة على جملة ساء فقد اساء فتدبر وورد بمعنى رجع وانصرف وقوله واردها بالرفع نائب فاعل لرد والضمير راجع الى البحيرة

﴿ وساء ساوة ان غاضت بحيرتها ﴾
﴿ ورد واردها بالغيظ حين ظمى ﴾

اى احزن اهل ساوة وهى بلدة بعينها وان مصدرية غاض الماء غار وبحيرة ساوة اسم ماء مجتمع واسع الطول والعرض بقرب ساوة كبحيرة طبرية غاض ليلة الميلاد بارادة الله تعالى وكانت فى حواليها بيع وكنائس معتبرة ومتسوق لاهلها وكان غيضها سببا لخرابها وان مع مافى حيزها فاعل ساء ورد امامعطوف على ساء او على غاضت والثانى اقرب وضمير واردها اماالى بحيرة اوالى ساوة والرواية فى الغيظ بالضاد والظاء ايضا فعلى الاول الباء للسببية وعلى الثانى للملابسة وحين ظمى امامتعلق بالغيظ اوبالوارد اوبرد وضمير ظمى للوارد والظمأ العطش يعنى لما اراد الله تع اظهار شرف حبيبه وقصد ان يبلغ قاصية البلاد يوم الميلاد عرق طيبه قدر غيض بحيرة ساوة فساء واحزن ذلك اهلها واسترق عقول العرب الوارد لشرب الماء وعباد النيران واظهر جهلها فغيض الماء * وقضى الامر بالا نطفاء ليعلم انه يحكم مايريد ويفعل مايشاء * ولايرضى لعباده الكفر والفحشاء ولذلك خرت الاوثان * واجرت النيران *

(كأن بالنار مابالماء من بلل) (حزنا وبالماء مابالنار من ضرم) قوله بالنار ظرف مستقر خبركأن وماالموصولة اسمه وبالماء ظرف مستقر صلتها ومن بلل بيان لما وبالماء عطف على النار اى كأن بالماء ومن بيان لما والضرم التهاب النار وحزنا مفعول له والعامل فيه متعلق الظرف وهو مقدر فى المعطوف فان الحزن يورث البكاء واجتماع الحرارة فى القلب واللام فى الماء والنار للعهد والمعهود البحيرة والنار التى عبدوها الف عام وكأن هناك بمعنى الظن والغرض من هذا البيت بيان تغير الزمان وانفصام سلك الفساد * والنظام عقد الردبركة قدوم سيدنا عليه الصلوة والسلام * الى يوم التناد *
(والجن تهتف والانوار ساطعة) (والحق يظهر من معنى ومن كلم) جنه ستره سمى الجن جنا لاجتنانهم تهتف اى تصيح بما يدل على صدق نبوته ويشهد باصطفائه فالمراد من الانوار التى تلوح فى وجود من هو فى صلبه والجمع باعتبار المحال اومعناه المجازى وهو شرائعه وصفاته الحميدة وآثاره الغريبة وكمالاته العجيبة والساطعة الظاهرة ظهور ابينا والحق ضد الباطل من حق الشئ ثبت ومن لابتداء الغاية متعلقة بيظهر والتنوين فى معنى وكلم للتفخيم والمراد من المعانى اما معانى القرآن ومن الكلم الفاظه فان القرآن عبارة عن النظم والمعنى جميعا وهو معجز بنظمه ومعناه دال على صدق نبوته وحقية رسالته او المراد من المعانى الامور المعقولة ومن الكلم الامور المحسوسة روى ان الكهان من العرب كانت تأتيهم الشياطين من الجن بما يسترقون من السمع فلما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبت الشاطين عن السمع وحيل بينها

والوارد بمعنى الذاهب لاخذ الماء وقوله بالغيظ متعلق برداى بالغضب ورد ان الذاهب الى ماء البحيرة ليأخذ الماء ويذهب به الى بيته جاء الى البحيرة فرأى انه قطع ماؤها فردعنه وانصرف بالغضب حيث كان فى يديه كوبان فلما رأى انقطاع الماء ضرب احدهما على الآخر وكسرهما وحين ظمى ظرف للوارد اولرد وظمى اصله ظمئ اى عطش فحذف همزته لضرورة الشعر

(كَأَنَّ بِالنَّارِ مابِالْماءِ مِنْ بَلَلٍ * حُزْناً وَبِالْماءِ مابِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ)

لما اراد الناظم الفاهم تكملة البيتين السابقين قال كأن بالنار الخ فالمصراع الاول تكملة للبيت الاخير والثانى للاول وكأن من الحروف المشبهة بالفعل وبالنار ظرف مستقر خبر كأن متعلق بحصل المقدر اى كأنه حصل بالنار والمراد من النار نار المجوس وماموصولة وبالماء متعلق بعقدر اى ماحصل بالماء ومن بلل بيان لما والمراد من الماء بحيرة ساوة والمعنى ان اهل ساوة ظنوا ان الماء الذى عبدوه قدانقطع ويبس وصار بحال كأن كان موضع ذلك الماء موقد نار وكان البلل الذى حصل بالماء يبس بالنار ولما كان هذا الظن بعيدا عن الاذهان علله بقوله حزنا اى لاجل حزن وقع فيهم يظنون مثل هذا الظن وقوله وبالماء الواو عاطفة والماء معطوف على بالنار وبالنار عطف على بالماء من قبيل عطف شيئين بحرف واحد على معمولى عامل واحد وهو كأن ومن ضرم بيان لما والضرم التهاب النار واشتعالها والالف واللام فى بالنار للعهد اى نار المجوس التى لم تخمد الف عام ومعنى هذا المصراع ان عبدة النار كانوا محزونين حتى ظنوا انه وقع فى موقع نارهم بلل حاصل بالماء (فائدة) قال فى تفسير روح البيان ان اول من عبد النار قابيل حيث قتل اخاه هابيل ونفاه آدم عليه السلام بامر الله الى ارض اليمن فخرج مع اخته اليها فجاء الشيطان فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فاصطنع انت ايضا نارا واعبدها فاصطنع النار وعبدها فتبعه بعض الانام من اولاده واولاد اولاده الى يوم القيام

(وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالْأَنْوارُ ساطِعَةٌ * وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً وَمِنْ كَلِمٍ)

ثم شرع فى بيان العلامة السادسة والسابعة فقال والجن تهتف الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقها اوالواو حالية والجن مقابل الانس وهو جوهر نارى يتشكل باشكال مختلفة وانما سموا به لكونهم فى الستر عن اعين الناس والجن فى اللغة بمعنى الستر قالوا ان كونهم مستورين عن اعين الناس من نعم الله علينا وكذا استتار الملائكة اما الجن فلكونهم فى صور قبيحة غاية القبح حتى لو رآهم احد من الناس لمات اوزال عقله واما الملائكة فلكونهم فى غاية الحسن والجمال حتى لو رآهم على صورتهم

(الملكية)

الملكية احد لزال عقله اومات فلا تسمع حوصلة الانسان رؤيتهما ثم اعلم انه روى ان الجن كانوا ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون فى الهواء وصنف فى صورة الحيّات والكلاب وصنف يرحلون ويظعنون وقالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفى مسلميهم مبتدعة واهل الاهواء وكلهم مكلفون تهتف اى تصيح وتصوت وتتكلم بولادته عليه السلام اذروى ان فى الهواء وارجاء مكة تسمع اصوات الجن يبشرون بولادته عليه السلام وفى المواهب مر فى ذلك الوقت جن المشرق الى المغرب والمغرب الى المشرق يبشرون بولادته عليه السلام ومن اراد بهتف الجن اخبارهم الكهنة باستراق السمع فقد بعد عن المرام حيث اشير اليه فى قوله وبعدما عاينوا فى الافق ولو اريد منه ههنا ماسيأتى لزم الاستدراك فتأمل فان قيل ان قوله الجن تهتف جملة اسمية والجملة الاسمية تدل على الدوام فتقتضى ثبوت صوت الجن دوامه وهو غير ثابت اجيب عنه بان هذه الجملة تدل على الدوام لان خبرها فعلية وما يدل عليه ماكان له صرافة فى الاسمية كما لايخفى وقوله والانوار ساطعة بيان لعلامة اخرى فالواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقها والانوار جمع نور وهو جوهر مضئ كامر وساطعة من السطوع بمعنى الظهور وهذه الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات ففيه اشارة الى ان نوره عليه السلام باق الى يوم القيام ويرى ذلك النور من فى قلبه نور وهذه الجملة اشارة الى ماروى فى المواهب والشفاء من انه روى عن آمنة ام رسول الله عليه السلام انها قالت لما ولدته عليه السلام خرج من رحمى نور اضاء له قصور الشام قال فى اللطائف وخروج هذا النور اشارة الى مايجئ به من النور الذى اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب) الآية واما اضاءة ذلك النور قصور الشام فهو اشارة الى ماخص به الشام من النور بنبوته فانها دار ملكه انتهى ويجوز ان يكون المراد من الانوار شريعة عليه السلام على طريق الاستعارة بان يشبه شريعته بالانوار فى رفع الظلمات والواو فى والحق اما عاطفة اوحالية والحق ضد الباطل ويجوز ان يكون المراد منه شانه عليه السلام بان شبه شانه بالحق فى العلو لان الحق يعلو ولا يعلى عليه ويظهر من الظهور بمعنى يتجلى ومن معنى من لابتداء الغاية متعلق بيظهر وتنوينه للتعظيم كتنوين كلم والمراد من المعنى معانى القرآن ومن الكلم الفاظه والمعنى ومن علاماته عليه السلام انه كانت الشريعة ظاهرة بسبب وجوده من معانى القرآن والفاظه فان معناه دال على احكام الشريعة والفاظه دالة على صدق نبوته معجز غاية الاعجاز هذا على ان يكون الواو للعطف وان يكون الحق بمعناه الحقيقى واما

وبين المقاعد التى كانوا يقعدون عندها للاستراق فرموا بالنجوم فعرفت الجن ان ذلك لامر حدث من الله تع فى العباد يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو يقص عليه خبر الجن اذ حجبوا عن السمع فعرفوا ما عرفوا وما انكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالو انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا الى قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فلما سمعت الجن القرآن عرفت انها انما منعت من السمع من قبل ذلك لئلا يشكل الوحى بشئ من خبر السماء فيلتبس على اهل الارض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة فآمنوا وصدقوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قالو ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم *

لوكان الواو للحال والحق بمعنى شأنه يكون هذا المصراع بياناوتفسيرا للمصراع الاول على طريق اللف والنشر المشوش بان يكون المراد من المعنى نوره عليه السلام ومن كلم كلمة الجن ويجوزان يكون المراد من المعنى الامور المعقولة ومن الكلم الامور المحسوسة والكلام طويل لايليق اتيانه فى هذا المختصر

(عَمُوا وَصَمُّوا فَاعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ * تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الْاِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ)

لمانشأ من البيت السابق توهم ان يسئل بانه اذااخبرالجن بنبوته ودلت الانوار على حقيقته وهل آمن به قومه اولادفعه فقال عموا وصموا الخ اى لم يؤمن قومه لكونهم فى العمى والصمم فقوله عموا فعل ماض من العمى بمعنى عدم الرؤية يعنى الكفار لم يروا الانوار الساطعة والشرائع الرافعة لعمى ابصارهم واطلاق العمى عليهم مع كونهم اولى ابصار لعدم جريهم بموجب رؤيتهم وصموا كعموا يعنى ان الكفار لم تسمع كلام الجن وتبشيرهم بصمم آذانهم فقوله عموا ناظر الى قوله فيماسبق والانوار ساطعة وقوله صموا ناظر الى قوله والجن تهتف لكن على سبيل اللف والنشر المعكوس ويمكن ان يكون البيت ناظرا الى المصراع الثانى فى البيت السابق فيكون عموا ناظرا الى الكلم وصموا الى المعنى كالاول فتأمل والفاء فى فاعلان البشائر للتفصيل لانه تفصيل قوله وصموا كما ان قوله وبارقة الانذار تفصيل قوله عموا على طريق اللف والنشر المعكوس كقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت الآية) والاعلان بمعنى الاظهار والبشائر جمع بشير بمعنى المخبر بالاخبار السارة فى العبارة حذف مضاف اى اعلان اخبار البشائر ولم تسمع على صيغة التأنيث والضمير راجع الى الاعلان لايقال انه مذكر فلايصح ارجاع الضمير اليه لانانقول انه قدا كتسب التأنيث من المضاف اليه على طرز قوله * وماحب الديار شغفن قلبى * وقوله وبارقة الانذار عطف على اعلان البشائر وبارقة من برق بمعنى لمع وتاؤها للتأنيث اوللمبالغة والانذار الابلاغ على وجه التخويف وفيه استعارة مكنية حيث شبه الانذار فى الذهن بالسيف فى كونه مخرقا وادعى للسيف فردان فرد متعارف وفرد غير متعارف وهو الانذار ثم استعير السيف للفرد الغير المتعارف اعنى الانذار ثم ذكر فى الخارج المشبه اعنى الانذار واريد الانذار الذى كان فردا غير متعارف للسيف فحينئذ يكون قوله بارقة تخييلا لهذه الاستعارة ولم تشم بمعنى لم تنظر ولم تبصر وضميره راجع الى البارقة

(مِنْ بَعْدِ مَااَخْبَرَ الْاَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ * بِاَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ)

(بان دينهم المعوج لم يقم) اى صار الكفار عمياوصما فاعلان البشائر تفسير لقوله عموا وصموا على سبيل اللف والنشر الغير المرتب واضافة الاعلان الى البشائر اضافة المصدر الى مفعوله والبشائر جمع بشير وهو المبشر اى المخبر بالخبر السار وقد يوصف به الخبر مجازا فاعلان المخبرين بالاخبار السارة بقدوم سيدنا لم يسمع ولم يقبل كما فى سمع الله لمن حمده اولانهم لما لم يعملوا بمقتضاه فكأنهم لم يسمعوا والبارقة من برق بمعنى لمع اوهددوا التاء للتأنيث اوللمبالغة والانذار الابلاغ على وجه التخويف اى الانذارات المهددة او اللامعة لم تشم اى لم يلتفت اليها ولم ينظر من شام البرق نظر اليه ومن متعلق بعموا وصموا اوبلم يسمع ولم يشم ومامصدرية والكاهن من يخبر بمايلق اليه الجن اومن يخبر عن تأثيرات الكواكب والاعوجاج فى المحسوسات عدم الاستقامة الحسية وفى غير المحسوسات عدم كونها على مالا ينبغى وقام بامره كفاه وقامت نفقت وقامت الدابة وقفت من الكلال والقيام هو استواء النصف الاسفل والمراد من دينهم طريقهم التى يدينونها لعبادة غير الله تع نعوذبالله منها وهو فى الاصطلاح قانون سماوى سائق لذوى العقول الى الخير بالذات يعنى ان الاقوام الذين اتخذوا غير الاسلام دينا ومع الموائد السماوية امنوا لم يلاحظوا باعينهم الى غرائب الآثار الدالة على صدق النبى المختار * ولم يضخوا بآذانهم عجائب الاسرار * الملقاة اليهم من قبل الكهان والاحبار * فعموا عن مشاهدة الآيات * وصموا عن سمع البينات نبذوا وراء ظهورهم دلائل رسالة

ثم فصل عموا وصموا تفصيلا ثانيا فبين قوله صموا بهذا البيت فقال من بعدما اخبرالاقوام كاهنهم الخ مع الاشارة الى ان عدم اتباعهم الرسول عليه الصلوة والسلام من عنادهم وكفرهم لامن جهلهم لان كاهنهم كان صادقا ومعتمدا عندهم فعدم تصديقهم اياه من عنادهم فقوله من بعد متعلق بصموا اولم تسمع اوبهمامعا على سبيل التنازع ومن جوز تعلقه بعموا اوبلم تشم فهو غافل عن كون هذا البيت تفصيلا لصممهم اللهم الا ان يقال انه جوزه بعد ربط البيت الثانى كمالايخفى ومامصدرية والاقوام جمع قوم وقدسبق تفصيله وهو بالنصب مفعول اخبر وكاهنهم بالرفع فاعله وهو من يبتدع القول ويخبر عماسيكون من غيروحى وفى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هذين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطى ويصيب قال عليه السلام (من اتى عرافا وكاهنا فصدقه بماقال فقد كفر بماانزل الله على محمد) قالوا هذافى حق من اعتقد صدق العراف والكاهن واما من سألهم لاستهزائهم اولتكذيبهم فلا يلحقه ماذكر فى الحديث بقرينة حديث آخر من صدق كاهنا لم تقبل منه صلاة اربعين يوما وليلة قال ابن ملك اللائح لى فى التوفيق ان يقال مصدق الكاهن يكون كافرا اذااعتقد انه عالم بالغيب واما اذااعتقد انه ملهم من الله اوان الجن يقولون مما يسمعون من الملائكة فصدقه فلايكون كافرا انتهى فظهر مما ذكرنا فساد ماقيل وتصديق الكاهن فيما اخبره من المغيبات كفر على اطلاقه فتدبر بان دينهم متعلق باخبر والدين فى اللغة الاطاعة والجزاء وهنا بمعنى الطريق والمعوج النصب صفة دينهم وهواسم مفعول من الاعوجاج وهو يستعمل فى المحسوسات والمعقولات فان استعمل فى الاولى يكون بمعنى عدم الاستقامة وان فى الثانية يكون بمعنى مالاينبغى ولم يقم بمعنى لم يدم وفى المواهب وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يهودى قد سكن بمكة فلما كانت الليلة التى ولدفيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لانعلم قال انظروا فانه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قدولد لعبدالله ابن عبد المطلب غلام فذهب اليهودى معهم الى امه فاخرجته لهم فلمارأى اليهودى العلامة خرمغشيا عليه فقال ذهبت النبوة من بنى اسرائيل يامعشر قريش اماوالله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب انتهى وامثاله كثيرة شائعة بين الانام وتفصيلها لايتحمله المقام

النبى صلى الله عليه وسلم مع ظهورها بين ظهر انى هؤلاء الاقوام فاكبوا على وجوههم فى عبادة الاصنام * فكبكبوا فى عذاب النار لان اولئك هم الذين على ابصارهم غشاوة وفى آذانهم اوقار * فلم يروا بواسطة غشاوة التعامى الآيات والانوار الساطعة * ولم يسمعوا * بشوم قر الغفلة البينات والبراهين القاطعة * بعدما اخبرهم الاحبار والكهان * بان دينهم المعوج لايقوم بعد هذا الزمان وقال ابواسحق حدثنى نافع الجرشى عن اهل اليمن انه كان لهم كاهن فى الجاهلية فلما ذكروا له امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انتشر فى العرب قيل له انظر لنا فى هذا الرجل واجتمع الناس اليه فى اسفل جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف قائما متكئا على قوس له فرفع رأسه الى السماء طويلا ثم قال ايها الناس ان الله اكرم محمدا صلى الله عليه وسلم واصطفاه وطهر قلبه وحشاه فليس للكفر بعد ذلك رواج * ولن يقوم بعد هذا دين له اعوجاج ولكن مكثه ايها الناس فيكم قليل ثم اسند الى جبله راجعا من حيث جاء وامثال هذا فى الكتب المعتبرة مسطورة مشهورة *

(وبعد ماعاينوا في الافق من شهب * منقضة وفق مافي الارض من صنم)

ثم شرع في بيان التفصيل الثاني لقوله عموا فقال وبعدما عاينوا الخ مع الاشارة في المصراع الثاني الى علامة اخرى في يوم ولادته عليه الصلوة والسلام الواو عاطفة وبعد عطف على محل من بعد وما مصدرية وعاينوا ماض من المعاينة بمعنى المكاشفة التامة وفي الافق متعلق بعاينوا والافق بسكون الفاء للتخفيف جوانب السماء ومن شهب بيان لما والشهب بضمتين جمع شهاب وهو شعلة نار او بمعنى الكواكب لانه فسر قوله تعالى (فاتبعه شهاب ثاقب) بشعلة نار ونجم كما لايخفى وقوله منقضة يجوز فيه الاحوال الثلاثة الجر على انه صفة شهب وهو الاظهر والنصب على انه حال منه والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وهو اسم مفعول من انقض بمعنى سقط روي ان الله تعالى اذا قضى امرا كان يسمعه حملة العرش فيسبحون فيسبح من تحتهم الى سماء الدنيا فيقولون ثم تسمعهم فيستخبرون حتى ينتهي الخبر الى سماء الدنيا فيختطف وتسترقه الشياطين ثم يأتون به الكهنة على الارض فاجاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون فيكذبون وكان ذلك في الجاهلية فلما ولد عليه السلام كانت الشياطين مرجومين من السماء وممنوعين من الصعود اليها بنجوم ونيران ترميها الملائكة اليهم فان قيل قوله تعالى (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثة رسول الله عليه السلام وكذا يدل هذا البيت عليه ايضا وقوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر خلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب ان تكون الفائدة الاخرى حاصلة قبلها ايضا اجيب عنه بان ذكر الفائدتين لايقتضي اقترانهما بحسب الزمان لم لايجوز ان يكون المعنى وجعلناها بحيث تصلح لان ترجم بها فان الرجم مصدر سمي به ما يرجم به ويؤيد هذا المعنى ماروى عن جماعة من المفسرين من ان السماء لم تكن تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد خمسمائة عام فلما بعث محمد منعوا من السماء وحرست بالملائكة والشهب قوله وفق ما بالنصب صفة مصدر منقضة اي انقضاضا موافقا لانقضاض مافي الارض ومن صنم بيان لما والفرق بين الصنم والوثن ان الوثن ماكان له جثة من الخشب او الحجر والفضة او غير ذلك والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من جعل الوثن صنما وهذا القول اشارة الى سقوط اصنام العرب في وقت ولادته عليه السلام منكوسة حيث كان لهم في داخل البيت اصنام فلما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سقط كل مكبا على وجهه والتفصيل في الكتب المفصلة

(حتى غدا عن طريق الوحي منهزم * من الشياطين يقفوا اثر منهزم)

(وبعد ماعاينوا في الافق من شهب)
(منقضة وفق مافي الارض من صنم)
(حتى غدا عن طريق الوحي منهزم)
(من الشياطين يقفو اثر منهزم)

بعدما منصوب معطوف على محل من بعد او مجرور عطف على بعد وما موصولة ومن شهب بيانه والمعاينة الرؤية بالعين في الافق متعلق به والافق طرف السماء والشهب شعلة من النار منقضة اي ساقطة من انقض السهم سقط صفة شهب او حال منه او خبر مبتدأ محذوف فيجوز فيه الاعرابات الثلاث وفق منصوب على نزع الخافض اي على وفاق الاصنام او صفة مصدر محذوف اي سقوطا وفاق سقوط الاصنام وحتى اما عاطفة او ابتدائية ومنهزم اسم غدا ويقفو خبره ومن الشياطين صفة منهزم واثر ظرف ليقفوا قفاه تبعه وطريق الوحي ابواب السماء وكان للشياطين مقاعد هناك يسترقون السمع وقد مر ان ليلة الميلاد ان كبت الاوثان وسقطت وقذفت الشياطين فهبطت فوافق الهبوط السقوط *

لما بين في البيت السابق انقضاض الشهب اراد ان يفصله ويبين فائدة انقضاضها فقال حتى غدا وحتى لانتهاء الغاية وغدا بمعنى اعرض لانه استعمل بمعنى وغدا اذا استعمل بمعنى يكون بمعنى الاعراض كصار وذهب ورغب وطريق الوحي كناية عن السماء لان جبرائيل كان يجيء بالوحي منها ومنهزم بالرفع فاعل غدا وهو اسم فاعل من الانهزام بمعنى الفرار من العدو بسرعة من الشياطين صفة منهزم وهو جمع شيطان وجملة يقفو حال منه وضميره المستتر راجع الى المنهزم ويقفو كيتمو من القفو بمعنى التبعية كقوله
* ومن يقف آثار الهز بريثل به * طرائح حمر الوحش اذهو رائع *
وقوله اثرا بالنصب مفعول يقفو والاثر بمعنى العقب يقال الاثر يدل على المسير كالبعرة تدل على البعير يعني ان الشياطين يصعدون الى السماء راكبا بعضهم على بعض فتنقض الشهب قبل ادراكهم السماء فينصرفون منها بالانهزام والفرار تابعا بعضهم اثر بعض وتدركهم الشهب ولاتخطئ ابدا فمنهم من تحرقه وتجعله رمادا ومنهم من يحرق بعض اجزائه ومنهم من يفسد عقله لايقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانا نقول انه ليس من النار الصرفة كما ان الانسان ليس من التراب الخالص على ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها كما لايخفى

(كانهم هربا ابطال ابرهة * اوعسكر بالحصى من راحتيه رمي)

لما كان فرار الشياطين وانهزامهم امرا وهميا اراد ان يقرره في اذهان السامعين بتشبيهه بالمحسوس مع الاشارة الى علامة عجيبة كانت بسبب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كأنهم هربا ابطال ابرهة الخ كأن للتشبيه وضميره راجع الى الشياطين وهربا بالنصب حال من اسم كأن وهو بفتحتين الفرار خوفا وابطال بالرفع خبر كأن وهو جمع بطل بمعنى الشجعان وابرهة اسم ملك اليمن من الحبش رئيس اصحاب الفيل شبه الناظم النحرير فرار الشياطين من السماء تابعا بعضهم اثر بعض بفرار شجعان الملك ابرهة في الانهزام وكونه بسبب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي قصته اختلاف فلنذكر ماذكره بعض المفسرين وهو ان ابرهة الحبشة كان ملك اليمن ذا اتباع كثيرة فركب يوما مع اصحابه للصيد فرأى عيرا فقال من هؤلاء قالوا ان لهم بيتا في مكة يزورونه في كل سنة فغضب ابرهة فارسل اليهم رجالا حتى منعهم عن سبيلهم فقال لوزرائه هل ينبغي ان لايكون لنا بيت ويكون الناس زائرين له وكان العرب يزورون بيتهم في مكة ويأتون اليه من كل فج عميق فاني اريد ان ابني كنيسة لم يكن مثلها في الدنيا فركب ابرهة مع المهندسين فخرج الى الصحراء فرأى ارضا

(كأنهم هربا ابطال ابرهة)
(اوعسكر بالحصى من راحتيه رمي)
(نبذا به بعد تسبيح ببطنهما)
(نبذ المسبح من احشاء ملتقم)

ضمير كأنهم للشياطين هربا حال منه بمعنى هاربين لما كان من معنى الفعل ويجوز ان يكون تمييزا عن الحكم التشبيهي ابطال خبر كأن وهو جمع بطل وهو الشجاع ابرهة الاشرم اسم رئيس اصحاب الفيل ورمي صفة العسكر وضميره يعود اليه وفي ايثار بناء المجهول رعاية لقوله تع ولكن الله رمى وبالحصى متعلق به وكذا من والتقديم للتخصيص وضمير راحتيه للنبي صلى الله عليه وسلم ونبذا مصدر نبذه من فوق الفيه وهو منصوب اما بنبذا القدر او برمى كما في قعدت جلوسا وضمير به للحصى والضمير في بطنهما لراحتيه ونبذ المسبح اي مثل نبذ المسبح اراده يونس النبي عليه السلام ومن الملتقم الحوت الذي التقمه ومن احشاء متعلق بنبذ والمقصود تشبيه النبذ بالنبذ لا المنبوذ بالمنبوذ وان في البيتين اشارة الى ثلاث قصص يحتاج بيان حاصل معناهما الى معرفتهما الاولى قصة اصحاب الفيل وهي ابرهة الحبشي لما نازع ملك اليمن يعني ارباط وتفرقت الحبشة عليهما فانحازا الى كل واحد منهما فرقة منهم ثم سار احدهما الى الآخر فلما تقرب الناس خرج اليه ابرهة وهو يكنى بابي يكسوم وكان رجلا قصيرا الجسمان ذا دين

فى النصرانية وخرج اليه ارباط وكان رجلا جيلا عظيما طويلا وفى يده حربة وحلف ابرهة غلام يقاله عتوده يمنع ظهره
فرفع ارباط الحربة فقرب ابرهة يده يريديا فوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه وعينه وشفته فبذلك
سمى ابرهة الاشرم وحمل عتوده على ارباط من خلف ابرهة فقتله وانصرف جند ارباط الى ابرهة فاجتمعت عليه الحبشة
باليمن فلما بلغ ذلك الى النجاشى غضب غضبا شديدا وقال عدا على امرى فقتله بغير امرى ثم حلف لاندع ابرهة حتى
نطأ بلاده ونجز ناصيته فحلق ابرهة رأسه وملأ جرابا ترابا من تراب اليمن ﴿ ١٢٤ ﴾ ثم بعث به الى النجاشى ثم كتب
اليه ايها الملك انما كان ارباط عبدك وانا
عبدك فاختلفنا فى امرك الا انى كنت اقوى
على امر الحبشة واضبط لها واسوسه منه
وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم
الملك وبثثت بجراب تراب من ارضى
ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه فى فلما انتهى
ذلك الى النجاشى رضى عنه وكتب اليه
اثبت بارض اليمن حتى يأتيك امرى فاقام
ابرهة باليمن وبنى كنيسة بصنعاء وسماها
القليس واراد ان يصرف اليه الحاج
فكتب الى النجاشى انى بنيت لك ايها الملك
كنيسة لم يبن امثالها ملك كان قبلك
ولست ارضى حتى اصرف حجاج العرب
فلما تحدث العرب بكتاب ابرهة ذلك الى
النجاشى غضب رجل من بنى كنانة حتى
اتى القليس فقعد فيها وقضى حاجته
فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب
نارا فحمته الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن
الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه
محمود وكان قويا عظيما واثنى عشر فيلا
غيره وقيل ثمانية وقيل ان معه الف فيل
وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه
عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة
ابى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم تبرح واذا وجهوه الى اليمن والى غيره من الجهات
هرول فارسل الله تع طيرا سودا وقيل بضامع كل طائر حجران فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر
من الحمصة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه رأى منها عندام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى فكان الحجر يقع
على كل واحد منهم فيخرج من اسفله وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا فى كل طريق ومنهل وذوى ابرهة فساقطت
انامله وارابه وماما ت حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها

واسعة على بعد مسافة ثلاث ساعات من بلدة يقال لها صنعاء اليمن فامر
ان يبنى فى ذلك الموضع كنيسة فبنوا فيه واتموا وعلقوا فيها قناديل من الذهب
والجواهر ووضعوا فيها كراسى مكللة باللؤلؤ وانواع الجوهر وسموها قليسا
ووضع ابرهة فيها رجالا حافظين وخدمة وجعل على حيطانها استارا
منقوشة بالذهب واللؤلؤ وقال لحافظها ان اتى احد من اهل الحجاز اليها
فأذنوا له فى الدخول لعلهم اذا رأوها تركوا بيتهم وتوجهوا اليها ثم ذهب
ستة نفر من اهل الحجاز الى ارض اليمن للتجارة فقالوا بينهم ان كنيسة
ملك اليمن قد شاع خبرها فلا نتركها حتى ننظرها فجاؤا الى بابها فقال الخا
دمون لهم من انتم قالوا نحن من اهل مكة فأذنوا لهم فى الدخول فلما
نظروا اليها تعجبوا فقال احد الخادمين لهم أهذه احسن ام بيتكم قالوا بيتنا
احسن واعلى لانكم تفرحون بالجواهر والذهب ونحن لا ننظر اليها ولكن
الكعبة قد بناها نبى الله ابراهيم وولده اسمعيل عليهما السلام ولها خواص
كثيرة منها انه مامن احد يأخذ باستارها او بحلقة بابها ويسأل ربها حاجته
الا وقد تجاب دعوته فوقع بينهم نزاع فغلق احد تلك الستة باب الكنيسة
وسلوا سيوفهم وقتلوا الخادمين كلهم وتغوطوا داخلها ولطخوا بعذرتهم
حيطانها ثم خرجوا وفروا الى ارض الحجاز فلما اطلع ابرهة على هذه الاحوال
زال عقله من غضبه وقال لوزيره هيئ لنا آلات الحرب فجمعها واحضر
عساكر كثيرة وجنودا وفيرة فارسل وزيره وكان معهم اربعون فيلا
ثم ركب ابرهة ايضا وعزم على ان يقتل اهل مكة ويحرق البيت فلما
وصلوا الى قرب مكة نزلوا ثمة واستاقوا ابل قريش وغنمها وكان
لعبد المطلب فيها اربع مأة ناقة فلما بلغ الخبر الى عبد المطلب جد النبى

وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه عن عائشة رأيت قائد الفيل وسائقه اعميين مقعدين يستعانان وفى المروى من القصة ان ابرهة اخذ
لعبد المطلب مأتى بعير فخرج لتخلصها فجهزه واستعظمه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى
يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال ابرهة مالك الهاك مالك اماتعلم انى جئت لاهدم البيت الذى
هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر قال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه فامر بابله ثم رجع عبد المطلب واتى
باب البيت فاخذ بحلقته وتقول ﴿ ١٢٥ ﴾ اللهم ان المرء يمنع رحله فامنع حرمك عن تسلط من لايخشى عقابك يارب
لا ارجو سواكا * يارب فامنع عنهم حماكا *
ان عدو البيت من عاداكا * فامنعهم ان يخربوا
اقراكا * فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير
فقال والله انها لطير غريبة ماهى هجرية
ولا تهامية وان لها لسانا وفيه ان اهل مكة
قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب
من جواهرهم وذهبهم وكان ذلك سبب
بشارة والثانية قصة رمى الحصاة وهى
ماثبت برواية محمد بن اسحاق الواقدى من
انه فى غزوة بدر الكبرى لما تراصف
الفريقان نادى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لا تحملوا حتى نوديهم ثم خفق
رسول الله خفقة ثم انتبه فقال ابشر يا ابابكر
هذا جبريل معجز ابعمامته اخذ بعنان فرسه
يقودها اتانا نصر الله وعونه وقال له
جبريل خذ قبضة من حصباء الوادى
فناوله كفا من حصى عليه تراب
وفى الكشاف لما طلعت قريش قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد
جائت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم انى اسألك ماوعدتنى فاتاه جبريل
فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما
التقى الجمعان لعلى رضى الله عنه اعطنى قبضة من حصباء الوادى فناوله وباقى القصة فى الروايتين مشترك وهو ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم رمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الادخل فى عينيه وفيه ومنخره منها شيئ فانهزموا
واردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وفى رواية حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض
كان صوت حصيات وقعت فى طست ورمى رسول الله تلك الحصبات فانهزمنا وهذا القدر يكفى لما نحن فيه واما تفاصيل
هذه الغزوة فيالها قصة فى شرحها طول والثالثة ان يونس عليه السلام ابرم لقومه اطول ماذكرهم فلم يذكروا

عليه الصلوة والسلام لبس لباسا نفيسا وعمامة لطيفة وركب ناقة وتوجه الى
ابرهة فلما وصل الى الفيل الذى كان اعظم الفيلة وكان اسمه محمودا قال
انى جد محمد عليه الصلوة والسلام نبى آخر الزمان فرجع الفيل القهقرى
ووضع وجهه على الارض وتملق اليه فمشى عبد المطلب حتى وصل الى سرير
ابرهه فدعا لله تعالى وقال اللهم ياسميع يابصير ياعليم ياخبير انت جعلت نور حبيبك
فى ستين سنة فبحرمة صاحبه لاتجعلنى حقيرا ولا خجيلا بين يدى الظالمين فوقعت
الهيبة فى قلوبهم فقام ابرهة ونزل عن سريره وقال مرحبا بك ياسلطان
مكة ياشيخ الحرم لاى حاجة جئت فقال انما جئت لان جيوشك قد اخذوا
اربعمائة من ابلى فانا اطلبها فضحك ابرهة وقال انى ظننت انك تسألنى
الكعبة قال عبد المطلب لست انا بصاحب الكعبة فان لها صاحبا يحفظها
واما الجمال فمالى فامر ابرهة ان يعطوه جماله وركب ناقته فجاء الى مكة واخبر
الحال الى اهل مكة وذكر كثرة جيشه فقالوا انا لانستطيع محاربته فخرجوا
وفروا حتى خلت مكة منهم فجاء عبد المطلب فاخذ حلقة البيت فدعا وتضرع
فوثب النور من جبهته فوقع فى الكعبة ونصب الى السماء فلما رأى عبد المطلب
هذه الحال قال ياقوم ارجعوا فقد كفيتم فلا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فالتفتوا
الى السماء فاذا طيور كثيرة نشأت من جانب البحر واجتمعت فوق عسكر ابرهة
ومع كل طائر ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه كل حجر كعدسة
وعليه مكتوب اسم من يرمى به فرمت الطيور تلك الاحجار فما اصاب احدا منهم
حجر الا اهلكه فهلك القوم كلهم الا ابرهة فهرب وفوقه طير حتى وصل ابرهة
الى ملكه فحكى له الحال ولما اتم حكايته رمى الطير حجره فاصابه فهلك فلما
رأى عبد المطلب هذه الحال نزل من جبل ابى قبيس فاخذ اموالهم وكان سبب

واقاموا على كفرهم فظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الالمرضاة الله تع وماغضبهم الاله وما ابغض الكفر واهله الالمحة الله سبحانه وكان عليه ان يصابر و ينتظر الاذن من الله فى المهاجرة عنهم كما صبر اولوا العزم من الرسل فابتلى ببطن الحوت اذ ذهب مغاضبا فى ساحل البحر ليركب ففرق احد ابنيه فتبعه يونس لاستخلاصه فلم يتمكن ورجع خائبا فاذا الذئب ذهب بابنه الآخر فاقتفى اثره فلم يظفر به فعاد متحيرا ولم يجد عياله وركب ﴿ ١٢٦ ﴾ السفينة فتلاطمت الامواج

واستشرفت السفينة على الغرق فقالوا انما طرأ هذا من شوم مذنب فساهم فكان من المدحضين فالقى نفسه فى اليم فالتقطه الحوت فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين والظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل ظلمتى بطنى الحوتين وظلمة البحر فببركة التهليل والتسبيح واعترافه بالخطأ نجاه الله سبحانه كما قال فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين وباقى القصة يطلب من التفاسير فحاصل معنى البيتين ان الشياطين لما رجموا بالشهب عن مقاعد الاستراق وهربوا عن رجم ساكنى السبع الطباق * كانهم ابطال ابرهة فى الهرب من الابابيل حيث التفت ساقهم بالساق * وعسكر قريش رمى بالحصى من كف النبى الكريم الاخلاق * بعد ماسبح الحصى ببطن راحتيه وذكر الله بالجبروت * كما سبح يونس عليه السلام * فى بطن الحوت *

(لاتنكر الوحى من رؤياه ان له)
(قلبا اذا نامت العينان لم ينم) (وذاك حين بلوغ من نبوته) (فليس ينكر فيه حال محتلم)

الخطاب خطاب الزبون والوحى هو الاشارة والافهام من الله تعالى ويستعمل بمعنى الموحى اسم مفعول الرؤيا الرؤية فى النوم ويطلق على المرئى فيه ايضا من للتبعيض اوللبيان ومتعلق بمحذوف وهو صفة اوحال وان استيناف وتقديم الاختصاص وتنوين قلبا للتعظيم والشرطية صفة القلب والنوم فترة طبيعية يعترى الحيوان فيتعطل بها حواسه ونوم القلب يعطل القوى المدركة وذاك اى القلب الموصوف او الوحى من رؤياه وتنوين بلوغ

دفع هذه البلية نوره عليه السلام ولذا قال تعالى الم تر كيف فعل ربك الخ ومن اراد تفصيل القصة فعليه بالرجوع الى قصص الانبيا وقوله او عسكر بالحصى الخ تشبيه آخر واشارة الى معجزة اخرى له عليه السلام فعسكر معطوف على ابطال يعنى ان الشياطين فى الفرار كعسكر الكفار وبالحصى متعلق برمى المؤخر والحصى احجار صغيرة ومن راحتيه متعلق ايضا برمى المؤخر وراحتيه بمعنى كفيه وضميره راجع اليه عليه السلام يعنى ان الشياطين فى الفرار كعسكر الكفار الذين انهزموا برميه عليه السلام اليهم حصيات ففروا بلاقرار حيث روى انه لما التقى منهم الجمعان اخذ رسول الله بقبضة من الحصيات وقال شاهت الوجوه فرماها اليهم فلم يبق احد منهم الا امتلأت عينه بالغبار والحصيات فانهزموا وفروا فان قلت المشهور والثابت بالاحاديث انه كان تلك الحصى كفا ويشهد له البيت الآتى فكيف يصح قوله فى هذا البيت من راحتيه بصيغة التثنية اللهم الا ان يقال تثنية الراحتين باعتبار الوقتين فى الغزوتين اعنى فى بدر كما رواه البخارى وفى احد كما رواه مسلم وسيجئ تفصيل الغزوتين فى فصل الجهاد

(نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا * نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ اَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ)

لما بين العلامات العجيبة التى وقعت قبل بعثته عليه السلام اراد ان يشرع بيان بعض ماوقع من معجزاته عليه السلام بعد بعثته فقال نبذا به بعد تسبيح ببطنهما الخ نبذا مصدر منصوب اما بنبذ المقدر او برمى والتقدير نبذ نبذا ومعنى النبذ الرمى من اليد والباء فى به زائدة لتقوية العمل والضمير راجع الى الحصى فان قيل هذا زائدة لافادة فيه لانه قد سبق فى البيت الاول بعينه ففى الاعادة استدراك قلت

للتعظيم وعوض عن المضاف اليه اى بلوغه بمعنى كماله او وصوله ومن للابتداء اى من وقت نبوته او امر نبوته ويجوز ان يكون المراد حين قرب من نبوته يقال بلغ البلد اى قرب واشرف عليه روى ان النبى عليه السلام كان يوحى اليه فى المنام ستة اشهر الى ان استعلن له جبريل عليه السلام وكان جميع مدة الوحى ثلثة وعشرون سنة فيكون زمان الوحى فى المنام وهو ستة اشهر جزأ من ستة واربعين جزء من النبوة ولهذا قال عليه السلام الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة والفاء للنتيجة ﴿ ١٢٧ ﴾ وضمير فيه لحين البلوغ والمراد من المحتلم العاقل البالغ اى لاينكر الامور الغريبة والآثار العجيبة فى تلك الحال والحمد لله الكبير المتعال

(تبارك الله ماوحى بمكتسب)
(ولا نبى على غيب بمتهم)

تبارك الله اى ثبت ودام وعظم وكثر خيره وتمت وزادت ميامنه والطافه على العد والاحصاء ووسعت رحمته كل شئ بلا انتهاء واخزابه حشوا مليحا وحاشاى ان اسميه حشوا وما وحى بمكتسب استيناف والاكتساب والكسب طلب الشئ بمباشرة اسبابه التى جرت السنة اى العادة العالية بحصوله بعدها كتركيب المقدمتين بالشرائط المعتبرة فى الانتاج مع التأمل فى حاصلهما وجرت العادة بعدهما بافاضة النتيجة ولهذا عدهما الشيخ الرئيس من المعدات فالمعنى ان شيئا من النبوة والرسالة ليس بمكتسب بل محض عناية ومجرد فضل ورحمة والله يختص برحمته من يشاء ولا يجوز لاحد ان ينكر احدا من الانبياء فيما يخبر عن غيب فانهم معصومون عن الرذائل ومحفوظون على الفضائل لايخبرون الى احد خطابا ولا كتابا الا ويقولون صوابا بانه تعالى لايظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول * (كم ابرأت وصبا باللمس راحته) (واطلقت اربا من ربقة اللمم) كم مفعول فيه اى كثيرا من المرء أبرئ من المرض وابراه والوصب المرض والارب الحاجة فان قرئ بكسر العين فصفتان وان قرئ بالفتح فالمضاف محذوف اى ذا وصب وذا ارب وراحته فاعل ابرأت وضميرا طلقت اليها ويجوز ان يكون المراد من راحته يمنه وبركته ودعائه فيكون المراد من اللمس الوصول الربقة العروة التى يشتد بها البهيمة اللمم الجنون وصغار الذنوب ومنه قوله تع والفواحش الا اللمم وقيل انه مقاربة المعصية من غير مواقعة فيكون المراد

لانسلم انه لافائدة فيه كيف واعادته للتأكيد والتقرير على ان الاول مطلق وهذا مقيد فلا يكون عين الاول كما لايخفى وقوله بعد تسبيح ظرف نبذا او رمى وكان التسبيح صادرا من الحصيات واختلف فى كيفية ذلك التسبيح وببطنهما متعلق بتسبيح والباء بمعنى فى اوظرف مستقر على انه صفة تسبيح اى كائن فى بطنهما وضمير التثنية راجع الى الراحتين فان قلت الراحة بمعنى باطن اليد فلو رجع هذا الضمير اليهما يلزم استدراك قوله ببطن كما لايخفى قلت لانسلم ان الراحة بمعنى باطن اليد لا مطلق اليد ولو سلم فلم لايجوز ان يكون فى ضمير ببطنهما استخدام بان يراد بمرجعه اعنى الراحتين معنى باطن اليد وبالضمير الراجع اليه مطلق اليد مجازا من ذكر اللازم وارادة الملزوم او من ذكر الجزء وارادة الكل ولو سلم فلم لايجوز ان تكون اضافة البطن الى الضمير بيانية فتأمل وحاصل معنى هذا المصراع ان رسول الله عليه السلام رمى تلك الحصيات بعد تسبيحها فى راحتيه عليه السلام حيث روى انه عليه السلام لما اخذ بقبضة من الحصيات بالوحى سبحت فى كفه عليه السلام وهو يسمع ثم اعطاها ابا بكر فسبحت ايضا فى كفه وهو يسمع ثم اعطاها عمر فسبحت فى كفه ايضا وهو يسمع ثم اعطاها عثمان ثم اعطاها عليا فسبحت فى كفهما وهما يسمعان وقد كان مثل ذلك كثيرا ايضا فى اوقاته عليه السلام كما بينوه فى الكتب المفصلة ثم اتى بتشبيه لذلك الحكم مع الاشارة الى قصة لطيفة فقال نبذ المسبح الخ وهو بالنصب مفعول رمى والاداة محذوفة اى كنبذ المسبح وهو مضاف الى مفعوله وفاعله محذوف اى نبذ الله المسبح والالف واللام فى المسبح للعهد اى المسبح المعهود وهو يونس النبى عليه الصلوة والسلام ومن متعلق بنبذ والاحشاء جمع الحشى وهو بمعنى البطن

من الوصب والارب اعم من الظاهرى والباطنى وروى انه صلى الله عليه وسلم مسح ضرع شاة حامل فدرت فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود رضى الله عنه وتفل فى عين على رضى الله عنه يوم خيبر فصح من وقته وصب على جابر بن عبدالله وضوءه فبرأ من المرض والاغماء ومن جملة مانقل راحة الناظم من وصب الفلج بلمس راحة النبى صلى الله عليه وسلم حين ناداه فلج وكم له من مثله هذه الامور فليطلب من مظانها (واحيت السنة الشهباء دعوته) (حتى حكت غرة فى الاعصر الدهم) (بعارض جاد اوخلت البطاح بها) (سيبا من اليم اوسيلا من العرم)

السنة العام وقد يطلق على القحط والشهباء البيضاء لانبات لها حيث لاماء فيها لقلة المطر دعوته اى دعاؤه والاسناد مجازى كانبت الربيع البقل وحتى هى العاطفة وحكاه شابهه والغرة بياض فى الجبهة وضمير حكت للسنة وتنوين غرة للتعظيم واعصر جمع عصر وهو الزمان والدهم جمع ادهم يقال فرس ادهم وناقة دهماء اذا اشتدت ورقته شبه الاعصر الدهم كلها وهى السنون المقطحة بفرس ادهم وجعل تلك السنة الشهباء التى جئت بدعائه كالغرة فى ذلك الادهم بعارض متعلق باحيت او بدعوته او بحكت والعارض السحاب الذى يعترض فى الافق جاد المطر جودا والبطاح جمع بطحاء وهو واد متسع ذو حصباء وهو المفعول الاول لخلت وسيبا اى جريا من ساب الماء ثانيهما ان قرئ منصوبا فيكون بها صفة للبطاح مجاز للمبالغة كما فى قوله وسالت باعناق المطى الا باطح او على حذف المضاف اى ذوات سيب وان قرئ مرفوعا فيكون مبتدأ بها خبره والجملة مفعول ثان وضمير بها للبطاح ومن اليم صفة للسيب اوحال واليم البحر العظيم النقاع الذى يقصد اليه والسيل الماء الكثير الجارى المجتمع من الامطار والعرم الوادى روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لماقحط الناس فى عام وامسك المطر قام اليه رجل وهو يخطب يوم الجمعة على منبره فقال يارسول الله قد قحط المطر واحمر الشجر فادع الله تع فرفع يديه ودعى الله تع ان يسقيهم الغيث ومافى السماء قدر راحة سحابا فما اشتم دعاءه حتى نشأت سحابة فامطرت من الجمعة الى الجمعة فقام اليه فى الجمعة الاخرى ذلك الرجل اوغيره وهو يخطب فقال يارسول الله تهدم البيوت وانقطع السيل فادع الله لنا فرفع النبى صلى الله عليه وسلم

وجهه اما على حقيقته لان يونس كان فى بطون ثلاثة الاول بطن الحوت الاول *والثانى بطن الحوت الثانى* والثالث بطن البحرا ومن قبيل فقد صغت قلوبكما والملتقم بمعنى المبتلع والمراد به الحوت ثم اعلم ان التشبيه فى النبذ المطلق لافى المنبوذ كمالايخفى وحاصل معنى هذا المصراع كرمى الله تعالى نبيه يونس عليه الصلوة والسلام من بطن الحوت الى ساحل البحر بسهولة بلا شدة وقصته ان يونس عليه السلام بعثه الله تعالى الى قوم كانوا مائة الف وسبعين الفا فلم يجبه احد من قومه وعادوه فخرج من المدينة فقال اللهم انزل عليهم رجزك وعذابك فنزل جبرائيل وقال له ان الله تعالى يقول ارجع اليهم فادعهم اربعين ليلة اخرى فان اجابوك فنعم والافانا مرسل اليهم العذاب فرجع يونس فدعاهم سبعة وثلاثين يوما فلم يجيبوه فاخبرهم بالعذاب الى ثلاثة ايام فلماجاءت ليلة الاربعين خرج يونس من عندهم بغيراذن ربه فلما اصبحوا تغشاهم سحاب العذاب فظنوا انه مطر فنظروا الى السحاب فاذايخرج من اطرافه شررالنار فخافوا وندموا وطلبوا يونس فلم يجدوه فقالوا لمليكهم ان كان يونس غائبا عنا فان آلهه لم يغب فاجتمع الناس كلهم فى ارض سهلة فتابوا وتضرعوا وكسروا اصنامهم وقبلوا دين الله تعالى وسجدوا له تعالى فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب وكان يونس على جبل بعيد من المدينة فلم يقف على هذه الحال فجاء اليه الشيطان فى صورة شيخ فقال يونس له من اين تجئ قال من المدينة قال اى حال تركت اهلها قال ابليس تركتهم يطلبون كذابا يقال له يونس فانه قال لهم يأتيكم العذاب فلم يأتهم فيطلبونه ويريدون قتله فقال يونس كيف ارجع الى قوم كذبونى فذهب مغاضبا الى قومه من غير وحى من الله

تعالى فاتى بحر الروم فاذا سفينة مشحونة فركبها يونس عليه الصلوة والسلام فلما ركبها تحركت السفينة حتى كادت تغرق فقال الملاحون ههنا رجل عاص وعبد آبق وهذا رسم السفينة اذا كان فيها العبد الآبق لاتجرى ومن رسمها ايضا ان يقترعوا فى مثل هذا فمن وقعت القرعة عليه القوه فى البحر فساهم اى قارع اهل السفينة ثلاث مرات فوقعت فى كلها على يونس عليه السلام فكان يونس من المدحضين اى من المقر وعين فقام يونس فقال اناالرجل العاصى والعبد الآبق فالقوه اوالقى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت ثم جاء حوت آخر اكبر منه فابتلع هذا الحوت فنزل به الى قعر البحر فمكث فى بطنه اربعين يوما فنادى فى الظلمات الثلاث وسبح الله تعالى فقال (لااله الاانت سبحانك انى كنت من الظالمين) فاستجاب الله تعالى دعاءه بحرمة تسبيحه فاخرجه الى ساحل البحر فانبت الله عليه شجرة اليقطين ليستظل بظلها ثم مشى الى قرية فاقبل عليه اهل تلك القرية فاكرموه وعظموه وتمام القصة فى قصص الانبياء للامام الثعلبى

(جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْاَشْجَارُ سَاجِدَةً * تَمْشِي اِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمِ)

لما ذكر فى البيت السابق معجزته عليه السلام اعنى تسبيح الحصى فى كفه عليه السلام انتقل منها الى بيان معجزة اخرى مع المناسبة بين المعجزتين اذ كلتاهما كانتا جمادا وشهدتا بنبوته وغير ذلك مما لو تأملت لوجدته بديعا فقال جاءت لدعوته الاشجار الخ جاءت اى اتت لدعوته اى وقت طلبه تشهد على نبوته عليه السلام كما سيجئ حكايته والاشجار بالرفع فاعل جاءت وهى جمع شجر قال فى اخوان الصفاء فى الفرق بين الشجر والنبات والنجم ان الشجر ماهو قائم على ساقه مرتفع فى الهواء يورق فى الصيف ويتناثر ورقه فى الشتاء يخرج الثمر ولو غير مأكول والنبات مايبزر من الحب والبزر والنجم ماينبت من غير بزر وتنبسط على وجه الارض من الحشائش والكلاء وكلها ذوطعم ولون ورائحة انتهى والمراد من الشجر هنا شجر النخل وقيل غير ذلك وساجدة بالنصب حال من الاشجار والسجدة هنا اما على حقيقتها او المراد منها الخضوع والانقياد كما جاء الركوع بمعنى الخضوع فى قوله تعالى (يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) ولما توهم ان يسأل عن كيفية مجيئها بانه هل خلق لها قدم اوجاءت بلاقدم دفعه فقال تمشى اليه فهذه الجملة استيناف اوحال واليه متعلق به والضمير راجع اليه

يديه وقال اللهم حوالينا لاعلينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احوق بها كالاكليل •

(جاءت لدعوته الاشجار ساجدة)

(تمشى اليه على ساق بلا قدم)

(كأنما سطرت سطرا لما كتبت)

(فروعها من بديع الخط فى اللقم)

لدعوته اى لطلبه والضمير فيه وفى اليه للنبى صلى الله عليه وسلم والنبات ان كان له ساق فهو شجر والا فهو نجم وحشيش قال تعالى والنجم والشجر يسجدان ساجدة اى خاضعة وهى حال وكذا تمشى وبلا قدم صفة ساق كأنما سطرت حال او استيناف وما كافة وسطر وكتب بمعنى والمراد من السطر آثار فروع الشجر بسبب المجئ واللام فى لما كتبت اما بمعنى الباء او بمعناه فيكون صفة سطرا وضمير المفعول العائد الى الموصول محذوف اى كتبته ومن بديع الخط بيان له بمعنى المبدع اسم المفعول اى الغريب والعجيب واللقم وسط الطريق وروى باللقم كقولك جلست بالمسجد اى فى المسجد يعنى ان تلك الاشجار كتبت على صفحة الطريق بفروعها خطا جميلا من تأمل فيه علم حقية نبوته وصدقه فى جميع مااخبربه وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالحجون وهو كئيب حزين فقال اللهم ارنى آية لا ابالى من يكذبنى بعدها

عليه السلام على ساق متعلق بتمشى وقوله بلا قدم اما متعلق بتمشى اوظرف مستقر صفة ساق اوحال منه وفى المعنى تأكيد كمالايخفى وفى البيت انواع من خوارق العادة كفهم الخطاب من النبات مع انها ليست من ذوات الادراك ومجيئها وتحركها وقصدها اليه وتواضعها لديه ومشيها على ساق وبلاقدم قال العصام المجئ انما حصل من شجرة واحدة على ماورد فى الاخبار فجمع الاشجار محمول على التكرار يعنى تكرار حركتها مع وجود وحدتها وغفل عما فى المواهب والشفاء اذذكر فى المواهب اخرج الامام احمد عن ابى سفيان قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو حزين قد خضب عليه السلام بالدماء حيث ضربه بعض اهل مكة فقال له جبرائيل اتحب ان اريك آية فقال نعم فقال ادع تلك الشجرة التى وراء الوادى فدعاها فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها فقال عليه السلام حسبى حسبى وعن بريرة جاء اعرابى وسأل منه عليه السلام آية فقال له قل لتلك الشجرة ان رسول الله يدعوك فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت حتى وقفت بين يدى رسول الله عليه السلام قالت السلام عليك يارسول الله قال اعرابى مرها فلترجع الى منبتها فامرها فرجعت فدلت عروقها فى موضعها فاستقرت الحديث وفى حديث جابر ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضى حاجته فلم يرشيئا يستتربه فاذا شجرتان فى شاطئ الوادى فانطلق فاخذ بغصن من اغصان احديهما وقال انقادى معى باذن الله فانقادت معه حتى اتى الى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها ايضا وقال انقادى معى حتى اذا كان بالمنتصف ممابينهما قال التئما على باذن الله فالتأمتا ثم بعد انقضاء حاجته افترقتا الى اماكنهما وامثاله ايضا ذكر فى الشفاء

(كَاَنَّمَا سَطَّرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَبَتْ * فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ فِى اللَّقَمِ)

لما توهم ان يسئل عن كيفية مشى الاشجار على ساقها بلا قدم اجاب عنه فقال بتشبيه بليغ كأنما سطرت الخ فكأن للتشبيه وما كافة اى كأن الاشجار فى مجيئها سطرت بمعنى كتبت واثرت والضمير للاشجار اولفروعها وسطرا مفعول مطلق له واللام فى لما للتوقيت اوللتعليل وما موصولة وكتبت صلته وضمير الموصول محذوف اى كتبته اوكلمة مامصدرية اى لكتابة الفروع وعلى كل تقدير قوله فروعها بالرفع فاعل كتبت والفروع بمعنى الاغصان

ونادى شجرة من قبل عقبة اهل المدينة فجائت تشق الارض حتى انتهت اليه فسلمت عليه ثم امر فرجعت فقال لاابالى من يكذبنى بعدها وقد روى اغرب من هذا وهوان صناديد قريش واقيالهم اجتمعوا يوما عند ابى طالب وقالوا ياوجه العرب وياسيد بنى هاشم قد ابتلينا ببلاء ابن اخيك ابى القاسم يذم دين آبائنا ويطعن فى آلهتنا فاطلبه ولا نبحل كى يرينا آية فنؤمن به فقبل مقالتهم فلما جاء النبى عليه السلام سبحان الملك العلام تغير عليهم الحال وقاموا بلا اختيار للتعظيم والاجلال وقد كان فى قصدهم الاهانة والاذلال فلما جلس قال ابو جهل يامحمد نريد ان نشاهد آية من آيات نبوتك فادع ربك يخرج لنا شجرة من هذا الحجر واشار الى حجر كان يرى امامهم فدعا النبى صلى الله عليه وسلم فانشق الحجر وخرجت منها شجرة وسجدت نحو النبى وجاءت ساجدة مع الحجر ويخط فروعها خطوطا فلما دنا من النبى ع م سلمت عليه فقال ابوجهل ادع ربك حتى يعيدها فى الحجر فدعا فعادت شجرة والتأم الحجر وكان ذلك سببا لايمان بعضهم ولكن اباجهل قال مارأيت ساحرا مثلك يامحمد (صلى الله عليه وسلم)

والافنان وضميره للاشجار وقوله من بديع الخط بيان لما واضافة البديع الى الخط من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها اى الخط البديع بمعنى الخط الحسن وقوله فى اللقم متعلق بكتبت واللقم بفتحتين بمعنى وسط الطريق والمعنى كأن الاشجار انتظمت سطور الكتابة الفروع والاغصان فى وسط الطريق خطا حسنا دالا على المعانى الكثيرة وفى البيت استعارة تمثيلية بان شبه الهيئة المنتزعة من الاشجار واغصانها وانتظامها سطرا وكتابة فروعها خطا حسنا فى وسط الطريق بالهيئة المنتزعة من كاتب حقيقة وانتظامه سطورا بالمسطار وكتابته بالقلم خطا حسنا على الكاغد وفى هذين البيتين اشارة الى ان المسلمين اولى بالمبادرة لاوامره عليه السلام وبان يقمن على قدم العبودية والاطاعة واذا كانت الاشجار مطيعة منقادة له عليه السلام فامته اولى به

(مِثْلُ الْغَمَامَةِ اَنَّى سَارَ سَائِرَةً * تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِى)

ثم انتقل من المعجزة السابقة الى بيان معجزة اخرى مع المناسبة بين هذه المعجزة وتلك من وجوه لان الغمامة كانت تسير مع النبى اين سار واطاعت له عليه السلام وكذلك الاشجار كانت مطيعة ومنقادة له عليه السلام تذهب الى اين امر ولان الغمامة كانت تظلل النبى عليه السلام من حر الشمس كذلك الاشجار كانت تظلل النبى عليه السلام كما روى فى الاحاديث الصحيحة انه عليه السلام اذا نام فى الصحراء كانت تجئ اليه الاشجار وتظلله ولان الغمامة سبب لانبات النباتات والاشجار وغير ذلك فقال مثل الغمامة الخ مثل بالنصب على انه صفة مصدر محذوف اى مجيئا مثل الغمامة اوبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى الاشجار مثل الغمامة والغمامة بفتح الغين المعجمة بمعنى السحاب وحبط العصام حيث قال الغمامة كالعمامة لانها بكسر المهملة كذا فى القاموس وانى بفتح الهمزة بمعنى اين اى الى اى محل سار او بمعنى كيف اى كيف سار النبى عليه السلام سواء سار راكبا اوماشيا سريعا اوبطيئا وعلى كلا التقديرين فهو ظرف لقوله المؤخر سائرة وسار بمعنى ذهب وضميره راجع اليه عليه السلام وسائرة امابالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى سائرة فتكون الجملة بيانا لحال الغمامة اومنصوبة على انها حال من الغمامة وتقيه بمعنى تحفظه وضمير فاعله راجع الى الغمامة وضمير مفعوله راجع الى النبى عليه السلام والجملة اما حال اواستيناف لبيان علة السير فيمكن ان يرتب لهذا قياس بان يقال الغمامة تسير اين سار النبى لان الغمامة كانت تظلل النبى وتقيه حر وطيس للهجير حمى وكل شئ شانه كذا فهو تسير الى اين سار النبى فينتج المطلوب وحر وطيس بالنصب مفعول ثان لتقى لكن من قبيل الحذف

خبر مبتدأ محذوف اى مجئ الاشجار والمذكور من الخوارق مثل الغمامة فى كونها معجزة انى بمعنى اين او بمعنى كيف اى من اى موضع سار ماشيا او راكبا اوسريعا اوبطيئا وسائرة اما مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى فيكون استينافا اوبيانا لحال الغمامة اومنصوب على انه حال من الغمامة وتقيه حال من الضمير فى سائرة او استيناف على الثانى وبدل من الجملة الاسمية وبيان ايضا على الاول من وقاه الشئ حفظه عنه الوطيس التنور يقال حمى الوطيس اذا اشتد الحرب والهجير والهاجرة مابين الزوال والعصر والباء فيه اما للتجريد او بمعنى فى ويكون متعلقة بحمى وهو صفة وطيس وروى باللام فيكون للاختصاص ويكون قوله للهجير صفة للوطيس وحمى حالا بعد مضمرة يقول هذه المعجزات المسوقة اليه بالفضل والكرامة فى كونها معجزة مثل الغمامة التى كانت تقيه اشعة الشمس واوارها وتدور لتظلله من الشمس طبق مدارها كما قيل وظلله من حر الشمس سحابة تسير وتلوى اينما احد يلوى وتلك الغمامة كانت تسير معه عليه السلام من صغر سنه وبها عرفه بحيراء الراهب على ما يرويه الواقدى ان اباطالب اراد الخروج فى قريش الى الشام فلما تهيأ للرحيل حب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له ابوطالب وقال والله لاخرجنه معى وكان تم من عمره وقتئذ اثنى عشر سنة فكلم ابا طالب اخوته واخوانه وقالوا مثل

هذا الغلام لايخرج به فكاد ابوطالب يخلفه حين كلف فيه فرآه يوما يبكى فقال له مالك يابن اخى فسكت رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال له لعل بكاك انى اخافك فقال نعم فقال ابو طالب والله لا افارقك ابدا فخرج به فلما نزلوا بقرب الشام
وبها راهب يقال له بحيراء فى صومعة وكان من علماء النصارى فصنع لهم طعاما ﴿ ١٣٢ ﴾ ودعاهم اليه وانما جاءه على
ذلك انه حين رآهم رأى غمامة تظلل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزل ابو طالب تحت الشجرة اظلت الغمامة على الشجرة ثم قال لهم الراهب احب ان لا يتخلف منكم احد فحضروا كلهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الراهب الى الغمامة وهى واقفة عليه فقال الم اقل لكم لا يتخلف منكم احد فقالوا ما تخلف الا غلام حديث السن فقال الحارث بن عبد المطلب كيف يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا فجاء به واجلسه على الطعام فنظر الراهب ان الغمامة جاءت معه ثم قال لابى طالب ما هذا الغلام منك فقال هو ابن اخى قال فما فعل ابوه قال هلك وامه حبلى قال صدقت قال فما فعلت امه قال هلكت قال صدقت فلما اكلوا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسألك بحق اللات والعزى الا اخبرتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألنى باللات والعزى فوالله ما ابغضت شيئا بغضهما قال فبالله الا اخبرتنى فقال رسول الله سلنى فسأله عن اشياء من احواله حتى نومه فاخبره فوافق ذلك ما عنده ثم جعل ينظر فى عينيه فسأل هل يذهب حمرتها فقالوا لا يفارقه فقال انزع جنبيك فابى عليه حتى قال له ابو طالب انزعها يا ابن اخى فنزعها فنظر الى الخاتم بين كتفيه فجعل يقبله وعيناه تهرقان بالدمع ثم قال لابى طالب ان ابن اخيك يكون نبى هذه الامة وانى اخاف عليه اليهود فارجع به سريعا الى مولده وقد اخذ علينا فيه المواثيق فقال من اخذه فتبسم الراهب وقال اخذه الله علينا فى كتابه الذى انزل بذلك عيسى بن مريم وقد اديت اليك فى امره النصيحة والسلام

والايصال اى من حر وطيس والوطيس التنور لكنه مستعار لمعنى الشمس حيث شبه الشمس وقت الزوال بالتنور فى شدة الحر فاستعير التنور للشمس فذكر التنور واريد الشمس وقوله للهجير اللام للتوقيت وهو ظرف مستقر صفة لوطيس او ظرف له او ظرف للحر والهجير بمعنى نصف النهار عند اشتداد الحر يقال الهجير يبس النبت والحوض وحمى فعل ماض وسكون آخره عارض فى الوقف وهو صفة لوطيس والحمى بمعنى اشتد الحر يقال حمى النهار بكسر العين اذا اشتد حره وحاصل المعنى ان الاشجار ساجدة لديه جائية اليه مثل الغمامة كانت تسير الى اين سار النبى لكونها حافظة له من حر شمس كائنة وقت الزوال الشديد الحر بقدرة الملك المتعال والبيت اشارة الى قصة بحيراء الراهب وهى انه عليه السلام لما خرج الى الشام لمصلحة خديجة ارسل الله تعالى رأسه عليه السلام غمامة بيضاء ليظلله من حر الشمس حتى وصلت العير الى صومعة بحيراء الراهب فنزلت العير عندها تحت شجرة فاخضرت تلك الشجرة مع انها يابسة فخرج الراهب من صومعته ورأى العير والغمامة التى تظلله فعرفه بذلك وقال ليس تحتها الا نبى واتخذ ضيافة ودعا اهل العير ليعرف صاحب تلك الكرامة فذهبوا باجمعهم وتركوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند اثقالهم لاعتمادهم عليه فنظر الراهب ان الغمامة لم تزل من مكانها فسألهم وقال هل بقى منكم احد فى مكانكم فقالوا لا الا الحافظ يحفظ اثقالنا فطلب الراهب منهم ان يأتوا به فاتى به عليه السلام فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تلك الصومعة نظر الراهب الى الغمامة فرآها واقفة على الباب فدخل وقال يا شاب من اى بلدة انت قال من مكة قال من اى قبيلة قال من قريش قال ما اسمك قال اسمى محمد فوقع الراهب عليه وقبله بين عينيه وقال (لا اله الا الله * محمد رسول الله) واسلم وحسن اسلامه وتمام القصة مذكور فى كتب السير

(اقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم)

ثم انتقل بيان معجزة اخرى لها مناسبة للسابقة من وجوه شتى حيث كانت السابقة سماوية وكذا هذه ولانها كانت خاصة نبينا عليه السلام وكذا هذه ولانها انقادت اليه عليه السلام فكذا هذه فقال اقسمت بالقمر الخ اقسمت على صيغة التكلم من القسم بمعنى الحلف لا من الاقسام لعدم مجيئه وبالقمر متعلق باقسمت فيكون القمر مقسما به فان قلت القسم بغير

(اقسمت بالقمر المنشق ان له) (من قلبه نسبة مبرورة القسم) اقسم به حلف به وسمى القمر قمرا لغلبة

نوره نور الكواكب من قمره غلبه ﴿ ١٣٣ ﴾ فالباء فى بالقمر متعلق باقسمت فيكون المقسم به هو القمر المنشق فانه من معجزاته التى هى آثار القدرة الباهرة فان له مع قلب النبى عم كمال المشابهة والمناسبة الظاهرة والمضاف محذوف اى رب القمر ولا يجوز ان يتعلق بقوله نسبة لان ما فى حيز ان لا يتقدم عليها وان مع اسمها اى نسبة وخبره اى له جواب القسم والضمير فى له للقمر ومن قلبه متعلق بنسبة او بالمقدر فى له وضمير قلبه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد من النسبة ههنا الامر الجامع بترقى قسمه راعى مقتضاه وما هتك حرمته ومبرورة القسم صفة نسبة لان الاضافة لفظية او حال منه والمبرورة القسم اى الصادقة بلا شك يعنى لو قسم احد ان للقمر المنشق نسبة اى شبها بقلبه المنشق يكون بارا او صادقا ووجه الشبه والجامع اما اللطف والصفاء والنزاهة والاشراق او صبغ القلوب وتربية الالباب والهداية عن الضلال او للاخذ من العالى والافاضة الى السافل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذهب الى موضع فلاقاه ابو جهل مع يهودى وقال يا محمد ارنى آية اراها فيؤمن واؤمن بك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اية آية تريد فعلمه اليهودى بان يسأل انشقاق القمر لان السحر لا يتحقق فى السماء فسأل عنه ابو جهل انشقاقه فرفع النبى صلى الله عليه وسلم اصبعه وامره بان ينشق بنصفين فانفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين

اسم الله لا يجوز من العباد بل الظاهر من كلام مشايخنا انه كفر ان كان باعتقاد انه حلف فيجب التبرئة وحرام ان كان بدونه وقد قال عليه السلام من حلف بغير الله فقد اشرك رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنه وعن ابن عباس لأن احلف بالله فآثم خير من ان احلف بغير الله تعالى فابر فكيف يجوز قسم الناظم النحرير بالقمر قلت الجواب عنه من وجوه اما اولا فبان يقال فى العبارة حذف مضاف اى اقسمت برب القمر او خالقه كما قدره اكثر المفسرين فى مثل قوله تعالى (والشمس والضحى والليل) وغير ذلك واما ثانيا فبان يقال ان هذا القول وان كان فى صورة القسم لكن لم يكن المراد به القسم بغير الله تعالى فان العرب اذا ارادوا تأكيد مضمون الكلام وترويجه واخبار صدقه يذكرونه فى صورة القسم لانه اقوى من سائر المؤكدات واسلم وليس الغرض به اليمين الشرعى واما ثالثا فبان يقال ان الحلف بغير اسم الله تعالى انما لا يجوز فى مذهب الحنفية والناظم شافعى المذهب كما سبق فيجوز الحلف بغير الله تعالى فى مذهبهم ثم ان القمر يطلق على الكوكب المنير بالليل بعد مضى ثلاث ليال واما قبله فيقال له الهلال والمنشق بالكسر صفة القمر وهو اسم مفعول من الانشقاق بمعنى الانصداع وانشقاق القمر باشارته عليه الصلوة والسلام ثابت بالقرآن والاحاديث قال فى المشكاة روى ان ابا جهل عليه اللعنة ومن تابعه لما عجزوا عن معارضة نبينا عليه الصلوة والسلام وارتفعت يوما فيوما شمس شريعته وجعل الناس يؤمنون به بعثوا الى حبيب بن مالك امير الشام مكتوبا وكتبوا فيه اما بعد ليعلم الملك انه قد ظهر بيننا رجل ساحر كذاب يدعى ربا واحدا ودينا جديدا وانه يسب آلهتنا وكلما قابلناه بالحجة غلب علينا فاليوم ضعف دينك ودين آبائك فالحق به قبل ان ينتشر دينه فركب حبيب بن مالك ومعه اثنا عشر فارس ونزل بالابطح وخرج لاستقباله ابو جهل وعظماء مكة بالهدايا فاقعده حبيب وسأله عن احوال محمد قال ايها السيد نسل بنى هاشم فسأل منهم فقالوا نعرفه بالصدق فى صغره ولما بلغ عمره اربعين سنة جعل يسب آلهتنا ويظهر دينا غير دين آبائنا قال حبيب احضروا محمدا فبعثوا اليه الحاجب فاتى اليه عليه الصلوة والسلام ابو بكر بحلة حمراء وعمامة سوداء فلبسهما رسول الله فجاء الى حضور حبيب وابو بكر عن يمينه وخديجة من خلفه فلما رأى النبى عليه السلام قام اكراما له عليه الصلوة والسلام فلما جلس رسول الله والنور يتلألؤ فى وجهه سكتت الالسن ووقعت الهيبة على الناس فقال حبيب يا محمد انت تعلم ان للانبياء كلهم معجزات ألك معجزة فقال عليه

فلقى القمر فآمن اليهودى ولم يؤمن ابو جهل لانه من يهدى فهو المهتد ومن يضلل فلا هادى له وانشقاق القمر

من معجزاته الباهرة وآياته النيرة الظاهرة قالت حليمة امه الرضاعية وهي من بنات بني سعد بن بكر فلما كان يوم
من الايام خرج محمد مع اخوته من الرضاعة فلما انتصف النهار اذا انا بابني ضمرة يعدو وقد علاه العرق باكيا ينادي يا اماه يا ابتاه ادركا ادركا اخي القريشي فماارا كما تلحقانه الاميتا قلت وما قصته قال بينا نحن نترا آى بالجلة اذ اتاه رجل فاختطفه من بيننا وعلابه ذروة الجبل وشق بطنه فماارى الامقتولا فاقبلت انا واجون تعني زوجها نسعى سعيا فاذا انابه قاعد على ذروة الجبل شاخص بعينه نحو السماء يتبسم فانكببت عليه وقبلت بين عينيه وقلت له فداك نفسي ماالذي دهاك قال خيرا يا امه بينا انا الساعة قائم مع اخوتي نتقاذف بالجلة اذاتاني ثلثة رهط في يد احدهم ابريق فضة وفي يد الثاني طست من زمرد خضراء مملوة ثلجا فاخذوني من بين اصحابي وانطلقوا بي الى ذروة الجبل فاضجعني بعضهم على الجبل اضجاعا لطيفا ثم شق صدري وانا انظر اليه فلم اجد لذلك حسا ولا الما ثم ادخل يده في جوفي فاخرج احشاء بطني فغسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها وقام الثاني فقال للاول تنح فقد انجزت ماامرك الله تع فدنا مني فادخل يده في جوفي فانتزع قلبي وشقه باثنين فاخرج منه علقة سوداء فرمى بها وقال هذا حظ الشيطان منك ياحبيب الله ثم حشاه بشئ كان معه ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور وانا الساعة اجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي وقام الثالث فقال تنحيا فقد انجزتما ما امر الله تعالى فيه فدنا مني فامر يده على مفرق صدري الى منتهى الشق فالتأم وانا انظر اليه ثم انهضني من الارض انهاضا

الصلوة والسلام ماذا تريد فقال حبيب اريد ان تغيب الشمس وتخرج القمر وتنزله الى الارض وتجعله منشقا نصفين ثم يعود الى السماء قمرا منيرا فقال عليه الصلوة والسلام ان فعلته اتؤمن بي قال نعم بشرط ان تخبر بما في قلبي فصعد رسول الله الى جبل ابي قبيس وصلى ركعتين فدعا ربه فنزل جبرائيل عليه السلام فقال ان الله تعالى سخر لك الشمس والقمر والليل والنهار وان لحبيب بن مالك بنتا سطيحة يعني ساقطة على قفاها وليس لها يدان ولا رجلان ولا عينان فاخبره بان الله تعالى قد رد عليها جوارحها فنزل رسول الله عليه الصلوة والسلام من الجبل وجبريل في الهواء وصفت الملائكة صفوفا فاشار باصبعه عليه الصلوة والسلام الى الشمس فركضت حتى غابت واشتد الظلام وطلع القمر بدرا منيرا فاشار اليه باصبعه فجعل القمر يركض ركضا حتى نزل الى الارض فانفلق فلقتين ثم عاد قمرا منيرا ثم عادت الشمس كما كانت اول مرة ثم قال حبيب بقي عليك الشرط فقال النبي عليه الصلوة والسلام ان لك ابنة سطيحة والله تعالى قد رد جوارحها فقال حبيب قائما يا اهل مكة لا كفر بعد الايمان اعلموا (اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله) فقال ابو جهل اتؤمن بهذا الساحر ثم خرج حبيب بن مالك الى الشام مسلما ودخل قصره فاستقبلته بنته قائلة (اشهد ان لا اله الا الله آه) فقال لها يا بنتي من اين علمت هذه الكلمات قالت اتاني آت في المنام فقال لي ان اباك قد اسلم وان كنت اسلمت نرد عليك اعضاءك سالمة فاسلمت في منامي فاصبحت كما تراني وتمام القصة مذكورة في محلها وقوله ان له بكسر الهمزة لانه وقع في جواب القسم وله ظرف مستقر خبر ان والضمير راجع اليه عليه الصلوة والسلام وقوله من قلبه متعلق بنسبة قدم عليه للحصر ومن بمعنى الباء والنسبة بمعنى المشابهة يعني ان للقمر المنشق مشابهة لقلب النبي عليه الصلوة والسلام في الانشقاق ومبرورة القسم بالنصب على انه حال من فاعل اقسمت فيكون الالف واللام عوضا عن المضاف اليه اي وانا مصدوق في قسمي واما صفة للنسبة او حال منها فعلى هذا يكون المعنى ان للقمر المنشق نسبة لقلبه حتى لو حلف احد على وجود تلك النسبة يكون بارا في قسمه وانشقاق قلبه اشارة الى شرح صدره حيث روى مسلم عن انس ان جبريل اتاه وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه وشق صدره عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب ثم املاءه بالحكمة ثم اعاده في مكانه وقد كان شرح الصدر له عليه السلام مرتين

(وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ * وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي)

لما ذكر بعض معجزاته السابقة الواقعة قبل هجرته عليه السلام اراد ان يبين بعض المعجزات التي وقعت في هجرته عليه السلام فقال وماحوى الخ الواو عاطفة وماحوى مبتدأ محذوف الخبر اي ومن جملة معجزاته عليه السلام ماحوى اي جمع واحاط فما اسم موصول عبارة عن ذات الرسول عليه السلام او عنه وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه فان قلت المناسب لهذا المقام ان يقول ومن بدل وما لانهم قالوا ان من مختص بذوي العقول وما لغيره وقد نص عليه الصلاة والسلام في مجادلة عبدالله بن الزبعرى قلت اختار ما دون من لكونه عبارة ههنا عن الوصف حيث بين بالخير والكرم وهما غير ذي العقل فيناسبه ما دون من اونقول ان ما ههنا بمعنى من مجازا كما قال جمهور المفسرين ان ما قد يستعمل في ذوي العلم مجازا كما في قوله تعالى (والسماء وما بنيها) وماحوى بمعنى جمع واحاط والغار الالف واللام فيه للعهد والغار بمعنى الكهف اي الكهف المعهود الذي كان في جبل ثور في قرب مكة المكرمة والمراد بالخير الفضائل ومن الكرم الفواضل والفعال الجليلة والخصال الجميلة وفي العبارة اما حذف مضاف اي ذي خير وذي كرم او من باب المبالغة كرجل عدل والمراد بهما الجامعان لهما من النبي والولي على طريق اللف والنشر المرتب فالخير المطلق خير البرية والكرم يراد به افضل الامة قال عليه السلام ما نفعني مال احد مثل ما نفعني مال ابي بكر وقال عليه السلام لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح ايمانه وكل طرف والواو للحال او استينافية والطرف بمعنى العين والتنوين للتحقير ومن الكفار حال من طرف او صفة له والمراد من الكفار الذين تفحصوا عن رسول الله عليه السلام وعنه متعلق بعمي المؤخر قدم للوزن وضميره راجع اليه عليه السلام افرده لكونه الاصل المتبوع وعمي اما فعل ماض وهو الاظهر اوهو صفة وحاصل المعنى لما اجتمع اكابر قريش في دار الندوة للمشاورة في الاهانة له عليه السلام تمثل لهم ابليس بصورة شيخ فجلس معهم فقالوا ما ادخلك علينا بغير اذن قال اللعين انا رجل من نجد رأيت فيكم حسن النية والاجتماع لامر حسن فاحببت ان اجلس معكم فقالوا هذا ليس من اهل تهامة لا بأس وتكلموا فقال بعضهم احبسوه في بيت ولا تعطوه شرابا ولا طعاما حتى يهلك قال اللعين بئس الرأي لانه له اقارب يجتمعون ويأخذونه من ايديكم وقال آخر اخرجوه وغربوه من بينكم قال اللعين ايضا بئس الرأي لان له لسانا لطيفا ووجها مليحا والله ليجتمعن عليه خلق كثير ثم ليأتينكم ويخرجكم من بلادكم قالوا صدق الشيخ قال ابو جهل خذوا من كل بطن شابا بسيف صارم ومروهم ان يخرجوا اليه ويقتلوه فيتفرق دمه في القبائل قال اللعين

لطيفا ثم انكبوا الي وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا ياحبيباه انك لو تدري مايراد بك من الخير لقرت عيناك وتركوني قاعدا في مكاني هذا وجعلوا يطيرون حتى دخلوا خلال السماء وانا انظر اليهم ولو شئت لاريتك موضع دخولهم
(وماحوى الغار من خير ومن كرم)
(وكل طرف من الكفار عنه عمي)
وماحوى مبتدأ محذوف الخبر اي من جملة معجزاته ماحوى واجمع احاط وما اسم موصول ومن بيانه والغار نقب في الجبل والخير ماله عاقبة حميدة وهو صيغة تفضيل على غير القياس وتنوين خير وكرم اما للتعظيم او عوض من المضاف اليه اي خير البشر وكرمه جعله نفسه وذاته صلى الله عليه وسلم محض الخير والكرم وكل طرف مبتدأ وعمي خبره ماضيا كان او صفة وعنه متعلق به والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ومن الكفار صفة طرف والجملة في محل الحال

هذا الرأى صواب فاجتمعوا عليه ليأتوه ليلا فاخبر جبريل بتلك الحال النبى عليه السلام وامره بالخروج فاقام رسول الله عليا فراشه فخرج وجاء الى بيت ابى بكر وذكر الحال فقال اتخرج معى فقال ابو بكر سمعا وطاعة فخرجا حتى وصلا الى باب الغار فدخل اليه ابو بكر اولا فرأى فيه جحرا فأخرج بردته فمزقها وحشا تلك الجحرة فبقى ثقبة فسدها بعقبه وقال ادخل يارسول الله فدخل والكفار جاؤا طالبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فلم يجدوه فسألوا عليا فقال لا ادرى فطلبوا اقطار مكة حتى جاؤا الى باب الغار فلم يروهما وسيأتى تفصيل هذه القصة فى الابيات الآتية

﴿ فَالصِّدْقُ فِى الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا * وَهُمْ يَقُولُونَ مَابِالْغَارِ مِنْ أَرِمِ ﴾

ثم شرح فى بيان تفصيل قوله وماحوى الغار فقال فالصدق فى الغار الخ الفاء للتفصيل والصدق مصدر بمعنى الصادق او المصدوق الذى انحصر فيه الصدق اوذو الصدق اوعلى طريق المبالغة وفى الغار خبر مبتدأ فان قيل الظاهر ان يقول فيه لسبق ذكره فلم عدل الى غير الظاهر قلت اعاد ذكره للاستلذاذ ولئلا يتوهم رجوعه الى الكرم والى الخير لا يقال اعادة ذكره لضرورة الوزن لانا نقول ذكره بالضمير لا يخل بالوزن ايضا بان يقول فالصدق فيه مع الصديق لم يرما مع انه على هذا يكون البيت اسلم لفظا واحسن معنى فتأمل والصديق صيغة مبالغة بمعنى كثير الصدق وفى هذا المصراع اشارة الى قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به الآية وخبر قوله والصدق محذوف اى كذلك ولم يرما بفتح الياء وكسر الراء من ورم انفه اذا غضب لان الغضبان ينتفخ انفه والجملة حال فيكون المعنى لم يغضبا على القضاء والقدر بل لم يجئ الى قلبهما اثر وفى بعض الرواية قرئ لم يرما بضم الياء على انه مجهول يروم من الروم بمعنى الطلب ومن اللطائف انهما مطلوبان وليسا بمطلوبين بل انهما محبوبان ولكن كانا عن اعين الاعداء محجوبين وقيل اصله لم يرم فهو مؤكد بالنون الخفيفة من ورم بمعنى انتفخ فابدلت النون الفا فى الوقف كما فى قول امرئ القيس (ع) قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل * فيكون ضميره راجعا الى الصدق وتكون الجملة خبرا عنه والمعنى والحال ان الصديق لم تنتفخ من لدغ الحية رجله المباركة حيث روى ان ابابكر لما سد الثقبة فى الغار برجله المباركة وكان فيها حية فلدغت رجله فشكا الى النبى عليه السلام من لدغها فاخذ النبى عليه السلام من بزاقه الشريف فوضع عليه فبرئ باذن الله وارتفع عنه الورم وقرأ بعض الناس لم يريا على انه

﴿ فالصدق فى الغار والصديق لم يرما ﴾
﴿ وهم يقولون مابالغار من ارم ﴾

هذا البيت كما قبله والصدق فى الخبر مطابقته للواقع مع الاعتقاد وصدق فى وعده اتى بما التزم ورجل صدق اذا كان متحا شيا عما لاينبغى والصديق صيغة مبالغة مشتاقة منه واراد بالصدق النبى صلى الله عليه وسلم ومن الصديق ابابكر رضى الله عنه وروى والتصديق مقام والصديق فيكون اشارة الى قوله والذى جاء بالصدق وصدق به اى والذى صدق به فيكون المضاف فيهما محذوفا اى صاحب الصدق وصاحب التصديق والخبر فى الثانى محذوف اى كذلك للاحتراز عن العبث اولتخيل العدول الى اقوى الدليلين ولم يرما من ورم جلده غضب لان الغضبان ينتفخ فالمعنى لم يغضبا على القضاء والقدر ولم يتغيرا من حالهما باستشعار الخوف لكمال تمكينهما وصدق تعيينهما وروى بعض لم يريا وماذلك من الناظم وانما حمله على ذلك العجز عن التأويل وهو حال ويحتمل ان يكون خبرهما وفى الغار حالا او يكون خبرا بعد خبر والمصراع حال والضمير للكفار ومن زائدة لتأكيد النفى يقال مابالدار اريم وارم اى احد فان الله تعالى قدسلب ادراكهم واعمى ابصارهم سبحان من بقدرته الاظهار والاخفاء وبتقديره الاعادة والابتداء
* وفيه مافيه فتأمل

تثنية مضارع من الرؤية لكن رده شيخ زاده وانا من الداخلين معه وقوله يقولون الواو حالية والضمير للكفار وجملة يقولون خبر مبتدأ والقول ههنا بمعنى الحكم اى والكفار يحكمون ومابالغار من ارم مقول الكفار وماشبهة بليس والباء فى بالغار بمعنى فى وهو خبر ما ومن زائدة وارم بالرفع اسم ما وهو بمعنى احد يقال مافى الدار ارم اى احد وحاصل المعنى ان رسول الله عليه السلام وابابكر دخلا الغار وسكنا فيه راضيين بقدر الله تعالى وحكمه غير غاضبين والكفار جاؤا باب الغار لعلامة الآثار فلم يروهما بحفظ الملك الجبار حتى روى ان بعضهم قفوا اثرهما الى باب الغار ثم انقطع الاثر فيه فصعدوا على الجبل فوق الغار فقال ابو بكر رضى الله عنه يارسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا قال عليه السلام يا ابابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما

﴿ ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى * خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ ﴾

لما توهم ان يسئل عن سبب عدم رؤيتهم بان يقال مامنعهم من الرؤية قال مجيبا ظنوا الحمام الخ الظن قد يراد به العلم المطابق وقد يراد به غالب الرأى وقد يراد به الجانب المرجوح اى الوهم وهو المراد ههنا والحمام طير يألف البيوت قال فى اخوان الصفاء الحمام خاصته ان يحمل كتابا الى بلد بعيد وهو القائل فى طيرانه وذهابه ياوحشتنا من فرقة الاخوان ياطول الاشواق الى الخلان يارب ارشدنا الى الاوطان وقال فى حلبة الكميت اختلف الناس فى صوت الحمام هل هو بكاء اوغير ذلك فمنهم من جعله بكاء وقال انها تبكى على فرخ لها صاده جارح فى عهد نوح عليه السلام فمامن حمامة الا وهى تبكى عليه الى يوم القيامة قلت والذى يظهر لهذا الفقير والله اعلم ان ذلك يختلف باختلاف المسامع فتارة يسمعه الخلى فيطرب ويسميه غناء وتارة يسمعه العاشق فيحزن ويسميه بكاء انتهى والعنكبوت دويبة تنسج فى الهواء والجمع عناكب والمذكر عنكب وهى اقلع الاشياء وعلى رزقها احرص الاشياء وتبيض وتحيض واول ماتلد تلد دودا صغارا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته فى ثلاثة ايام ويقوى على النسج ساعة يولد من غير تعليم والذى تنسج لاتخرجه من جوفها بل من خارج جلدها قال فى حياة الحيوان اذا وضع نسج العنكبوت على الجراحة الطرية فى ظاهر البدن حفظها من الورم ويقطع سيلان الدم واذا دلكت الفضة بنسجها جاء جلاؤها والعنكبوت الذى ينسج على الخلاء اذا علق المحموم يبرأ باذن الله تعالى واذا الف فى خرقة وعلق على صاحب حمى الربع نفع انتهى وفى الجامع الصغير قال عليه السلام العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه وروى الثعلبى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال

﴿ من الدروع وعن عال من الاطم ﴾

استيناف وكذا وقاية الله والظن قد يراد به العلم المطابق وقد يراد به غالب الرأى وقد يراد به الجانب المرجوح وهو الوهم الحمام والحمامة مثل تمر وتمرة وعلى متعلق بلم ينسج وهو مفعول ثان لظنوا الثانى ولم تحم اى لم تطف من حام حوله طاف ودار وهو يحتمل ان يكون ضميره للعنكبوت والمفعول الثانى من ظنوا الاول محذوفا على طريق قوله علفتها تبنا وماء باردا اى ظنوا انه ماذكر وماباض على باب الغار الذى فيه خير البرية واما ان يكون مفعولا ثانيا لظنوا الاول باللف والنشر الغير المرتب وقاه حفظه والمضاعفة مؤنث اسم مفعول من ضاعف والمضاعفة امافى النسج واما فى اللبس وكلمة من للبيان والتبعيض ان كان التقدير عن درع مضاعفة من الدروع مؤنث سماعى وعن حصن عال من الاطم اى من الحصون اويكون للبيان فقط اى من الدروع المضاعفة ومن الاطم العالية فعلى هذا يكون عال ترخيما العالية للضرورة ثم قصة الغار مشهورة وتفصيلها فى المطولات مذكورة وايرادها فى هذا المختصر يؤدى الى الاطناب فيكتفى بقدر مايحتاج اليه وهو انه لما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفحل امره واشتد ببيعة الاوس والخزرج ازره خافوه على انفسهم فازدادوا له عداوة وبغضا واجتمعوا فى دار الندوة ليتآمروا فى امره فاعترضهم ابليس

فى صورة الشيخ النجدى ومنع بعض ماذكروا من الحبس والطرد والنفى واتفقت ﴿ ١٣٨ ﴾ آراؤهم على قول ابى جهل
وهو ان يخرجوا اليه من كل قبيلة من قريش شابا جلدا بسيف مطاع فيقتلوه فيتفرق دمه فى القبائل بحيث لايقدر بنوعبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضون بالدية واستحسن الشيخ النجدى هذا الرأى وتفرقوا عن تراض فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فاخبره بمكيدة قريش امره بمفارقة مضجعه تلك الليلة فامر النبى صلى الله عليه وسلم على ابن ابى طالب ان ينام على فراشه ويتسجى برده فنزل فيه (ومن يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) فلما مضى عتمة من الليل جاء القوم الى بابه يترصدونه مع النوم فيثبتون فيقتلونه وسمعت فى فضائل القرآن ان الله تع انزل عليه اول سورة يسٓ فى الليلة وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية وخرج رسول صلى الله عليه وسلم على القوم وهم ببابه فقرأ عليهم الآية وفى يده حفنة من تراب فذرها عليهم فاخذ الله بابصارهم وخرج من بينهم وانطلق الى ابى بكر فقال ياابابكر قد اذن لى بالهجرة فخرج فى الهجرة ابوبكر وقد كان يمشى امام رسول الله صلعم يلتقط الحواة من الارض ثم يقفوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى دلائل النبوة ان ابابكر كان يمشى مرة امامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فقال له عليه السلام ماهذا يااباكر ما اعرف هذا من فعلك فقال اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون فداءك فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على اصابعه

طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيوت يورث الفقر وفى الحلية نسجت العنكبوت مرتين على الانبياء مرة على داؤد عليه السلام حين كان جالوت بطلبه ومرة على النبى عليه السلام فى الغار وروى الديلمى فى مسند الفردوس عن على رضى الله عنه ان النبى عليه السلام سئل عن الممسوخ فقال هم ثلاثة عشر الفيل والدب والخنزير والقرد والجريث والضب والوطواط والعقرب والدعموص والعنكبوت والارنب وسهيل والزهرة الحديث قال فى الزبدة نهى عليه السلام عن قتل العنكبوت والحمام الكائنين فى الحرم وعلى خير البرية متعلق بالفعلين الآتين على سبيل التنازع والبرية بمعنى المخلوق والالف واللام فيه للاستغراق اى جميع المخلوقات وقوله لم تنسج ولم تحم فيه لف ونشر مشوش لان الاول للثانى والثانى للاول ولم تحم بمعنى لم تبض وحاصل المعنى ان الكفار لعدم يقينهم بالنبى المختار حسبوا ان العنكبوت لم تنسج على باب الغار وان الحمامة لم تحم حول الغار فظنوا ان ليس فى الدار ديار ورجعوا من تتبع الآثار وقالوا لو كان احد فى الغار لما كانت هذه الآثار حتى قال واحد منهم لامية بن خلف ندخل الغار فقال امية ماتصنع فى الغار وان عليه عنكبوتا كانت قبل ميلاد محمد سيد الابرار

(وِقايةُ اللهِ اغنتْ عن مضاعفةٍ * مِنَ الدروعِ وعن عالٍ منَ الأُطُمِ)

لما كان هذا المقام مظنة ان يتوهم بان الهجرة والاختفاء فى الغار غير لائق بشان النبى المختار بل اللائق بشانه ان يلبس الدرع ويتحصن فى قلعة ويحارب مع الكفار دفعه بقوله وقاية الله اغنت الخ مع الاشارة الى ان هذا ابلغ فى الاعجاز مع المقاومة معهم لان فيه تنبيها على كونهم فى غاية الضعف ونهاية الهلاك حيث كان اوهن البيوت مقابلا لهم ومانعا من مطلوبهم وانهم فى غاية الحماقة ونهاية البلادة حيث لم يفهموا من الآثار كونهما فى الغار ثم ان الوقاية بمعنى الحفظ مضاف الى فاعله ومفعوله محذوف اى وقاية الله اياه اعنى الرسول عليه السلام واغنت ضميره راجع الى الوقاية اى جعلت الرسول الله غنيا عن المضاعفة من الدروع والمضاعفة اسم مفعول من ضاعف يضاعف والتضعيف ضم شئ الى شئ فان قلت ان الله تعالى حفظه وجعله مستغنيا عن احتياج درع فمافائدة اتيان المضاعفة قلت فى اتيانها اشارة الى شدة الكفار وكثرتهم يعنى اشارة الى انه لو قوبل معهم وحورب بهم يحتاج الى دروع كثيرة وقلعة مرتفعة اونقول ان فى البيت سلوك الى مسلك برهانى وهو ان يذكر الدعوى المشتملة على دليلها وههنا كذلك حيث كان هذا البيت فى تقدير وقاية الله تعالى اغنته عن مضاعفة من الدروع

حتى حفيت رجلاه فلما رآها ﴿ ١٣٩ ﴾ ابوبكر على هذه الحالة حمله على كاهله وجعله يشتدبه حتى اتى به الغار وقال ابوبكر رويدك يارسول الله حذرا عليه فدخل ابوبكر الى الغار فلم يرجحرا الا ادخل اصبعه فيه حتى جاء الى جحر كبير * فادخل رجله فى تلك الجحر حذرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الى فخذه ثم خرج وقال يارسول الله قدمهدت لك المواضع كلها تمهيدا والله خليفتى عليك فجاءت قريش يقفوا اثر النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاء عدو الله ابليس قال فيم انتم انا شريككم فى هذا الامر فقالوا طرا اردنا ان نقتل محمدا الكذاب وجعلوا يطالعون الى موضع النبى الى مضجعه فرأوا عليا رض فى مكانه قد اشتمل برد النبى صلعم قالوا اخذ عنا الكذاب وبان سحره اليوم فقال لهم عدو الله ابليس قد انطلق محمد منذ هوى من الليل فخرجوا باجمعهم فنظروا الى اثر قدميه وكان عليه السلام شثن الكفين والقدمين فاقبلوا الى باب الغار فغطى الله اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه فلم يستبن اثر الاقدام اذ قعد منهم رجل يبول قال ابوبكر يارسول الله قد رآنا القوم فقال رسول الله صلعم لا يااباكر ما رأونا ولو رأونا ماقعد ذلك يبول بين ايدينا فتفرقوا وليطلب القصة بتمامها * من المستقصى *
﴿ ماضا منى الدهر يوما واستجرت به ﴾
﴿ الا ونلت جوارا منه لم يضم ﴾
ضامه ظلمه واسناده الى الدهر مجاز لانه صدر من الموحد ويوما مفعول فيه والمراد به مطلق الوقت وروى ضيما بدل يوما وروى ايضا ماسامنى الدهر ضيما اى ماكلفنى وضيما مفعول

لان وقاية الله تعالى اغنته عن درع واحد وكل مااغنى عن درع واحد اغنى عن مضاعفة به ينتج المطلوب ومن الدروع حال من المضاعفة وهى جمع درع وهو مايلبس فى الحرب وعن عال عطف على مضاعفة اى عن مكان مرتفع وعال اصله عالى حذفت الياء للضرورة ويجرى القياس السابق هنا ايضا والاطم بضمتين جمع اطمة وهو بمعنى القلعة الحصينة والمعنى حفظ الملك الجبار نبيه المختار جعله مستغنيا عن الدروع والاسلحة المتعددة وعن الحصون العالية المرتفعة وجعل الغار له بقدرته بمنزلة الحصن الحصين وصير نسج العنكبوت فى قوة الدرع المتين فان قلت ماالحكمة فى هجرته عليه الصلوة والسلام الى المدينة واقامته بها الى ان انتقل الى ربه عزوجل قلت ان حكمة الله تعالى قد اقتضت انه عليه السلام تتشرف به الاشياء فلو بقى فى مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه قد تشرف بمكة اذ كان تشريف مكة بالخليل واسمعيل عليهما الصلوة والسلام فاراد الله تعالى ان يظهر شرفه عليه السلام فامره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به حتى اجمعوا ان الموضع الذى ضم اعضاءه الكريمة افضل من جميع البقاع (ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه من كان فى ارض مخوفة من الوحوش فليقرأه سبعا اوتسعا وليجعل فى اطرافه دائرة فان تلك الوحوش لاتضره ولاتدخل داخل تلك الدائرة قال الاستاذ طول الله تعالى بقاه وجعل آخرته خيرا من اولاه جربناه مرارا فوجدناه صادقا

(مَاسامَنِي الدَّهرُ ضَيماً واستجرتُ بهِ * الّا ونلتُ جِواراً منهُ لم يُضَمِ)

لما ذكر فيما تقدم محفوظيته عليه السلام ترقى الى بيان حافظيته فى الدنيا فقال ماسامنى الدهر الخ سامنى من السوم بمعنى اذاقة الشدة والمحنة ومنه قوله تعالى (يسومونكم سوء العذاب) وفى بعض النسخ ماضامنى من الضيم بمعنى الظلم وعلى كلا التقديرين فالمعنى ماظلمنى الدهر فان قلت كيف يسند الظلم الى الدهر وقد نهى عنه رسول الله عليه الصلوة والسلام حيث قال لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله وفى حديث ابى هريرة بلفظ ولاتقولوا خيبة الدهر وفى حديث آخر لايسب احدكم الدهر قلت قوله فان الدهر هو الله فيه ثلاثة تأويلات الاول ان المراد بهذا القول اى المدبر للامور والثانى انه على حذف مضاف اى صاحب الدهر والثالث ان التقدير مقلب الدهر وقال بعضهم انه من الاسماء الحسنى وقد وقع فى القرآن حكاية ومايهلكنا الا الدهر وبالجملة ان النهى عن السب لكونه راجعا الى سب فاعله وخالقه ومن اراد هذا البحث على وجه الكمال فعليه بالرجوع الى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات للشيخ الاكبر ففى اسناد سام الى الدهر مجاز اى ماابتلانى خالق الدهر

وقوله ضيما مفعول مطلق من لفظ فعله على تقدير كون النسخة ماضامنى ومن غير لفظه على تقدير كونه ماسامنى ووقع فى بعض النسخ يوما بالنصب على الظرفية والواو فى واستجرت حالية واستجرت من الاستجارة من قولهم استجار فلان من فلان اى طلب الخلاص والنجاة كما فى قوله تعالى (وان احد من المشركين استجارك) وقيل بمعنى الالتجاء والاستغاثة ويجوز ان تكون الواو للعطف لكن الاول اولى ولا يرد عليه انه يلزم فى الماضى قد اذا كان حالا وهو موجود لانه اعم من الملفوظ والمقدر وههنا مقدر والباء فى به اما للسببية او للاستعانة والضمير راجع اليه عليه السلام وفيه حذف مضاف اى بسبب مدحه عليه السلام والاستثناء مفرغ حذف فيه المستثنى منه اى ماظلمنى الدهر مع انى ملابس بطلب خاص بسبب مدحه فى حال من الاحوال الا فى حال الوصول والواو فى ونلت لتأكيد اللصوق كما فى قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) ونلت بمعنى وصلت والمراد من الجوار اما على حقيقته بان يراد الجوار فى الدنيا بالمؤالفة به عليه السلام والمصاحبة معه او يراد بالجوار الاستراحة والخلاص من جميع فتن الدنيا وهو المناسب لتعلق منه به وضميره راجع الى الضيم وقوله لم يضم صفة جوار وايراده لدفع توهم ناشئ من الاستثناء اذا استفيد منه كون الجوار من جنس الظلم فدفعه بقوله لم يضم (ثم اعلم ان قوله الا ونلت يجوز ان يكون من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم وان لم يتعرض له الشارحون بل كونه من هذا القبيل احسن لانه كدعوى الشئ ببينة كما لا يخفى على الفطن يقال انه لا حكم فى هذا المقام قبل الاستثناء حتى يكون قبله شئ مشابه للمدح فيؤكد لانا نقول هذا الكلام مبنى على ماذهب اليه الشافعية من وجود الحكم قبل الاستثناء لان الناظم شافعى كما مر غير مرة وحاصل معنى البيت ما اذاقنى الله تعالى فى زمان من الازمان ضررا من امور الاكوان والحال انى قد التجأت اليه الا وقد نلت خلاصا ووجدت فيه مناصا لم يغلب ولم يظلم ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه اذا كتبه من يريد السفر فترك المصراع الاول فى داره مع اهله واخذ المصراع الثانى معه فسافر فهو يصل الى اهله باذن الله الله تعالى سالما من الآفات

﴿ وَلَاالْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ * اِلَّااسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ ﴾

لما بين فى البيت السابق حافظيته عليه السلام فى دار الدنيا اراد الترقى منها لبيان حافظيته فى الدارين فقال ولا التمست الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة سامنى وتكرير النفى للتأكيد ولا التمست على صيغة المتكلم من الالتماس وهو طلب المساوى من المساوى وهنا مستعمل بمعنى الطلب مطلقا اما تجريدا

مطاق على الاول وعلى الثانى امامفعول ثان اومفعول مطلق واستجرت اى استعذرت به حال اى والحال انى مستجير ولاشك ان الاستجارة بعد الضيم ولكنه اريد به اتصال الاستجارة بالضيم حتى كأنهما فى وقت واحد وجعل الواو للعطف على ضامنى والاستثناء باعتبار اقتران الفعلين وحصولهما فى حيز النفى غير مرضى عند من له ذوق سليم والمستثنى منه محذوف اى فى حال من الاحوال او يومالانه فى معنى وقت من الاوقات والواو فى ونلت اى وجدت واو الحال عند صاحب المفتاح كما فى قوله تعـوما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وانما جاز الحال من النكرة بدون التقديم عليها لكونها فى حكم الموصوف ومايقال ان هذا لكونها مستغرقة كالمبتداء فى وما رجل الاقائم عائد الى هذا وعند صاحب الكشاف لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف فيكون الواو المتخللة فى الكلام عنده اربعة العاطفة والحالية والاعتراضية والمؤكدة للصوق الصفة بالموصوف لكنه لم يعهد فى العربية صفة مصدرة بالواو وتحقيق هذا البحث يطلب من بعض حواشى علقناها على شرحى الكشاف والمفتاح والمراد ههنا من الجوار الحماية والرعاية لانه يستلزمهما ولم يضم صفة جوارا اى لم يظلم ولم ينقص مما ينبغى ان يراعى من حقه ﴿ ولا التمست غنى الدارين من يده ﴾ ﴿ الا استلمت الندى من خير مستلم ﴾ الالتماس هنا السؤال والطلب المطلق وغنى الدارين بالمال الوافر والدين الكامل واتى الناظم كليهما على وجه الكمال ومعنى من يده اى بشفاعته وبركته والتوصل به وهو متعلق

او حقيقة وغنى الدنيا انما يكون بالسعة والكفاية وفى الحديث ليس الغنى من كثرة العرض انما الغنى غنى القلب ويكون غنى الدنيا ايضا بصحة البدن والسلامة من بليات الدنيا وغنى الآخرة انما يكون بالفوز والنجاة من الجحيم والدخول فى جنة النعيم ولذا ورد فى الخبر اكثر اهل الجنة بله اى حمق لانهم يرضون بعنى الآخرة اعنى الجنة ولا يطالبون جمال الله قال تعالى فى التنزيل والله خير وابقى ومن يده متعلق بالتمست والمراد من اليد ذاته عليه السلام من قبيل ذكر الجزء وارادة الكل او اليد هنا بمعنى الطرف والجانب يقال حصلت المصلحة من يد فلان اى من طرفه وجانبه وفى الحديث وهم يد واحدة على من سواهم او بمعنى الاحسان ونعمه عليه السلام فيكون ايضا مجازا من قبيل اطلاق اسم ماهو بمنزلة العلة الفاعلية الصورية على المعلول والاستلام بمعنى الاخذ والندى العطاء كما فى قوله (ع) ولا افضل فيها للشجاعة والندى * وهو بالنصب مفعول استلمت وخير مستلم كناية عن رسول الله عليه السلام ومستلم يجوز ان يكون على صيغة اسم الفاعل او المفعول وحاصل معنى البيت ماطلبت غنى الدنيا بالكفاية وغنى العقبى بالسلامة من احسانه وانعامه او من ذاته عليه السلام الا اخذت العطاء ونلت المنى من خير مستلم فكنت بسببه محفوظا من الآفات فى الدنيا ومن البليات فى العقبى عليه الصلوة والسلام فى كل صبح ومسا

﴿ لَاتُنْكِرِ الْوَحْىَ مِنْ رُؤْيَاهُ اِنَّ لَهُ * قَلْبًا اِذَانَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ ﴾

لما بين اوصافه الكاملة اراد ان يشير الى ان من اتصف بهذه الصفات والنعوت لا يستبعد ولا ينكر ان يكون قلبه مربوطا به تعالى لا يفارقه فى جميع الليالى والايام ولو كان عيناه فى المنام فقال لا تنكر الوحى الخ فتكون الاوصاف المذكورة كالعلة والدليل لهذا البيت فترتيب قياسه هكذا اذا كان نبينا عليه الصلوة والسلام متصفا بهذه الصفات فلا ينبغى انكارك الوحى من رؤياه لكن المقدم حق والتالى مثله فقوله ان له الخ كالعلة للتالى بان يقال لا ينبغى انكارك الوحى من رؤياه لانه كان له قلب اذا نامت العينان لم ينم فلا ينبغى انكارك الوحى من رؤياه لكن المقدم حق والتالى مثله ثم ان لا تنكر نهى حاضر من الانكار والخطاب عام لمن شانه ان يخاطب والوحى منصوب على انه مفعول لا تنكر والوحى يجئ فى اللغة على معان كالاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفى وفى العرف اعلام الله تعالى لانبيائه وهو اما ظاهر او باطن اما الظاهر فثلاثة الاول ماثبت بلسان الملك فوقع فى سمعه بعد علمه بالمبلغ انه قطعى والقرآن من هذا القبيل والثانى ماوضع له باشارة الملك

بالتمست والمستثنى منه محذوف كما فى البيت السابق ويجوز ان يكون من الحال المقدرة استلمه قبله والندى العطاء ومن خير اما صفة له او متعلق باستلمت وخير مستلم بفتح اللام هو سيدنا عليه الصلوة والسلام فان قيل قد ورد فى الحجر الاسود انه يمين الله فيد النبى عليه السلام كيف يكون خيرا من يمين الله قلنا ان الله تعالى اقام الحجر الاسود مقام يمينه فى اقامة بعض آداب الحج الذى هو من الفروع واقام يد النبى صلى الله عليه وسلم فى البيعة الايمانية التى هى اصل الامر مقام يده سبحانه

من غير بيان بالكلام كما قال عليه السلام * روح القدس نفث فى روعى ان نفسا
لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب * والثالث
مايبدى الله لقلبه فى رؤياه وفى عيانه بلاشبهة بالهام الله تعالى بان اراه نورا
من عنده وكل ذلك حجة مطلقا بخلاف الهام الاولياء فانه لايكون حجة

الهام النبي حجة

على غير نفسه وقوله من رؤياه صفة للوحى اتى به للاحتراز عن وحيه
الذى كان فى عيانه بواسطة جبريل فانه بديهى متواتر بين الانام فلاحاجة الى
ذكره فى هذا المقام والرؤيا مايراه الشخص فى منامه قال القاضى ابوبكر
الرؤيا ادراكات يخلقها الله تعالى فى قلب العبد النائم على يد ملك اوشيطان
وفى الحديث ان رؤيا المؤمن كلام يكلمه ربه فى المنام ثم اعلم ان الرؤيا
اما صادقة وهى ثلاث تبشير يبشره الملك المؤكل على الرؤيا بما يسره من
الاخروى اوالدنيوى وتحذير يخوفه بما يبعده عن الطاعة ويقربه الى
المعصية والهام يلهمه وهو نفع محض كالحج والتهجد واما كاذبة وهى
ايضا ثلاث رؤيا همة وهى ماتخيلها فى اليقظة فليس لها اعتبار ورؤيا علة
ناشئة من امراض فليس لها اعتبار ايضا ورؤيا شيطان وهى اضغاث احلام
هذا فى رؤيا غير الانبياء واما رؤياهم فكلها صادقة بل وحى يجب العمل
بها وقوله ان له علة للنهى وضميرله راجع اليه عليه الصلوة والسلام وقلبا
بالنصب على انه اسم ان والتنوين للتعظيم وجملة اذا نامت صفة قلبا وضمير
الفاعل فى لم ينم راجع الى القلب وحاصل المعنى لاتنكر ايها المنكر ولا
تستغرب ايها المقر الوحى الربانى والالهام الصمدانى الحاصل من رؤياه فى المنام
لان له عليه السلام قلبا عظيما وصدرا كريما اذا نامت عيناه لم ينم قلبه فى رؤياه
وفى البيت تلميح الى قوله عليه السلام ان عينى تنامان ولاينام قلبى والى قوله
عليه الصلوة والسلام الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين
جزأ من النبوة وفى رواية ابى هريرة جزء من خمسة واربعين جزأ ومن حديث
عمر جزء من سبعين جزء وعن انس جزأ من ستة وعشرين جزأ وفى رواية
من اربعة وعشرين جزأ وفى تأويل الرواية الاولى قال بعض اهل العلم
ان الله تعالى اوحى الى نبيه فى المنام ستة اشهر ثم اوحى اليه بعد ذلك فى اليقظة
بقية مدة حياته ونسبتها الى الوحى فى المنام جزء من ستة واربعين جزأ لانه عاش
بعد النبوة ثلاثا وعشرين كما سيجئ فتأمل (ثم اعلم) ان الحديث الاول اعنى
قوله ان عينى الخ اعترض عليه بانه مخالف لما وقع فى الوادى من نومه عليه
السلام الى ان طلعت الشمس وفاته وقت صلاة الفجر لانه لوكان قلبه غير نائم
لم يفت وقت الصلاة منه عليه السلام اجيب عنه اولا بان الحديث مقيد بغالب

الاوقات فلاينافى ماوقع منه نادرا لحكمة ومصلحة من تأسيس سنة واظهار
شرع كما قال عليه السلام لوشاء الله تعالى لايقظنا ولكن اراد ان تكون سنة لمن
بعدكم وثانيا بانه لاينام قلبه من اجل انه يوحى اليه فى النوم ليس فى قصة الوادى
الانوم عينه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وله اجوبة اخرى
تركناها واعترض على الحديث الثانى اعنى قوله الرؤيا الحسنة الخ بان النبوة
قد انقطعت بوفاته عليه السلام فلامعنى لكون الرؤيا جزأ من اجزاء النبوة اجيب
اولا بانه ان وقعت منه عليه السلام فهو جزء من اجزاء النبوة حقيقة وان
وقعت من غيره عليه السلام فهو على سبيل المجاز وثانيا بان معنى الحديث جزء
من علم النبوة فانها وان انقطعت فعلمها باق وثالثها بانه عليه السلام لم يرد
بانها نبوة باقية بل اراد ان الرؤيا نشبه النبوة من جهة الاطلاع على بعض
الغيب والتشبيه بشئ لايستلزم ثبوت وصفه فاحفظ ماتلونا عليك من
الكلام فانه ينجيك من اكثر ماكان مزالق الاقدام والحمد لله المفضل المنعام

(فَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ * فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمٍ)

لما توهم ان يقال ان رؤياه عليه السلام لوكانت وحيا لكان رؤياه التى رآها
قبل النبوة وحيا ايضا مع انه ليس كذلك لان الوحى انما يطلق على ماوقع
بعد النبوة والبعثة دفعه فقال فذاك حين بلوغ الخ فالفاء للتفصيل وذا
اشارة الى كون رؤياه وحيا فذاك مبتدأ خبره محذوف اى واقع حين فحين
ظرف لذلك المحذوف والبلوغ بمعنى الوصول وتنوينه عوض عن المضاف
اليه اى حين بلوغه عليه السلام والنبوة من النبأ بمعنى الخبر والمراد بها
ههنا سفارة بين الله وبين اولى الالباب لازاحة عللهم ولم يقل من رسالته
للاشارة الى ان كون الرؤيا وحيا غير مختص بالرسول بل يوجد فى كل
من الانبياء ولغيرهم فافهم والفاء فى فليس جزائية وليس بمعنى لاوينكر
على صيغة المجهول من الانكار وفيه متعلق بينكر والضمير الى البلوغ
من النبوة وحال محتلم بالرفع على انه نائب فاعل لينكر والمحتلم بفتح اللام بمعنى
من يدرك خياله فى النوم والمراد به رسول الله عليه السلام او بكسر اللام على
انه اسم فاعل بمعنى البالغ العاقل وحاصل معنى البيت ان ذلك الوحى الذى
كان فى رؤياه فى ابتداء نبوته فى بدء بدور رسالته فليس ينكر فى ذلك الزمان
وبلوغ ذلك الاوان حال من بلغ مبلغ الرجال موصوف باوصاف الكمال من
دعوى الوحى فى المنام فانه من مقدمات الوحى الحقيقى له عليه السلام فان قلت
لم ابتدأ عليه السلام بالوحى المنامى ولم يجئ له وحى ظاهرى اولا قلت لانه

لوجاءاليه الملك بالوحى الظاهرى بغتة لاحتمل ان لايحتمله القوى البشرية فبدئ بها باوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة بخلاف سائر الانبياء فانهم كانوا يعرفون نزول الوحى من تعليم كتب الاسلاف ونبينا عليه السلام لم يقرأحرفا من كتب سائر الانبياء المتصفين بكمال الاوصاف عليهم الصلوة عدد الكاف والقاف

(تبارك الله ماوحى بمكتسب * ولانبى على غيب بمتهم)

لماتوهم من البيت السابق ان يسئل بانه لم تكن رؤياه فى جميع اوقاته وحيا واخر الى سن الاربعينية ولم لم يكتسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم النبوة فى حاله الاولى دفعه مشيرا الى ان الوحى والنبوة بمحض عناية من الله تعالى لابالكسب واخبارهم عن المغيبات انما هو باعلام الله تعالى فقال تبارك الله ماوحى الخ تبارك الله للتعجيب وتبارك من البركة وهو كثرة الخير ومعناه تزايد على كل شئ وتعالى وتعاظم فى صفاته وافعاله قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة روى ان الصاحب بن عباد كان يتردد فى معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسئل ابنها اين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم واخذ المتاع وتبارك الجبل فاستفسر عنهم وعرف ان الرقيم الكلب وان المتاع هومايبل بالماء فيمسح به القصاع وان تبارك بمعنى صعد قيل معنى تبارك دام دواما ثابتا لاانتقال له ولهذا لايقال يتبارك مضارعا لانه للانتقال قال فى البرهان ان هذه لفظة لاتستعمل الالله تعالى ولاتستعمل الابلفظ الماضى انتهى انما خص ذكره بهذه المواضع لان مابعده امر عظيم وقوله ماوحى بمكتسب الخ اى لم يكن وحى اصلا فى زمان من الازمنة بكسب كاسب لان الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء فى اى وقت شاء فان قلت لوكان الوحى والنبوة من فضل الله تعالى من غير كسب لكان من الصفات الجبلية لاالاختيارية ولولم يكن من الصفات الاختيارية لايكون مدحا فلايجوز للناظم الفاهم ذكره فى ذلك الاوصاف والامداح قلت المدح قد يتعلق بغير الاختيارى بناء على ان الحمد والمدح مترادفان كماهو مذهب صاحب الكشاف والسيد تأمل وقوله ولانبى عطف على وحى وتكرير النفى للتأكيد وهذا القول لدفع توهم بعض القاصرين من ان غير الله تعالى لايعلم الغيب فلايجوز اخبار الانبياء عن الغيب وقوله على غيب متعلق بمتهم ولايرد انه لايجوز تعلقه به لعدم جواز تقديم مافى حيز الجار عليه لانانقول ان هذا فى غير الظرف وفيه يغتفر مالايغتفر فى غيره على انه يجوز ان يكون تقديمه لضرورة الشعر والمتهم على صيغة اسم

المفعول بمعنى المحمول على التهمة والكذب حاصل معنى البيت تبارك الله وتعالى وتعاظم فى ذاته وصفاته فسبحان الله تعالى لم يكن وحيه اصلا حاصلا بالاكتساب ولابتحسين القول والخطاب بل موهبة من الله تعالى وعطية من الاله ولايجوز حمل نبى ثبتت نبوته وتحققت معجزته على التهمة فيما يأتى من المغيبات واخبار امور الكائنات فان من كان نبيا لاينطق عن الهوى بل ما قوله الا وحى يوحى وفى البيت تلميح الى قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه احدا الامن ارتضى من رسول) الآية وقوله تعالى (وما هو على الغيب بظنين) على القراءة بالظاء وهو المشهور عند اهل التفسير كما لايخفى على من القى السمع وهو بصير

(كم ابرات وصبا باللمس راحته * واطلقت اربا من ربقة اللمم)

لمااستفيد من البيت السابق ان الوحى والبعثة انماهو فضل الله يؤتيه من يشاء ويعلم حيث يجعل رسالته توهم ان يسأل سائل عن حكمة البعث وفائدة الوحى فقال مشيرا الى فائدته كم ابرأت وصبا باللمس راحته الخ يعنى ان الحكمة والمصلحة فى بعثه عليه السلام ابراء المرضى من مرضهم الباطنى الذى طبه ومعالجته مخصوص به عليه السلام ولاسبيل الى حصوله الامن جهته عليه السلام فان صلاح القلوب موقوف على ان يكون الطبيب عارفا بربها وباسمائه وصفاته واحكامه وافعاله وان يكون مؤثرا برضاه ومحبا بمحبته وساخطا بمناهيه وتابعا لاوامره ولاسبيل الى تلقى ذلك الامن جهة سيدنا محمد عليه السلام وكذا ابراء المرضى من مرضهم الظاهرى الذى يكون فى ظاهر الجسد وباطنه كماسيذكر ان شاء الله تعالى ثم ان كم ههنا خبرية لان قائلها مخبر ومدخولها خبر بخلاف الاستفهامية لانها بالعكس فظهر ضعف قول من قال انها استفهامية فالمعنى كثيرا ما ابرأت وهو من الابراء بمعنى الازاحة والازالة ووصبا يروى بفتح الصاد وكسرها فعلى الاول يكون بمعنى المرض مطلقا فالمعنى كثيرا ماابرأت راحته امراض المرضى وعلى الثانى يكون بمعنى صاحب المرض فحينئذ يكون المعنى كثيرا ماابرأت صواحب المرض من امراضهم والباء فى باللمس سببية متعلقة بابرأت وراحته بالرفع فاعل ابرأت والضمير له عليه السلام والراحة بمعنى داخل الكف فحاصل المعنى كثيرا ما كان المرضى بريئين من مرضهم بسبب راحته المباركة الشافية ثم اعلم انه يجوز ان يكون المراد من اللمس اللمس الحقيقى كما ثبت فيماروى ان اباجهل قطع يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فاخذها رسول الله عليه السلام والصقها فلصقت كالاول وعن ابن

عباس رضى الله عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح عليه السلام صدره فقال اخرج فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وايضا تفل فى عين على وكان قد رمد رمدا شديدا فاصبح بارئا ومثل ذلك كثير وفير ولا يلزم علينا ذكر جميع ماورد فى الخبر الشهير ويجوز ان يكون المراد من اليد المستفادة من الراحة ذاته عليه السلام وباللمس لمسه المعنوى وهو كونه وسيلة الى دواء المرضى وكونه لهم شفاء كما كان دواء لداء اهل الشقاء وهذا غير مخصوص بزمانه عليه الصلوة والسلام بل هو باق الى يوم القيامة لانه لو ربط احد قلبه به عليه الصلوة والسلام وصلى عليه ودعا الله ان يجعله وسيلة له لكان البتة باذن الله تعالى لدائه دواء وقد وقع مثله من اكابر العلماء والاولياء قال فى المواهب نقل عن القشيرى ان ولده مرض مرضا شديدا حتى اشرف على الموت واشتد عليه الامر قال فرأيت رسول الله عليه السلام فى المنام فشكوت اليه مابولدى فقال اين انت من آيات الشفاء فانتبهت فتفكرت فيها فاذاهى فى ستة مواضع من كتاب الله تعالى (ويشف صدور قوم مؤمنين * وشفاء لما فى الصدور * يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس * وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين * واذا مرضت فهو يشفين * قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) قال فكتبتها ثم محوتها بالماء وسقيته اياها فكأنما نشط من عقال وقال ابو بكر الرازى كنت باصبهان عند ابى نعيم فقال له شيخ ان ابابكر بن على قد سعى به عند السلطان فسجن فرأيت النبى عليه السلام فى المنام وجبرائيل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح فقال لى النبى عليه السلام قل لابى بكر يدعو بدعاء الكرب الذى فى صحيح البخارى حتى يفرج الله عنه قال فاصبحت فاخبرته فدعا فلم يمكث الا قليلا حتى فرج عنه ودعاء الكرب مارواه الشيخان وهو قوله عليه الصلاة والسلام (لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض ورب العرش الكريم) ويقول هذا الفقير المعترف بالعجز والتقصير وقع ايضا فى زماننا مثل ماذكرنا وهو انه كان لاستاذنا العلامة زوجة ابتليت بمرض فى قلبها وكانت لاتسكن اصلا فى كل صباح ومساء الا وتصيح بصوت رفيع حتى سمع منها جيرانه فاخذ دواء من الاطباء كثيرين ما نفعها فقال لى الاستاذ يوما اكتب مناعر ضحالا الى روضة المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى يكون شفيعا لهذا الداء فكتبت كتابا زينته اولا بالصلوة والسلام ووصفته بكونه شفيعا للامراض لاتحصى ورجوت فى آخره منه الدواء والاستشفاء لهذا الداء فارسله الاستاذ مع الحاج الى

روضته فحسبنا الايام الى اليوم الذى وصلت الحاج فيه الى المدينة فانقطع صوتها ومرضها فى بيته فحمدنا الله حمدا كثيرا وقوله واطلقت عطف على ابرأت اى كثيرا مااطلقت الاطلاق التخلية والعفو والاخلاص من القيد والارب بكسر الراء بمعنى صاحب الاحتياج ومن ربقة متعلق باطلقت والربقة بالكسر حبل له عقدة يشد به البهائم واللمم بفتحتين صغار الذنوب لكن اريد به ههنا مطلق الذنب بقرينة ان المقام مقام المبالغة ثم انه يجوز ان تكون اضافة الربقة الى اللمم بمعنى اللام فيكون المعنى كثيرا مااطلقت راحته عليه الصلوة والسلام صاحب احتياج من قيد لاجل ذنبه سواء كان ذنبه ظاهريا فيكون على هذا اشارة الى اطلاقه عليه السلام اسارى الكفار من ربقتهم حين شدهم المؤمنون فى الغزوات او ادعائيا فيكون اشارة الى ماروى عن ام سلمة انها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحراء فنادته ظبية يارسول الله قال ماحاجتك قال صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وارجع قال عليه الصلوة والسلام اوتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها عليه السلام فانتبه الاعرابى وقال يارسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول (اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله) وغير ذلك ويجوز ان يكون من اضافة المشبه به الى المشبه اى من لمم كالربقة يعنى انه عليه الصلوة والسلام قد اطلق اصحاب الحاجات من لممهم الذى كالربقة كان الربقة تمنع الحيوان من وصوله الى مطلوبه كذلك اللمم يمنع الانسان من وصوله الى مطلوبه فيلزم الاطلاق اذ الوصول الى المقصود لايكون بالقصد والتحويل لابد من رفع العصيان والمحو وهو انما يكون به عليه الصلوة والسلام

(واحيت السنة الشهباء دعوته * حتى حكت غرة فى الاعصر الدهم)

لما ذكر تأثير دعائه عليه الصلوة والسلام فى الارض شرع فى بيان تأثير دعائه فى السماء فقال واحيت السنة الشهباء الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على اطلقت واحيت من الاحياء ضد الاماتة والسنة بالنصب مفعول احيت بمعنى العام والجدة والشهباء بالنصب صفة السنة وهى مؤنث اشهب وهو الفرس الذى غلب عليه البياض والسنة الشهباء كناية عند العرب عن السنة التى لاماء فيها ولا كلاء والمراد باحيائها انبات النبات واحداث نضارتها ففى هذا المقام مجاز واستعارة وهو اما ان يكون فى احيت استعارة تبعية بان شبه تزيين الارض بانبات النبات واحداث نضارتها بالاحياء فى الانتفاع مطلقا ثم استعير الاحياء لتزيين الارض واحداث نضارتها ثم اشتق من الاحياء احيت

ومن التزيين زينت ومن الانبات انبتت فذكراحيت واريدزينت اوانبتت واما ان يكون في السنة الشهباء استعارة بالكناية بان شبه السنة الشهباء في الذهن بالموتى في عدم الانتفاع ثم استعير الموتى في الذهن لمفهوم السنة الشهباء وفي الخارج ذكر السنة الشهباء واريدنفسها ثم اثبت الاحياء الذي هو من ملائم المشبه للسنة الشهباء فكان استعارة مكنية وتخييلية وعلى كلا التقديرين يكون اسناد احيت الى دعوته مجازا من اسناد الشئ الى سببه اذا لمحيي والمزيل في الحقيقة هو الله تعالى وضمير دعوته راجع اليه عليه الصلوة والسلام وحكت بمعنى شابهت كما في قوله

* ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان مايحكى *

والضمير المستترفيه راجع الى السنة وجعله راجعا الى الدعوة دعوى بلادليل كما لايخفى على من له عقل قليل والغرة بالنصب مفعول حكت والغرة بياض قدر الدرهم في جبهة الفرس وفي الاعصر متعلق بحكت والاعصر جمع عصر وهو الدهر والزمان والدهم بضمتين جمع ادهم وهو بمعنى الاسود مثل ما في قول القبعثرى * مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب * حين قال له الحجاج لاحملنك على الادهم ثم ان وجه الشبه في تشبيه السنة بالغرة قلة البياض يعني كما كانت الغرة بياضا قليلا في الفرس الاحمر والاسود كذلك كانت تلك السنة قليلة البياض اعني خلوها من النبات اوالحسن والضياء كما لايخفى على اولى النهى وفي الاعصر الدهم استعارة مكنية وتخييلية وترشيحية بان شبه السنون الجدباء في الذهن بالفرس في كونهما غير مقبولين فاستعير ذلك الفرس لمفهوم تلك السنين فذكر في الخارج مايدل على تلك السنين واريد تلك ثم اثبات الغرة تخييل وذكر الدهم ترشيح والبيت اشارة الى ماروى عن انس انه قال اصابت الناس سنة جدب على عهده عليه الصلوة والسلام فبينما النبي عليه الصلوة والسلام يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله تعالى لنا فرفع يديه ومانرى في السماء سحابا ولاقزعة فوالذي بيده ماوضعهما حتى صار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغدو من بعد الغد حتى الى الجمعة الاخرى فقام رجل وقال يارسول الله هدم البناء وغرق المال فادع الله تعالى لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولاعلينا فمايشير الى ناحية من السحاب الاانفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناةشهرا ولم يجئ احد من ناحية الاحدث بالجود وهذه الواقعة مشهورة شائعة معروفة

(بِعارِضٍ جادَ اَوْخِلْتَ البِطاحَ بِها * سَيْباً مِنَ اليَمِّ اَوسَيلاً مِنَ العَرِمِ)

فلما كان احياء دعائه عليه السلام السنة الشهباء مظنة ان يسئل انه هل كان احياؤه عليه السلام بسبب المطر او بلاسبب بل بمعجزة اخرى واجاب عنه فقال بعارض جاد الخ البا متعلق باحيت اوحكت منزهما واختراعزهما والعارض بمعنى السحاب وجاد من الجود بفتح الجيم بمعنى المطر الشديد الذي لايكون فوقه مطر وضميره المستتر راجع الى العارض فيكون المعنى بسبب سحاب امطر مطرا شديدا ومن لم يكن له خبرة بكتب اللغة جعله من الجود بضم الجيم وجعل في العارض استعارة بالكناية اوجعل في جاد استعارة تبعية والقوم صرحوا بانه مهماامكن الحقيقة في مقام لايصار فيه الى المجاز فتأمل فيه فانه للافهام مجاز واوفي اوخلت بمعنى الى وخلت من الخيال بمعنى الظن والحسبان وهو على صيغة الخطاب والخطاب عام والبطاح جمع ابطح اوبطحاء وهو مسيل واسع للماء والمراد اودية المدينة ومكة وماحواليهما والباء في بها للسببية متعلق بخلت والضمير راجع الى العارض وتأنيثه باعتبار كون السحاب مؤنثا سماعيا وسيبا بالنصب مفعول ثان لخلت والسيب على وزن الغيب بمعنى الجرى ومن اليم ظرف مستقر صفة السيب واليم بفتح الياء البحر بالسريانية وقدعربته العرب ويجوز ان يكون السيب بمعنى العطاء قال في القاموس يقال فاض سيبه على الناس اى اعطاؤه فعلى هذا يكون في اليم استعارة مصرحة فتأمل ووقع في بعض النسخ سيب بالرفع على انه مبتدأ وخبره قوله من اليم وكذلك قول سيلا وهو بمعنى الماء المجتمع الجاري بغتة من كثرة المطر وفي الحديث اللهم انى اعوذبك من السيل والبعير الصأول والعرم بفتح العين وكسر الراء بمعنى المطر الشديد اواسم واد ببلدة سبأ فانه كان يجئ عليهم منه سيل عظيم وعلى كل من التقادير فالبيت كناية عن كثرة الامطار في تلك السنة وفي هذا البيت صنعة تلميح الى قصة بلادسبأ وسيل العرم وسبأ اسم لحي سموا باسم الاب الاكبر لانهم من اولادسباء بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانوا في بلدة يقال لها مأرب في ارض اليمن وكان هناك وادعظيم وفاض يوماوهدم ابنيتهم فلما كانت بلقيس ملكة على تلك البلدة جمعت عمالا وحديدا وحجرا كبيرا فبنت امام ذلك الوادي سداعظيما ووضعت اثقابا وميازيب في اعلاه واوسطه واسفله فاتخذاهل تلك البلدة في اسفل الوادي عن يمين البلدة وشمالها جنانا كثيرة فكانت في كثرة النعمة والفواكه آية من آيات الله تعالى حتى ان المرأة كانت تحمل الزنبيل على رأسها وتمر بين الاشجار ولاتحرك شجرا ولاتقطف ثمرا فيمتلئ الزنبيل من كثرة الفواكه وكانت بلدتهم طيبة

(دعني ووصفي آيات له ظهرت) (وليس ينقص قدرا غير منتظم)

دع امر من يدع ووصفي مفعول معه لاعطف على الضمير المفعول * لتأديه الى غير المقصود فتأمل والمراد من الوصف بالنظم المصدر لا الحاصل بالمصدر فهو مصدر مضاف الى الفاعل وآيات مفعوله واراد بها معجزاته وبراهين رسالته او الآيات القرآنية * والمعجزات الفرقانية * وله صفة آيات او متعلق بظهرت اي لاجله اي لاثبات حقيقته ظهرت وهو صفة آيات وظهور مصدر نوعي والقرى الضيافة كأنه من القرى وهو الجمع وقوله ليلا على علم لتكمل المقصود من التشبيه وليلا متعلق بظهور لابظهرت الا اذا اريد بالليل وقت الفترة والجاهلية وعلى علم حال من نار القرى على الوجه الاول وعلى الثاني من ضمير ظهرت والفاء للتعليل ازداد ونقص لازمان وحسنا وقدرا تمييزان وما بعدهما حالان وليس عطفا على يزداد ثم تشبيه الآيات بالدر لنفاستها وعزتها والانتفاع بها والوصول بها الى المطالب وبنار مخصوصة في وقت مخصوص للاشتهار والاضاءة والابتداء بها الى الضيافة والوقت المخصوص في المشبهة وقت الفترة والجاهلية وشبه تعداد الآيات ووصفها بكلام موزون مقفى بنظم اللآلى الكبار في سلك العقد فحاصل المعنى ان الآيات الدالة على نبوته والمعجزات الباهرة برسالته وان غنيت عن الذكر لاشتهارها فان الشمس لاتحتاج الى التعريف في ظهور انوارها لكنها تزداد حسنا اذا وصفت بكلام منظوم كما تزداد حسنا اذا نظمت

ليست بسبخة ولم يكن يرى فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ولا وباء واذا دخل المسافر فيها كان يموت عليه من البرغوث والقمل فقد كانت سعادة النشأة الاولى حاصلة لهم فلم يشكروا الله تعالى بل قالوا لانعرف لله علينا نعمة فارسل الله اليهم ثلاثة عشر رسولا وقيل نبيا فذكروا لهم نعم الله وقالوا لهم اشكروا والله تعالى فلم يسمعوا مواعظهم ولم يؤمنوا فسلط الله على سدهم فأرة عمياء فنقبت احجار ذلك السد وكان الوادي ممتلئا كالبحر فانهدم السد فهجم الماء على بيوتهم وجنانهم فخربت وغرقوا جميعا باولادهم واموالهم وفي المثل تفرقوا ايدي سبا وايادي سبا فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

(دَعْني وَوَصْفي آياتٍ لَهُ ظَهَرَتْ * ظُهورَ نارِ القِرى لَيْلاً عَلى عَلَمِ)

لما ورد على الناظم الفاهم سؤال ناشئ مما ذكره من اوصافه ومعجزاته بانه لاحاجة الى بيانك لتلك الاوصاف لانها كانت كالشمس في الظهور ولا حاجة الى تعريف الشمس اجاب عنه فقال دعني الخ دعني امر من ودع يدع بمعنى اتركني ووصفي مفعول معه من دع اي مع وصفي والوصف بمعنى اصل المصدر لا الحاصل بالمصدر مضاف الى فاعله ومفعوله آيات وهي جمع آية بمعنى العلامات والمعجزات وقوله له اما متعلق بظهرت او ظرف مستقر صفة الآيات او متعلق بوصفي والضمير راجع اليه عليه السلام اي لاثبات حقيقة شرف محمد عليه السلام والضمير المستتر في ظهرت راجع الى الآيات وقوله ظهور بالنصب مصدر نوعي لظهرت والقرى بكسر القاف والقصر بمعنى الضيافة والعلم بفتحتين بمعنى الجبل كما في قوله

* وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار *

وليلا ظرف لظهور وعلى متعلق بايضابه وكان من عادة اسخياء العرب ايقاد النار في رأس الجبل ليراها في البرية ابناء السبيل ويأتون اليها ويقضون عندها حاجتهم من الاكل والشرب وغير ذلك وتشبيه الآيات بها في الظهور والاعلان كما لايخفى على اهل الاذعان وحاصل معنى البيت اتركني ايها الناصح بالاختصار في الكلام لانه يجر الى الملال والسآمة فان ذكر الحبيب لايشبع منه اللبيب فخلني مع وصفي له عليه السلام بآيات بينات وعلامات واضحات ظهرت وكشفت ظهورا بينا في الآفاق في وقت ظلمة الجهل بمحاسن الاخلاق مثل شعاع نار الضيافة على رؤس الجبال للعلامة في الليل التي كانت ظلمته في غاية الكمال لحضور المحتاجين من ابناء السبيل والمسافرين ودفع احتياجهم من الكرام والحمد لله الملك العلام

(فَالدُّرُّ يَزْدادُ حُسْناً وَهُوَ مُنْتَظِمٌ * وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ)

لما كانت الدعوى المستفاد من قوله دعني الخ اي يلزم لك ترك معاني اوصافه وآياته وعدم السؤال عنى مجردة ارادان يعللها ويثبتها فالدر الخ فالفاء للتعليل فيمكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال يلزم لك ترك معاني آياته لانه يلزم ترك من بينها بالحسن والشرف وانا ابينها بالحسن والشرف ينتج يلزم لك ترك معاني آياته والكبرى نظرية فاثبتها بقوله فالدر اي اقول انا ابين تلك الآيات بالحسن والشرف لانه لما كانت آياته كالدر الذي يزداد حسنه وهو منتظم وليس ينقص قدرا غير منتظم كنت ناظما لتلك الآيات فانا ابينها بالحسن والشرف لكن المقدم حق والتالي مثله ثم اعلم ان الدر مبتدأ وهو اللؤلؤ المخرج من صدفه وجملة يزداد خبر المبتدأ وحسنا تمييز من نسبة يزداد والواو للحال فالمبتدأ مع خبره جملة والجملة حال من فاعل يزداد ومنتظم على صيغة اسم الفاعل من النظم بمعنى جمع اللؤلؤ في السلك ففيه تجريد كما لايخفى وحاصل المعنى ان آياته كالدر يزداد حسنها بالانتظام كذلك معجزاته عليه السلام يزيد حسنها بالانتظام وجعلها ابياتا اذا انتظم لباس الكلام فكما ان المحبوب يزيد حسنه بلباس فاخر كذلك الكلام يزيد حسنه بلبسه نظما ولان في الشعر حكمة كما ورد في الحديث ولان النظم قريب الى الحفظ ولان في قراءة الابيات يحصل للقلوب سرور ونشاط وقوله وليس ينقص قدرا الخ دفع لتوهم نشأ من الكلام السابق من انه لاحسن لبيان وصفه عليه السلام بغير النظم فالواو للحال وضمير ينقص راجع الى الدر المراد منه الآيات وحسنا تمييز من فاعل ينقص والمعنى والحال ان آياته صلى الله تعالى عليه وسلم لاينقص حسنها باتيانها بلا نظم اذ الشرافة والحسن في اصلها فبالنظم يزيد حسنها على وجه الكمال وبلا نظم تبقى في اصل حسنها بلا زوال

(فَما تَطاوُلُ آمالِ المَديحِ إِلى * ما فيهِ مِنْ كَرَمِ الاَخْلاقِ وَالشِّيَمِ)

لما نشأ من البيت السابق من مدح نظمه تزكية نفسه وايهام اراده جميع مدائحه عليه السلام مع انها لاتعد ولاتحصى بالمداد والاقلام اراد دفعه فقال فما تطاول آمال الخ كلمة ما للاستفهام الانكاري او التعجبي وتطاول اي مدعنقه مريد الاطلاع عليه والآمال جمع امل وهو الرجاء والمديح اما بمعنى المادح فالمعنى فياعجبا اوكان بعيدا تطاول رجاء المادح الى اوصافه عليه السلام او بمعنى الممدوح فتكون اضافة الآمال اليه بحذف المضاف اي آمال اصحاب الممدوح وهم المداحون فالمعنى فياعجبا اوكان بعيدا تطاول آمال مداح الممدوح الى اوصافه عليه السلام والى متعلق بتطاول وما موصول وفيه ظرف مستقر صلته ومن بيانية واضافة الكرم الى الاخلاق من اضافة الصفة الى

(فما تطاول آمال المديح الى) (مافيه من كرم الاخلاق والشيم)

والفاء لتعليل السابق او للعطف على قوله فالدر تطاول اليه اذا اراد البلوغ اليه ومدعنقه ينظر الى الشيء البعيد والآمال جمع امل وهو الرجاء والمديح اما بمعنى المادح او بمعنى الممدوح فاضافة الآمال اليه مجازية او بحذف المضاف اي آمال اصحاب الممدوح به وهم المداحون ومن كرم بيان ماهو عام اي كل مافيه وفي قوله فيه من المبالغة مالايخفى حيث جعلها متمكنة فيه تمكن المظروف في الظرف والشيم جمع شيمة وهي الخلق الحسن وكأنه يريد بالشيم الغريزيات وبالاخلاق الكسبيات التخليقيات اوبكل كلاهما والتكرار للتأكيد وحاصل المعنى ان آمال المداح لم يبلغ الى مافيه من محاسن الشيم ومكارم الاخلاق صلى الله عليه وسلم مادام السبع الطباق

الموصوف اى الاخلاق الكريمة والمراد من الاخلاق الخصال الكسبية والشيم بكسر الشين وفتح الياء جمع شيمة وهى الخلق والعادة والمراد بها الاخلاق الضرورية الوهبية مآل البيت بيان عجزه عن اوصافه عليه الصلاة والسلام وبيان كثرة آياته

﴿ آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ * قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ ﴾

لما بين فى الابيات السابقة كونه واصفا لآياته عليه السلام ومبينا لها على احسن النظام وتمنى من المخاطب ترك الكلام فى حقه باللوم والملام فكأنه قال قائل له فينبغى ان تبين منها ماهو المشهور والاوضح عند الانام وهو القرآن الباقى الى يوم القيام توجه الى قوله وشرع فى البيان فقال آيات حق الخ آيات بالرفع خبر مبتدأ محذوف اى ابهر المعجزات آيات حق او القرآن آيات حق اوغير ذلك او مبتدأ خبره محذوف اى آيات حق منزلة او بالنصب على انها عطف بيان لآيات فى قوله دعنى ووصفى آيات او على المدح والآيات جمع آية وهى طائفة من القرآن منقطعة عماقبلها ومابعدها سميت بها لانها علامة على صدق من أتى بها وقيل لانها علامة على انقطاع ماقبلها من الكلام عما بعدها واضافتها الى الحق بيانية ان كان الحق صفة مشبهة من حق بمعنى ثبت ولامية ان كان مصدرا ويجوز ان يكون المراد من الحق واجب الوجود تعالى شانه فيكون اسماله تعالى والاضافة حينئذ لامية ايضا اى الآيات المخصوصة للحق تعالى فعلى هذا يكون ذكر الرحمن تبركا باسمه الرحمن فان قلت لم اختار الرحمن من بين اسمائه تعالى وهى الغفار والرزاق والعلام والستار قلت اشارة الى ان فى انزال القرآن رحمة عامة الى جميع الخلائق حتى الكفار لتأخير العذاب كما لايخفى ومحدثة بالرفع خبر بعد خبر يعنى آيات الله الحقة منزلة محدثة وهى اسم مفعول من احدث وضميره راجع الى الآيات لكن باعتبار الفاظها وهى المكتوبة فى المصاحف المقروة بالالسن المحفوظة فى الصدور وقوله قديمة خبر بعد خبر اى الآيات محدثة قديمة لايقال هل هذا الاجمع بين النقيضين لانا نقول الحادث هو الفاظ القرآن والقديم معناه لان الكلام اثنان كلام لفظى وكلام نفسى كما قاله الاخطل

* ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا *

فالحادث كلام لفظى والقديم كلام نفسى قائم بذاته تعالى . اعلم ان فى كلام الله تعالى سبعة مذاهب الاول ماذهب اليه الاشاعرة من ان كلامه تعالى اثنان لفظى مكتوب فى المصاحف حادث ونفسى قائم بذاته قديم ليس بحرف ولاصوت بل هو المعنى فقط وان فى مذهبهم يجوز سمع ذلك المعنى الذى

(آيات حق من الرحمن محدثة) (قديمة صفة الموصوف بالقدم) خبر مبتدأ محذوف اى هذه الآيات او بعض معجزاته والحق اسم من اسماء الله تعالى ويجوز ان يكون بمعنى الثابت او المثبت فيكون هو النبى صلى الله عليه وسلم وفى التنكير تفخيم فالاضافة على الاول بمعنى من او اللام وعلى الثانى بمعنى اللام فيكون قوله من الرحمن متعلقا به ولايكون خبرا بعد خبر وانما اختار اسم الرحمن رعاية لقوله الرحمن علم القرآن والحدوث وجود مسبوق بالعدم اى كون الوجود مسبوقا بالعدم والقدم بخلافه وقوله محدثة وقديمة وصفة الموصوف صفات جارية على آيات اويكون كل منها خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون كل من مصراعى البيت واردة على سبيل الاستيناف كأن سائلا قال المحدثة هذه الآيات ام قديمة فآيات حق مبتدأ موصوف بقوله من الرحمن محدثة خبره فان الوارد الينا من الرحمن هو النظم المنزل منجما على حسب المصالح وكفاء الحوادث ولا شك انه حادث وقوله صفة الموصوف مبتدأ اى المعنى القائم بذاته تعالى وقديمة خبره وهذا الوجه احسن وفى تقديم قوله قديمة نفى لقول من يقول بقدم النظم ولايجوز ان يكون قوله صفة الموصوف فاعل قديمة لخلو الصفة المشتقة او الخبر المشتق عن الضمير وفى البيت اشارة الى الدليل على كونها قديمة فانها صفة القديم والقديم لا يحدث له شئ ولايزول عنه شئ وقد عرف فى موضعه قال النبى صلى الله عليه وسلم القرآن كلام الله تع غير مخلوق وقال ابويوسف ناظرت اباحنيفة رحمهما الله ستة اشهر فاتفق رأيى ورأيه ان من قال

هو الكلام النفسى والثانى مذهب ابى منصور الماتريدى وهو ايضا ان كلامه اثنان لفظى مكتوب فى المصاحف حادث ونفسى قائم بذاته قديم ليس بحرف ولاصوت بل هو المعنى فقط والفرق بين الاول وبين هذا المذهب انه لايجوز فى هذا المذهب سمع كلامه النفسى اصلا بل المسموع هو الكلام اللفظى كذا فى البداية والثالث مذهب بعض المتأخرين وهو صاحب المواقف ومن تلاتلوه وهو ان كلامه اثنان لفظى مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور وهو حادث وكلام نفسى قديم عبارة عن لفظ ومعنى لكن بلا ترتيب والرابع مذهب الجلال الدوانى من انه اثنان لفظى قائم بالمصاحف والصدور وهو حادث ونفسى قائم به تعالى قديم عبارة عن لفظ ومعنى مع ترتيب علمى والخامس مذهب الحنابلة من ان كلامه تعالى فى الحقيقة واحد مركب من حروف واصوات قديم الى ان قال بعضهم وافرط بقدم الجلد والغلاف فهم ينكرون الكلام النفسى والسادس مذهب المعتزلة وهو ان كلامه واحد مركب من حروف واصوات حادثة لكن ليس بقائم بذاته تعالى بل بالغير كاللوح وفؤاد جبريل والنبى وشجرة موسى والسابع ماذهب اليه الكرامية من انه كلام واحد مركب من الحروف والاصوات حادث لكن قائم به تعالى فالفرق الثلاث ينكرون الكلام النفسى وتفصيل الكلام فى كتب الانام كالبداية والتمهيد فى التوحيد وبحر الكلام والابانة والكفاية والاحكام كما لايخفى على اولى التبصرة والتذكرة ففى قول الناظم النحرير محدثة رد على الحنابلة وفى قوله قديمة رد على الكرامية وفى قوله قديمة مع قوله صفة الموصوف بالقدم رد على المعتزلة كما لايخفى فقوله صفة الموصوف خبر بعد خبر وهو فى المعنى علة لكون الآيات اى معانيها قديمة فيمكن ان يرتب هنا قياس بان يقال الآيات اى معانيها قديمة لانها صفة الموصوف بالقدم وكل شئ شأنه كذا فهو قديم فينتج المطلوب ولاتتوهمن ان ماهو صفة الله تعالى ماكان حادثا لانه مخالف للمشهور فيمابين الاشعرى وابى منصور

﴿ لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْىَ تُخْبِرُنَا * عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ ﴾

لما بين ذات الآيات اراد ان يبين بعضا من معجزاتها واوصافها فقال لم تقترن الخ مع مناسبة تامة حيث جعل قوله لم تقترن علة اخرى لكون الآيات اى معانيها قديمة اوعلة لكونها صفة الموصوف بالقدم وهو الظاهر فيمكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال الآيات قديمة او الآيات صفة الموصوف بالقدم لانها لم تقترن بزمان الخ وكل شئ شانه كذا فهو قديم او صفة الموصوف بالقدم فينتج المطلوب ثم ان جملة لم تقترن صفة بعد صفة للآيات اوحال

بخلاق القرآن فقد كفر نعوذ بالله من ذلك ومسئلة الكلام من معظمات الخلافيات فى علم الكلام فالتحقيق فيها موكول اليه

(لم تقترن بزمان وهى تخبرنا)
(عن القرون وعن عاد وعن ارم)

صفة اخرى لآيات والزمان عبارة عن مقدار حركة الفلك الاعظم والضمير فى لم تقترن للآيات اى لم تختص ولم تتوقت بزمان دون زمان واهل زمان دون اهل زمان كسائر الكتب فانها كانت تتوقف بزمان وتقوم على وفق الانبياء واما نبينا صلى الله عليه وسلم فهو مبعوث الى الناس كافة ولانبى بعده فيكون كتابه الى الناس كافة ولا كتاب بعده فيكون قوله دامت بعد هذا البيت بيانا له والا فكل حادث مقترن بزمان والقديم مع كل زمان وهى تخبرنا جملة حالية والقرن ثمانون سنة وقيل ثلثون ويطلق على اهل ذلك الزمان ايضا وعاد اسم قبيلة وهو قوم هود عليه السلام ويقال لقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم وارم ايضا اسم قبيلة وهى فى الاصل حجارة تنصب فى المفاوز والجمع آرام مثل ضلع واضلاع وقوله تع ارم ذات العماد فمن لم يضف جعل ارم اسمه ولم يصرفه لانه جعل عادا اسم ابيهم وارم اسم القبيلة وجعله بدلا عنه ومن قرأه بالاضافة ولم يصرفه جعله اسم ابيهم او اسم البلدة وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد

من فاعل قديمة وهو من المقارنة و بزمان متعلق بلم تقترن والزمان عند المتكلمين عبارة عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم وعند الحكماء عبارة عن مقدار حركة الفلك الاعظم ثم اعلم ان الآيات التى لم تقترن بزمان معانى الآيات لا الفاظها لان الفاظها حادثة مقترنة بزمان بخلاف معانيها التى هى الكلام النفسى لانه صفة له تعالى والله تعالى وصفاته لا يجرى عليه زمان كما حقق فى محله وقوله وهى الواو للحال وهى مبتدأ راجع الى الآيات وجملة تخبرنا خبره وجملة المبتدأ مع خبره اشارة الى دليل كون الآيات من ابهر المعجزات وعن المعاد متعلق بتخبر والمعاد مصدر ميمى او اسم مكان والمراد به ههنا الرجوع بعد الفناء واخبار القرآن منه فى مواضع كثيرة كقوله تعالى (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة) قال المفسرون نزلت هذه الآية فى ابى بن خلف خاصم النبى عليه الصلوة والسلام واتاه بعظم قد رم وبلى وفته بيده وقال يا محمد اترى الله تعالى يحيى هذا بعد ما رم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم يبعثك ويدخلك النار وكقوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) وقوله تعالى (ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه) وقوله تعالى (افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور) وغير ذلك وعن عاد عطف على المعاد اعاد الخافض للنظم اى تخبر الآيات ايضا عن قصة عاد وعاد قبيلة من العرب فى ناحية اليمن كما فى قوله تعالى فى سورة الاعراف (والى عاد اخاهم هودا) الآية وغير ذلك من سور القرآن وقصتهم ان عادا تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضر موت وكانت لهم اصناما يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم واخيرهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين حتى جاعوا وجهدوا وكانت عادة الناس فى ذلك الوقت اذا نزل عليهم البلاء توجهوا الى البيت المكرم مسلمهم وكافرهم وطلبوا من الله تعالى الفرج فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا فدخلوا مكة ورئيسهم قيل بن عتر فقال قيل (اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم) فانشأ الله تعالى ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت تلك السحابة الى بلدهم فغشيتهم فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه وقوله وعن ارم عطف على القريب او البعيد والمراد بارم ارم ذات العماد وهى لعاد الثانية فان

فلك الدنيا باسرها ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تع عليهم صيحة فهلكوا وعن عبد الله ابن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم من الذهب وغيره وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيد خلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل فالله تع اخبر انه لم يخلق مثل مدينة شداد فى جمع بلاد الدنيا وما ذكر فى قوت القلوب تصنيف ابى طالب المكى انه قيل لابى يزيد البسطامى قدس سره هل دخلت ارم ذات العماد فقال قد دخلت الف مدينة لله فى ملكه ادناها ارم ذات العماد ثم اخذ بعد تلك المدائن جابلق منسل الى غير ذلك فظاهر قول ابى يزيد ادناها ذات العماد يخالفه قوله تع لم يخلق مثلها فى البلاد لكن المستفاد من الآية نفى الخلق فى الماضى ويجوز ان تكون تلك المدائن حادثة بعد نزول

القرآن اخبر عن قصتها ايضا فى سورة الفجر بقوله (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد) وذكر قصتهم النيسابورى فى تفسير هذه الآية واجماله انه كان لعاد بن ارم ابنان شداد وشديد ملكا الدنيا كلها ثم مات شديد فبقى الملك لشداد وكان عمره تسعمائة سنة وكان حريصا على قراءة الكتب فقرأ يوما صفة الجنة فاشتهت نفسه ووقع فى قلبه ان يبنى جنة مثل الجنة التى وصفها الله تعالى فارسل طائفة من جيشه ليطلبوا صحراء طيبة الهواء خالية من الاحجار كثيرة المياه والاشجار فساروا فى الارض فوجدوا صحراء مثل ما وصف لهم فى ارض عدن فاخبروه بذلك فطلب شداد من وزرائه اصناف الجواهر والذهب والفضة فجمعوا منها ما لا يعد ولا يحصى فبعثها شداد الى تلك الارض مع مائة الف رجل من البنائين والصناع فذهبوا اليها وبنوا اساسها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولما فرغوا من بناء حيطانها نصبوا فيها اعمدة من زبرجد اخضر وياقوت احمر وبنوا فوقها قصورا كثيرة وغرفا فوق غرف من ذهب وفضة ومجالس كثيرة ينظر ابواب بعضها الى بعض وجعلوا موضع الملك فى حصنها قصرا مبنيا من ذهب وكان للملك الف وزير فجعلوا حول الحصن الف قصر لكل وزير قصرا منها وجعلوا فيها مجارى الانهار من الفضة وهى تجرى باللبن والخمر والعسل حتى فرغوا من بنائها فى ثلثمائة سنة ثم اخبروا الملك بفراغها فجمع وزراءه واتباعه وانصاره وساروا اليها فلما دنوا منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة فاهلكهم جميعا فلم يبق احد منهم وروى انه لم يدخل تلك الجنة الا واحد من المسلمين

(دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ * مِنَ النَّبِيِّينَ اِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ)

ثم شرع فى بيان كون الآيات فائقة على آيات سائر النبيين والمرسلين فقال دامت لدينا الخ ضمير دامت راجع الى الآيات والتقييد بلدينا للاحتراز عما دام عند الله وقام به فانه باق فى كل زمان لا يتناهى بل لا يجرى عليه زمان والفاء فى ففاقت فاء النتيجة فما قبلها سبب وعلة لها فيمكن ان نترتب ههنا قياسا بان نقول القرآن فائق على كل معجزة لان القرآن جاء ودام وكل معجزة من النبيين جاءت ولم تدم وكل ما جاء ودوام فهو فائق على كل معجزة جاءت ولم تدم ينتج القرآن فائق على كل معجزة وفاقت بمعنى تفوقت وبرعت وكل معجزة بالنصب مفعول فاقت والمعجزة امر خارق للعادة يظهر على يد من يدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز

القرآن ويجوز ان يراد بنفى المثل المثل فى الزينة فلا ينافى صغر الجنة وفى بعض نسخ قوت القلوب ان معنى الآية لم يخلق مثلها فى بلاد اليمن لانهم خوطبوا بما فى بلادهم كما قال الله تعالى او ينفوا من الارض اى ارض بلادهم وبمثل هذه التوجيهات يندفع الاشكال *

(دامت لدينا ففاقت كل معجزة)

(من النبيين اذ جاءت ولم تدم)

ضمير دامت للآيات والفاء داخلة على المسبب اى فاقت بسبب الدوام والمعجزة امر خارق للعادة يظهر على يد مدعى النبوة لتصديق مدعاه والخارق للعادة اربعة معجزة للنبى وكرامة للولى ومعونة للعوام واستدراج للمنافق ومن النبيين صفة معجزة وضمير جاءت راجع الى كل معجزة انثه باعتبار المضاف اليه واذ ظرف وتعليل لفاقت ونبينا داخل فى قوله من النبيين لعمومه فيكون تفضيل الآيات على سائر معجزاته الغير الباقية ايضا ولم تدم اما حال او عطف *

عن اتيان مثله اعلم ان ما كان خارقا للعادة ثمانية اقسام لانه اما ان يصدر عن مؤمن اوعن كافر والاول اماعن النبي وهو اما ان يصدر قبل البعثة وهي الارهاصات مثل ماظهر حين ولادته عليه السلام اوبعد البعثة وهي المعجزات واما من ولي وهي الكرامات واما من صالح وهي المعونة واما من فاسق وهو الاستدراج والثاني اما بتعليم وتعلم وهو السحر واما بلا تعليم وتعلم فان وافق مطلوبه فهو ابتلاء كما وقع من فرعون والدجال وغيرهما وان لم يوافق فهي الاهانة كما وقع من مسيلمة الكذاب حيث دعا لاعور ليصلح عينه العوراء فاعورت عينه الصحيحة ايضا والمراد من النبيين المعنى العام للمرسلين على مافهم من اساليب كلام الناظم فان قلت ان في النبيين دخل نبينا عليه السلام ايضا فيلزم فضل معجزته على نفسه وهو باطل قلت المراد من النبيين من سوى نبينا عليه السلام لانه مستثنى منها بالاستثناء العقلي كما في قوله تعالى (ان الله على كل شئ قدير) واذ للتعليل ولم تدم عطف على جاءت يعني ان معجزات سائر الانبياء قد انقضت واندرست بموتهم بخلاف معجزة نبينا عليه السلام لانها باقية الى يوم القيامة لايقال انا لانسلم ان معجزات سائر الانبياء قدجاءت ولم تدم كيف وان الانجيل باق عند النصارى كما ان التوراة باقية عند اليهود لانا نقول المراد من الدوام دوامه بلاتغيير لفظ وتحريف حرف وكلا الفريقين قدغيرا هما وبسبب تحريفهم كانوا كافرين ولو سلم فالمراد دوام حكمه اعني شريعته وكتب سائر الانبياء قد نسخت بكتابنا وكان الشرع الباقي عند الملل القرآن لاغيره من الكتب المنزلة على سائر الانبياء

(مُحَكَّمَـاتٌ فَمَـا يَبْقَيْنَ مِنْ شُبَهٍ * لِذِى شِقَاقٍ وَلَا يَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ)

لمابين كون الآيات دائمة الى يوم القيامة بل الى مالاينتهي شرع في بيان كونها باقية على حكمها الاصلي بلاتبديل ولاتغيير فقال محكمات الخ وهي بالرفع خبر بعد خبر لآيات او صفة بعد صفة لها والمحكمات جمع محكم وهو في اللغة بمعنى المتقن القوي الذي لايقبل الانهدام وفي اصطلاح الاصوليين ماظهر المراد منه ولم يحتمل النسخ والتغيير فعلى هذا يكون التشديد لضرورة الشعر فان قلت كيف يجوز حمل محكمات على الآيات لانه يستفاد منه ان جميع الآيات محكم مع ان الاصوليين صرحوا بان بعض القرآن محكم وبعضه مفسر وبعضه نص وبعضه ظاهر وبعضه خفي وبعضه مشكل وبعضه مجمل وبعضه متشابه قلت الحمل باعتبار معناه اللغوي لاالاصطلاحي على انه يجوز ان يكون في ضمير محكمات استخدام بان يرجع الى الآيات ويراد منها بعضها

(فتأمل)

(محكمات فما يبقين من شبه)
(لذى شقاق ولا يبغين من حكم)
خبر مبتدأ محذوف اى هن والمحكمات يحتمل اربعة معان احدها ان يكون من الحكم اى جعلت حاكمة باعتبار ان الكلام يؤخذ منها والثاني من الحكمة اى جعلت حكيمة لاشتماله على الحكم كما في قوله تعالى (والقرآن الحكيم والذكر الحكيم) والثالث من الاحكام اى جعلت محكمة بحيث لايحتمل النسخ والتبديل ولا يناقض بعضها بعضا والرابع من الحكمة اى جعلت ممتنعات محفوظات من التحريف وعلى قول من يقول ان للمشترك عموما يكون الكل مراد والفاء للنتيجة اولمجرد العطف والشبهة مايشبه الثابت وليس بثابت الشقاق المخالفة لان كل واحد من المخالفين في شق غير شق الآخر ولذى شقاق اما صفة شبه واما متعلق بما يبقين وقوله لايبغين اى ولايطلبن حكما آخر فمن زائدة بخلاف الحديث فانه مسند الى الكتاب وكذا الاجماع الى احدهما وكذا القياس الى احدها اوما يظلمن من حيث هي حاكمة فمن تمييزية فانها حاكمة بالفصل او بالعدل لاغير ولوقرئ حكم بكسر الحاء يكون المعنى مايطلبن حكما فان الحكم في المنصوص عليه مضاف الى النص لاالى الحكمة والوصف المؤثر اومايطلبن اى لم ينقصن حكما فان الاصل في النصوص التعليل فان الاحكام لابد ان يشتمل على الحكم والمصالح وان كانت العقول تقصر عن ادراكها *

فتأمل (ثم انه روى عن علي رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام قال انزل القرآن على عشرة اقسام بشيرا ونذيرا وناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها وموعظة ومثلا وحلالا وحراما فمن استبشر بتبشيره وانذر بنذيره وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد متشابهه الى عالمه واتعظ بعظته واعتبر بمثله واحل حلاله وحرم حرامه فاولئك من المؤمنين حقالهم الدرجات العلى مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهو وارثي ووارث الانبياء قبلي ولايزال في كنفه تعالى وحيثما تلا القرآن غشيته الرحمة ونزلت عليه السكينة ويحشر في زمرتي وتحت لوائي) والفاء في فما يبقين تفريعية اى لما كانت الآيات محكمات فما يبقين الخ ويبقين جمع مؤنث من الابقاء بمعنى الدوام ومن زائدة وشبه جمع شبهة ولذى ظرف مستقر صفة شبه والشقاق بمعنى الخلاف والمراد من اهل الخلاف من كان مخالفا لشرعنا ولايبغين عطف على مايبقين ويبغين بفتح الياء كما كان يبقين بضم الياء وهو من البغي بمعنى الطلب ومن زائدة والحكم بفتحتين بمعنى الحاكم اى القرآن لايحتاج الى حاكم آخر فوقه بخلاف الحديث فانه مسند الى الكتاب وكذا الاجماع والقياس فانهما محتاجان الى احدهما وقرئ حكم بكسر وفتح على انه جمع حكمة فالمعنى ان القرآن لايحتاج الى حكم زائدة لوضوح قوانينها بل جميع الحكم والقواعد مأخوذة منه فلم يكن شئ يشتمل على مايشتمل عليه القرآن ثم ان هذا البيت فيه صنعة تلميح الى قوله تعالى (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب) الآية وجناس كامل بين يبقين ويبغين كمالايخفى على اهل البديع

(مَاحُورِبَتْ قَطُّ اِلَّا عَادَ مِنْ حَرَبٍ * اَعْدَى الاَعَادِى اِلَيْهَا مُلْقِىَ السَّلَمِ)

لمابين في البيت السابق ان الآيات قدقطعت شبهة المشتبهين مع ان الفصحاء والبلغاء كامرئ القيس وغيره قدعارضوا القرآن دفعه بقوله ماحوربت الخ مانافية وحوربت ماض مجهول من المحاربة بمعنى المعارضة على سبيل الاستعارة بان شبه المعارضة بالمحاربة في مدافعة الخصم ومضرته والاستعداد له ثم استعير المحاربة لمفهوم المعارضة ثم اشتق من المعارضة عورضت ومن المحاربة حوربت فذكر حوربت واريد عورضت والمراد من المعارضة للقرآن اتيان مثله في البلاغة والفصاحة وقط ظرف زمان للماضي على سبيل الاستغراق ولايستعمل الا في النفي والا للاستثناء والمستثنى منه محذوف اى في حال من الاحوال الا في حال عود الاعادى فعاد اما من العود بمعنى الرجوع او بمعنى صار وانتقل ومن حرب متعلق بعاد ومن لابتداء الغاية وحرب بفتحتين بمعنى

(ماحوربت قط الاعادمن حرب)
(اعدى الاعادى اليها ملقى السلم)
اى ماعورضت هي بشئ اوماعورض بها قط ظرف زمان للماضي على سبيل الاستغراق ولايستعمل الا في النفي والمستثنى منه محذوف اى في حال من الاحوال الا في حال عود اعدى الاعادى مستسلما والمراد سرعة الانهزام حتى كأنه مقارن وان كان بمعنى رجع يكون ملقى السلم حالا وان كان بمعنى صار فهو خبره فاليها على الاول متعلق بعاد وعلى الثاني بملقى ومن حرب متعلق بعاد ومن لابتداء الغاية يقال حربه يحربه حربا مثل طلبه يطلبه اذا اخذ ماله وتركه بلاشئ وحريبة الرجل ماله الذي يعيش به واعدى الاعادى فاعل عاد واعدى بمعنى اظلم على صيغة التفضيل من عدى بمعنى تجاوز اومن عادى وهي من المنشعبة قليل سماعي و الاعادى جمع الاعداء والسلم الاستسلام والانقياد فالمعنى انه ماعورضت تلك الآيات بشئ من كلام الفصحاء ولاطولب احد بمعارضتها من العرب العرباء الا ورجع من المحاربة والحرب اعدى الاعداء ملقى السلم الى تلك الآيات الباهرة ومعرضا عن معارضة هذه المعجزات الظاهرة فلم يتصد واحد من مصاقع الخطباء للاتيان بمدانيها ولم ينهض ناهض من مهرة البلغاء لاظهار مايقرب من الفاظها ومعانيها مع اشتهار

الغضب والغيظ وقيل هو لغة فى الحرب فيكون بمعنى المحاربة وهى بمعنى المعارضة واعدى بالرفع تقديرا فاعل عادوهو اسم تفضيل من العداوة والاعادى جمع اعداء وهى جمع عدو فاضافة اعدى اليها للمبالغة فيكون اشارة الى انه لايعارض القرآن الامن كان فى شدة العداوة والبغضاء واليها متعلق بعاد والضمير راجع الى الآيات وفيه حذف مضاف اى الى حقيتها وماقى السلم بالنصب حال من فاعل عاد على تقدير كون عاد بمعنى رجع او بالنصب على الخبرية على تقدير كونه بمعنى صار وماقى اسم فاعل من القى بمعنى متلقيا ومقبلا اليها بالسلم اى السلامة فالمعنى انه ماعورضت تلك الآيات بشئ من كلام الفصحاء ولاطولب احد بمعارضتها من العرب العرباء الاورجع من المحاربة والمعارضة لمافيها من الفصاحة والبلاغة اكبر المعاندين واقوى المعارضين حال كونه ملقيا متلقيا بالسلامة وكان بريئا من الملامة روى ان الوليد بن المغيرة كان بين قريش فى غاية الفصاحة فجاء الى النبى عليه السلام ذات يوم لقصد المعارضة فى البلاغة فقال للنبى عليه السلام اقرأ على فقرأ عليه قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) الآية فاستعاده فاعاده صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق مايقول هذا بشر وسكت وقام من المجلس ولم يقل شيئا غيرهذا وحكى عن يحيى بن حكيم انه رام شيئا من المعارضة للقرآن فنظر فى سورة الاخلاص ليأتى بمثلها اوينسج بزعمه على منوالها فاعترته روعة وهيبة من الله فتاب وعاد عن نيته وروى انهم اتوا السورة القارعة بنظيرة فى زعمهم وهى قولهم الفيل ماالفيل وماادراك ماالفيل له ذنب قصير وخرطوم طويل ان ذلك من خلق الله لقليل ولقوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) بقولهم القتل انفى للقتل ثم تفكروا ووجدوا فى قولهم نقائص كثيرة فبعد التفكر بهتوا وسخروا تسخيرا تعالى الله عمايقول الظالمون علوا كبيرا

(رَدَّتْ بلاغتها دعوى مُعارِضِها * رَدَّ الغيور يدَ الجانى عن الحُرَمِ)

لمابين كون الآيات تدفع المعارضة بل تعيد اليها اعداءها اراد ان يبين ماتدفع به الخصوم من ارباب البلاغة والعلوم فقال ردت بلاغتها الخ ردت بمعنى منعت ودفعت والبلاغة فى اللغةماينبئ عن الوصول والانتهاء وفى الاصطلاح البلاغة فى الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وفى المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ وضمير بلاغتها راجع الى الآيات فالمصدر مضاف الى فاعله ودعوى بالنصب مفعول ردت والمراد من الدعوى المقاومة باتيان مثله فالمعارض بمعنى المتصدى لاتيان مثله

تلك العصبة بالافراد فى العصبية والقائم الشراشر على المضادة بمقتضيات طباعهم الآية فيها لها من وحى ناطق بينات حجج وقرآن عربى غير ذى عوج *
(ردت بلاغتها دعوى معارضها)
(رد الغيور يد الجانى عن الحرم)
البلاغة فى اللغة تنبئ عن الوصول والانتهاء وفى الاصطلاح البلاغة فى الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وفى المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ ودعوى معارضها مفعول ردت والمراد منه طلب المقاومة والمقابلة باتيان مثله ورد الغيور صفة مصدر محذوف اى ردا مثل رد الغيور والمراد تشبيه الرد بالرد والغيور شديد الغيرة فعول من غار الرجل على اهله صيغة المبالغة يد الجانى مفعول رد واراد باليد التعرض لانها آلته عبربها عنه والجناية فعل لايجوز اتيانه وحرم الرجل بفتح الحاء والراء المهملتين محرمه واهله ويروى بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة الرجل *

والضمير للآيات وردا بالنصب صفة مصدر محذوف اى ردا مثل رد الغيور والمراد تشبيه الرد بالرد وهو مضاف الى فاعله والغيور صيغة مبالغة من الغيرة بمعنى شديد الغيرة وهو صفة موصوفه محذوف اى رد الرجل الغيور وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يغار وان المؤمن يغار وقد جاء ايضا فى الخبر ان الله غيور يحب الغيور والغيرة فى الاصل كراهية مشاركة الغير فى حق من الحقوق وغيرة الله منعه عبده من الاقدام على الفواحش وغيرة المؤمن هيجان وانزعاج فى قلبه يحمله على منع التحريم من الفواحش ومقدماتها ممن هو ساكن فى بيته يدالجانى بالنصب مفعول ردوالمراد من اليد التصرف بذكر السبب وارادة المسبب لان اليد سبب للتصرف وتصرف الجانى عام للفواحش كالزنا واللواطة ومقدماتها كالتقبيل واللمس والنظروالمراد من الجانى من يأتى الجناية لحرم الغير وعن الحرم متعلق بردوالحرم بفتحتين بمعنى محرم الرجل وقرئ بضم الحاء وفتح الراء على انه جمع حرمة وهى مايكون فى حريم الرجل وحاصل المعنى ان الآيات ردت بلاغتها وفصاحتها دعوى معارضها ومقابلها مثل رد من وصف بكمال الغيرة ونهاية الحمية مديد الجانى وتصرف الخائن الباغى عن حول حريم حرمه وعن الوصول الى حصول حرمه ثم اعلم انه حكى ان ابن المقنع وكان افصح اهل وقته طلب المعارضة للقرآن ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فمر يوما على مكتب يقرأ فيه صبى قوله تعالى (ياارض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى) الآية فقال ان هذا لا يعارض ابدا وماهو من كلام البشر ومن تفحص كتب الانام فى احاديثه عليه الصلاة والسلام وجد فيها كلاما كثيرا يناسب هذا المقام

(لهامعانٍ كموجِ البحرِ فى مددٍ * وفوق جوهرِه فى الحُسنِ والقِيَمِ)

لما بين كون الفاظ القرآن فى اعلى طبقات البلاغة والفصاحة توهم ان قائلا قال هل كانت معانيه مناسبة لهذه الالفاظ الموصوفة بالبلاغة والمنعوتة بالفصاحة فقال لها معان الخ لها خبر مقدم ومعان مبتدأ مؤخر والتنوين للتكثير والتعظيم والمراد من المعانى المقاصد وماتتضمن من الحقائق والفوائد وكموج البحر ظرف مستقر صفة معان والموج مصدر ماج البحر بمعنى اضطرب ويقال لكل فرقة ماءارتفعت منه وهو ههنا كناية عن الكثرة وعدم النهاية وفى مدد متعلق بالكاف فى كموج والمدد بفتحتين بمعنى النصرة والعون فان كل موج فى البحر يمد موجا آخر وكذلك القرآن يفسر بعضه بعضا ويمد بعضه بعضا وفوق ظرف مرفوع المحل بالعطف على الكاف

(لها معان كموج البحر فى مدد)
(وفوق جوهره فى الحسن والقيم)
(فلا تعد ولا تحصى عجائبها)
(ولا تسام على الاكثار بالسأم)
يعنى لتلك الآيات معان كموج البحر يمد بعضه بعضا لكثرة الماء ونفائس هذه المعانى التى هى كالعرائس الغوانى فوق جواهر البحر فى الحسن والبهاء * والنفاسة والصفاء * فلا تعد غرائبها * ولا تحصى عجائبها * ولا يشوب بالشبه تبيانها الساطع * ولا ينقطع بالمعارضة برهانها القاطع * ولطائفها التى هى كالماء الزلال * لاتقابل مع الاكثار بالملال * قوله معان مبتدأ ولها خبره والضمير للآيات والمراد من المعانى المدلولات والمقاصد * وما يتضمنه من الحقائق والفوائد والكاف بمعنى المثل صفة معان والمثل لايتعرف بالاضافة فى مثل هذا الموضع والموج مصدر ماج البحر يموج موجا اضطرب ويقال لكل مرتفع منه ايضا والمدد يجوز ان يكون بمعنى العون والنصر فان كل موج فى البحر يمد موجا آخر وقد قيل القرآن يفسر بعضه بعضا ويقوى بعضه بعضا ويجوز ان يكون من مد البحر وهو ازدياده وقت طغيانه فعلى الاول يكون الجار متعلقا لمافى كاف التشبيه من معنى الفعل ويكون بيانا لوجه الشبه نحو زيد كالاسد فى الشجاعة وعلى الثانى يكون متعلقا بمحذوف اما صفة للبحر اوحال اى البحر الكائن فى مدد اوكائنا فيه فيكون المشبه به موجا فى الوقت الخاص وفوق ظرف

فيكون صفة بعد صفة لآيات والتقدير وللآيات معان كانت وثبتت فوق جوهره والجوهر قدمر غير مرة والضمير للبحر وجوهر البحر مايستخرج منه من اللؤلؤ والمرجان وفى الحسن متعلق بالزيادة التى تضمنها لفظ فوق والقيم بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة وحاصل المعنى ان الآيات البينات لها معان كثيرة كموج البحر فى الازدياد وعدم النفاد واحكام حسنة فوق جواهر البحر من اللؤلؤ والمرجان فى الحسن والقيمة كما لا يخفى على اهل العرفان لان الجواهر وان كانت فى صفة عالية يوجد لها قيمة ولو كانت غالية بخلاف الآيات ومعانيها وعجائبها ومحاسنها ولذا قال بعض اهل الحال لوظهرت حقيقة معانيها لم تطق سطوات نورها السموات والارض ولذا قال الله تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا) الآية لكن الله تعالى ستر انوارا تلك الحقيقة بكسوة صورة الحروف لتطيقها القلوب والالسن فكما ان شرف الابدان انما يكون بشرف الارواح فكذلك شرف الحروف انما هو بشرف معانيها وروى عن رسول الله عليه السلام ان القرآن لايشبع منه العلماء قيل لكمال لذته ونهاية حلاوته ولما فيه من الاسرار العجيبة والبدائع الغريبة والاساليب المستحسنة والعجائب المستكملة

﴿ فَلاتُعَدّ وَلاتُحْصى عَجائِبُها * وَلاتُسامُ عَلى الاِكْثارِ بِالسَّأَمِ ﴾

لما توهم من تشبيه معانى الآيات كموج البحر كون معانيها متناهية اذ موج البحر متناه مع ان معانى الآيات غير متناهية بالاتفاق اراد دفعه بتفصيل ماقبله فقال فلاتعد ولاتحصى الخ تعد وتحصى كلاهما على صيغة المجهول فالاول من العد والثانى من الاحصاء والفرق بينهما ان الاول العد واحدا واحدا والثانى جملة جملة وعجائبها بالرفع جمع عجيبة وهو مايتعجب منه وكذلك العجاب بالتخفيف والتشديد والاعجوبة وضميرها راجع الى الآيات يعنى ان الآيات لاتعد عجائبها ولاتحصى غرائبها من العلوم الغريبة والاسرار العجيبة والدقائق اللطيفة فى كل حد وزمان وجميع وقت وآن وقوله ولاتسام دفع لتوهم مقدر وهو ان القرآن اذا كان مشتملا على معان كثيرة لاتعد ولاتحصى تترك لاعطائها الملالة لناظرها وتقرير الجواب ظاهر ولاتسام مضارع مجهول على صيغة التأنيث اى لاتترك لانه من سامت السائمة اذا تركت على حالها او بمعنى لايقاس منها ولايتعب فالضمير على كلا المعنيين راجع الى الآيات وعلى الاكثار متعلق بتسام وعلى بمعنى مع كما فى قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) الآية والاكثار الاتيان بالكثير والالف واللام عوض عن المضاف اليه اى اكثارها وبالسأم الباء

مرفوع المحل بالعطف على الكاف اى وثبتت اوكانت فوق جوهره وجوهر البحر هو النفيس الثمين الذى يستخرج منه مثل اللؤلؤ وغيره وفى الحسن متعلق بما تضمن لفظ فوق من معنى الزيادة او بمتعلقه اذ يكون تقدير الكلام وكشئ فوق جوهره فيكون صلة الكاف الحسن يدل على مرغوبيته وغلاء القيمة على عزته والفاء للنتيجة وعد الشئ يكون اذا كان واحدا واحد والاحصاء جملة جملة والعجيبة المعجبة وهى ما يتعجب منها وكذلك العجاب بضم العين والعجاب بالتشديد ابلغ منه وكذلك الاعجوبة وضمير عجائبها لآيات القرآن وكذلك ضمير لا تسام وروى لايقام ومعناهما واحد اى لايقابل بالملاء قاس النعل بالنعل اى ساواه وقاسه به اى قابله به والسوم فى المبايعة يتضمن التعرض وعلى بمعنى مع والاكثار الاتيان بالكثير والسأم مصدر سئم يسأم سأمة وسأما اى مل بمل ملالة وملل فالبيت الاول يتضمن تشبيه القرآن بالبحر ومعانيه فى الكثرة بالامواج وفى الحسن والنفاسة بشئ له نفاسة فوق نفاسته فان الجوهرين قطلا يماثلان ابدا فى الكمية والكيفية والمصراع الاول يتضمن تشبيه فى الكم والتعاضد والمصراع الثانى فى الكيف والاضافة فى ضمن التعرض بالتزايد والنصف الاول من البيت الثانى كالنتيجة للنصف الاول من البيت الاول وكذا النصف الثانى وحاصل البيتين ماسبق من المعانى

سببية متعلقة بالاتسام والسأم بفتحتين السآمة والملالة يعنى ان الآيات لكونها فى اعلى طبقات المعجزات لاتترك بالملالة من اكثارها بل كلما ازدادت ازداد فرح قارئها وفى البيت تلميح الى قوله عليه السلام (ان هذا القرآن لاتنقضى عجائبه ولايخلق من كثرة التر داد) يعنى ان القرآن لاتنتهى غرائبه لجميع العلماء فى جميع الازمان قال تعالى (لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) وقال تعالى (ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله) قال بعض الحكماء لكل آية سبعون معنى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هذا القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لاتنقضى عجائبه ولاتبلغ غايته وكذلك ان هذا القرآن لايمل قارئه ولايسأم من تكرار تلاوته واستماعه ولايذهب رونقه وبهجته كما فى كلام الخلائق بل كلما ازداد التكرار ازداد الحسن ولاتتغير حروفه بتكرار التلاوة والتدريس من العلماء والاعراب والاعجام بل يرد الخطأ الى الصواب كما فى حديث الجامع الصغير (اذا قرأ القارئ فاخطأ ولحن اوكان اعجميا كتبه الملك كما نزل) وفى معنى هذا البيت قول الشيخ ابى القاسم الشاطبى فى وصف القرآن ولله دره * وخير جليس لايمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا *

﴿ قَرَّتْ بِها عَيْنُ قارِيها فَقُلْتُ لَهُ * لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ ﴾

لما بين فى الابيات السابقة فضائل الآيات اراد ان يبين بعضا من فواضلها السارية الى الغير فقال قرت بها الخ قرت فعل ماض من القرة بمعنى البرودة يقال قرت عينه تقر بالفتح والكسر قيل هو كناية عند العرب عن الراحة لان بلادهم كانت حارة جدا فالراحة عندهم فى البرودة ولايخفى انه يكون على هذا فى اسناد قرت الى العين برودة جدا والاظهر انه كناية عن السرور فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنة العين للمكروه ذكره القاضى وغيره من اهل التفسير فى قوله تعالى (وقرى عينا) ويجوز ان يكون قرت بمعنى ثبتت وصارت عينه ذات قرار اى مستقرة لاتميل الى الجوانب لطيب ماتنظر اليه والباء فى بها للسببية والضمير للآيات وفيه حذف مضاف اى بقراءتها اوبنظرها والعين بالرفع فاعل قرت والمراد بها الباصرة على كلا المعنيين فى قرت ومن جعله بمعنى النفس على التقدير الثانى فقد وقع فى تكلف فوق التكلف ثم ان قرت فى معناه الاصلى اعنى المضى والمعنى كان قارئها مسرورا بسبب قرائتها ويحتمل ان يكون اخبارا لفظا وانشاء معنى اى لتقر فتدبر وقارئها اسكن همزته لضرورة الشعر ثم ابدلت بالياء والضمير

(قرت بها عين قاريها فقلت له)
(لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم)
(ان تتلها خيفة من حر نار لظى)
(اطفأت حر لظى من وردها الشبم)

قر قرارا ثبت وقر به عينه فرح به وابتهج وحصل به قرة العين اى زاد نورها والمناسب الاول ان اريد من العين النفس فان الثبات فى الحيوة الحقيقية هو الانتفاع بمقاصد القرآن والثانى ان اريد منه الباصرة والقارى اما من قرأ بالهمزة واما من قرا بالالف بمعنى اضافه ولعله اوجه عند من له دراية واللام فى لقد موطئة للقسم والظفر الفوز بالمطلوب والحبل الرسن ويستعار للعهد ولكل مايكون وصلة بين اثنين واراد بحبل الله الذى يجد

للآيات والفاء فى فقلت للفصيحة وقلت على صيغة التكلم اى اذا كان قارئها مسرورا بسبب قراءتها فوجب ان اقول له اى لقارئها على وجه الرغبة او على طريق الغبطة والله لقد ظفرت فاللام توطئة للقسم وظفرت على صيغة الخطاب خطابا لقارئها بمعنى وجدت الفوز والنجاة من كل المكاره والمفاسد ونلت جميع المطالب والمقاصد والباء فى بحبل الله متعلق باعتصم والحبل بمعنى الآيات والشرائع على سبيل المجاز والاستعارة بان شبه الآيات بالحبل القوى الممدود منه تعالى الى العباد فى الايصال الى المطلوب ثم استعير الحبل لمفهوم الآيات وذكر الحبل واريد الآيات واضافة الحبل الى لفظة الله قرينة هذه الاستعارة وقوله فاعتصم الفاء جواب شرط محذوف اعتصم امر حاضر من اعتصم والمراد من الاعتصام هنا هو العمل بموجبها بطريق الاستعارة فليتأمل وفى البيت تلميح الى قوله عليه الصلوة والسلام (انى قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا كتاب الله تعالى وسنة رسوله) عليه الصلوة والسلام والى قولى عليه السلام (وهو) اى القرآن (حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم) الحديث والى قوله عليه الصلوة والسلام (ان هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ان هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه) الحديث وفى معنى هذا البيت قول الشيخ الشاطبى

* وقارئه المرضى قرمثاله * كالاترج حاليه مريحا وموكلا *
* وبعد فحبل الله فينا كتابه * فجاهد به حبل العدى متحبلا *

(اِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى * اَطْفَأْتَ نَارَ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ)

لما فرغ من بيان بعض فضائل الآيات وفواضلها اراد ان يبين ايضا بعضا من خواصها وجعلها داخلة فى سلك فواضلها فقال ان تتلها خيفة الخ ان شرطية وتتلها مضارع من تلا بمعنى قرأ على صيغة الخطاب خطاب لقارئها المقدم واصله تتلوها فسقط الواو للجزم والضمير الى الآيات وخيفة بالنصب على انه مفعول له حصولى لتتلها والخيفة كالخوف بمعنى الخشية ومن متعلق بخيفة واضافة الحر الى النار لامية ولظى علم من اعلام جهنم او طبقة من طبقاتها وهى غير منصرفة للتأنيث والعلمية ومن قال يمكن ان يكون لظى فعلا وهو فاعله صفة نار فلم يشم رائحة من علم العروض مع ما فيه من المخالفة للقواعد المشهورة بين العوام واهل الفيوض فان قلت لم خص لظى بالذكر دون سائرها قلت لكون حرارة لظى شديدة بالنسبة الى سائر الدركات كما ذكره بعض الشارحين تأمل واطفأت جزاء الشرط وهو

بك ويرفعك الله به اليه اى الى دار كرامته فاعتصم انشائية عطف على الانشائية القسمية ان تتلها داخل فى مقول القول وكالتفسير للاعتصام تلاه قرأ تلاوة وتلاه تبعه تلوة وكل يصح ههنا وخيفة اما مفعول له واما حال اى خائفا ولك ان تجعله تميزا اى من حيث الخيفة لا من حيث ارادة الوظيفة ومن متعلق به وفى الكشاف لظى علم النار منقول من اللظى بمعنى اللهب الخالص وفى البيت يقرأ متنونا وغير متنون بناء على كونه علما واسم جنس والتنوين للتفخيم والتهويل اى لظى لا يكتنه كنهه وعدم انصرافه للعلمية والتأنيث كسقر واطفأت جزاء الشرط ومن متعلق به والورد

ايضا على صيغة الخطاب ونار لظى بالنصب مفعول اطفأت فان قيل لم اتى بالظاهر مقام الضمير لان الظاهر ان يقول اطفأت نارها قلت لئلا يلتبس فى المرجع اولئلا يلزم تفكيك الضمائر ووقع فى بعض النسخ حر لظى والاول انسب بالاطفاء ومن وردها كلمة من اجلية متعلقة باطفأت والورد بكسر الواو بمعنى الاشراف على الماء والمصدر هنا بمعنى المفعول اى المورود فالمراد منه الماء والضمير راجع الى الآيات وفيه استعارة بالكناية بان شبه الآيات فى الذهن بالماء فى كونهما سببا للحيوة فاستعير الماء للآيات فى الذهن وذكر فى الخارج المشبه وترك المشبه به ثم اثبت الورد الذى هو من ملائم المشبه به للمشبه فيكون تخيلية ويكون الشبم ترشيحا لهذه الاستعارة ويجوز ان يكون الورد بمعنى ورد القرآن وهو قراءة من القرآن فى كل يوم على سبيل الادمان ويؤيد هذا المعنى اضافته الى الضمير الراجع الى القرآن ووصف الورد بالشبم بفتح المعجمة وكسر الموحدة اى البارد يقوى المعنى الاول ولكل وجهة لكن يكون الشبم على المعنى الثانى بمعنى الدافع للحرارة كما لا يخفى وحاصل معنى البيت ان تقرأ الآيات القرآنية والبينات الفرقانية خشية من حرارة النار وعذاب الملك الجبار اطفأت نارها ودفعت ضرها من اجل ملازمتك ورد القرآن الدافع حرارة النيران ثم اعلم ان الفقهاء قالوا الافضل فى قرأة القرآن ان يقرأ من المصحف لا عن ظهر القلب لان فى امساك المصحف عمل اليد وكذا فى حمله وفى نظره عمل البصر ويعين على تأمل معانيه ولهذا كان اكثر الصحابة يقرؤن من المصحف وعن على رضى الله تعالى عنه ثلاث يزددن فى الحفظ ويذهبن البلغم المسواك والصوم وقراءة القرآن ويقال النظر الى العلماء والقرآن عبادة كالنظر الى الكعبة وقال عليه السلام اتلوه فان الله تعالى يؤجر على تلاوة كل حرف عشر حسنات الحديث وبعض الصالحين قال كنت ليلة فى وقت السحر اقرأ سورة طه فلما ختمها اخذتنى سنة فرأيت شيخا نازل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا ادرى حكمتها فقال الشيخ صدقت ليلة قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحونا ها قال فبكيت فى منامى وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب به ثوابها انتهى وذكر فى المقامات انه اتى رجل الى النبى عليه الصلوة والسلام فقال يارسول الله ماجزاء من علم ولده القرآن فقال عليه السلام القرآن كلام الله لا منتهى له لا اعلم حتى

بالكسر الورد والشبم بفتح الشين المعجمة وكسر الباء الموحدة المنقوطة بنقطة تحتانية البارد ولما كان الورد البارد موضع الانتفاع والراحة والتطهر والتطهير والحياة اثبت للقرآن موردا شبما على طريقة الاستعارة التبعية كما فى قوله رأيت من فلان صديقا حميما يريد اثبات الصداقة لفلان على طريقة المبالغة فههنا يريد اثبات كون القرآن موردا باردا على الطريقة المذكورة ولئن تدبرت وجدت وردها من قبيل لجين الماء اى الآيات التى هى كالورد فى ان كلا منهما سبب للحيوة فان العلم يشبه بالماء فكما ان الماء سبب لحيوة الاشباح بل اقوى فقد قيل من صار حيا بالعلم لم يمت ابدا

حتى يأتينى جبريل فلما اتاه سأله عنه قال لا اعلم حتى اسأل رب العزة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله يقرؤك السلام فيقول جزاء من علم ولده القرآن انه يعطى بكل حرف مدينة فى الجنة من الذهب فيها الف قصر فى كل قصر الف بيت) وجاء فى حديث صحيح (من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء الشمس ولذا قال الشاطبى

* هنيئا مريئا والداك عليهما * ملابس انوار من التاج والحلى *
* فما ظنكم بالنجل عند جزائه * اولئك اهل الله والصفوة الملا *

(كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوهُ بِهِ * مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُهُ كَالْحُمَمِ)

لما فرغ من بيان بعض فضائلها وفواضلها وخواصها اراد ان يبين بعضا من شفاعتها يوم القيامة للعصاة فقال كأنها الحوض الخ كأن للتشبيه والضمير للآيات والحوض مجاز اى ماؤه والالف واللام فى الحوض للعهد فالمراد الكوثر الذى وعدله عليه السلام وهو ثابت باجماع اهل السنة والاحاديث الصحيحة كقوله عليه السلام (حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه اشد بياضا من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السماء من شرب منه لا يظمأ ابدا) وفى تقديم الحوض على الصراط ترجيح لقول من قال ان الحوض مقدم فى الحشر على الصراط اذ فيه اختلاف قال القرطبى ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض بعد الصراط والصحيح انه قبله وكذا قال الغزالى ذهب بعض السلف الى ان الحوض يورد اليه بعد الصراط وهو غلط من قائله قال القرطبى المناسب لكون الناس يخرجون من قبورهم عطاشا تقديم الحوض وقيل هو اثنان فى القيامة وفى الجنة وقيل هو فى الجنة لكن ينقل من الجنة الى العرصات ومن العرصات الى الجنة وقيل هو فى ظهر ملك يسير الى اين سار النبى عليه الصلوة والسلام قوله تبيض بيان لوجه الشبه يعنى ان الآية مشبهة بالحوض فى تبييض الوجه وجملة تبيض بالرفع صفة الحوض فان قلت كيف يجوز جعل جملة تبيض صفة للحوض مع انه لا مطابقة بينهما فى التعريف والتنكير اذ الجملة نكرة قلت قد حقق فى محله ان الصفة ثنتان صفة خاصة للموصوف وصفة عامة له فالمطابقة انما تلزم فى الثانى لا فى الاول والصفة ههنا من قبيل الاول كما لا يخفى والوجوه اما على حقيقتها واما المراد بها ذواتها على طريق المجاز اللغوى او الحذفى ويؤيد الثانى بيانها بالعصاة وبه متعلق بتبيض والضمير للحوض ومن العصاة بيان للوجوه والعصاة جمع عاص كالغزاة جمع غاز والواو فى وقد جاؤه للحال وضمير الجمع راجع الى العصاة والمفعول راجع الى الحوض والكاف للتشبيه

(كأنه الحوض تبيض الوجوه به)
(من العصاة وقد جاؤه كالحمم)
(وكالصراط وكالميزان معدلة)
(فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم)

اى كان القرآن الحوض اراد به الكوثر وهو نهر فى الجنة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ذكاء من المسك يجرى على جنادل اللؤلؤ والمرجان حافتاه من الذهب ويروى ان العاصى بعد ماعذب فى النار واخرج منها وادخل الجنة محترقا مسودا فيشرب من ذلك الماء ويسبح فيه ينبت لحمه ويستوى اعضاؤه ويحسن وجهه كالبدر والصراط جسر ممدود على متن جهنم ادق من الشعر واحد من السيف يعبره اهل الجنة وتزل به اقدام اهل النار ويتناولهم زبانية اهل النار بالخطاطيف والكلاليب على جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم ومن الناس من يمر مثل البرق الخاطف ومنهم كالريح الهابة ومنهم كالجياد المسرع ومنهم من يحبو حبوا الى غير ذلك مما ورد فى الحديث ياحسرة على من تزل قدمه * ولا ينفعه ندمه * فيقول واويلاه * هذا ما كنت اخافه * فياليتنى قدمت لحيوتى * ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا * ويا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا * ياليتنى كنت ترابا * ولم الق مأثما وعذابا واما الميزان فقد روى الحسن رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سالت دموعها على خد رسول الله

والحمم بضم الحاء وفتح الميم جمع حممة كتهمة وهى بمعنى الفحم والفرق بينها وبين الفحم ان الفحم يقال لما بقى بعد احتراق الحطب والحممة لما بقى بعد احتراق الفحم واما الحمة التى بكسر الحاء فهى بمعنى الماء الحار الذى يخرج من الارض يستشفى به المعلولون والمرضى قال عليه السلام * العالم كالحمة يتجنب عنها القرباء ويتقرب اليها البعداء * وفى البيت اشارة الى مافى الخبر من ان بعض عصاة المؤمنين يدخلون النار ويحترقون فيها قدر ذنوبهم فيخرجون منها فيلقون فى نهر الحياة وفى رواية فيصب عليهم ماء الحياة فيذهب السواد عنهم ويظهر البياض وهذا من فضل ربنا الفياض وحاصل معنى البيت ان الآيات البينات تشفع للعصاة يوم العرصات كما يشفى حوض نبينا للعصاة الخارجين من النار بتبييض وجوههم قبل الدخول الى دار القرار وفيه اشارة الى قوله عليه السلام (القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فان من جعله امامه اوصله الى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه الى النار) يعنى ان القرآن شافع يوم القيامة لصاحب الكبيرة والصغيرة ورافع الدرجات من يتلوه ويعمل به وشاك بليغ مصدق فى شكايته لمن يضيعه بعدم العمل وعدم القراءة والنسيان وعدم الترتيل وعن الزهرى من شهد عليه القرآن بالتقصير فهو فى النار فان قيل كيف يمكن شفاعة القرآن فى القيامة لانه ان اريد بالقرآن الكلام النفسى فهو قائم به تعالى وكونه شافعا باذنه تعالى يقتضى المغايرة له وهو باطل وان اريد الكلام اللفظى فهو كالعرض فى عدم البقاء ولو سلم فلم يمكن انقلابه جوهرا لامتناع انقلاب الحقائق قلنا اجيب عنه بانه تعالى يجعل القرآن اللفظى فى ذلك اليوم جسما فى صورة يراها الناس كالاعمال عند الميزان وانقلاب الحقائق ليس بباطل مطلقا بل الباطل منه انقلاب الواجب الى الممكن والممكن الى الواجب فليتأمل

(وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً * فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ)

لما بين فوائد الآيات وخواصها النافعة يوم العرصات توهم ان يسئل ويقال ألم تك للقرآن فوائد نافعة فى الدنيا كما كانت فى الآخرة فقال مجيبا ودافعا له وكالصراط الخ الواو عاطفة وكالصراط معطوف على كأنها يعنى ان القرآن العظيم مشبه بالصراط المستقيم فى كونه موصلا الى المطلوبات والصراط جسر ممدود على متن جهنم يعبره الاولون والآخرون من المؤمنين والكفار والنبى عليه السلام قائم عليه قائلا يارب سلم سلم وهو ادق من الشعرة واحد من السيف والناس فى جوازه متفاوتون وروى انه يكون على بعض الناس

صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال مايبكيك ياعائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيامة قال والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن لا يذكر احد الا نفسه اذا وضعت الميزان ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذه ام بشماله وعند الصراط وعن انس رضى الله عنه قال يؤتى بابن آدم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا سعد بعدها ابدا وعند خفة كفة الميزان اقبلت الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار فالميزان عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال لحكمة يعلمها الله سبحانه وعدم اطلاعنا على الحكمة لا يوجب العبث ولعل الحكمة ان الله تعالى لا يخفى عليه حال الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ولكنها تخفى عليهم فيأتى الله تعالى لان يعرفهم حقيقة حالهم ومقادير اعمالهم ليتبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب وباقى مايتعلق بالحوض والصراط والميزان مذكور فى المطولات قوله تبيض الوجوه به اما استيناف او حال من اسم كان او خبره ومن العصاة اما حال من الوجوه

ادق من الشعرة وعلى بعض مثل الوادى الواسع بل بعض يمر عليه ولايعلمه وفى جعل الصراط مشبهابه رد للمعتزلة حيث انكروا الصراط وقالوا بانه لايمكن العبور على مثل ذلك فايجاده عبث ولوامكن ففيه تعذيب للمؤمنين والانبياء ورد بان العبور عليه ممكن والانبياء والمؤمنون يمرون عليه من غير تعب والميزان عبارة عمايعرف به مقادير الاعمال والعقل قاصر عن ادراك كيفيته قيل توزن كتب الاعمال وقيل تجعل الحسنات اجساما نورانية والسيئات ظلمانية وقيل يوزن العبد مع عمله مرة بالخير ومرة بالشر وقوله معدلة تميز من الاضافة فى كالميزان لافى كالصراط وهو مصدر ميمى اواسم آلة والمعنى ان الآيات تشبه الميزان من جهة كونه معدلة ففيه رد للمعتزلة ايضا لانهم انكرو الميزان وقالوا لافائدة له ولاغرض ويجوز ان يكون المراد من الصراط والميزان جنس الصراط والميزان فوجه الشبه بالصراط هو العصمة عن الوقوع فى المكروه والتوصل به الى المطلوب وبالميزان اقامة العدالة والتحاشى عن الظلم وقوله فالقسط تفريع عن التشبيه الثانى اى اذا كان القرآن كالميزان فى العدالة فالقسط الخ والقسط من قسط يقسط كنصر ينصر بمعنى العدل واما القسط بمعنى الجور فمن قسط يقسط كجلس يجلس ولذاروى ان الحجاج دعا سعيد بن جبير فجاء اليه فقال الحجاج له كيف تعلمنى ياسعيد قال انك قاسط عادل فاستحسن اهل المجلس جواب سعيد فقال الحجاج لالانه اراد بقوله انك قاسط معنى انك جائر وظالم كما فى قوله تعالى (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) واراد بقوله عادل عادل عن الحق ومنصرف عنه انتهى وقوله من غيرها ظرف مستقر صفة قسط والضمير للآيات وفى الناس متعلق بلم يقم قدم للضرورة اوللقسط اى العدل فيما بين الناس والناس اسم للبشر وهو امامن النسيان اومن الانس ويؤيده قوله

* وماسمى الانسان الالانسه * ولاالقلب الالانه يتقلب *

وانما خص الانسان بالذكر لكون احتياجهم الى القرآن اكثر من الجان اولشرافتهم منه ثم ان المراد من الناس المعهود اعنى امة نبينا محمد عليه السلام دون سائر الامم بقرينة السباق والسحاق ولم يقم بمعنى لم يدم ولم يتحقق وحاصل معنى البيت ان الآيات البينات كالصراط فى تميز الحق من الظلمة وكالميزان من جهة العدالة ورفع الخصومات فاذا كان كذلك فطلب العدالة فى الدنيا بين الناس من غير هذا القرآن الذى كالمقياس لم يثبت ولم يدم بل الاجماع بين الخلق على غير ذلك لم يقم فقيام الدنيا واهلها انما هو بالعدالة والعدالة قائمة بالشريعة والشريعة انما قامت بالقرآن فلولم تكن الآيات

او صفة لها اى كائنة اوالكائنة منها وقد جاؤه حال كونهم مثل كالحمم وهى جمع حمة وهى جرم جمر انطفأ نارها وبقى مسودة وكالصراط عطف على كأنه اوعلى الحوض والاول ابلغ ويجوز ان يكون اللام فى الصراط والميزان للجنس * ووجه الشبه بالصراط هو العصمة عن الوقوع فى المكروه والتوصل به الى المقصود وبالميزان اقامة العدل به وتبيين الراجح من المرجوح ومعدلة تميز اى من حيث استفادة قوانين العدل واحكامه والفاء فى فالقسط لمجرد العطف كالواو الاان يكون المراد من الميزان مايحترز به من الافراط والتفريط وح يكون للنتيجة ايضا ومن غيرها وفى الناس متعلق بلم يقم ويجوز ان يتعلق الثانى بالقسط اى العدل فيما بين الناس لم يثبت اولم يدم بغير الآيات ويقم من قام اى ثبت اودام

ثابتة لما كانت الدنيا قائمة ولما كانت الخصومات بين الخلائق دافعة

﴿ لاتَعجبنْ لِحسودٍ راحَ ينكرُها * تجاهُلاً وهوعينُ الحاذقِ الفهِمِ ﴾

لماتوهم ان يورد فى هذا المقام سؤال من طرف بعض بان يقال لوكانت الآيات متصفة بهذه الصفات لما انكرها بلغاء قحطان ولاجحدها فصحاء عدنان اجاب عن هذا السؤال بجواب مطابق للواقع وقاطع لشبهة السائل ودافع فقال لاتعجبن الخ لاتعجبن نهى حاضر مؤكدة بنون مخففة اى لايكن لك عجب ولحسود متعلق به والحسود على وزن الصبور يقال لرجل له حسد شديد والفرق بين الحسد والغبطة ان الاول يستعمل فى تمنى زوال نعمة الغير اوتمنى تحويل نعمة الغير الى نفسه والثانى يستعمل فى تمنى مثل نعمة الغير بلاتمنى زوالها عنه وراح بمعنى صار واسمه تحته راجع الى الحسود وجملة ينكرها خبره وضمير الفاعل فى ينكر راجع الى الحسود ايضا والمفعول راجع الى الآيات وتجاهلا بالنصب مفعول لينكر والتجاهل اظهار الجهل وليس له جهل فى الواقع لان الكفار كانوا يعرفون حقية الآيات من بلاغتها وفصاحتها واخبارها عن المغيبات كما يعرفون ابناءهم لكن يظهرون الجهل وينكرونها عناداواستكبارا والواو فى وهو للحال والضمير راجع الى الحسود والعين ههنا بمعنى النفس والذات من بين معانيها واضافته الى الحاذق من قبيل شجر الاراك والحاذق بمعنى الماهر والفهم بالكسر صفة الحاذق وهو بمعنى كثير الفهم وشديد العقل والانتقال وفائدة الاتيان بهذا القيد اعنى قوله وهو عين الخ قطع كون انكاره من جهله لابل من عناده مع ان فى هذا القيد تعظيما للقرآن العظيم من جهة ان كون عدالشئ عظيما يدل على عظم ذلك الشئ كما لايخفى على اهله

﴿ قدتُنكرُ العينُ ضوءَالشمسِ مِن رمدٍ * ويُنكرُ الفمُّ طعمَ الماءِمِن سقمِ ﴾

فلما كانت علة نهى التعجب من انكار الحسود خفية اراد ان يبينها بتمثيل المعقول بالمحسوس واتيان نظيرله من المأنوس فقال قدتنكر العين ضوءالشمس الخ وقد للتقليل وتنكر من الانكار والعين ههنا بمعنى الباصرة والضوء بمعنى النور وانما قال ضوء الشمس ولم يقل نورها لان الضياء اقوى واتم من النور فبين النور والضياء فرق اذالنور كيفية ظاهرة بنفسها مظهرة لغيرها والضياء اقوى منه ولذلك اضيف الى الشمس فى قوله تعالى (هوالذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وقد يقال ينبغى ان يكون النور اقوى على الاطلاق لقوله تعالى (الله نور السموات والارض) الآية وانت خبير بان هذا انمايتم اذالم يكن معنى النور فى الآية المنور وقدحمله اهل التفسير على

(لاتعجبن لحسود راح ينكرها)
(تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم)
(قدتنكر العين ضوء الشمس من رمد)
(وينكر الفم طعم الماء من سقم)

الخطاب خطاب الزبون والتعجب انفعال النفس عند ادراك امر غريب باستغرابه والعجب مثله والحسود صيغة مبالغة من الحسد وهو تمنى زوال نعمة الغير اوتمنى تحويلها الى نفسه والغبطة تمنى مثل نعمة الغير بلاتمنى زوالها عنه والحسود يستعمل فى العدو والمعاند ايضا وراح بمعنى صار اسمه ضمير الحسود تحته وينكرها خبره والمجموع صفة حسود والتجاهل اظهار الجهل مع عدمه هواما حال اى متجاهلا اومفعول له وهو عين الحاذق جملة حالية والعين مقحم يفيد التأكيد والحاذق الكامل الماهر الفهم بكسر الهاء صفة مشبهة صاحب مزية الفهم لان الصفة المشبهة ابلغ من اسم الفاعل اى والحال ان ذلك الحسود هو الحاذق فى صناعة البلاغة والفهم لخواص التراكيب ومقتضيات الاحوال وقوله قدتنكر تعليل لقوله لاتعجبن وازالة استبعاد ويجوز ان يراد من الانكار عدم الرضى به وعدم طيب نفسه وتأذيه به وكلتا كلمة من لابتداء الغاية واعلم ان المفهوم من البيت السابق ان انكار الحسود انما هو بواسطة انه مسلوب التوفيق ومحروم عن فضيلة الانصاف وهو يعلم مع ذلك الفضيلة ولكنه لكونه مسلوب التوفيق ينكر تلك الآيات الباهرة ويجحد الرسالة الظاهرة كما ان العين ينكر ضوء الشمس من الرمد والفم

ذلك يفرق بينهما بان الضياء ضوء ذاتى والنور ضوء عارضى تأمل والشمس كوكب نهارى مضئ للعالم وقدسبق تفصيلها ومن رمد من منشئية متعلق بتنكر والرمد بفتحتين وجع العين يقال رمدت العين من الباب الرابع اذاهاجت ثم ان فى هذا المصراع تشبيه الحسود المنكر للآيات لتجاهله بعين فيهارمد فى كونهما مشتملين على مايضر ولاينفع ويورث لصاحبه انكار شئ ظاهر وتشبيه الآيات بضوء الشمس فى الظهور وعدم الخفاء والاشتهار عند الصغار والكبار وتشبيه التجاهل بالرمد فى ايراث الاذى لصاحبه وايراث انكار امرباهر وظاهر ثم اعلم انه يمكن ان يرتب ههنا قياس تعبيره هكذا الحسود مثل من فى عينه رمد والايات مثل ضوء الشمس والتجاهل مثل الرمد وكل من كان مثل من فى عينه رمد ينكر ماكان مثل ضوء الشمس مماهو مثل الرمد ينتج الحسود كان ينكر الآيات من التجاهل وقوله وينكر الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة تنكر الاول والفم يقرأ بتشديد الميم للضرورة واصل فم فوه على وزن سوط فحذف الهاء تخفيفا لشبهها بحرف اللين فبقى الاسم على حرفين فلم يروا ايقاع الاعراب عليه لئلا تثقل اللفظة فابدلوا من الواو ميما فقالوا فم لان مخرجهما من الشفة والدليل على ان الاصل فى فم الواو قولهم تفوهت بكذا ورجل افوه وقولهم فى تصغيره فويه لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها قوله طعم بالنصب مفعول ينكر والطعم بمعنى اللذة والماء اسم جنس يقع على القليل والكثير ومن منشئية متعلقة بينكر والسقم المرض ثم ان فى هذا المصراع ايضا تشبيه لحسود بفم فى صاحبه مرض فى كونه مشتملا على مايمنع على الوصول الى ماهو الحق فى الواقع وتشبيه الآيات بالماء اللذيذ فى كونه سببا لحيوة كل شئ وتشبيه التجاهل بالسقم فى كونه مورثا للاذى الى صاحبه وكونه مانعا من الوصول الى الحق وفيه ايضا يمكن ترتيب قياس كالاول فتأمل ولاتكن من الحاسدين فان الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء

(ياخيرمن يمم العافون ساحته * سعياوفوق متون الاينق الرسم)

لما اشتغل بذكر معجزاته وبيان ماهو من اعظم آياته اعنى به الكتاب الذى هو البحر البسيط والقرآن الذى هو اليم المحيط وبعدماذكر ذات المحبوب اشتاق الى تكرار بيان من هو المطلوب فاتى به مخاطبا بياالدالة على الحضور لتحصيل العلم له من بيان اوصافه التى هى كالشمس فى الظهور فقال ياخير من يمم الخ كلمة يا وضعت لنداء البعيد وقدينادى بها القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا له كما فى قول الداعى ياالله ويارب وهو اقرب اليه من حبل

(الوريد)

يجد الماء الزلال مرّا من السقم والكمد وفى البيتين اشارة الى قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) يعنى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية ويميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم بحيث لايشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضى الله عنه انه سأل عبدالله ابن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى فاما ولدى ولعل والدته خانت فقبل عمر رأسه ومعرفة الرسول مستلزمة لمعرفة الآيات ولهذا قال الناظم رحمه الله وهو عين الحاذق

(ياخير من يمم العافون ساحته)
(سعيا وفوق المتون الاينق الرسم)
(ومن هو الآية الكبرى لمعتبر)
(ومن هوالنعمة العظمى لمغتنم)

جددالنداء تجديدا للحضور بما اشتغل بذكر معجزاته وبيان ماهو اعظم آياته وهوالكتاب الذى جاء من عندالله تعالى فانه البحر المحيط الذى لاتنقضى عجائبها فاقبل ثانيا الى خطاب من هو المقصود بالذات وقال ياخير كل من يقصد اليه ارباب الحاجات والمطالب وافضل كل من يرجى الى ساحته الركائب وخير اسم تفضيل ومن بمعنى الذى والمضاف محذوف اى ياخير كل من او بمعنى الذين وهو عام وافراد الضمير فى ساحته بالنظر

الوريد استصغارا و استبعادا لها من محافل الزلفى واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على انمايقصده امر خطير يعتنى بشأنه وما وقع ههنا امامن قبيل الاول او الثالث فتأمل وخير اسم تفضيل ومن من الفاظ العموم ويمم بمعنى قصد اى ياخير من قصد العافون جمع العافى بمعنى السائل اى السائلون والساحة بالنصب مفعول يمم وهو بمعنى حريم الدار والضمير راجع الى من والساحة من قبيل ذكر المحل واردة الحال اذ شرف المكان بالمكين ولذا قال الشاعر

* وماحب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا *

والمعنى ياخير من قصد السائلون ذاته ونفسه وسعيا بالنصب على انه حال من فاعل العافون فان قيل كيف يجوز كونه حالا منه مع انه لامطابقة بين الحال وذيه لان الحال مفرد وذا الحال جمع قلت كونه حالا باعتبار الافراد كذا قيل فتأمل والمصدر اعنى السعى هنا بمعنى الفاعل اعنى ساعين والواو فى وفوق عاطفة وفوق ظرف متعلق بمحذوف معطوف على سعيا اى كائنين فوق المتون والمتون جمع متن وهو بمعنى ظهر كما فى قوله

* وفرع يزين المتن اسود فاحم * اثيث كقنوالنخلة المتعثكل

والاينق بتقديم الياء على النون مقلوب الانيق بتقديم النون اصله انوق جمع ناقة فقدمت الواو فصار اونق ثم قلبت ياء لمزيد الخفة والرسم بالجر صفة الاينق وهو بضمتين جمع الرسوم وهى الناقة التى تؤثر فى الارض من شدة الوطئ اوناقة تسير سريعا وعلى كلا التقديرين ففيه تجريد ثم اعلم ان هذا القول من الناظم الفاهم اعنى وفوق متون الخ تكملة للكلام الاول يعنى ان الكلام الاول يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من قريب وهذا الكلام يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من مكان سحيق ومطلوبا للرآيين على كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم دنيوية واخروية بمشاهدة النبى الشفيق وحاصل معنى البيت ياخير كل من يقصد اليه ارباب الحاجات والمطالب * وافضل من ترجى الى ساحته الركائب * وكونه خيرمن يقصداليه ارباب الحاجات يدل على كونه قاضيا لحاجاتهم ومعطيا لمقاصدهم

(ومن هوالآية الكبرى لمعتبر * ومن هو النعمة العظمى لمغتنم)

ثم كرر النداء لزيادة اشتياقه الى ذاته الاعلى * مع بيان اوصافه الاسنى * والاشارة الى حكمة عروجه الى سدرة المنتهى فقال ومن هو الخ فالواو عاطفة ومن معطوفة على المنادى اعنى خير فالتقدير يامن هو الآية وهو ضمير فصل

الى اللفظ يممه قصده العافى السائل الساحة حريم الدار سعيا حال اى ساعين على ارجلهم وفوق ظرف متعلق بمحذوف معطوف على سعيا اى وكائنين فوق المتون المتن الظهر الاينق قلب الانيق جمع الناقة والرسم جمع رسوم وهى الناقة التى تؤثر فى الارض من شدة الوطء والتى تبقى على السير يوما وليلة ومن عطف على المنادى الآية العلامة سواء كان معرفا اولا وقوله المعتبر بمعنى لكل معتبر من قبيل قوله تعالى (علمت نفس) اى علمت كل نفس اولكونه واقعة فى سياق النفى من حيث المعنى لان المعنى يامن ليس الآية العظمى لمعتبر الاهو وكذا المغتنم والمراد من المعتبر المستدل على الحق تعالى وعلى دينه الحق المميز بين الحق والباطل والنعمة يطلق على الانعام وعلى المنعم والمراد هنا هو الثانى ولاشك ان اكمل الموجودات يكون الآية الكبرى وان الذى هو اكثر مظهر للرحمة والهداية يكون النعمة العظمى وكونه آية كبرى ونعمة عظمى يظهر للفطن مما سبق من بيان صفاته ومما سيأتى من شرح كمالاته

(سريت من حرم ليلا الى حرم)
(كماسرى البدر فى داج من الظلم)
(فظلت ترقى الى ان نلت منزلة)
(من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم)

يشير الى اعجب امر من الامور بين الله وبين افضل خلقه * واخص عبده واحبهم اليه * واقربهم لديه * واعظمهم قدرا * واكملهم مقاما * وارفعهم درجة * واعلاهم رتبة * وارجلهم منصبا * واكرمهم مثوى * واعزهم منزلة * وادناهم قربة * وافناهم عن انانيته

واذكر عبدنا ايوب

وابقاهم بهويته * واخلصهم لعبوديته * وواحدهم لوحدانيته * وافردهم لفردانيته * واولاهم لتجلى جماله * واحظيهم من كشف جلاله * وهو العبد المطلق من بين سائر عباده * والحبيب المخلص من احبابه * والنبى المفضل على انبيائه * وهو الحر المعتق عن عبودية الموجودات ورق وجوده فلهذا سماه الله تعالى بعبد عبر فيها اسمه ورسمه اسما ما يسمى به احدا من خلقه الاواشعر ببقاء اسمه ورسمه * كما قال عبده زكريا * ومن ههنا يقول كل نبى يوم القيمة نفسى نفسى لبقاء وجودهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول امتى امتى لفناء وجوده وفى قوله سبحانه وتعالى (سبحان الذى اسرى بعبده) اشارة الى حرية نبينا عن عبودية الموجودات * بوساطة فيض التجليات * وخروجه عن ربقة رق وجوده بجذبات جناب الاحدية * ورشحات جوده حيث اضاف سبحانه الفعل الى ذاته عز اسمه وقال اسرى ولم يقل سرى فلم يضف الفعل اليه عليه الصلوة والسلام بخلاف ما قال معراج موسى عم ﴿ ١٧٠ ﴾ حيث اضاف المجئ اليه قال فلما جاء موسى لميقاتنا اشعارا لبقاء اسمه ورسمه ولهذا اوحى عند قربه من الطور بقوله فاخلع نعليك الى وجوب الانخلاع الكلى عن اسمه ورسمه ثم الحبيب لما دنى فتدلى * وكان قاب قوسين اوادنى * وتخلف عنه رفيقه عند سدرة المنتهى * وقال لو دنوت انملة لاحترقت ثم انه عليه الصلوة والسلام اراد ان يخلع نعليه فسمع من انين العرش ان لاتخلع ياحبيب الله ولا تخيبنى عن التشرف بغبار نعليك فان جميع ذلك من آثار الله حيث انمحت هويتك فى هويته واضمحلت انانيتك فى احديته فانت من الله والى الله ولله وبالله ارادتك منه ورجوعك اليه وسعيك له وقيامك به فالكليم مريد ارادة الله فجاء بنفسه وانت مراد ارادك الله فاسرى بك فمن كان مريدا قد سمع جواب لن ترانى ومن كان مرادا يظفر بنيل جميع الامانى (وقصة المعراج) هو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذا اتانى جبريل بالبراق وقيل اسرى به من دار امهانى بنت ابى طالب والاول هو الظاهر لان صاحب المشارق روى باتفاق الصحيحين عن مالك بن صعصعة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا اذا اتانى آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه فاستخرج قلبى ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا وحكمة ثم حشى ثم اقعد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه فركبت عليه فانطلق بى جبريل حتى اتى الى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم عليه السلام فقال جبريل هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح

يفيد القصر والآية بمعنى العلامة التى يميز بها بين الحق والباطل والكبرى تأنيث الاكبر وتنوين معتبر للتكثير اى لكل معتبر والمراد من المعتبر المستدل على الحق تعالى وعلى دينه الحق المميز بين الحق والباطل والواو عاطفة والنعمة عبارة عن المنفعة المعقولة على جهة الاحسان الى الغير وقيل النعمة على قسمين نعمة المنافع كصحة البدن والامن والعافية والتلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح ونعمة دفع المضار من الامراض والبلايا والشدائد والفقر وفى كتب التصوف النعم ست الاولى نعمة النفس وهى الطاعات والاحسان والنفس فيهما تتقلب والثانية نعمة القلب وهى اليقين والايمان وهو فيهما يتقلب والثالثة نعمة الروح وهى الخوف والرجاء وهو فيهما يتقلب والرابعة نعمة العقل وهو الحكمة والبيان وهو فيهما يتقلب والخامسة نعمة المعرفة وهى الذكر والقرآن وهو فيهما يتقلب والسادسة نعمة المحبة وهى الالفة والمواصلة والامن من الهجران وهى فيها تتقلب والنعمة ههنا بمعنى المنعم به لانه عليه السلام نعمة عظمى لكونه رحمة لسائر الخلق مع انه قد صدر عنه نعم كثيرة لايحصى عدد انواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا والعظمى تأنيث الاعظم والمغتنم اما متعلق بالنعمة واما ظرف مستقر صفة للنعمة كما كان قوله لمعتبر صفة للآية والمغتنم على صيغة اسم الفاعل من اخذ الخير واغتنم به يعنى انه عليه السلام هو الآية الكبرى

والنبى الصالح (ثم صعد بى حتى اتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء فلما خلصت اذا يحيي وعيسى عليهما السلام وهما ابنا خالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح (ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت اذا ابو يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد على ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح (ثم صعد بى حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح (ثم صعد ﴿ ١٧١ ﴾ بى حتى اتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت فرد على ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح (ثم صعد بى الى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزت بكى فقيل له ما يبكيك قال ابكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتى (ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم رفع فى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذا سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ما هذان ياجبرائيل قال اما الباطنان فنهران فى الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع الى البيت المعمور ثم اتيت اناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هى الفطرة انت عليها وامتك ثم فرضت على الصلوة خمسين صلوة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما امرت قلت امرت بخمسين صلوة كل يوم قال موسى ان امتك لاتستطيع خمسين صلوة كل يوم وانى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسئله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى مرة اخرى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا ثم رجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر

لكل من اخذ العبرة لانه اكمل الموجودات ونعمة عظمى لكل من علمه غنيمة وخير لانه رحمة وهداية تامة ورافع للظلمات ودافع للشبهات ومقصود للسائلين فى الارض والسموات ثم اعلم ان هذا البيت والبيت الذى قبله اشارة الى حكمة معراج رسول الله عليه السلام وهو انه اختصم الملأ الاعلى وناظروا فى اربع مسائل مقدار الف سنة ولم يوفقوا لحلها فلما بعث نبينا عليه السلام علموا ان هذه المشكلات انما تنحل منه عليه السلام فتضرعوا الى الله تعالى لاجله فدعا الله حبيبه الى مقام قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ومن جملته قوله عليه السلام (رأيت ربى باحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت انت تعلم فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى ثم قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت نعم فى الكفارات والمنجيات والدرجات والمهلكات قال صدقت يا محمد ثم قال ياملائكتى وجدتم حلال المشكلات فاسألوا اشكالكم فقال اسرافيل ما الكفارات فقال عليه السلام اسباغ الوضؤ فى المكاره والمشى بالاقدام الى الجماعة وانتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال ميكائيل وما الدرجات فقال اطعام الطعام وافشاء السلام والصلوة بالليل والناس نيام ثم قال جبرائيل وما المنجيات فقال خشية الله فى السر والعلانية والقصد فى الفقر والغنى والعدل فى الغضب والرضى ثم قال عزرائيل وما المهلكات فقال شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فقال الله

صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوة كل يوم فانى قدجربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فسئله التخفيف لا متك قال سألت ربى حتى استحييت ولكن ارضى واسلم فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتى وخففت عن عبادى وعن ابن عباس رضه انه لما رجع من ليلته وقص القصة على ام هانى وقال مثل لى النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانى بثوبه فقال مالك قلت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم وقال وان كذبونى فخرج فجلس اليه ابوجهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يامعشر بنى كعب فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابى بكر فقال ﴿ ١٧٢ ﴾ انكان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ماهو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء فى غدوة وروحة فلذلك سمى صديقا ومنهم من سافر الى بيت المقدس فاستنعتوه المسجد الاقصى فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالهم وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق وانى لما مررت بهم رأيتهم بالروحاء فندلهم بعير فدللتهم عليه وانا متوجه الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بضَجَنان مررت بالعير فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه مآء قدغطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت مافيه ثم غطيت عليه كما كان وان ذلك العير الآن تضرب من البيضاء ثنية التنعيم فخرجوا يشدون ذلك اليوم فقال قائل منهم هذه والله الشمس قدا شرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت تقدمها جمل اورق كما قال محمد وسألوا عن الاناء فاخبروهم انهم وضعوه مملوا ماء ثم غطوه وانهم انتبهوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا عن البعير قالوا والله لقد انفرنا فى الوادى الذى ذكر وندلنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه حتى اخذناه هذه آيات طريق مكة الى المسجد الاقصى اما بيان حالاته وذكر ماراه من آياته لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره اذهو عليه الصلوة والسلام رأى ببصره الذى مازاغ وما طغى جلائل آيات ربه الكبرى وقد كان ما كان منه مع ربه (فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر * فيالها قصة فى شرحها طول) وبعد ذلك فلنرجع الى حل اللفظ قوله سريت من حرم الى آخره هو الحكم المقصود بالنداء يعنى انه جواب النداء وسريت سرى واسريت بمعنى اذا سرت ليلا وفى الصحاح انما قال

تعالى فى كل ذلك صدق كذا ذكره فى البريقة شرح الطريقة

(سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا الى حَرَمٍ * كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِى دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ)

فلما ذكر النداء فى البيتين السابقين مع الاشارة الى تمام اوصافه واظهار كمال اخلاقه اجمالا اراد ان يأتى بجواب النداء مشيرا ايضا الى اعجب امر آخر من الامور التى بين الله وبين افضل خلقه واخص عباده ولم يعط ذلك الامر لاحد من الانسان بل هو مخصوص بنبى آخر الزمان فقال سريت من حرم الخ سريت على صيغة الخطاب له عليه السلام وسرى لغة فى اسرى بمعنى سار فى الليل وكان الاسراء الذى حصل له قبل الهجرة بجسده وروحه معا ويدل عليه قوله تعالى (سبحان الذى اسرى بعبده) الآية لان العبد اسم للروح والجسد جميعا قال الشيخ الاكبر ان معراجه عليه السلام اربع وثلثون مرة واحدة بالجسد والباقى بروحه رؤيا رآها قبل النبوة من حرم متعلق بسريت والحرم بفتحتين حرم الكعبة شرفها الله تعالى قال فى الدرر اعلم ان البيت لما كان معظما مشرفا جعل له حصن وهو مكة وحمى وهو الحرم وللحرم حرم وهو المواقيت حتى لايجوز لمن وصل اليها ان يجاوزها الا بالاحرام انتهى وفى تفسير روح البيان ان حدود الحرم من جهة المدينة على ثلاثة اميال ومن طريق العراق على سبعة اميال ومن طريق الجعرانة على تسعة

نع سبحان الذى اسرى بعبده ليلا ﴿ ١٧٣ ﴾ وان كان السرى لايكون الابالليل للتأكيد كقولهم سرت امشى نهارا والبارحة ليلا وسقاه ماء معان السقى المطلق لايكون الا من الماء اراد بالحرم الاول مسجد مكة وبالحرم الثانى المسجد الاقصى فكأنه اراد بالحرم الثانى الموضع المحترم والافليس بيت المقدس بحرم وليلا مفعول فيه واراد بتنكيره تقليل مدة السرى وانه سرى فى بعض الليل وتنوين الحرمين للتعظيم كما صفة محذوف وما مصدرية اى سرى مثل سرى البدر والبدر القمر ليلة اربع عشرة وتشبيه سراه بسرى البدر تتضمن تشبيهه به فى سرعة السير والكمال والانارة وقطع المنازل والمشبه به قاصر فى هذه المعانى من المشبه وفى داج متعلق بسرى اسم فاعل من دجى الليل اذا ركد ظلامه والموصوف محذوف اى فى ليل داج ومن الظلم متعلق بداج بتضمنه معنى راكد فظلت معطوف على سريت حذف احد اللامين من ظلت كما فى مست وترق خبر ظلت من رقى صعد ناله وجده نيلا وناله اعطاه نولا وقوله نلت ان كان من الاول فهو مبنى للفاعل وان كان من الثانى فهو مبنى للمفعول والقاب المقدار وقاب قوسين عبارة عن كمال القرب مع رعاية الادب ومن ثمه قيل ينبغى ان يكون بين الاستاد والتلميذ من البعد فى المجلس قدر قوسين ومن امابيانية اى منزلة هى كمال القرب او ابتدائية اى منزلة من كمال القرب ولم تدرك صفة منزلة اى ماادركها ولايدركها احد غيرك وكذا لم ترم اى ماطلب ولا تطلب لانها لاتتيسر لاحد غيرك او حال

اميال ومن طريق الطائف على سبعة اميال ومن طريق جدة على عشرة اميال ثم ان الحرم عام لكل ما كان فى داخل الحرم فلا ينافى ماقال الرواة من انه عليه السلام كان اسراؤه من بيت ام هانى بنت ابى طالب لان بيتها كان فى الحرم وليلا نصب على الظرفية لسريت وهو تأكيد للاسراء والسرى فى لسان العرب لايكون الا ليلا حتى لايتخيل انه كان نهارا ولافادة تقليل مدة الاسراء اى فى جزء من الليل لما فى التنكير من الدلالة على البعضية وهى على ماقيل ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة الاثنين فان قلت فلم جعل المعراج ليلا ولم يجعل نهارا حتى لايكون فيه اشكال وطعن وما الحكمة فى اختيار الليل قلت اجيب عنه بانه انما جعل ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا والليل اخص زمان يجمع المحبين فيه والراحة فى الخلوة متحققة بالليل وقال بعض الفضلاء لعل تخصيصه بالليل (ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم) اذ الليل اخفى حالا من النهار وقيل حكمته انه افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لاتفتخر ان كان شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود فى الى السماء وقال بعض اهل المعارف حكمته انه لما محا الله آية الليل وجعل آية النهار مبصرة كان الليل محزونا ومنكسرا فكان الاسراء بمحمد عليه الصلوة والسلام فى الليل للعدالة وسيظهر جواب آخر من تشبيه الناظم الفاهم فتبصر والى حرم متعلق بسريت والمراد من هذا الحرم المسجد الاقصى والتعبير عنه بالحرم انما هو للمشاكلة وقيل اطلاق الحرم عليه لكونه محترما وقوله كما سرى البدر الخ تشبيه لسيره عليه الصلوة والسلام وقطع المنازل والانارة والمشبه به قاصر وفى داج من الظلم متعلق بسرى وداج صفة موصوف محذوف اى فى ليل داج والداجى من الدجى بمعنى الظلمة فداج بمعنى راكد ظلامه ومن الظلم متعلق بداج بتضمينه معنى راكد والظلم بالضم والفتح جمع ظلمة والمراد اظهار مبالغة الظلمة وما قيل من ان قوله من الظلم ظرف مستقر صفة داج والمراد من الظلم الليل مجازا فبعيد كل البعد ثم اعلم انهم قالوا ان انكار معراجه عليه السلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكونه بروحه وجسده كفر بلا نزاع واما من المسجد الاقصى الى السموات العلى ففيه اختلافات فمنكره لايكون كافرا

(وَبِتَّ تَرْقَى الى اَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً * مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ)

فلما كانت مظنة ان يتوهم من البيت السابق ان سيره انما كان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى دون غيره من المنازل العلى كما ذهب اليه المعتزلة اراد دفعه فقال وبت ترقى الخ فبت ماض مخاطب من البيتوتة وفى نسخة ظلت بفتح الظاء

يكون الخطاب للرسول عليه الصلوة والسلام اى والحال انك لم تدرك تلك المنزلة ولم تطلبها لان طلب الشئ مسبوق بادراكه بوجه ما الى هنا
﴿ وقدمتك جميع الانبياء بها ﴾
﴿ والرسل تقديم مخدوم على خدم ﴾
﴿ وانت تخترق السبع الطباق بهم ﴾
﴿ فى موكب كنت فيه صاحب العلم ﴾
قدم قد يكون لازما بمعنى تقدم ومنه مقدمة الكتاب وقد يكون متعديا والضمير فى بها لبيت المقدس لدلالة المقام او الى المنزلة المذكورة من قبل واما الاسناد اليهم فلانهم لما رضوا بتقدمه فيها فكأنهم قدموه والباء بمعنى فى كما فى صليت بالمسجد ويجوز ان يكون للسببية يعنى قدمتك الانبياء على انفسهم بسبب تلك المنزلة والرسل روى مرفوعا عطفا على الجمع وبالجر عطفا على الانبياء وتقديم مفعول مطلق للنوع والتنوين فى مخدوم وفى خدم للتعظيم والمقدم فى مرتبة المخدوم والمؤخر فى مرتبة الخادم وتأنيث الفعل اما باعتبار المضاف اليه كما فى سقطت بعض انامله اوباعتبار معنى الجميع او باعتبار انضمام المعطوف عليه على رواية الرفع وانت تخترق عطف على الجملة السابقة ولفظ المضارع لحكاية الحال الماضية كما فى اخريها بلادهس فجزت اخترق الطريق قطعه والطباق جمع طبق كجبال وجبل وقيل جمع طبقة كرحبة ورحاب وقيل مصدر طابق اى السبع المطابقات والمراد انها مطبقة موضوعة بعضها فوق بعض وبهم حال من ضمير تخترق اى مارابهم لانه فى كل سماء مر لبعضهم او مصاحبابهم فانه جاء فى بعض طرق

وكسرها فعلى كلتا الفتحتين بمعنى صرت وترق بمعنى تصعد والى متعلق بترق ونلت بكسر النون ماض مخاطب من النيل بمعنى الوصول ومنزلة بالنصب مفعول نلت ومن بيان للمنزلة وقاب قوسين بالنصب محكى على انه محكى عما وقع فى القرآن والقاب بمعنى المقدار والقوسين من قسى العرب وهو عبارة عن كمال القرب مع رعاية الادب وذكر القوس لكونه مذكورا فى القرآن والقرآن نزل بلغة العرب وانما كان قاب قوسين عبارة عن كمال القرب لان عادة العرب ان الاميرين او الخليفتين اذا اراد الصلح وعقد العهد والصفاء خرجا بقوسيهما فالصق كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه والمعنى فقد وصلت الى منزلة هى كمال القرب ومعنى قرب الرسول عليه السلام الى الله ودنوه منه انما هو قرب المكانة لاقرب المكان ولاقرب الزمان بل هو قرب اللطف والمحبة بلا مشابهة الى قرب الانسان ولم تدرك مضارع مجهول مؤنث والجملة صفة منزلة اى لم يدرك تلك المنزلة احد من الانسان ولاملائكة الرحمن بل لم ترم وهو ايضا على صيغة المجهول من الروم بمعنى الطلب اى فقد وصلت الى منزلة لم يطلب تلك المنزلة احد غيرك لانه ممتنع فى حق غيرك فلا وجه لطلب ماهو ممتنع وفى البيت اشارة الى ماورد فى الحديث من انه عليه السلام قال عرج بى جبرائيل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه ربه مااوحى قال العلامة المرزوقى (انه عليه السلام لما قرب الى ربه وكان قاب قوسين قال اللهم انت ماتفعل بامتى قال الله تعالى انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعانى منهم لبيته ومن سألنى اعطيته ومن توكل على كفيته وفى الدنيا استر على العصاة وفى الآخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لماحاسبت امتك) ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه اذا كان احد معقودا فاراد الفتح فليأخذ ثلاث بيضات وليطبخها فى ماء ثم لينزع قشرها ثم ليكتب المصراع الاول من هذا البيت بالحروف المهملة على اثنتين من تلك البيضات بجعل حروف هذا المصراع منقسمة بينهما والمصراع الثانى على ثالثتهما فلتأ كل الثالثة المرأة وليأكل البيضتين الاولين زوجها فان عقده ينفتح باذن الله تعالى
قال الاستاذ طول الله بقاءه وقد جربناه ووجدناه صادقا

﴿ وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا * وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ ﴾

فلما دفع شبهة المشتبهين اراد ان يبين بعض ماوقع فى ذلك السير من الفضيلة له عليه السلام والخير فقال وقدمتك جميع الانبياء الخ قدمتك فعل ماض

من قدم وهو قد يكون متعديا وقد يكون لازما وههنا من الاول اى جعلك جميع الانبياء امامهم واقتدوا بك وصيروك امامهم وجميع بالرفع فاعل قدمتك وتأنيث فعله باعتبار الاضافة يعنى ان الجمع مضاف الى الانبياء والانبياء جمع وكل جمع مؤنث فالجميع قد اكتسب التأنيث بالاضافة الى الانبياء كما فى قولهم قطعت بعض اصابعه وكقراءة تلتقطه بعض السيارة وكقول الشاعر (ع) وما حب الديار شغفن قلبى * والنبى اعم من الرسول والباء فى بها بمعنى فى متعلق بقدمت والضمير راجع الى بيت المقدس بقرينة المقام ويكون الحرم الثانى عبارة عنه وقوله والرسل بالجر عطف على الانبياء والرسل بضم الراء والسين جمع رسول لكن يقرأ فى البيت بالسكون لضرورة الوزن وقولهم تقديم مخدوم صفة موصوف محذوف بتقدير الجار اى تقديما مثل تقديم المخدوم والمصدر مضاف الى مفعوله وعلى خدم متعلق بالتقديم والخدم بفتحتين بمعنى الخادم والمراد من المخدوم فى هذا المقام رسول الله عليه الصلوة والسلام ومن الخادم سائر الانبياء عليهم السلام والبيت اشارة الى ماوقع فى ليلة المعراج من كونه عليه السلام اماما للانبياء فى المسجد الاقصى وصلاته معهم اذروى انه لما اتى صلى الله تعالى عليه وسلم بيت المقدس نزل عن البراق فربطه فى الحلقة التى كانت الانبياء تربطه فيها فدخل المسجد فاذا المسجد مملو بالانبياء فاقيمت الصلاة قال عليه الصلوة والسلام فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدى جبرائيل فقدمنى فصليت بهم ثم خرجت من المسجد فجاء جبرائيل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة الحديث ثم اختلف هل كانت تلك الصلاة قبل عروجه عليه السلام الى السماء او بعده والمستفاد من هذا البيت كونها قبل العروج كما لايخفى وقال القاضى عياض يحتمل ان يكون صلى بهم بيت المقدس قبل العروج وبعده فان فى الحديث مايدل على ذلك ولا مانع منه انتهى ثم انهم اختلفوا فى هذه الصلاة هل هى فرض او نفل فعلى رواية انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم قبل العروج تكون نفلا وعلى رواية انه صلى بهم بعده تكون فرضا اعنى الصبح كذا فى المواهب

﴿ وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ * فِى مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ العَلَمِ ﴾

لما بين ماوقع فى المسجد الاقصى مما يدل على كمال مرتبته العليا اراد ان يبين ايضا بعض ماوقع له بعده من الامور العجيبة والاسرار الغريبة فى السموات العلى ومافوقها من العرش وسدرة المنتهى فقال وانت تخترق السبع الخ الواو للعطف او للحال وتخترق من اخترق الطريق اذا قطعه ومر به

حديث الاسراء انه صلى بالانبياء فى السموات فيكونون تابعوه من بيت المقدس الى السموات الى ماشاء الله وفى موكب حال بعد حال اى كائنا فيهم والمواكب والوكبة جماعة من الفرسان والمراد من الموكب ههنا جماعة من الملائكة وارواح الانبياء ايضا ان كانوا شايعوه وكنت فيه صفة موكب والعلم الراية والمراد من صاحب العلم ههنا المقدم وكبير القوم والذى يدور عليه رحى القوم وقد قال النبى عليه الصلوة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائى والعلم يطلق على الجبل ايضا فالمعنى على هذا صاحب المرتبة العالية الشامخة التى هى اعلى المراتب وصاحب التقدم على الكل وقد خلف الانبياء والرسل وجبريل حتى قال ما منا الا له مقام معلوم ولو دنوت انملة لاحترقت

اى وانت تمر وتقطع وفى اتيان صيغة المضارع مع ان الظاهر صيغة الماضى استحضارا للحال الماضية وفى اتيان لفظ تخترق دون غيره رد للفلاسفة القائلين بان الافلاك اجرام صلبة غير قابلة للخرق والالتيام لانها لو كانت قابلة لهما لكانت اجزاؤها قابلة للتفرق فيلزم ان تكون الجهات محدودة قبلها اذ التفرق لايكون الا بالحركة المستقيمة والجواب ان الاجسام متماثلة الحقائق تقبل الخرق والالتيام فعلى تقدير تسليمه انما يتم فى المحدود دون ماعداه والسبع بالنصب مفعول تخترق لكنه صفة موصوف محذوف اى السموات السبع كما فى قوله فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة اى فزوجة واحدة والطباق صفة بعد صفة للسموات المحذوفة وهو اما مصدر من طابق فحينئذ له ثلاثة اوجه اولها بمعنى مطابقة بعضها بعضا من طابق النعل وهذا وصف بالمصدر وثانيها ان يكون التقدير ذات الطبق وثالثها ان يكون من قبيل قوله فانما هى اقبال وادبار واما جمع فيكون جمع طابق كجبل وجبال وقيل جمع طبقة وبهم حال من فعل تخترق والباء للملابسة اى مارا بهم والضمير للانبياء والرسل فيكون اشارة الى ماروى انه عليه السلام حيث قال جاءنى جبريل فعرج بى الى السماء فلما جئت الى سماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح الباب قال من هذا قال جبريل قال هل معك احد قال معى محمد قال ارسل اليه قال نعم فلما فتح صعدناها فاذا رجل قاعد وعلى يمينه وجوه بيض وعلى يساره وجوه سود اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى فسلمت عليه فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم ابوك وهذه الوجوه بيض التى عن يمينه هم ارواح اصحاب اليمين اهل الجنة والتى سود الوجوه فى شماله هم ارواح اصحاب الشمال اهل النار من اولاده ثم عرج بى الى السماء الثانية قال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ماقال الاول ففتح فصعدناها فاذا فيها يحيى وعيسى عليهما الصلوة والسلام ثم الى السماء الثالثة فاذا فيها يوسف عليه الصلوة والسلام ثم الى السماء الرابعة فاذا فيها ادريس ثم الى السماء الخامسة فاذا فيها هرون ثم الى السماء السادسة فاذا فيها موسى ثم الى السماء السابعة فاذا فيها ابراهيم عليهم السلام ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى العرش اسمع فيه صريف الاقلام ففرض الله على امتى خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله على امتك قلت خمسين صلاة قال فارجع الى ربك فاسئل التخفيف فان امتك لاتطيق ذلك فرجعت فوضع عشرها ثم رجعت الى موسى فقلت وضع عشرها فقال ارجع ربك فان

امتك لاتطيق فراجعت فوضع عشرها ثم رجعت الى موسى فقال ارجع الى ربك فان امتك لاتطيق ففى غايته فرجعت فقال تعالى هن خمس فتلك خمسين لايبدل القول لدى فرجعت الى موسى فقال ارجع الى ربك فقلت استحييت من ربى الحديث ويجوز ان يكون الباء فى بهم بمعنى مع اى مصاحبا معهم فيكون اشارة الى ماوقع فى بعض الروايات من انه عليه السلام لما صلى فى المسجد الاقصى مع الانبياء صعدوا معه الى السموات العلى وهذا يناسب لسباق البيت ولحاقه كما لايخفى وقوله فى موكب حال بعد حال اى كائنا فيهم والموكب جماعة الفرسان والمراد به ههنا جماعة الملائكة على الاحتمال الاول فى بهم بناء على ماروى انه عليه السلام صعد بملائكة عن يمينه وملائكة عن شماله وجماعة ارواح الانبياء على الاحتمال الثانى فيه وكنت بصيغة الخطاب وهو مع خبره صفة موكب والضمير فى فيه لموكب والعلم ههنا اما بمعنى اللواء فيكون كونه عليه السلام صاحب العلم فيهم كناية عن كونه رئيسهم لان صاحب العلم فى القوم يكون رئيسهم او بمعنى الجبل فتكون العلم استعارة بمعنى المرتبة كما لايخفى تعبير استعارته فيكون المعنى فى موكب كنت فيه صاحب المرتبة العالية التى لامرتبة فوقها

(حَتَّى اِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْوًا لِمُسْتَبِقٍ * مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ)

فلما دل البيت الاول على انه عليه الصلوة والسلام صعد السموات مع الملائكة وتوهم منه انهم عليهم السلام لم يفارقوه حتى وصلوا الى قاب قوسين اراد ان يدفعه بتخصيص ذلك المقام بنبينا عليه السلام فقال حتى اذا لم تدع الخ حتى غاية لقوله تخترق واذا للظرفية المحضة فلا تقتضى الجواب او للشرط فجوابه محذوف او قوله خفضت ولم تدع بمعنى لم تترك والشأو بمعنى الغاية اى لم تترك منتهى ولمستبق اما متعلق بلم تدع او ظرف مستقر على انه صفة شأوا ولمستبق على صيغة اسم الفاعل بمعنى طالب السبق وتنوينه للتكثير اى لكل مستبق سواء كان نبيا او ملكا ومن الدنو اما متعلق بلم تدع او صفة شأوا والمراد من الدنو الدنو الى الله ومن الله والمراد من دنوه تعالى نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة اذ لادنو للحق تعالى ولا بعد له ولا مرقى عطف على شأوا وتكرير النفى للتأكيد والمرقى بفتح الميم وسكون الراء بمعنى المصعد والمستنم كالمستبق فى التركيب وهو على صيغة اسم الفاعل من استنم بمعنى المرتفع والمراد من المستنم هو جبريل الامين لانه مرتفع ومطمئن اى متمكن لانه ذو قوة عند ذى العرش مكين ففيه اشارة الى ماروى ان جبريل عليه الصلوة والسلام لما صعد به عليه السلام حتى انتهى

(حتى اذا لم تدع شأوا لمستبق)
(من الدنو ولا مرقى لمستنم)

حتى غاية لقوله تخترق واذا لمحض الظرفية وهى التى يبتدأ بعدها الكلام اوجواب اذا محذوف اوقوله خفضت يقال فلان بعيد الشأو اى بعيد الهمة ويراد به الغاية استبق اخذ السبق اوسعى ليسبق والمراد من الدنو اما قرب المنزلة الى جناب الحق اوما هو المراد من قوله تع دنى فتدلى ومن متعلق بتدع اوصفة لشأو فيتعلق بمحذوف والمرقى اسم المكان من الرقى استنام اليه مال اليه واستنام اطمأن واستنام طلب الراحة وحذف الياء من مستنم للضرورة اى مستنيم اولمستنم من استنم بمعنى تسم اى ارتفع وقوى اخذا من سنام البعير مثل استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقرئ ولا مرقى بلا تنوين على ان لا لنفى الجنس والمراد من المستنم والمستبق اما جبرائيل اما كونه مستبقا فلكونه عريفه ودليله واما كونه مستنما فلانه مرتفع واى مرتفع ومطمئن اى متمكن فانه ذو قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وقد قال ومامنا الا له مقام معلوم ولو دنوت انملة لاحترقت واما نفوس الكمل القدسية

الى سدرة المنتهى وهى شجرة اوراقها مثل آذان الفيلة فى اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان سأل رسول الله جبرائيل عن هذه الانهار فقال له جبريل اما الباطنان ففى الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات فبقى جبريل فى ذلك المقام فقال لو دنوت انملة لاحترقت ولذا قال تعالى فيهم وما منا الا له مقام معلوم ومقامه عليه السلام فى سدرة المنتهى وفى انوار التنزيل روى انها فى السماء السابعة ينتهى اليها علم الخلائق واعمالهم ماينزل من فوقها ويصعد من تحتها ينتهى اليها انتهى

(خَفَضْتَ كُلَّ مَقامٍ بِالْاِضافَةِ اِذْ * نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ)

لما كان مضمون البيت السابق محل شبهة اراد ان يدفعها بتأكيد ذلك المضمون وتقرير ترقيه عليه الصلوة والسلام الى مرتبة لا مرتبة فوقها فقال خفضت الخ خفضت اما بدل من قوله لم تدع او جواب لاذا والخفض حط رتبة وجعل شئ تحت شئ ومنه الخفض فى الاعراب والمعنى جعلت فى الاسفل وتركت فيه وكل مقام بالنصب مفعول خفضت والمقام بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل القيام اى كل مقام من مقامات الانبياء فان قلت ما الفرق بين المقام بفتح الميم والمقام بضم الميم قلت الفرق بينهما مختلف فيه قال بعضهم اذا قرئ من الثلاثى يقرأ بالفتح نحو قام زيد مقام عمرو واذا قرئ من المزيد يقرأ بالضم نحو اقيم فلان مقام عمرو ورده المولى ابو السعود حين سأل سائل بقوله

* ياوحيد الدهر ياشيخ الانام * افتنا فرق المقام والمقام *

فقال الفرق بينهما انه اذا قيل اقيم فلان او قام فلان مقام فلان نظر الى فلان الثانى ان كان المقام له يقال مقام بفتح الميم سواء قرئ الفعل اقام او قام وان كان لغير فلان الثانى فى نفس الامر يقال مقام بضم الميم سواء قرئ الفعل اقيم او قام كالباء من حروف القسم لانها اصل فى القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو فاذا قيل التاء اقيم مقام الواو يقال المقام بالضم لان المقام ليس للواو بل للباء فاذا قيل الواو اقيم مقام الباء يقال المقام بفتح الميم لان المقام للباء فى نفس الامر لانها اصل فى القسم وما وقع فى هذا المقام بفتح الميم كما لا يخفى على ذوى فهم قويم وبالاضافة متعلق بخفضت والمراد من الاضافة ههنا معناها اللغوى اعنى النسبة والمعنى بنسبتك الى مقامك لان مقامك ارفع من مقامات جميع الانبياء والملائكة ويقول هذا الفقير يحتمل ان يكون مراده من الاضافة الاضافة التى وقعت فى سورة الاسراء اى فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده حيث اضيف العبد الى نفسه المراد به رسولنا الذى له كمال فى العبودية لا كمال فوقه الى المعبود الذى لا معبود فوقه فيكون

(خفضت كل مقام بالاضافة اذ)
(نوديت بالرفع مثل المفرد العلم)
(كيما تفوز بوصل اى مستتر)
(عن العيون وسر اى مكتتم)

قوله خفضت اما جواب اذا او بدل من لم تدع او استيناف مؤكد لكمال ترقيه وتعليه الخفض فى الاعراب الحركة التحتانية وخفضه من العلو الى السفل حطه والخفض فى المرتبة والمقام ان يدرك من ترق قبله او معه ويتعداه ويخلفه

اشارة الى كون المعراج بجسده وروحه عليه السلام لان العبد انما يطلق عليهما معا كما سبق واذ ظرف لقوله خفضت اعلم انهم قالوا ان كلمة اذ تستعمل على اربعة اوجه الاول ان يكون اسما للزمان الماضى فحينئذ قد يكون ظرفا نحو فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا الآية وقد يكون بدلا من المفعول نحو واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت وقد يكون مفعولا به نحو واذكروا اذ انتم قليل وقد يكون مضافا اليه لاسم زمان نحو يومئذ والثانى اسما للزمان المستقبل نحو يومئذ تحدث اخبارها والثالث ان يكون للمفاجأة نحو خرجت اذ زيد قائم لكن هذا قليل الرابع ان يكون للتعليل نحو ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وما وقع فى هذا المقام من اول الاول ومن جعله للتعليل فلم يأت بشئ يشفى العليل ونوديت فعل ماض مجهول على صيغة الخطاب من النداء بمعنى طلب الاقبال والمنادى هو الله تعالى حيث روى انه تعالى قال له عليه الصلوة والسلام فى تلك الليلة ادن يا محمد ادن يا محمد وقوله بالرفع اى ملتبسا برفع الله تعالى اياك فالمراد بالرفع معناه اللغوى اعنى الارتفاع لا النحوى ومثل بالنصب صفة مصدر محذوف منصوب على المفعول المطلق والمفرد بمعنى المنفرد الواحد فى قومه والعلم بفتحتين بمعنى العالى والتشبيه فى الارتفاع والامتياز عن سائر جنسه وحاصل معنى البيت جعلت وتركت فى الاسفل كل مقامات الانبياء ومراتب الاصفياء ببركة اضافتك الى رب الكريم وشرافة نسبتك الى الخالق العظيم حين طلب الله تعالى اقبالك بفضله وعنايته مميزا اياك عن سائر الناس مثل ما يطلب المميز فيما بين الانام بنحو يا هذا الرجل بالتعظيم والاكرام ثم اعلم ان فى هذا البيت من صنائع البديع صنعة مراعاة النظير وهى جمع امر وما يناسبه لا بالتضاد حيث جمع بين الخفض والاضافة وبين النداء والرفع والمفرد العلم وصنعة الطباق وهو الجمع بين المعنيين المتقابلين فى الجملة يعنى بين الخفض والرفع كما لا يخفى على اهل الصنائع والله الحافظ من الموانع

(كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ اَىِّ مُسْتَتِرٍ * عَنِ الْعُيُونِ وَسِرٍّ اَىِّ مُكْتَتِمِ)

فلما ذكر سيره ومعراجه عليه الصلوة والسلام من الارض الى السموات العلى بالاكرام وكانت علته الغائية خفية بين اولى الاوهام اراد ان يبينها باختصار فى الكلام فقال كيما تفوز الخ فكى حرف جر بمعنى اللام للتعليل وما زائدة وتفوز منصوب بان مقدرة بعد كى او منصوب بكى فيكون كى بمعنى ان واللام مقدرة قبلها وتفوز من الفوز بمعنى الظفر وبوصل متعلق بتفوز والمراد من الوصل الوصلة الى الله تعالى واى مستتر صفة لمحذوف اى بوصل مستتر اى مستتر بمعنى كامل الاستتار وعن العيون متعلق بمستتر والعيون

والمراد من المقام نهاية سير الكامل ولكل سائر الى الله مقام معلوم ينتهى اليه وليس له ان يتعداه وذلك بحسب كماله وترقيه الا بمحض العناية ويجوز ان يكون المضاف محذوفا اى كل صاحب مقام وخفض المقام يستلزم خفض صاحبه وبالعكس بالاضافة اى بالنسبة الى مقامك لان مقامات الكمل مخفوضة ونازلة مطلقا واذ ظرف الخفض والنداء طلب الاقبال بالرفع اى ملتبسا برفع الله اياك مصدر معلوم او مجهول والمراد من المفرد المفرد بالفضائل والكمالات

جمع عين بمعنى الباصرة والمراد جميع عيون الناس حتى عن اعين الملائكة والانبياء وقوله وسر بالجر معطوف على توصل واى مكتتم كاى مستتر بمعنى كامل فى الاكتتام ثم اعلم ان فى قوله بوصل اشارة الى رؤيته عليه السلام ربه والمناجاة له وقد اختلف القوم فى انه عليه السلام رأى الله تعالى فى ليلة الاسراء بقلبه او بعين رأسه فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرأى بفؤاده فيكون معنى قوله تعالى له (ما كذب الفؤاد ما رأى) على هذا ما كذب الفؤاد ما رأى به الفؤاد وقال بعضهم رأى بعينه لقوله عليه السلام ان الله اعطى موسى الكلام واعطانى الرؤية وقوله عليه السلام رأيت ربى فى احسن صورة اى صفة قال فى الكواشى هذا الاحجة فيه لانه يجوز انه اراد الرؤية بالقلب بان زاده معرفة على غيره وقال الحق فى روح البيان يقول الفقير ايراد الرؤية فى مقابلة الكلام يدل على رؤية العين لان موسى سألها فمنع منها فاقتضى ان يفضل نبينا عليه السلام بما منع منه وهو الرؤية البصرية ولاشك ان الرؤية القلبية يشترك فيها جميع الانبياء حتى الاولياء وقد صح ان موسى عليه السلام رأى ربه بعين قلبه حين خر فى الطور مغشيا عليه وحمله على زيادة المعرفة لايجدى نفعا انتهى وقال بعض الفضلاء ذكر الله تعالى فى الآية رؤية فؤاده عليه الصلوة والسلام ولم يذكر رؤية العين لان رؤية العين سر بينه وبين حبيبه والى هذا اشار الناظم بقوله وسر اى مكتتم والحاصل انا نذهب الى صحة رؤيته بعينه وبقلبه لحديث رواه مسلم فى صحيحه رأيت ربى بعينى وبقلبى ولكنا عاجزون عن درك كيفيتها وفى قوله سر اى مكتتم اشارة الى اسرار لاتنكشف لاحد غير محمد عليه الصلوة والسلام على مايدل عليه قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما اوحى) قال بعض الفضلاء ستر الله تعالى بعض ما اوحى الى عبده عليه السلام عن الخلق لئلا يطلع عليه غيره لان ذلك من خواص محبته ومعرفته وعلو درجاته اذ بين الاحباب يجرى من الاسرار مالايطلع عليه غيرهم من الاجانب والاغيار انتهى قال الشاعر

* لايكتم السر الا كل ذى خطر * والسر عند كرام الناس مكتوم *
* والسر عندى فى بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم *

وقال آخر * بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا قلم للخلق يحكيه *
* سر يمازجه انس مقابلة * نور يحير فى بحر من التيه *

وقال بعض اهل الحال لو بين كلمة من تلك الاسرار لجميع الاولين والآخرين لماتوا جميعا من ثقل ذلك الوارد الذى ورد من الحق على قلب عبده وتحمل

ومن العلم العالم المشهور العالى القدر يعنى طلب الله اقبالك بفضله وعناياته مثل مايطلب فيما بين الناس مثل ياهذا الرجل بالتعظيم والاكرام فانه روى ان جبرائيل جاء بالبراق ودعاه بغاية التعظيم والاحترام كيما متعلق بالمذكور او بالمحذوف اى كان ماكان كيما تفوز اى تظفر بوصل اى مستتر اى بوصل مقول فيه اى مستتر كامل فى استتار لايطلع عليه احد ولايكتنه كنهه كما يقال هو رجل اى رجل اى رجل كامل فى الرجولية والعيون اما بمعنى الاعيان اى الخيار او بمعنى البصائر وسر عطف على بوصل وهو الامر المستور والمراد ههنا حقائق ومعان واسرار كاملة لاتنكشف لاحد غيره صلى الله عليه وعلى آله

ذلك المصطفى عليه الصلوة والسلام بقوة ربانية ملكوتية لاهوتية البسه الله اياها ولولا ذلك لم يتحمل ذرة منها لانها انباء عجيبة واسرار ازلية لو ظهرت كلمة منها لتعطلت الاحكام ولفنيت الارواح والاجسام واندرست الرسوم واضمحلت العقول والعلوم وقال بعض المفسرين ان ما اوحى اليه عليه السلام تلك الليلة على اقسام قسم اداه الى العوام وهو الاحكام والشرائع وقسم اداه الى الخواص وهو المعارف الالهية وقسم اداه الى اخص الخواص وهو الحقائق والنتائج للعلوم الذوقية وقسم آخر بقى معه لكونه مما خصه الله تعالى به وهو السر الذى بينه وبين الله تعالى عز وجل

(فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ * وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحِمِ)

لما بين العلة الغائية للمعراج من الوصلة الى جمال الرب الفراج ومن نيله السر الذى لم يطلع عليه احد من الاولياء والانبياء والملائكة الذين هم فى السموات كالسراج الوهاج اراد ان يبين بعض مايتفرع على تلك الوصلة من الفضائل والفواضل التى نورث للامة السرور والابتهاج ومايدفع به بلاياهم فى الدنيا ومانجيهم فى الآخرة من عذاب ذى اذعاج فقال فحزت كل فخار الخ الفاء للتفصيل والتفريع وحزت على صيغة الخطاب كقلت من حاز بمعنى جمع والخطاب له عليه السلام اى جمعت وكل بالنصب مفعول حزت والفخار بكسر الفاء مايفتخر به من الفضائل والفواضل والشمائل وغير بالنصب على انه حال من فاعل حزت او على انه صفة كل ومجرور على انه صفة لفخار وجزت عطف على حزت وهو بالجيم والزاى من الجواز كما كان الاول بالحاء المهملة والزاى من الحوز وجزت بمعنى عبرت وذهبت وتعديت وكل مقام ككل فخار وغير مزدحم كغير مشترك والمزدحم كالمشترك اذ كلاهما اسم مفعول بمعنى المصدر فالمشترك بمعنى الاشتراك والمزدحم بمعنى الازدحام بمعنى الاجتماع والمنازعة قال بعض الفضلاء المراد بكل فخار غير مشترك مثل الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والشفاعة العظمى والمقام المحمود واللواء الممدود ومن المقام الغير المزدحم مقام المحبة وختم النبوة والرسالة العامة وامثالها مع مافيه من الاشارة الى ماروى عنه عليه الصلوة والسلام فى حديث الاسراء حيث قال فتقدمت وجبريل على اثرى حتى انتهى بى الى حجاب الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال انا جبريل ومعى محمد قال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى فوضعنى بين يديه فى اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لى تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بى الملك فى اسرع من طرفة عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال ملك من وراء

(فحزت كل فخار غير مشترك)
(وجزت كل مقام غير مزدحم)
(وجل مقدار ماوليت من رتب)
(وعز ادراك ماوليت من نعم)

حازه جمعه والمراد من الفخار مايفتخر به من الفضائل والكمالات جازه تعداه وقوله غير مشترك حال كغير مزدحم من الفاعل والمفعول معا فان الكل الذى هو حازه ماشاركه فيه احد وكذا الكل الذى هو جازه مازاحمه فيه احد ومعنى جزت كل مقام اى غير مقامك والمخصص هو العقل كما فى

الحجاب من هذا قال انا صاحب الحجاب الذهب وهذا محمد معى فقال الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى حتى وضعنى بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزبى سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف اخضر يغلب ضوؤه ضوء الشمس ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملنى حتى وصلت الى العرش فابصرت امرا عظيما ثم تدلى لى قطرة من العرش فوقعت على لسانى فما ذاق الذائقون شيئا قط احلى منها وانبأنى الله بها نبأ الاولين والآخرين الحديث

﴿ وَجَلَّ مِقْدَارُ مَاوُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ * وَعَزَّ اِدْرَاكُ مَااُولِيتَ مِنْ نِعَمِ ﴾

لما كان فى ليلة المعراج اسرار بين رسولنا وربنا الفراج وكانت تلك الاسرار مكنونة عند الاخيار والابرار حتى عجز كل من بين اخبار تلك الليلة العظيمة عن بيان تلك الامور الجليلة اراد الناظم الفاهم ايضا بيان عجزه عنها ببيان جلالة ماوقع فيها وبيان عدم ادراك احد من الخلائق ما كان بينهما من الاسرار والدقائق فقال وجل مقدار الخ بالواو للاستيناف وجل بمعنى عظم والمقدار بالرفع فاعل جل ووليت ماض مجهول على صيغة الخطاب من ولاه اى جعله واليا ومن رتب بيان لما والرتب جمع رتبة وعز معطوف على جل وعز اى عسر وندر والادراك الاحاطة بالشئ ذاتا وصفة واوليت ماض مجهول على صيغة الخطاب ايضا لكنه من اولاه بمعنى اعطاه والمعنى مااعطيت ومن نعم بيان لما والنعم بكسر النون وفتح العين جمع نعمة وفى قوله ماوليت من رتب اشارة الى كونه عليه الصلوة والسلام واليا يوم القيامة على اهلها بالشفاعة حيث اعطى له الشفاعة ليلة المعراج وكذا مما اعطى له فيها مااوحى اليه من ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك وقوله تعالى له عليه الصلوة والسلام لولاك لما خلقت الافلاك وكذا اعطى له فيها قوة جبروتية يهلك بها اعداءه وغير ذلك مما لايحيط به قلم وفى قوله مااوليت من نعم اشارة الى اعطائه تعالى له عليه الصلوة والسلام فيها علم الاولين والآخرين وجعل امته خير الامم وارسال النصيحة لامته حيث روى عنه عليه الصلوة والسلام انه قال شكا الى الله تعالى من امتى ليلة المعراج شكايات الاولى انه قال انى لم اطلب منهم اليوم عمل الغد وهم يطلبون منى رزق الغد والثانية انه قال لا ادفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيرى والثالثة انه قال انهم يأكلون رزقى ويشكرون غيرى ويخونون معى ويصالحون خلقى والرابعة ان العزة لى وانا المعز وهم يطلبون العز من سواى والخامسة انى خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا انفسهم فيها

قوله تعالى خالق كل شئ ولاه العمل اوالبلدة قلده ورأسه فيه وماموصولة ومن بيان مافى الموضعين عز غلب وعز الشئ تمنع وعز حصوله اوالظفر به اولاه اعطاه والمراد من الادراك العلم ان اريد من النعم العلوم والحكم والحقائق والمعارف وان اريد اعم من تلك فالمراد منه الوجدان وفى البيتين من التجنيس وغيره من المحسنات مالايخفى

﴿ وقال ﴾

وقال قل لامتك ان اجبتم احدا لاحسانه اليهم فانا اولى به لكثرة نعمتى عليهم وان خفتم احدا من اهل السماء والارض فانا اولى بذلك لكمال قدرتى وان انتم رجوتم احدا فانا اولى به وان انتم استحييتم من احد لجفائكم اياه فانا اولى به لان منكم الجفاء ومنى الوفاء وان انتم آثرتم احدا باموالكم وانفسكم فانا اولى بذلك لانى معبودكم وان صدقتم احدا فى وعده فانا اولى بذلك لانى انا الصادق وكذلك قال تعالى له عليه الصلوة والسلام يامحمد لم اكثر مال امتك لئلا يطول حسابهم يوم القيامة ولم اطل اعمارهم لئلا تقسو قلوبهم ولم افجأهم بالموت لئلا يكون خروجهم من الدنيا بدون التوبة واخرتهم فى الدنيا عن الآخرين لئلا يطول فى القبور حبسهم كذا فى الروح البيان تفسير القرآن لاسماعيل حقى صاحب الكشف والعرفان

﴿ بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الاِسْلَامِ اَنَّ لَنَا * مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ ﴾

لما بين من اول هذه القصة اللطيفة الى هنا مايدل على افضليته عليه السلام واشرفيته من جميع الانام وعلو رتبته وسمو درجته وكونه نائلا للنعم الكثيرة والاسرار والكلم الغفيرة وكأن قائلا قال هل اصاب شئ امته من تلك النعم وهل طاب لهم ذلك العروج وكان فى حقهم من الكرم اجاب عنهم بالبشارة والسرور وبيان نعمة مااصابهم من ذلك العبور فقال بشرى لنا الخ بشرى اما خبر مبتدأ محذوف اى هذه القصة بشرى ولنا صفة او مبتدأ اى بشرى قد ثبتت واما بشرى مبتدأ خبره لنا فحينئذ يرد عليه ان بشرى نكرة والمبتدأ لاتكون نكرة ويجاب بانه مخصص لانه موصوف بصفة محذوف اى بشرى عظمى اوبانه فاعل فى المعنى اى ماثبت بشرى ثم ان البشرى بمعنى المسرة والفرح ومعشر بالنصب على انه منادى اوعلى الاختصاص كما فى الحديث نحن معاشر الانبياء لانورث والمعشر بمعنى الجماعة قال فى كليات ابى البقاء كل جماعة امرهم واحد فهو معشر والتسمية بجماعة الاسلام خاص بهذه الامة لان التسمية باسم المسلم من خصائصهم كما سيأتى وقوله ان بكسر الهمزة تعليل للدعوى المستفادة مما سبق اى البشارة مخصوصة لنا فترتيب قياسه هكذا البشارة خاصة لنا يامعشر الاسلام لان لنا من العناية ركنا غير منهدم وكل من شانه كذا فالبشارة خاصة له فينتج المطلوب ولنا ظرف مستقر مرفوع على انه خبر ان واسمه قوله الآتى ركنا ومن العناية ظرف مستقر منصوب على انه حال من ركنا قدم على ذى الحال لكونه نكرة وجعله صفة لركنا بعيد كل البعد كما لايخفى والمراد من العناية مزيد الاعتناء بمصالحهم والكرامة عليهم وهى العنايات الازلية التى تورث السعادة

﴿ بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا ﴾
﴿ من العناية ركنا غير منهدم ﴾
﴿ لما دعى الله داعينا لطاعته ﴾
﴿ باكرم الرسل كنا اكرم الامم ﴾

بشرى اسم من البشارة ويراد به الخبر السار المغير للبشرة وقد يراد به الطيبة والبهجة الحاصلة به وقوله بشرى لنا اما خبر مبتدأ محذوف اى حاصل البيان المذكور بشرى ولنا صفة او مبتدأ وخبره محذوف اى بشرى لنا قد ثبتت اوقوله بشرى مبتدأ ولنا خبره اما على طريقة شر اهر ذا ناب وفيه وجهان احدهما انه فاعل معنى والثانى انه موصوف بصفة محذوفة فعلى الاول ماثبتت بشرى بمثل هذا المذكور الا لهذه الامة وعلى الثانى بشرى عظيم لاتكتنه اختصت لنا اوعلى مذهب سيبويه ان النكرة تصلح للابتداء اويكون منادى كما فى قوله تع يابشرى هذا غلام اى تعال فان هذا اوانك ولنا صفة او بتقدير كونى لنا ومعشر الاسلام منصوب على انه منادى او على الاختصاص كما فى نحن معاشر الانبياء وان لنا استيناف كما فى قوله ان ذاك النجاح فى التنكير والمراد من العناية مزيد الاعتناء لمصالحهم وارادة مزيد الخير والكرامة من حضرت واهب العطيات وهى العناية الازلية التى تورث السعادة الابدية ومن جملتها اخراج هذه الامة عقيب

الابدية وهى الخصائص التى لم توجد فى سائر الامم منها احلال الغنائم ولم تحل لامة قبلها ومنها انه جعل الارض لهم مسجدا ومنها انه جعل تراب الارض لهم طهورا ومنها الوضوء فانه لم يكن الا للانبياء دون اممهم ومنها مجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد غيرهم ومنها الاذان والاقامة ومنها البسملة حيث لم تنزل على احد من الامم ومنها التأمين خلف الامام ومنها الاختصاص بالركوع ومنها الصفوف فى الصلاة كصفوف الملائكة ومنها الجمعة ومنها ساعة الاجابة التى فى الجمعة ومنها انه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ومن نظر اليه لايعذبه ابدا ومنها تزيين الجنة لهم فيه واستغفار الملائكة لهم فى كل ليلة منه وكون ذنوبهم مغفورة جميعا فى آخر ليلة منه ومنها السحور وتعجيل الفطر ومنها ليلة القدر ومنها ان لهم الاسترجاع عند المصيبة ومنها ان الله تعالى رفع عنهم الاصر والاغلال ومنها ان الله تعالى لم يجعل عليهم فى الدين من حرج ومنها ان الله تعالى رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لايشاركهم فيه غيرهم الا الانبياء ومنها ان شريعتهم اكمل الشرائع ومنها انهم لايجتمعون على الضلالة ومنها ان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة ومنها انهم اقل الامم عملا واكثرهم اجرا ومنها ان الطاعون شهادة ورحمة لهم وكان على سائر الامم عذابا ومنها انهم اذا شهد منهم اثنان لعبد بخير وجبت له الجنة ومنها انهم اوتوا الاسناد وهو خصيصة فضيلة من خصائص هذه الامة ومنها انهم اوتوا تصنيف الكتب ومنها ان فيهم اقطابا واوتادا ونجباء وابدالا ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب لانها تغفر لهم باستغفار المؤمنين لهم ومنها انهم اختصوا فى الآخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من بين الامم ومنها انهم يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ومنها انهم يكونون فى الموقف على مكان عال ومنها انهم يؤتون كتابهم بايمانهم ومنها انهم يدخل الجنة منهم سبعون الفا بغير حساب ومنها انهم يدخلون الجنة قبل سائر الامم وركن الشئ جانبه الاقوى الذى يستند ذلك الشئ اليه لغة قال الله تعالى (او آوى الى ركن شديد) وفى الاصطلاح ركن الشئ مايقوم به ذلك الشئ والمراد ههنا معناه اللغوى اعنى معنى المستند يعنى ان لنا مستندا وطرفا قويا وهو النبى عليه الصلوة والسلام وشريعته وغير منهدم بالنصب صفة ركنا ومنهدم اسم فاعل من الانهدام بمعنى الزوال والمعنى غير مخوف انتساخه فان هذه الشريعة باقية الى يوم التناد بعناية رب هاد

(لَمّا دَعَا اللهُ دَاعِينا لِطاعَتِه * بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنّا أَكْرَمَ الأُمَمِ)

(لما كان)

جميع الامم ذلك من مزايا اللطف والكرم حيث ارانا احوال الامم السابقة فى القرون الماضية من اهلاكهم بانواع العقوبات وارادتهم باصناف البليات والنكبات وانزاله الهوان بالمسخ وغيره عليهم وايصاله المكاره والعوادى اليهم لما نبذوا وراء ظهورهم انباء الانبياء واقتفوا آثار آبائهم فى اتباع الاهواء فنبهنا به على كمال محافظة الآداب ان فى ذلك لآيات لاولى الالباب واليه اشار النبى صلى الله عليه وسلم امتى امة مرحومة ركن اليه مال وركن الشئ مايعتمد عليه ذلك الشئ ويكون مبناه ومستنده غير منهدم اى غير مخوف انهدامه اى انتساخه فان هذه الشريعة نسخت كل شريعة وهى باقية الى يوم التناد وفى تقديم لنا تعريض الى نسخ سائر الشرائع واشار الى ان لنا شافعا مشفعا لايخاف رد شفاعته لما للنفى فى المستقبل وفى الماضى للظرف والشرط وفى غيرهما بمعنى الا نحو ان كل نفس لما عليها حافظ دعاه بزيد سماه به ودعاه طلبه فالدعاء الاول من الاول والثانى من الثانى وسكون الياء فى داعينا كما فى اعط القوس باريها والمراد بداعيها لطاعته النبى صلى الله عليه وسلم وباكرم متعلق بدعى الله اى سماه به ووجه تسميته اياه باكرم الرسل انه ثبت عنه بالاخبار الصحيحة انه قال انا سيد

لما كانت الصغرى المذكورة فى البيت السابق اعنى قوله ان لنا من العناية الخ نظرية اراد ان يثبتها فقال لما دعا الله الخ فترتيب قياسه هكذا ان لنا من العناية ركنا متينا لانه لما دعا الله داعينا لطاعته باكرم الرسل كنا اكرم الامم وحيثما كنا اكرم الامم فان لنا من العناية ركنا غير منهدم لكن المقدم حق فالتالى مثله ثم ان لما ظرف بمعنى اذ يليه فعل ماض لفظا او معنى وههنا وليه ماض لفظا ويكون جوابه فعلا ماضيا لفظا كما وقع ههنا او معنى اتفاقا وقد يكون جوابه ماضيا مقرونا بالفاء وقد يكون جملة اسمية مقرونة باذا المفاجأة وبالفاء عند ابن مالك وفعلا مضارعا عند ابن عصفور وقد يكون لما حرف استثناء بمعنى الا فتدخل على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) اى الا عليها وقد يكون فعلا نحو لم لما لموا وتكون جازمة اذا دخلت على المضارع قال فى الارشاد فى قوله تعالى (وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا) ان لما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد منه الوقت المعين انتهى وكذلك ماوقع ههنا ودعا بمعنى سمى والله فاعله وداعينا مفعول دعا وسكون يائه للضرورة والداعى ههنا بمعنى الهادى والسفير للدعوة والمراد به رسول الله عليه الصلوة والسلام ولطاعته اللام بمعنى الى متعلق بداعينا والطاعة بمعنى العبادة والضمير اما راجع الى الله والى الداعى المراد به الرسول والطاعة له طاعة لله ولذا قال تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وباكرم الرسل متعلق بدعا الله ووجه تسميته تعالى اياه عليه الصلوة والسلام باكرم الرسل قد ثبت بالاخبار الصحيحة كقوله عليه الصلوة والسلام انا اكرم الخلق على الله وآدم ومن دونه تحت لوائى وقد سبق تفصيله وكنا جواب لما واكرم الامم بالنصب خبر كنا والامم جمع امة والامة بمعنى الجماعة فان كل امة جماعة انبيهم والنبى امامهم والحاصل ان كونه عليه الصلوة والسلام اكرم الرسل سبب لكوننا اكرم الامم لان الامة تابعة والنبى متبوع فاكرمية التابع انما هى من اكرمية المتبوع وبعض اهل الكلام من العلماء الاعلام جعل القضية بالعكس كما لايخفى على اولى الافهام ثم اعلم انه مما يدل على اكرمية هذه الامة حديث ذكره ابو نعيم فى الحلية عن انس انه قال قال رسول الله عليه الصلوة والسلام اوحى الله تعالى الى موسى نبى بنى اسرائيل انه من لقينى وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال يارب ومن احمد قال تعالى ماخلقت خلقا اكرم على منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل ان اخلق السموات والارض وان الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون ازارهم اوساطهم

ولد آدم وانا اكرم الخلق على الله وآدم ومن دونه تحت لوائى وقد علم انه ماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وكنا جواب لما اى كونه اكرم الرسل سبب لكوننا اكرم الامم ويحتمل ان يكون من قبيل قولك لما كان النهار موجودا فالشمس طالعة يعنى لما سمى الله امته خير امة حيث قال كنتم خير امة اخرجت للناس وجعلناكم امة وسطا عرفنا انه خير الرسل كما استدل به بعض اهل الكلام فيه *

ويظهرون اطرافهم صائمون بالنهار ورهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة (ان لااله الاالله) قال موسى يارب فاجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستأخرت ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال

(رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَى اَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ * كَنَبْأَةٍ اَجْفَلَتْ غُفْلًا مِنَ الْغَنَمِ)

لما فرغ من قصة المعراج ومايتعلق به من حصول الوصول وقطع كل مراتب من الفروع والاصول وصعوده الى مافوق سدرة المنتهى وبلوغه الى المقصود والمنى شرع في بيان بعض غزواته وشجاعة صحابته في المجاهدة والجهاد لدفع اهل الكفر والعناد وتطهير الارض من اهل الزيغ والفساد فبين اولا وقوع الخوف في قلوبهم بهيبة اخبار بعثته وانباء نبوته فقال راعت قلوب العدى الخ راعت من الروع بمعنى التخويف وقلوب العدى بالنصب مفعول راعت وهو جمع قلب وهو محل الادراك وكيفية ادراكه مجهولة وكونه عبارة عن الروح المسمى بالقوة العاقلة والنفس الناطقة على مافي التلويح لم تقم عليه شبهة فضلا عن الحجة وقد يطلق على المضغة التي في الجانب الايسر والمراد به هنا المعنى الاول كما لايخفى والعدى بكسر العين مقصور جمع عدو كالاعداء والمراد بهم اعداء الدين اعني الكفار والمشركين والانباء بالرفع فاعل راعت وهي جمع نبأ بمعنى الخبر وخبر البعثة وان كان في ذاته واحدا جمع بالنظر الى المخبر به لانه كثير او باعتبار المخبرين او جمعه مجاز للتعظيم لشانه فتدبر والبعثة مصدر بمعنى الرسالة والنبوة والضمير راجع اليه عليه السلام اي كونه مرسلا وكونه مدعيا للنبوة واظهار بطلان اديانهم وكسر اصنامهم في عيانهم ثم اتى بنظير لكون اعدائه متفرقة بخبر نبوته فقال كنبأة الخ النبأة بمعنى صوت الاسد وجملة اجفلت صفة نبأة وهو من الافعال بمعنى الاهراب اي اهربت وفرقت وافزعت وغفلا بالنصب مفعول اجفلت والغفل بضم العين جمع غافل والغنم اسم جنس يقع على الكثير والقليل وحاصل المعنى ان اخبار نبوته وآثار بعثته خوفت قلوب الاعداء من الكافرين من اهل الكتاب والمشركين مثل صيحة الاسد اذا هربت الاغنام الغافلة وفرقت جمعهم بهيبة عالية وفي هذا البيت اشارة الى نصرته عليه السلام بالرعب اذ ورد في الحديث الصحيح انه عليه الصلوة والسلام قال نصرت بالرعب مسيرة شهر وفي حديث شهرين حيث وقعت الهيبة في قلوبهم بلا جهاد ولا مقاتلة بل من عند الله تعالى فكانوا يجيئون من الاقطار ويؤمنون بالنبي المختار

(مَازَالَ يَلْقَاهُمُو فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ * حَتَّى حَكَوْا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ)

(راعت قلوب العدى انباء بعثته)
(كنبأة اجفلت غفلا من الغنم)
(مازال يلقاهمو في كل معترك)
(حتى حكوا بالقنا لحما على وضم)

راعه اعجبه وراعه خوفه والنبأ الخبر الذي له شأن والنبأة الصوت وهو المراد هنا والبعثة غلب في الاستعمال في النبوة والرسالة جفل جفلا وهو نوع من العدو فعدي بالهمزة والغفل جمع اغفل وهو المتروك بلاعلامة ورجل اغفل البليد الغافل الذي لايحس بالامارات الواضحة والاشارات اللائحة والمعترك موضع الازدحام واسم المفعول من مزيد الثلاثي يصلح لاربعة معان حكاه شابهه وحكى الخبر والسمر قصه والباء للسببية اي بسبب حرب القنا والوضم خشب يقطع القصاب اللحم عليه ويترك معد الكل من يميل اليه يعني تركهم قتلى بالقراع وقطعهم اكلة للسباع وقوله قلوب مفعول راعت وقول انباء فاعله فمازال ضمير الشان قوله في معترك اي عند المقاتلات * والبيت الاول ينظر الى قوله عليه الصلوة والسلام نصرت بالرعب مسيرة شهرين والبيت الثاني ينظر الى قوله صلى الله عليه وسلم انا نبي السيف والملحمة عليه افضل الصلوات والتحية *

(ثم)

ثم شرع في بيان جهاده وقتاله في المعارك والكتائب وكونه غالبا عليهم بالرماح والقواضب فقال مازال يلقاهم الخ مازال بمعنى دام مجازا ويلقاهم من اللقاء بمعنى الملاقاة وفاعله راجع الى النبي عليه السلام وضمير مفعوله راجع الى الكفار ويقرأ يلقاهمو باشباع ضمة الميم لضرورة الوزن والمعترك على صيغة المفعول بمعنى المعركة ومحل الحرب يعني كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلقى الكفار في محل الحرب كلما خرج لاجل المقاتلة ويغلب عليهم وكان عدد مغازيه عليه السلام التي خرج فيها بنفسه تسعا وعشرين مرة قاتل في تسع منها بنفسه وهي بدر واحد والمريسيع والخندق وبني قريظة وخيبر وحنين والطائف وفتح مكة وسيأتي بيان بعضها ان شاء الله تعالى وحتى متعلق بمقدر اي كان يلقاهم في كل معترك ويقتلهم حتى حكوا وحكوا من حكى بمعنى شابه كما في قوله

* ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان مايحكى *

وضمير الجمع راجع الى الكفار يعني شابه الكفار بالقنا وهو بفتح القاف بمعنى الرمح والباء فيه للسببية وفيه حذف مضاف اي بسبب ضرب القنا ولحما منصوب مفعول لحكوا وعلى وضم ظرف مستقر على انه صفة لحما والوضم بفتحتين خشب او حديد يقطع القصاب اللحم ويعلقه عليه ويترك معدا لكل من يميل اليه ويرغب فيه وحاصل معنى البيت دام النبي عليه الصلوة والسلام مجاهدا اعداء الاسلام في كل معركة وكتيبة حتى تركهم جرحى وقتلى على رؤس القنا مشابهين اللحم الموضوع على الخشب والكلاليب والمتروك في العيان بلا حجب ولايخفى مافيه من تشبيه الاصحاب بالقصاب والكفار بالغنم ورماح الاصحاب بسلاح القصاب في كمال شجاعته واصحابه واتباعه واحزابه وكون قلوب الاعداء في غاية الجبانة في السر والعلانية وكون موتاهم معلقة على الرماح مع فضاحة وافتضاح

(وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ * اَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّخَمِ)

لما بين خروجه عليه السلام والملاقاة للكفار وقتلهم بعناية الملك الجبار اراد ان يبين بعض ماوقع في تلك الغزوات من انهزام اهل النار وهربهم منه عليه السلام بلا قرار مع شجاعتهم بتواطؤ بعضهم بعضا في الفرار فقال ودوا الفرار الخ ودوا من الود بمعنى المحبة يقال وده اي احبه او بمعنى التمني وضمير الجمع للكفار والفرار بالنصب مفعول ودوا يعني ان الكفار احبوا الفرار من المقابلة عليه السلام والجهاد لعدم اقتدارهم على المقابلة بل على المقاولة والفاء في فكادوا للعطف والتفسير لودوا وكاد من افعال المقاربة اي قربوا وجملة يغبطون

(ودوا الفرار فكادوا يغبطون به)
(اشلاء شالت مع العقبان والرخم)
(تمضي الليالي ولايدرون عدتها)
(مالم تكن من ليالي الاشهر الحرم)

وده احسبه ودا ووده تمناه ودا وقوله فكادوا عطف على ودوا وكالتفسير له والغبطة بمعناه وبه حال من فاعل يغبطون والضمير للفرار اي ملتبس بالفرار ويجوز ان يكون الباء للسببية فيجوز ان يكون الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم واشلاء جمع شلو وهو العضو مفعول يغبطون وشال لازم ومتعد اي رفع وارتفع والعقبان جمع عقاب نوع من كرائم سباع الطير يصاد ويصاد به والرخم جنس واحده رخمة نوع من الطير يقع على الفيل والميتات وضمير عدتها لليالي وكثيرا ما

بالنصب خبر كاد وهو من غبط يغبط كضرب يضرب وقال فى القاموس كضرب وسمع والاسم الغبطة بكسر الغين وهى تمنى حصول مثل النعمة الحاصلة للغير من غير طلب زوالها وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور والمراد ههنا هو المعنى الاول والفرق بين الغبطة والحسد قد سبق قبيل مبحث الآيات فتذكر وبه متعلق بيغبطون والباء سببية والضمير راجع الى الفرار واشلاء بالنصب مفعول يغبطون وهى كاشياء جمع شلو بمعنى العضو وشالت بمعنى ارتفعت وجملة شالت منصوب محلا على انه صفة اشلاء فضميره راجع اليها ومع حال من فاعل شالت ولا يجوز ان يكون ظرفا لشالت كما ذهب اليه بعض الشارحين لانهم قالوا ان كلمة مع تستعمل على ثلاثة اوجه بمعنى الحال نحو جاءنى زيد مع عمرو وبمعنى الظرف واما ان يكون بمعنى بعد او بمعنى عند ولا يجوز ان يكون ما وقع ههنا من هذين المعنيين فيكون حالا لا ظرفا كما لا يخفى والعقبان بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من سباع الطير يصاد ويصاد به والرخم بفتحتين جمع رخمة وهو ايضا نوع من الطير الذى يقع على الميتة وفى بعض الاوقات يرفع الدجاجة ومن قال ان الرخم جنس واحده رخمة فقد غفل عن كتب اللغات كما لا يخفى على الثقات وحاصل معنى البيت ان اهل الشرك والعناد انهزموا فى الجهاد وتمنوا الفرار من مجاهدة سيد الابرار فقاربوا من كمال خوفهم ونفرة جوفهم ان يكونوا مثل قطع اللحم التى ترفعها الطيور كى يخلصوا من جهاد نبى الله الغفور

﴿ تَمْضِى اللَّيَالِى وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا * مَالَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِى الْاَشْهُرِ الْحُرُمِ ﴾

لما بين انهزامهم وفرارهم لخوفهم من القتال اراد ان يبين كون خوفهم باقيا فيهم فى كل حال بلا مفارقة عنهم ولا زوال وكون رهبهم حاملا اياهم على حال لم يعرفوا عدد الايام من الشهور والاعوام حتى تجئ الايام المعدودة فى الشهور الاربعة المعهودة فقال تمضى الليالى الخ تمضى بمعنى تمرو الليالى فاعل تمضى وفى الليالى تغليب المؤنث على المذكر اعنى الايام فانه وان كان الاصل تغليب المذكر على المؤنث كما فى القمرين للشمس والقمر وكما فى الآيات الكثيرة كقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا) لكن غلب ههنا على خلاف الاصل بناء على الاصل ولان فى ذكر الليالى ايماء الى سوء حال اوقاتهم فان ظلمة الزمان وسواده كناية عن ذلك ولان فيه اشارة الى ان حالهم فى الليالى التى هى اوقات الاستراحة كانت كذلك فكيف زمان ايامهم المخلوطة بالكدورات ومن لم يجعله من باب التغليب بل جعله من قبيل قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر فليس له من الفهم نصيب ولا يدرون الواو للحال ويدرون

يستعمل الليالى ويراد بها الايام والليالى وقد غلب ذلك عند ذكر الشدائد وذلك لان مقاسات ذوى المحن والاحزان فى الليالى اشد مما فى النهار واما ههنا فلان الخوف فى الليالى اكثر كما ينبئ عنه قوله تعالى فيه ظلمات ورعد وبرق * والبيتان تأكيد لمغلوبيتهم ومزيد بيان لمقهوريتهم حيث وصفهم بانهم يفرون فيدركهم الشجاعات فيغبطون على عضو اختطفه الرخم والعقبان ولكمال حيرتهم تمضى الليالى ولا يدرون مضى الازمان غير انهم يترقبون وينتظرون مجئ الشهر الحرام ليتخلصوا عن قتال المسلمين وقوله كادوا اورث قبولا وحسنا لغلو فى يغبطون اشلاء كلفظ يكاد فى قوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار الخ

من الدراية اى لا يعلمون وعدتها بالنصب مفعول يدرون والعدة بكسر العين بمعنى العدد وضميره راجع الى الليالى اى لا يعرفون عدد الايام والليالى لشدة قتاله عليه السلام وغاية خوفهم منه عليه السلام حيث كان تصورهم وفكرهم فى كل زمان وآن التخلص من عذاب الحرب والنيران وما فى مالم تكن ظرفية مصدرية اى دوام لم تكن وضمير المؤنث فى تكن راجع الى الليالى ومن متعلق لم تكن والاشهر جمع شهر والحرم بالجر صفة الاشهر وهو بضمتين جمع حرام والمراد بالاشهر الحرم اربعة اشهر وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب والمحرم اول الشهور ولذا يدخل عليه الالف واللام فى اكثر استعماله وعدوا الشهور اثنى عشر شهرا اولها المحرم وكان اسم المحرم فى صدر الجاهلية المؤتمن لانهم كانوا يأتمنون فيه من الغارات فسمى بالمحرم لتحريم القتال فيه وقيل لتحريم الجنة فيه على ابليس وثانيها صفر وكان اسمه فى الجاهلية ناجر لانه تنجر فيه الابل اى تهزل فسمى صفرا لاصفرار الاشجار فيه او لاصفار مكة من اهلها اذا سافروا يقال دار صفر اى خالية اولاصفرار وجوههم حين وقع فى الناس حمى اووباء وثالثها ربيع الاول وكان اسمه فيها خوان ورابعها الربيع الآخر وكان اسمه فيها بصان فسميا ربيعين لارتباع الناس فيهما اى اقامتهم فى الخصب وخامسها جمادى الاولى وكان اسمها فيها حنين وسادسها جمادى الآخرة وكان اسمها فيها رنى فسميا جماديين لجمود الماء فيهما وجميع الشهور مذكورة الا الجماديين وسابعها رجب وكان اسمه فيها الاصم لانه لا يسمع فيه صوت السلاح فسمى رجب لتعظيم الله وتعظيمهم له وفى الروضة لم يعذب الله امة محمد فى رجب وثامنها شعبان وكان اسمه فيها عجلام ثم سمى شعبان لانشعاب القبائل فيه وتفرقهم بالغارات اولانشعاب الخير فيه وتاسعها رمضان وكان اسمه فيها ناتقا فسمى رمضان لانه ترمض فيه الذنوب اى تحرق اولرمض الفصال وعاشرها شوال وكان اسمه فيها العاذل ثم سمى بشوال لشول الناقة فيه بذنبها ليعلم الذكر انها حامل اولان العرب كانت تشول فيه اى تنسرح عن امكنتها وحادى عشرها ذو القعدة وكان اسمه فيها رنة ثم سمى ذو القعدة لقعودهم فى رحالهم عن العدو والحرب وثانى عشرها ذو الحجة وكان اسمه فيها برك ثم سمى ذوا الحجة لاداء الحج فيه فاعلم ان تسمية هذه الشهور بهذه الاسامى انما هى بالنظر الى ما وقع يوم تسميتها ولا يلزم كلية وجه التسمية كما لا يخفى ثم اعلم ان عدد ايام الاسبوع سبعة اولها السبت كما يدل عليه قول الشاعر

* الم تر ان الدهر يوم وليلة * يكران من سبت عليك الى سبت *

وكان اسماء ايام الاسبوع فى الجاهلية ايضا غير الاسماء المعهودة حيث كانوا يقولون للاحد اول وليوم الاثنين اهون وللثلثاء جبار وللاربعاء دبار وللخميس مؤنس وللجمعة العروبة وللسبت شيار ثم ان اسماء ايام الاسبوع من الاعلام الغالبة فيلزمها اللام وقد يجرد لفظ الاثنين من اللام وحاصل معنى البيت ان الكفار قد بلغوا الى حال قد كانت تمر الليالى ولا يعلمون عددها من شدة الآلام والهموم لما رأوا فيها من المقاسات والغموم وغابوا عن حساب الايام والليالى مالم تجئ ايام الاشهر الحرم والليالى فاذا جاءت تلك الاشهر الاربعة المكرمة كانوا فى بيوتهم بالاستراحة منعمة لكون النبى فارغا عن القتال فى تلك الاشهر بلا زوال لكونه مشغولا بعبادة ربه الكبير المتعال ذى الجمال والجلال

﴿ كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ * بِكُلِّ قَرْمٍ اِلَى لَحْمِ الْعِدَى قَرِمِ ﴾

لما بين انهزام المشركين فى المقاتلة وفرارهم وعدم قدرتهم على المقابلة وكان مظنة ان يسئل عن سبب الانهزام وباعث عدم قرارهم فيها والقيام اراد كشف القناع واللثام عن وجه سببه وبيان كون باعثه مقابلتهم بالاسلام وقد ورد ان الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فى كل عام فقال بتشبيه لطيف كأنما الدين الخ فكأن للتشبيه وما كافة والدين فى اللغة بمعنى العادة بدليل قول الفراء دين الرجل عادته و بمعنى الحساب كقوله تعالى ذلك الدين القيم اى الحساب المستقيم و بمعنى الجزاء خيرا وشرا كما فى قولهم كما تدين تدان وقول الحماسة

* ولم يبق سوى العدوا * ن داناهم كما دانوا *

وفى العرف وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى ماهو خير لهم بالذات ثم ان الدين يقع على الحق والباطل جميعا لكونه عبارة عما يعتقد سواء كان حقا او باطلا ولهذا يقال دين اليهود والنصارى باطل دين الاسلام حق والمراد بالدين ههنا الاسلام لان الدين عند الله الاسلام ويمكن ان يراد بالدين ههنا صاحب الدين وداعيه ومظهره اعنى النبى عليه السلام مجازا من قبيل ذكر المسبب وارادة السبب والضيف بمعنى المسافر فالدين مشبه والضيف مشبه به وجملة حل ساحتهم صفة ضيف بيان لوجه الشبه مع قيود وحل بمعنى نزل والساحة بمعنى ماحول الدار وضمير الجمع راجع الى الكفار وبكل قرم حال من فاعل حل اى ملتبسا ومصحوبا والقرم بفتح القاف وسكون الراء بمعنى السيد والمراد بكل قرم صحابة رسول الله عليه السلام والى لحم العدى متعلق بقرم المؤخر والمراد من العدو الكفار وقرم بالجر صفة بعد صفة لضيف اى صفة لكل قرم وهو الاقرب لفظا ومعنى والقرم بفتح القاف وكسر الراء بمعنى شديد الاشتهاء الى اللحم وحاصل معنى البيت

(كانما الدين ضيف حل ساحتهم)
(بكل قرم الى لحم العـدى قرم)

ماكافة دان له اطاعـه ودانه جزاه او ملكه او اقرضه او ادان له ودان استقرض وذل والدين فى الاصطلاح ماذكرناه سابقا ساحتهم مفعول فيـه لحل اى نزل وهو صفة ضيف وضمير الجمع للعدى القرم بسكون الراء السيد وبكسرها شـديد الشهوة الى اللحم وبكل قرم حال اى ملتبسـا ومصحوبا ويجوز كون الباء للاستعانة وقرم صفة والى متعلق به وقوله لحم العدى من قبيـل وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التمكن والمراد من كل قرم صحابة رسول الله صلعم وهم جند الله والسادات الكرام والبازلون مهجتهم فى تشـييد قواعد الاسلام

ان دين الاسلام او صاحبه اعنى نبينا افضل الانبياء الفخام مثل سلطان نزل للضيافة فى ساحة دارهم مستوليا على حيطان بلادهم مصاحبا لجنود كلهم ازمة السلام والسادات الكرام مطيعين لسيدهم مع القيام فى خدمته بالاهتمام مشتهين الى لحوم العدى واذالة الاشقياء وتمزيق اجسادهم وتخريب بلادهم واسر اولادهم مع الغلبة فى كل الايام والاسلام لا يقبل الانهزام لانه يعلو ويغلب فى كل حال ولا يعلى ولا يكون مغلوبا ولو كانت اعداؤه كالجبال ومن كان خصم هذا الدين المتين فله فى الدنيا والآخرة عذاب مهين ومن كان فى الدنيا له حبيبا اعطاه الاله من الجنة نصيبا

﴿ يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ * يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْاَبْطَالِ مُلْتَطِمِ ﴾

لما اتم بيان انهزام الكفار وسببه وباعثه بكلام لم يبق فيه شبهة للصغار والكبار اراد بيان شجاعة جيشه عليه السلام ومتانة صحابته الفخام وكون عسكره تام الاركان وكونه كثيرا كامل الاطراف بلا نقصان فقال يجر بحر خميس الخ جملة يجر خبر مبتدأ محذوف اى هو يجر والضمير المستتر فيه راجع الى الدين المراد به رسول الله عليه السلام والعدول عن الماضى الى المضارع لاستحضار الصورة البديعة او لتأخر الجر بالنظر الى ذات النبى عليه السلام بحر بالنصب مفعول يجر واضافة البحر الى الخميس من اضافة المشبه به الى المشبه اى خميس مثل البحر والخميس بالخاء المعجمة العسكر الشجعان واعلم ان تهيئة الصفوف للحرب لها خمسة اركان لانهم قسموا العسكر الى المقدمة والميمنة والميسرة والساقة والقلب وتشبيه الخميس يعنى الجيش المحارب بالبحر انما هو فى الهيبة والاهلاك وتموج البعض على بعض بلا انفكاك والمراد بجر العسكر ايرادهم فى المحاربات والذهاب بهم الى المقاتلات وفوق صفة خميس وسابحة صفة موصوف محذوف اى خميس كائن فوق خيل سابحة والسابحة من السبح والسبوح الفرس الحسن الذى يجرى تحت راكبه بلا اتعاب له ولا مشقة عليه كأنه سفينة تجرى فى البحر وجملة يرمى صفة خميس فضميره راجع اليه او راجع الى البحر والموج من ماج البحر اى اضطرب وارتفع بعضه فوق بعض والمراد بالموج ههنا السهام والرماح ففيه استعارة مصرحة بان شبه الرماح والسهام بامواج البحر فى الاهلاك والجريان وامتداد بعضه فوق بعض والهيجان فاستعير الموج للسهام والرماح فذكر الموج واريد السهام والرماح فيرمى قرينة لهذه الاستعارة وقوله من الابطال تجريد اوفى الموج استعارة بالكناية كما لا يخفى وقوله من الابطال ظرف مستقر على انه صفة لموج اى موج حاصل من الابطال او بيان لقوله المؤخر ملتطم والابطال جمع بطل بمعنى الشجيع القوى وملتطم بالجر صفة موج وهو على صيغة اسم

(يجر بحر خميس فوق سابحة)
(يرمى بموج من الابطال ملتطم)
(من كل منتدب لله محتسب)
(يسطو بمستأصل للكفر مصطلم)

يجر اما خبر مبتدأ محذوف اى هو يجر والضمير للدين اوصفة والعدول الى المضارع للدلالة على الاستمرار واستحضار الصورة البديعة والخميس العسكر سمى به لانهم انقسموا الى خمسة اقسام المقدمة والميمنة والميسرة والساقة والقلب وجر العسكر ايرادهم فى المحاربات واصدارهم عنها واضافة البحر الى الخميس من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه مثل لجين الماء وهو احد طريقى التشبيه المؤكد اى خميس كالبحر فى الهيئة والجريان بل فى الهيئة والاهلاك والتكثر وتموج البعض فى البعض وفوق صفة خميس او حال عنه وسابحة صفة موصوف محذوف اى خميس كائن اوكائنا فوق خيل سابحة والسبوح الفرس الحسن الجرى لاتتعب راكبا كأنها تجرى فى البحر من سبح فى البحر اى جرى يرمى صفة خميس لانه اسم

الفاعل بمعنى ضارب بعضه على بعض من شدة الهيجان ففي الضمير في الملتطم الراجع الى الموج استعارة بالكناية اذ المراد بالالتطام هنا مصادمة الابطال واصطكاك اسلحتهم كما لا يخفى وحاصل معنى البيت مازال النبي عليه الصلوة والسلام بحر ويقو جندا تام الاطوار له خمسة اركان كانهم بحر وكلهم من الاشراف يجري كلهم على خيول جارية بالجريان اليسير ونوق سارية كجريان السفينة على وجه الماء الكبير الى مضمار المعارك وميدان المهالك يرمى ذلك الجند سهاما ورماحا الى الكفار كامواج البحار وهم ابطال تتصادم * وتتصاكك اسلحتهم بالاضطراب * بلا فرار من الاعداء ولا اجتناب *

(مِن كُلِّ منتدبٍ لله محتسبٍ * يسطو بمستأصلٍ للكفر مصطلمِ)

ثم شرع في عد اوصاف ابطال ذلك الجند العظيم من كون قصدهم من المقاتلة هو الاجابة الى امر الله تعالى الكريم وكونهم ماهرين في استعمال الاسياف والرماح وحاذقين في علوم السهام والسلاح فقال من كل منتدب الخ ثم ان من كل منتدب بدل من الابطال والمنتدب اسم فاعل من الانتداب والانتداب بمعنى الاجابة للدعوة الى شئ بالحث والاغراء اى من كل مجيب لدعوة الله ففي قوله لله حذف مضاف ومحتسب بالجر صفة منتدب وهو ايضا على صيغة اسم الفاعل من الاحتساب بمعنى العمل لله تعالى والاخلاص فيه طلبا لمرضاة الله تعالى كما في قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا الحديث وقوله يسطو صفة بعد صفة او حال وضميره راجع لكل منتدب ويسطو بمعنى يصول ويغلب على الاعداء وبمستأصل الباء فيه للمصاحبة او للاستعانة متعلق بيسطو والمستأصل على صيغة اسم الفاعل من استأصله اى قلعه من اصله وهدمه بلا بقية اثره والمعنى بآلة مستأصلة قالعة وللكفر متعلق بمستأصل وفيه مجاز حذفي اى لاهل الكفر من قبيل قوله تعالى واسئل القرية او قلع الكفر كناية عن قطع اهله فتدبر ومصطلم بالجر صفة مستأصل وتأكيده وهو ايضا على صيغة اسم الفاعل من اصطلمه بمعنى اهلكه اى مهلك ثم ان في هذا البيت ايماء الى قوله عليه السلام انتدب الله لمن خرج في سبيله ومعنى الحديث من خرج وقصد الى الجهاد في سبيل الله طلبا لمرضاة الله تعالى كان الله ضامنا وكفيلا لمغفرة ذلك العبد او سارع الله الى ايفاء مقابلة جهاده بالمثوبات او اوجب الله ان يجزله ما وعده من الجنة والحور والغلمان وحاصل معنى البيت ان اولئك الابطال المهرة يسطون في ابطال اهل الضلال كلهم مجيبا لدعوة ربهم الكبير المتعال مع الرغبة والميل اليه في الغنى والعيلة ويجتهد في اخلاص النية بلا اعراض ولا خوف من المنية مع الاحتساب الى مرضاة الله بلا غرض

جمع او حال منه ماج اضطرب وارتفع بعضه فوق بعض والموج اما المصدر فقوله من الابطال صفة اى باضطراب كائن من الابطال او الحاصل بالمصدر فقوله من الابطال بيان فقوله ملتطم صفة موج يعنى يضرب بعضهم على بعض من شدة الهيجان وقوته وههنا عبارة عن اتباع بعضهم للبعض ومسابقة الابطال وانصباب البعض على البعض واصطكاك اسلحتهم قوله من كل بيان للابطال ندبه دعاه فانتدب اجاب قوله لله متعلق بمنتدب احتسب عمله حسبته من الله اى ترقبا ورجاء لفضله وهو الثواب كما في من قام رمضان ايمانا واحتسابا يسطو اى يصول اما صفة او حال او استيناف استأصله قلعه من اصله اصطلمه اهلكه والباء في بمستأصل باء التجريد او هي للمصاحبة ويجوز ان يكون المراد بعزم او بكر مستأصل فلا يكون تجريدية ويكون للاستعانة او المصاحبة وقوله مصطلم صفة مستأصل واللام في للكفر للتعدية واهلاك الكفر باهلاك اهله وازالة شبههم

غير رجاء مثوبات الله يسطو ويحمل كلهم بآلات قوية مستأصلة للكفرة الدنية وباسلحة مهلكة لاهل الفساد ومطهرة وجه الارض من اهل العناد

(حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم * من بعد غربتها موصولة الرحم)

لما بين كون النبي عليه الصلوة والسلام مورد للجنود الكاملة والكتائب المقاتلة وبعض اوصاف ابطال جنوده واحوال شجعان جيوشه كان مظنة ان يسأل عن ثمرة جهادهم وفائدة قتالهم وصمادهم فقال دفعا لذلك الظن ومبينا لثمرة ذلك الفن حتى غدت الخ كلمة حتى اما غاية لبحر او ليسطو والتخصيص بالاول تخصيص بلا مخصص كما لا يخفى وغدت بمعنى صارت وملة الاسلام بالرفع اسم غدت واضافة الملة الى الاسلام بيانية اى ملة هي الاسلام من قبيل شجر الاراك واعلم ان الدين والشريعة والملة والناموس متحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار اذ الطريقة المخصوصة الثابتة عن النبي عليه الصلوة والسلام تسمى من حيث الانقياد لها دينا ومن حيث يردها الواردون المتعطشون لزلال نيل الكمال شرعا وشريعة ومن حيث تملى وتكتب ويجتمع عليها الناس للقبول ملة من الاملال بمعنى الاملاء او من امل بمعنى اجتمع ومن حيث لها ملك اسمه ناموس ناموسا وقوله وهي بهم الواو للحالية وهي مبتدأ وبهم ظرف مستقر خبر المبتدأ وضمير هي راجع الى الملة اى والحال انها منصورة بهم ومن بعد غربتها متعلق بما بعده وضمير المؤنث راجع الى ملة الاسلام والمراد من غربة الاسلام استغراب احياء احكامه كل احد لعدم معرفته وعدم الائتلاف به والمراد منها كونه لا انيس له ولا صاحب ولا حافظ ولا حامي له يواسي امره ويسعى في مصالحه كالرجل الغريب وموصولة الرحم بالنصب خبر غدت والموصولة من الصلة والرحم القرابة وصلة الرحم عبارة عن رعاية الاقارب بزيارتهم وتفقد خواطرهم واعطاء نفقة من تجب عليه نفقته وفي الحديث صلوا ارحامكم ولو بالسلام والمراد من صلة الاسلام الاكرام اليه باحيائه وباكثار اصحابه وحاصل معنى البيت انه قد كانت نهاية جره عليه السلام العسكر الكثير وفائدة صولتهم وحملتهم على اهل النار والزمهرير كون ملة الاسلام والحال انها منصورة بهم ومصونة عندهم موصولة من احبابه واصحابه الذين هم عززوها باتلاف ابدانهم في بابه ومن اتباعه واتباع اتباعه ممن اقتدى بكتابه مادار الزمان الى يوم القيامة بدولة به بعد كونها غريبة ذات كربة وبعد ان لم يكن لها صحبة احد ثم ان في هذا البيت ايماء الى قوله عليه السلام ان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء رواه مسلم في صحيحه

(مكفولة ابدا منهم بخير اب * وخير بعل فلم تيتم ولم تئم)

(حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم)
(من بعد غربتها موصولة الرحم)
(مكفولة ابدا منهم بخير اب)
(وخير بعل فلم تيتم ولم تئم)

حتى هذه اما غاية لبحرا ويسطو وحتى التي يبتدأ بعدها الكلام وهي حرف عطف على التقديرين والدين السماوي يسمى ملة لانها تملى من السماء وهي بهم مبتدأ وخبر اى مضمونة وملتبسة او منصورة والجملة حال ومن بعد غربتها متعلق بغدت او بموصولة الرحم وهو خبر غدت وفيه اشارة الى ماجاء في الخبر من ان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء وصلة الرحم وهو القرابة او رحم المرأة عبارة عن رعاية ما يستحسن رعايته شرعا وعقلا بالنسبة الى الاقارب الكفيل الضامن والكفل الذي يكفل انسانا اى يعوله ومنه وكفلها زكريا وهي اما مرفوعة على انه خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر باعتبار المحل واما منصوبة باعتبار اللفظ او حال منه متعلق بمكفولة بخير والضمير في منه للنبي او للخير على طريقة اعدلوا هو اقرب للتقوى او للبحر الخميس وروى منهم ويجوز ان يكون من تجريدية اذا جعلت حالا من خير اب والمراد منه ومن خير بعل هو النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه وبعده كل من يقوم مقامه في اقامة الدين بالحجة والبرهان والسيف والسنان او باحدهما يقال من بعل هذه الناقة اى من ربها وسيدها وقوله فلم تيتم بضم التاء

ثم اراد بيان كون ملة الاسلام دائمة باحيائهم الى يوم القيام ومحفوظة من النسخ والتبديل ومصونة عن التغيير والتحويل فقال مكفولة ابدا الخ مكفولة امابالنصب اوبالرفع فعلى الاول امابدل من موصولة اوعطف عليه بحذف حرف العطف للضرورة اوحال منها اوخبرثان لغدت وعلى الثانى اماخبرمبتدأمحذوف اى هى اوهى خبرثان لغدت تدبر والمكفول اسم مفعول من كفل يكفل بمعنى ضمن والكفيل بمعنى الضامن والحافظ فمعنى مكفولة محفوظة ومصونة وابدامنصوب على الظرفية لمكفولة والابدبمعنى الدهر والزمان الطويل وبمعنى الدائم * وفى عناقيدالفوائد * الابد بمعنى الوقت المستقبل الغير المتناهى كماان الازل بمعنى الوقت الماضى الغير المتناهى وقد يضافان الى جمعهما فيقال ابدالآبادوازل الآزال واماالسرمد فاعم منهماانتهى ومنهم متعلق بمكفولة والضمير للكفار اى من شرورهم واضرارهم وافسادهم وبخيراب متعلق بمكفولة والمرادبالاب رسول الله عليه الصلوة والسلام واصحابه الكرام والعلماء الاعلام مجازا واستعارة مصرحة ووجه التشبيه الكون مظهرا حافظا والسعى فى حمايتها من اعدائها وهذا بعد تشبيه الملة بالابن فى الظهور وكونه نافعاوباقيابعد وفاةابيه وكونه محتاجا الى حافظ له وقوله وخيربعل عطف على خيراب فقيدابدامعتبرههنا والبعل بمعنى الزوج كما فى قوله تعالى (وبعولتهن احق بردهن) الآية واصل البعل السيد والمالك سمى الزوج بعلا بقيامه بامر زوجته كأنه مالك لها ورب والمراد بخير بعل النبى عليه السلام واصحابه وورثته من علماء امته شبه النبى عليه السلام واصحابه وورثته بزوج الملة فى القيام بمصالحها ومنع يدالجانى عنها هذا بعد تشبيه الملة بالزوجة فى احتياجها الى من يقيم مصالحها ويحفظها من بجانيها والفاء فى فلم تيتم تفريعية اى اذا كانت الملة محفوظة بخيراب دائما فلم تصر يتيمة فتيتم من يتم ييتم كعلم يعلم يقال يتم الولداذامات ابوه وهو صغير قيل اليتم اصل معناه الانفرادومنه الدرة اليتيمة وقيل هو فى الآدميين من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الامهات وفى الطيور من جهتهماوقيل انه يقال فى الآدميين لمن فقدت امه والاصح هو الاول ولم تئم عطف على لم تيتم هو ناظر الى قوله وخيربعل من قبيل اللف والنشر المرتب اى اذا كان لها زوج فلم تئم وتئم من آمت المرأة اذامات زوجها وخلت منه ومنه قوله تعالى (وانكحوا الايامى منكم) وحاصل معنى البيت ملة الاسلام كانت كابن الكرام او كبنت السلاطين العظام محفوظة ومصونة دائما بالاب الذى هو اكرم الانبياء العظام واصحابه الذين هم اشرف الانام وعلماء امته الذين هم ورثته الى يوم القيام وكانت

الاول وكسر الثانية من ايتمت المرأة اذا صار اولادها ايتاما اوبفتح الاولى والثانية من يتم الصبى من باب حفظ اى بقى بلااب ولم تئم من آمت المرأة بقيت بلازوج فالمعنى ان ملة الاسلام غدت موصولة الرحم بوجود النبى صلى الله عليه وسلم ومحترمة فى غاية الاحترام وان كانت فى الابتداء مقرونة بنوع من الغربة والكربة واضحة مكفولة بخير آباء وبعول بشرف وجود الرسول وبمساعى منله فى نصرة الرسول مزية القبول فامنت من صغار يلحق الارامل والايتام الى قيام الساعة وساعة القيام صلى الله عليه وعلى آله الكرام *

(هم الجبال فسل عنهم مصادمهم) (ما ذا رأوا منهمو فى كل مصطدم) (وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا) (فصول حتف لهم ادهى من الوخم) هم الجبال حصر ادعائى للمبالغة فى المقصود شبههم بها فى الحلم والصلابة فى الدين والثبات فى الحروب والتمكن فى مواقعها عنهم اى عن احوالهم واخبارهم المصادمة المقارعة واصطكاك الخيول فى الحرب وفى ماذا صنعت وجهان احدهما اى شئ الذى صنعت والاحسن فى جوابه الرفع ليطابق السؤال الجواب فى الاسمية والثانى بمعنى اى شئ صنعت فيكون مفعولا لصنعت وماذا بمنزلة كلمة واحدة والاحسن فى جوابه النصب وهو اما جواب الامر اى يقال لك ماذا رأى اوينهى اليك اويكون بدلا من هم فى عنهم اوحال اى قائلا ماذاواصطدام الفريقين اصطكاكهما والمصطدم امامصدر اواسم زمان اومكان والحنين وادى من اودية تهامة فى طريق هوازن الى مكة وبدر كان ماء من مياه العرب اربعة ﴿ ١٩٥ ﴾ ايام من المدينة الى مكة وهو المعروف فى زماننا ببدر حنين واحد جبل باربعة اميال اواقل من المدينة قوله حنينا اى اهل حنين كما فى واسئل القرية وكذا الباق والاولى ان يكون المراد من هذه المواضع انفسها ولا يكون القصد الى حقيقة الامر بالسؤال بل المقصود به بيان التحقق والتقرر بلا اشتباه والفصول جمع فصل وهو طائفة من الزمان فصلت وعين مبدؤها ومنتهاها وقد يقال لطائفة من الكلام كذلك الحتف الهلاك وفصول حتف بالنصب اى عن فضول حتف لهم كما فى واختار موسى قومه وبالرفع خبر مبتدأ محذوف اى اوقات حر به معهم فى هذه المواضع فصول حتف واذا اردت من هذه المواضع انفسها فضمير لهم الى اهلها ولهم صفة حتف اى

كزوجة لها بعل اشرف البعول وهو النبى الرسول واصحابه وعلماء امته الذين كلهم مرغوب ومقبول حيث كانوا فى اقامة امورها ورؤية مصالحها وحفظها من الاغيار من اهل الشرك والكفار فنعم الآباء والازواج الكبار

(هُمُ الجِبالُ فَسَلْ عَنهُم مُصادِمَهُم * ماذا رَأَوْا مِنهُمُو فى كُلِّ مُصْطَدَمِ)

لما بين بعض اوصاف شجاعته عليه الصلوة والسلام وثمرة جهاده مع ابطاله للكفار شرع فى بيان كون اولئك الابطال ثابتين فى المعارك كالجبال وغير فارين من الجدال والقتال فقال هم الجبال الخ هم مبتدأ راجع الى الابطال السابقة والجبال بالرفع خبر المبتدأ والالف واللام فيه يفيد الحصر لكنه ادعائى والجبال جمع جبل والحمل من قبيل زيد اسد ووجه الشبه التمكن والثبات وعدم الفرار واوجاء عساكر الاعداء من الجهات بالشدة والمهابة والمتانة والفاء فى فسل اماسببية اوتفريعية اى ان لم تصدقنى فسل وسل امر من سأل يسئل اى فيلزم لك السؤال وعنهم ظرف لسل والضمير للكفار ومصادمهم بالنصب مفعول به لسل والضمير للابطال والمصادم بضم الميم مصدر من صادم مصادمة بمعنى التقاء العسكرين للقتال واصطكاك خيولهم وقيل هو بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل الحرب وماذا رأوا بدل من مصادمهم اى

حاصل لهم ويروى بهم اى ملتبس بهم وادهى صفة فصول اوحتف وهو اسم تفضيل مبنى من الداهية وهى الآفة العظيمة النازلة ودواهى الدهر مايصيب الناس من عظيم بؤسه وبناء اسم التفضيل من الداهية من قبيل احنك الشاتين على ماذكره صدر الافاضل ان احنك مشتق من الحنك والمراد اشدهما اكلا وادهى اى اشد داهية وآفة وبلية من الوخم وهو بتحريك الخاء المعجمة مرض يفضى الى الهلاك غالبا وقيل هو الوباء وهو مرض عام بمد ويقصر فجمع الممدود وابية وجمع المقصور اوباء وفى البيتين اشارة الى ثلث غزوات احديها غزوة حنين وهى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة اقام بها خمس عشرة ليلة يقصر الصلوة وكان فتحه اياها فى عشر بقين من رمضان سنة ثمان فلما سمعت به هوازن جمعها مالك بن عوف النصرى فاجتمعت اليه مع هوازن ثقيف وبنو نضر وخثم وسعد بن بكر وناس يسير من بنى هلال وقصد واضرب رسول الله فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس بالخروج الى حنين يوما لسبت لست

ليال خلون من شوال فخرج فى عشرة آلاف من المسلمين الذين شهدوا فتح مكة وثلثة آلاف من الطلقاء وانتهى الى حنين مساء
ليلة الثلثاء لعشر خلون من شوال وقد بعث مالك بن عوف عيونا فلما رجعوا الى مالك تعرف اوصافهم فقال ماشانكم قالوا
رأينا رجالا بيضا على خيل بلق والله ماتماسكنا ان اصابنا مانرى وان اطعتنا رجعت بقومك قال اف لكم بل انتم اجبن
اهل العسكر وقال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة وذلك قوله
تع ويوم حنين اذا عجبتكم كثرتكم ثم ساوا ولايعلمون خبر القوم فى عماية الصبح قال جابر بن عبد الله وكان القوم قد
كمنوا فى شعاب الوادى وتهيأوا واعدوا فوالله مارأينا الا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد فانهزم الناس
راجعين وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة ونزول عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا لايلوى احدهم
على احد وبقى رسول الله صلى الله عم وحده وهو ثابت فى مركزه ليس ﴿ ١٩٦ ﴾ معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته
البيضاء وابو بكر وعمر وعلى وابوسفيان
ابن الحارث بن عبد المطلب واخوه زمعة
والفضل بن العباس واسامة بن زيد
واخوه ايمن بن عبيد الخزرجى ثم طفق
رسول الله صلعم يركض بغلته نحو الكفار
ويقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد
المطلب * والعباس اخذ بلجام بغلته يكفه
ثم قال يارب ائتنى بما وعدتنى وقال
للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى
الانصار فخذا فخذا ثم نادى يااصحاب
الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فجاء
الناس كأنهم عنق فالتفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا عصابة من
الانصار فقال امعكم غيركم قالوا لاياىى
الله لوعمدت الى برك الغماد من ذى يمن
لكنا معك ثم انزل الله تعالى نصرة وهزم عدوهم ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به وقال انهزموا ورب
الكعبة شاهت الوجوه فرت كأنها غمامة فدخلت فى اعينهم كلهم وانهزموا فركض رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفهم والثانية
غزوة بدر الكبرى وهى كانت فى السنة الثانية من الهجرة والذى هاج هذا الحرب هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع ان
اباسفيان قد اقبل من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها اموال كثيرة لهم وفيها ثلثون راكبا من قريش ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير
قريش وفيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله تع يفتحها لكم فانتدب الناس وخف وثقل بعضهم بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان ابوسفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الاخبار ويسأل من يلقى تخوفا على العير حتى
صاب خبرا من بعض الركبان ان محمدا عليه الصلوة والسلام قد استنفر اصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو

فسل عنهم اى شئ رأوا وضمير الجمع فى رأوا راجع الى الكفار ومفعول
الرؤية محذوف اى رأوه او العامل فى ماذا رأوا المؤخر قدم عليه لاقتضاء
الاستفهام الصدارة فى الكلام ومنهم متعلق برأوا والضمير للابطال
المراد بهم الاصحاب وفى كل مصطدم متعلق برأوا والمصطدم اسم مكان
بمعنى محل الحرب وحاصل معنى البيت ان الاصحاب الذين هم الابطال
مشبهون بالجبال فان لم تصدقنى فسل عن الكفار مضاربة اولئك الكبار
ومقتلتهم مع اهل النار وسل عنهم ماذا رأوا من اولئك الشجعان فى كل
معارك وكتائب وميدان من السيوف والسهام

(وَسَلْ حُنَيناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ اُحُداً * فُصُولَ حَتْفٍ لَهُم اَدهى مِنَ الوَخَمِ)

لماذكر مواضع حروبه عليه السلام فى قوله السابق فى كل مصطدم بالابهام
اراد بعض تفصيل من تلك الغزوات وذكر اسماء بعضها للتبرك به يقال وسل
حنينا الخ الواو عاطفة وسل امر كما سبق آنفا وحنينا بالنصب مفعول به
لسل اى اهل حنين من قبيل واسئل القرية وحنين بضم الحاء وفتح النون
وادبين مكة والطائف وقد وقع فيه محاربة عظيمة بين الفريقين وقصته انه
لما فتح رسول الله عليه السلام مكة اقام بها خمس عشرة ليلة فلما سمعت به هوازن

الغفارى فبعث الى مكة ليستنفر قريشا الى اموالهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لها فى اصحاب فخرج ضمضم بن عمرو سريعا
الى مكة فلما بلغ بالابطح جعل يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره وشق قميصه وجدع بعيره ويقول يامعشر قريش
اللطيمة اللطيمة اموالكم مع ابى سفيان قد عرض بها محمد مع اصحابه الغوث الغوث فتجهز الناس سراعا فكانوا بين
رجلين اما خارجا واما باعثا مكانه رجلا واوعبت قريش ولم يتخلف من اشرافهم احد الا ابا لهب بن عبد المطلب قد
تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وقام سهيل بن عمرو فقال من اراد ظهرا فهذا ظهر ومن اراد قوة فهذه قوة وكذلك
فعل زمعة بن الاسود وعتبة وشيبة اخرجا دروعا لهما ثم خرجوا وهم الف وثلثمائة رجل وفى قصة ماجرى عليهم
فى الطريق طول واما رسول الله صلى الله عليه خرج لثمان خلون من شهر رمضان على ناقته العضباء لابسا سلاحه وخرج
معه من المهاجرين احد وثمانون ﴿ ١٩٧ ﴾ رجلا كلهم قرشى او حليف او مولى لهم والباقى من الانصار جملتهم
ثلثمائة وخمسة عشر رجلا وجعل على
الميمنة ابا بكر وعلى الميسرة عمر وعلى
المقدمة اباعبيدة بن الجراح وعلى الساقة
قيس بن ابى صعصعة الانصارى وعلى ميمنة
القلب زبير بن العوام وعلى ميسرة
القلب المقداد بن عمرو ودفع راية
المهاجرين وهى العقاب الى على رضى الله
عنه وعن سائر الصحابة اجمعين ودفع
اللواء الى مصعب بن عمير وجعل لواء
الانصار مع سعد بن عبادة ورايتهم مع
حباب بن المنذر فنزل صلى الله عليه وسلم
بمن معه بالبقع وهو بيوت السقيا وقدم
عديا وبسبسا عينين باتيانه بخبر ابى سفيان
وغيره ثم راح رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بيوت السقيا ولهم سبعون بعيرا
فقط وكانوا يعاقبون الابل الاثنان والثلثة
والاربعة فلما نزل عدى وبسبس ببدر اناخا الى تل قريب من الماء ثم اخذ اشنا لهما يستقيان فيه وعلى الماء مجدى بن عمرو وهو
كان بريدا لابى سفيان فسمعا جاريتين من جوارى جهيمة يلازم احديهما الاخرى بدرهم لها عليها وهى تقول ويحك
دعينى فانما ياتى العير غدا او بعد غد فاعمل لهم ثم اقضيك حقك فقال مجدى بن عمر وصدقت وخلى سبيلها فلما سمعا
بذلك انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه الخبر واقبل ابوسفيان بعدهما حتى ورد الماء فقال المجدى
ابن عمرو هل احسست احدا قال رأيت راكبين اناخا الى هذا التل واستقيا ثم انصرفا فاتى ابو سفيان مناخهما ففت
ابعار راحلتيهما فاذا فيها النوى فقال هذه والله اعلاف يثرب وهذه عيون محمد واصحابه مااری القوم الاقريبا فصرف
وجه عيره الى غير سبيله ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بوادى ذفران اتاه الخبر بمسير قريش فاخبرهم
واستشار الناس فقام ابوبكر فقال واحسن ثم قام عمر فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لامر الله

جمعها اميرهم مالك بن عوف النصرى اجتمع عليه هوازن وثقيف وبنو النضر
وسعد بن ابى بكر وغيرهم وقصدوا حرب رسول الله عليه السلام فلما سمع به
رسول الله عليه السلام امر الناس بالخروج الى حنين يوم السبت لست ليال خلت
من شوال فخرج عشرة آلاف من المسلمين الذين شهدوا فتح مكة وثلاثة آلاف
من غيرهم فنظر رجل من المسلمين الى عسكر الاسلام فقال اعجابا من كثرتهم لن
نغلب اليوم من القلة فسائت تلك المقالة رسول الله عليه السلام وذلك قوله تعالى
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ثم ساروا ولايعلمون كون العدو مخبؤا عنهم
وكان الاعداء قد كمنوا فى شعاب ظلمة الوادى فحملوا على المسلمين بلا اخبار
فوقع ماوقع لكون عسكر الاسلام مغرورين بالكثرة ونسيان القول ان الله
هو الناصر فتفرق المسلمون وبقى رسول الله وحده وهو ثابت فى مركزه
ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته البيضاء وابو بكر وعمر وعلى وخمسة من
سائر الصحابة ثم طفق رسول الله عليه الصلوة والسلام يركض بغلته نحو الكفار
ويقول انا النبى لا كذب * انا ابن عبد المطلب * ثم قال يارب آتنى ماوعدتنى
من النصرة * وقال للعباس ادع الناس بالنداء وكان العباس بليغ الصوت فنادى
الانصار وغيرهم فاجتمعوا والتقى الفريقان فانزل الله النصرة ونزلت الملائكة

فنحن معك والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيهم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون بل نقول انا معك مقاتلون
والذى بعثك بالحق لوسرت بنا الى برك الغماد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلى البحر الغماد لسرنا
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعاله بخير ثم قام سعدبن عبادة فقال يارسول الله لو امرتنا ان نخوض
البحر لخضنا قبل استنطق رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار قام سعد بن معاذ فقال انا اجيب عن الانصار كأنك
يارسول الله تريدنا قال اجل اياكم اريد قال انك عسى ان تكون خرجت لامر اوحى اليك فانا قد آمنا بك وصدقناك
وشهدنا ان ماجئت به حق واعطيناك موثقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يانبى الله لما اردت فوالذى بعثك
بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك مابقى منا رجل فصل من شئت واقطع من شئت وخذ من اموالنا ماشئت
وما اخذت من اموالنا احب الينا مما تركته لعل الله تع يريك منا حين نلقى ﴿ ١٩٨ ﴾ عدونا بعض ماتقر به عينك فندب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقوا
حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايات
قريش وفيهم غلام اسود فاخذوه فكان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسألونه عن ابى سفيان واصحابه فيقول
مالى علم بابى سفيان ولكن هذا ابو
جهل وعتبة وشيبة وامية بن خلف
فصدقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يضع يده على الارض ويقول
هذا مصرع فلان وفلان وعن عمر
رضى الله عنه انه قال فوالذى بعثه
بالحق ما اخطأوا تلك الخطوط
والحدود وجعلوا يتصرعون عليها
وكان ابليس قديرى لقريش فى صورة
سراقة بن خثعم وكان من اشراف
بنى كنانة فلما التقى الفئتان وهو قوله تع فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه رأى ابليس جبرائيل عليه
السلام ينزل ومعه الملائكة فرجع القهقرى كراهة ان يأتيه جبرائيل فيعرفه الناس فلن يطيعوه وقال الحارث بن هشام اخو ابى
جهل ياسراقة تدعنا وتذهب فقال دعنى فانى ارى مالاترى ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اصطف الفريقان
واثنى على الله وحث اصحابه على القتال ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى الصفوف فاستقبل المغرب وجعل الشمس
خلفه واقبل المشركون واستقبلوا الشمس فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعدوة الشامية ونزل قريش بالعدوة اليمانية
وعدنا الوادى جانبا ثم حمى وطيس الحرب وطلب المشركون الاكفاء وبرز منهم عتبة وشيبة ووليد بن عتبة فكر
عليهم حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث فجاءهم نصر الله فقتلوا هؤلاء المشركين ثم نظر معاذ بن عمرو بن الجموح فرأى اباجهل قد اصدق
به بنو مخزوم فمافارق منه حتى قطع رجله فطرحت من الساق ثم قتله عبدالله بن مسعود وقتل اكثر صناديد المشركين ولما

عليهم فنظر رسول الله الى الكفار فاخذ كفا من تراب فرماهم به وقال (انهزموا
ورب الكعبة شاهت الوجوه) فمر التراب كأنه غمامة فدخل فى عينهم كلهم
فانهزموا * وسل بدرا كرر العامل للوزن وبدر اسم موضع بين مكة والمدينة
وقد وقع فيه محاربة فاعز الله الاسلام واهله مع قلة عدة المسلمين وكثرة العدو
فبيض الله وجه النبى واصحابه واخزى الشيطان واحزابه قال تعالى (ولقد
نصركم الله ببدر) الآية وقد كانت هذه الغزوة اعظم غزوات الاسلام وكان
خروجهم فى رمضان وجملة عسكر الاسلام ثلثمائة وخمسة عشر رجلا وكان
المشركون قريبا من الالف فكان فى تلك البقعة قتال عظيم فانزل الله سكينته على
رسوله وايده بجنود الملائكة فقتل من المشركين فى ذلك اليوم سبعون واسر
منهم سبعون وقتل فيها اكثر صناديد قريش فى ذلك اليوم وقد وقع فى هذه
الغزوة عجائب ومعجزات لايتحمل هذا المقام ذكرها ولو باجمال فى الكلام
* وسل احد عطف على القريب او البعيد واحد بضمتين موضع بقرب
المدينة وهو محل المحاربة وقصته انه لما اصابت قريشا يوم بدر بليات وقتل
صناديدهم اجتمعوا لحرب رسول الله واطاعهم قبائل كثيرة وكان عددهم
ثلاثة آلاف رجل وارسلوا اليه عليه السلام اخبار مجيئهم وكان يوم الجمعة

التقى الفريقان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش قاعدا يدعو وكان ابوبكر قاعد عن يمينه ليس معه غيره فخفق
رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه نعسا ثم ضرب بيمينه على فخذ ابى بكر وقال ابشر ياابابكر هذا جبرائيل معتم بعمامته آخذ
بعنان فرسه يقودها اتانا نصر الله وعونه وقال له جبرائيل خذ قبضة من حصباء الوادى فناوله كفا من حصى عليه تراب
فرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الادخل عينيه وفيه
ومنخريه شئ منها ثم دفهم المؤمنون يقتلونهم والملائكة يعدونهم فيأسرونهم فكانت الرمية سبب هزيمة القوم واكتناف
الملائكة سبب قتلهم وقد من الله تعالى بانزال تلك الآيات وقال وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله
على كل شئ قدير وعجائب هذه الغزوة لاتحصى وغرائبها لاتستقصى فلنقتصر على هذا (والثالثة) غزوة احد قالوا وكان
سببها ان قريشا لما اصيبت يوم بدر ورجع من بقى منهم الى مكة ووافوا اباسفيان وقد وقف العير بدار الندوة فمشى اليه اكابر قريش
مثل صفوان بن امية وعبدالله بن ابى ربيعة وعكرمة بن ابى جهل وابى بن خلف وامثالهم فى رجال ممن اصيب آباؤهم وابناؤهم ببدر
فكلموا اباسفيان ومن كانت له فى تلك العير تجارة من قريش فقالوا يامعشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا
بهذا المال على حربه لعلنا ان ندرك ثأرنا مما اصاب منا ففعلوا واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعها
واطاعها من قبائل كنانة واهل تهامة وخرجوا مع الظعن التماس الحفيظة لئلا يفروا وخرج ابوسفيان وهو قائد الناس بهند بنت
عتبة بن ربيعة وخرج صفوان بامرأته ﴿ ١٩٩ ﴾ برزة بنت مسعود الثقفى وجماعة قريش مع نسائهم بطول تعداد هن
ومعهن الدفوف يحرضن الرجال
ويذكرون قتلى قومهم وعبأ ابوسفيان
الخيل فجعل خالد بن الوليد على الميمنة
وعلى الميسرة صفوان بن امية وعلى
الرماة عمرو بن العاصى بين يدى ابى
سفيان فى القلب وعلى الساقة ابى بن
خلف وسار طلحة بين يديه باللواء فنفكروا
بذى طوى وكتب العباس بذلك
كتابا وبعث به مع رجل من بنى غفار
وشرط عليه ان يسير ثلثا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره خبر قريش ومسيرهم وانهم ثلثة آلاف رجل وممن تابعهم
ومائتا فرس وفيهم سبعمائة دارع وثلثة آلاف بعير فقدم الغفارى المدينة والنبى صلى الله عليه وسلم بقباء فدفع اليه الكتاب فقرأه
عليه ابى بن كعب ودخل عليه السلام منزلة سعد بن الربيع واخبره بكتاب العباس فقال سعد والله انى لارجو ان يكون فى ذلك خير
ثم فشا الخبر بمسير قريش والقريش نزلوا الجحفة ثم عشر من خروجهم يوم الخميس لخمس عشرة خلون من شوال السنة الثالثة من
الهجرة وبعث عليه السلام انسا وموسنا ابنى فضالة يوم الخميس يعرفان له الخبر فرجعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبراه ومضوا
حتى نزلوا فى زروع بنى حارثة وبنى سلمة وبنى عبدالاشهل فسرحوا خيلهم وابلهم فى زروعهم وهم كانوا تركوا اوطانهم ومضوا
الى المدينة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحباب بن المنذر يحرض لهم القوم سرا وقال لاتجهر بشئ بين يدى احد فرجع
واخبره الخبر فواطأ ذلك خبر العباس فقال رسول الله حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك اصول وبك احول وبات وجوه الانصار
سعد بن معاذ وسعد بن عبادة واسيد بن حضير فى عدد منهم وعليهم السلاح ليلة الجمعة بباب رسول الله صلعم وحرست المدينة تلك
الليلة وصلى عليه الصلوة والسلام صلوة الجمعة وخطب الناس فحمد واثنى عليه وامرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم ان لهم
النصر ماصبروا وامرهم بالثبات والتهيء وقال ايها الناس انى رأيت فى منامى بقرا ينحر ورأيت كأنى فى درع حصينة ورأيت كأن
سيفى ذوالفقار انفصم ورأيت كأنى مردف كبشا فاولت البقر نفرا من اصحابى يقتلون واما الدرع الحصينة فالمدينة

فرجع رسول الله الى الخطبة فامر الناس بالتهيء وقال ايها الناس انى رأيت
فى منامى بقرا ينحر ورأيت كأنى فى درع حصينة ورأيت كأن سيفى انفصم
ورأيت كأنى مردف كبشا فاولت البقر بنفر من اصحابى يقتلون واما الدرع
الحصينة فالمدينة واولت انفصام سيفى بشئ يصيبنى فى نفسى واما الكبش
فكبش كتيبة القوم اقتله ان شاء الله تعالى فشاور رسول الله مع اصحابه فرأى
رسول الله الاقامة فى المدينة وقال رجال من المسلمين اخرج بنا يارسول الله
الى اعدائنا فخرج رسول الله يوم الجمعة فلما التقى الجمعان انهزم المشركون
فالتفت الناس الى الغنائم فاجتمع الكفار فحملوا على المسلمين فوقع حينئذ

واولت انفصام سيفي شيئا يصيبني في نفسي واما الكبش فكبش كتيبة القوم اقتله ان شاء الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي وكان رأيه ان لايخرج من المدينة بهذه الرؤيا ووافق رأى عبدالله بن ابي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاقامة بالمدينة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم حضور بدر اخرج بنا يارسول الله الى اعدائنا لايرون انا جبنا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبس لامته ثم خرج فندم الناس فقالوا يارسول الله اكرهناك ولم يكن لنا ذلك اقعد في المدينة كما هو رأيك فقال لاينبغي بنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ماصلى باصحابه الجمعة في الف من اصحابه حتى اذا كان بين المدينة واحد بحيث يراه المشركون انخزل عنه عبدالله بن ابي بثلث الناس فقال اطاعهم وعصاني فاتبعهم عبدالله بن عمرو بن حزام يقول ياقوم اذكركم الله ان تخزلوا نبيكم وقومكم عند ماحضر عدوكم فلما ابوا الا الانصراف قال ابعدكم الله اعداء فسيغني الله عنكم قال اصحاب التواريخ غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة وهو قوله تع واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فمشى الى احد يوم السبت لست خلون من شوال سنة ثلث من الهجرة وهمت بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس بالانصراف مع ابن ابي فعصمهم الله فلم ينصرفوا وذلك قوله تع اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله ﴿ ٢٠٠ ﴾ بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وقال ان رأيتمونا تختطفنا الطير فلا ترجعوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم واوطأناهم فلا ترجعوا حتى ارسل اليكم فهزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البراء بن عازب فانا رأيت النساء يشتددن اى يصعدن الجبال قد بدت خلاخلهن وسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبدالله بن جبير الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنظرون فقال عبدالله بن جبير انسيتم ماقال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اغنم الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين ومابقي في المركز الا عبدالله بن جبير وحيدا فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ونظر خالد بن الوليد الى تلك العورة فافترصها ودخل منها على المسلمين في مائة فارس وتبعه عكرمة بن ابي جهل والمسلمون مشغولون بجمع الغنائم فاتاهم الخيل من ورائهم فانكشف المسلمون واصاب منهم العدو فكان يوم بلاء اكرم الله فيه من اكرم بالشهادة من المسلمين وكانوا اثلاثا فثلث قتيل وثلث جريح وثلث منهزم حتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذف بالحجارة حتى اصيبت رباعيته وشج وجهه وكلمت شفتاه والرامي عبدالله بن قمئة الحارثي فقرب منه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا الخبر بقتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين وما كان ذلك الا لمخالفتهم امر النبي صلى الله عليه وسلم وعدم ثباتهم على محافظة المركز وفيه اظهار لكمال استغنائه تع عن العالمين واختبار بشدائد المحن للمحبين حتى يتبين الراضي بقضائه والصابر على بلائه والشاكر على نعمائه ممن يحبه على السعة والراحة ويعرض عنه عند الالم والجراحة

للمسلمين ماوقع من الشهادة واصابة المحن لرسول الله عليه السلام وفيه حكم ومصالح له تعالى كاظهار كمال استغنائه تعالى عن العالمين واختبار المحبين حتى يتبين الراضي بقضائه والصابر على بلائه والشاكر على نعمائه وقوله فصول حتف بالنصب مفعول لسل اى عن فصول والفصول جمع فصل وهو طائفة من الزمان والحتف الهلاك اى ازمنة الهلاك ولهم ظرف مستقر صفة حتف اى حاصل لهم وادهى صفة فصول اوحتف اوحال وهو اسم تفضيل من الداهية بمعنى الآفة العظيمة والبلية النازلة الجسيمة من الوخم متعلق بادهى والوخم بفتحتين وبالخاء المعجمة مرض يقال له الوباء

بل فيه سعة الرحمة في صورة ﴿ ٢٠١ ﴾ نقمة لاوليائه كما في الظفر شدة النقمة في صورة سعة الرحمة لاعدائه ومع هذه الهزيمة هزم الله المشركين يوم احد حتى كسفوهم عن عسكرهم وانا لنحسهم قتلا ولهذا قال ابن العباس مانصر نبي الله في موطن كما نصر باحد فانكروا عليه فقال بيني وبين من انكر كتاب الله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه والحس القتل الشديد اما قصة قتل سيد الشهداء حمزة فيه واقبال اخته صفية اليه وبكاؤها عليه وموافقة النبي صلى الله عليه وسلم اياها في البكاء واخبار جبرائيل اياه عليهما الصلوة والسلام ان حمزة مكتوب في السموات السبع بانه اسد الله واسد رسوله مسطورة في الكتب بتفاصيلها واراد جميع ذلك * بعيد عما نحن بصدده من شرح الابيات *

(المصدري البيض حمرا بعدماوردت)
(من العدى كل مسود من اللمم)
(والكاتبين بسمر الخط ماتركت)
(اقلامهم حرف جسم غير منعجم)

ورد المنهل دخل فيه وصدر عنه خرج عنه اورده جعله واردا واصدره جعله صادرا والمراد بالبيض السيوف المصقولة كما يقال للرماح سمر والمصدري اما منصوب على المدح او مجرور بدل من هم في منهم والنون سقط بالاضافة حمرا حال اى ملطخة بالدماء وبعدظرف للاصدار ومن العدى حال من كل مسود قدمت عليه ومن اللمم بيان مسود واللمة الشعر المسترسل الى المنكب اى بعدما دخلت السيوف كل منبت لمة سوداء من رؤس الكفرة

وهو مرض عام لايسلم من ابتلى به غالبا من الموت ومعنى البيت معلوم

(المصدري البيض حمرا بعد ماوردت * من العدى كل مسود من اللمم)

ثم شرع في بيان كمال مهارتهم في استعمال السلاح وغاية حذاقتهم في تقلب الرماح فقال المصدري الخ المصدري امامنصوب على المدح اى امدح المصدري اومجرور على انه بدل من الضمير في منهم في البيت السابق والمصدري جمع مصدر اسم فاعل من صدره بمعنى جعله صادرا فاصله مصدرين سقط نونه بالاضافة والاضافة فيه كاضافة الضارب الرجل والبيض جمع ابيض المراد به السيوف المصقولة كما في قوله

* وقدكانت البيض القواضب في الوغى * بواتر فهي الآن من بعدها بتر *

وحمرا بالنصب على انه حال من البيض او مختلط تلك السيوف المصقولة بالدماء الحمر بضم الحاء وسكون الميم جمع احمر وبعدظرف للاصدار وما مصدرية ووردت بمعنى دخلت واتصلت والضمير للسيوف ومن العدى ظرف مستقر حال من كل مسود المؤخر وكل مسود بالنصب مفعول به لوردت ومن اللمم بيان للمسود واللمم بكسر اللام جمع لمة وهي الشعر المسترسل الى المنكب والمراد منبتها وهو الرأس والتعبير بالمسود اشارة الى ان الكفار المقتولين بانهم اولوقوة وحاصل معنى البيت مدح الاصحاب الكرام والابطال العظام بانهم المصدرون السيوف المصقولة مختلطة بدماء الكفار بعدما اتصلت تلك السيوف ووصلت الى رؤسهم وبعدما قطعتهم بابدانهم وافراسهم فنعم السيوف سيوفهم ونعم النفوس نفوسهم

(والكاتبين بسمر الخط ماتركت * اقلامهم حرف جسم غير منعجم)

لمابين كون الاصحاب ماهرين في استعمال السيوف اراد ان يبين كونهم حاذقين في استعمال السهام والسيوف فقال والكاتبين بسمر الخط الخ الواو عاطفة والكاتبين عطف على مصدري والكاتب بمعنى الساطر والناقش على شيء والباء في بسمر الخط متعلق بالكاتبين والسمر كالحمر جمع اسمر والمراد به نصال الرماح والخط اسم بلدة في البحرين نسب اليها الرماح اعني خشبها يقال رماح خطية اى رماح حسنة ذات قيمة غالية فاضافة السمر الى الخط لادنى ملابسة ومانافية وجملة تركت حال من الكاتبين واقلامهم بالرفع فاعل تركت اى غير تاركة اقلامهم والجملة استئنافية واقلام جمع قلم والمراد بها السهام والرماح مجازا واستعارة بالكناية كما لايخفى تعبيرها وحرف جسم منصوب مفعول تركت والحرف بمعنى الطرف او بمعنى الناقة المهزولة كما في قوله

* وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط *

واضافة الحرب الى الجسم بمعنى اللام على الاول اوللبيان اومن قبيل اضافة المشبه به الى المشبه اى جسم كحرف على الثانى والمراد من الجسم جسم من قاتلهم من العدى وغير منجم بالنصب حال من حرف جسم ومن جعله صفة له فقد بعد عن المعنى كما لايخفى ومنجم على صيغة اسم الفاعل من انجم بمعنى قبل النقطة ومعنى غير منجم غير منقوط وهو بمعنى مطعون مجازا اواستعارة تبعية كما لايخفى تدبر ولايخفى ما فى هذا البيت من ايهام التناسب من ذكر الكتابة والخط والقلم والحرف ومنجم وحاصل معنى البيت ان الاصحاب كانوا يكتبون وينقشون على صفحات اجسام العدو المرزولة التى هى كالحرف المهزول بالرماح الخطية المأمونة من الانكسار وماتركت اقلامهم التى هى كالرماح طرف جسم من الكفار الا جعلته منقوطا ومطعونا ومنقوشا بالآثار

(شاكى السلاحِ لهم سيما تميزهم * والورد يمتاز بالسيما من السَّلَمِ)

لما بين الاوصاف اللطيفة للاصحاب التى هم بها يمتازون عن المشركين واهل الكتاب اراد ان يبين ايضا كونهم ممتازين بذواتهم وسيماهم ماعدا الثياب فقال شاكى السلاح الخ شاكى السلاح اما صفة للمصدرى اوحال منه وشاكى مقلوب شائك اى تام السلاح كما فى قوله

* لدى اسد شاكى السلاح مقذف * له لبد اظفاره لم تقلم *

وهو جمع شاكى اصله شاكين حذف نونه بالاضافة وتوهم احتمال كونه مفردا لايصدر عن عاقل فضلا عن فاضل كما لايخفى ثم ان قوله شاكى السلاح اجمال بعد تفصيل ولهم ظرف مستقر خبر مقدم وسيما مبتدأ والجملة صفة بعد صفة للمصدرى اوحال منه وتقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر والسيما بمعنى العلامة التى تكون فى وجه الانسان يستدل بها على بعض احواله وجملة تميزهم صفة لسيما وتميز بمعنى تفرق وضميره المستتر راجع الى السيما والسيما مؤنث بالالف المقصورة وضمير المفعول راجع الى الاصحاب اى للاصحاب سيما تفرقهم عن الكفار وقوله والورد جواب سؤال مقدر كأنه قيل يمتاز بالسيما شيئان كانا من جنس واحد لان الاصحاب والعدى كلهم من بنى آدم فاجاب عنه مع تشبيه لطيف بهذا المقال والورد بفتح الواو زهر شجر معلوم يقال له بالعربى ايضا حوجم والسلم بفتحتين شجرة يشبه شجرة الورد وشجر الورد يمتاز عنه بحسن الخلقة وبهاء المنظر فالورد بمجاز بمعنى الشجر والسلم مجاز بمعنى زهر السلم تدبر وحاصل معنى البيت ان اصحاب رسول الله كانوا تامى الاسلحة ممتازين من الكفار واهل الشقاء بالاوصاف اللطيفة وحسن السيما لانهم اشداء على الكفار رحماء بينهم بالتواضع والانكسار كانه يمتاز شجر الورد من شجر السلم وزهر الورد من نورة السلم وقد ورد فى القرآن فى حق الاصحاب سيماهم فى وجوههم من اثر السجود فهم

والكائن عطف على المصدرى كتبه سطره وحرزه وجمعه الخط شجر ﴿ ٢٠٢ ﴾ يؤخذ منه خشب الرماح فان المراد من السمر نصال الرماح فيكون الاضافة بمعنى اللام ويجوز ان يكون للملابسة فالمعنى بالرماح السمر الخطية وحرف الشئ طرفه ويقال للناقة المهزولة حرف فالاضافة على الاول بمعنى اللام وعلى الثانى للبيان والمراد من الجسم جسم من قاتلهم من العدى واعجام الحروف نقطها وانجم مطاوعه فالمعنى ماتركت اقلامهم التى هى الرماح حرف كل جسم قابلهم من العدى الا معجما بآثار الرماح منقوطة اى مطعونة وبه آثارها وفى البيت الاول صنعة التجانس والتقابل بذكر الاصدار والورود والبياض والسواد والحمرة وفى الثانى الاستعارة بالكناية مع التخييلية والاستعارة الترشيحية وصنعة الايهام كما لايخفى على ارباب علم البيان وهذان البيتان مما يشتهى الانفس ويقلق الاسماع ويهز القرائح ويبسط الاذهان *

(شاكى السلاح لهم سيما تميزهم)

(والورد يمتاز بالسيما من السلم)

(تهدى اليك رياح النصر نشرهم)

(فتحسب الزهر فى الاكام كل كمى)

قال الاخفش شاكى السلاح مقلوب شائك اى تام السلاح ويحتمل ان يكون هنا مفردا فاللام فى السلاح بدل عن المضاف اليه اى تام سلاحهم وان يكون جمعا اى تامين فى سلاحهم فهو صفة للمصدرى البيض اوحال بارادة الثبوت والمضى فى الاضافة ولهم سيما تميزهم اما استيناف اوحال كخرجت مع البازى على سواد * وتميزهم صفة سيما وهى العلامة التى فى وجه

ثمار اشجار حدائق الوجود وازاهير رياض عسكر الاسلام والجنود

(تُهدى اليكَ رياحُ النصرِ نشرَهُمو * فتحسِبُ الزهرَ فى الاكمامِ كلَّ كمى)

ثم شرع فى بيان كونهم منصورين فى جميع الجهاد وان لم يكن كذلك فى بعضه فى عيون العباد فقال تهدى اليك الخ تهدى من اهدى يهدى بمعنى توصل او بمعنى ارسال الهدية واليك متعلق بتهدى والخطاب لكل احد وجملة تهدى حال ورياح بالرفع فاعل تهدى وهى جمع ريح والمراد من رياح النصر التأييدات بالنصرة كما فى قوله عليه الصلوة والسلام (نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور) والمراد من الرياح الدولات كما فى قوله

* اذا هبت رياحك فاغتنمها * فعقبى كل عاصفة سكون

واضافته الى النصر بمعنى النصرة مجاز اذ ورد (وما النصر الا من عند الله) ونشرهم بالنصب مفعول تهدى والضمير راجع الى الصحابة والنشر فى الحقيقة بمعنى الرائحة الطيبة والمراد به هنا اخبارهم الطيبة وانباؤهم العجيبة ففيه استعارة ومجاز كما لايخفى والفاء فى فتحسب للتفريع وتحسب بصيغة الخطاب بمعنى تظن والزهر بالنصب مفعول تحسب والالف واللام فيه للاستغراق بمعنى كل زهر والزهر نورة النبات وفى الاكمام ظرف مستقر حال من الزهر او صفة له والاكمام جمع ايضا فيقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد اى كل واحد من الازهار فى كل واحد من الاكمام ومن جعل الاكمام جمع كم بضم الكاف وجعل اللام فيه عوضا عن المضاف اليه اعنى رسول الله واعتبر القلب فى البيت وقع فى التكلف كل كمى بالنصب مفعول ثان لتحسب والكمى بمعنى الشجاع وهو بتشديد الياء فعيل خفف للضرورة قال اكثر الشراح فى البيت قلب اعنى ان المفعول الثانى لتحسب وهو قوله كل كمى مقدم على المفعول الاول اعنى قوله الزهر فى المعنى فحينئذ يكون المعنى فتحسب كل شجاع فى درعه زهرا فى اكمامه وحاصل معنى البيت ان الاصحاب الكرام كانوا منتصرين فى جميع الجهاد وغالبين على الكفار حتى تهدى وتوصل اليك هدية كلما هبت رياح النصرة وتحركت اخبار تأييداتهم بالبركة والدولة اخبارهم واذا كان كذلك فتحسب كلما رأيت الازهار فى اكمامها كأنها اولئك الاصحاب الشجعان فى الدروع لان الازهار كما كانت ذات رائحة طيبة فكذلك اولئك الاصحاب اولو نشر وفوحة عجيبة

(كأنَّهم فى ظهورِ الخيلِ نبتُ ربى * من شدَّةِ الحزمِ لا من شدَّةِ الحُزُمِ)

لما بين كونهم ماهرين فى استعمال السيوف والنصال اراد ان يبين كونهم حاذقين فى استعمال الخيول فى مضمار القتال فقال كأنهم الخ كأن للتشبيه والضمير للاصحاب وفى ظهور ظرف مستقر حال من الضمير والظهور جمع

الانسان بها يستدل على بعض احواله ﴿ ٢٠٣ ﴾ والمراد من الورد اما شجرة لوقوعه فى مقابلة السلم وهو شجر له شوك والمراد من السلم الشوك اولوقوعه فى مقابلة الورد او يكون كل على حقيقته وتهدى استيناف اوحال والخطاب فى اليك لكل احد ورياح النصرة اما من قوله نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والمراد التأييد وافاضة النصر وما النصر الا من عند الله والمراد من النشر اخبارهم الطيبة وانباؤهم المعجبة الزهر من نبت وشجرة نوره ووردة والكم الورد والكمى الشجاع واللام فى الزهر للاستغراق وكل كمى عام ومقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد بالآحاد والظاهر ان قوله فتحسب الزهر الى آه من قبيل القلب كما فى قوله كأن لون ارضه سماؤه والاعتبار اللطيف هو تأكيد التشابه

(كأنهم فى ظهور الخيل نبت ربى)

(من شدة الحزم لا من شدة الحزم)

(طارت قلوب العدى من بأسهم فرقا)

(فما تفرق بين البهم والبهم)

الربى جمع ربوة وفيه ثلث لغات ضم الراء وفتحه وكسره وهى المرتفع من الارض شبههم بنبت الربى وخيولهم بالربى ولهم عليها سيرة النبات فى الحرب وذلك لان النبت اذا كان على الربوة فاهدابه واعراقه تطول حتى تصل الى الماء فيكون له من الثبوت والرسوخ اكثر مما ليس كذلك من شدة للنسبة السابعة التشبيهية والحزم ضبط الرجل امره واخذه بالثقة والفعل منه حزم بالضمة والحزم بضمتين جمع حزام وهو معروف وقوله لا من شدة الحزم اى فقط والافشد الحزم هو من الحزم

ظهر بمعنى المتن والخيل اسم جنس يقع على الذكور والاناث واضافة النبت الى الربى من قبيل شجر الاراك والربى بالقصر جمع ربوة بالحركات الثلاث فى الراء وتشبيه الاصحاب بنبت الربى وخيولهم بالربى انما هو فى الثبات والتقرر فى مدة كثيرة اذ نبت الربى اثبت على الارض من سائر النباتات لطول عروقه ووصوله الى الماء ومن شدة متعلق بكاف التشبيه والشدة بكسر الشين والحزم بفتح الحاء وسكون الزاى بمعنى قوة الثبات ومراعاة الاستعمال وقوله لامن شدة دفع توهم نشأ مماقبله من ان ثباتهم على الخيول يجوز ان يكون لشدة سروجها وقوة ربطها لامن ذواتهم فدفع بقوله من شدة الحزم لامن شدة الحزم والشدة الثانية بفتح الشين كان الحزم الثانى بضم الحاء والزاى جمع حزام وهو مايشد به سرج الفرس على ظهره بالربط التام والاستحكام التام وحاصل معنى البيت ان الاصحاب كانوا ماهرين فى استعمال الخيول وكانوا ثابتين عليها بلا تحرك كأنهم عليها نبت ربى فى الثبات والتقرر وشدة الرسوخ وقوة المتانة لا لما يشد به سرجها ولا لما يستحكم به جلها

(طارت قلوب العدى من بأسهم فرقا * فما تفرق بين البهم والبهم)

لما بين كون الاصحاب فى غاية الشجاعة ونهاية المتانة ومهارتهم فى استعمال آلات الحروب اراد بيان مايتفرع عليه من الخوف الحاصل منهم فى عقول العدى وقلوبهم فقال طارت الخ فجملة طارت ابتدائية وهى من الطيران بمعنى التحرك من مكانها وقلوب العدى بالرفع فاعل طارت وفيه مجاز واستعارة فامافى طارت استعارة تبعية وفى القلوب استعارة مكنية كما لا يخفى وبالجملة المراد من طيران القلب اضطرابه وانزعاجه ومن بأسهم متعلق بطارت ومن منشئية والبأس بمعنى الشدة كما فى قوله تعالى (واطعموا البائس الفقير) وضمير الجمع راجع الى الاصحاب وفرقا بالنصب مفعول له حصولى لطارت كما فى قعدت عن الحرب جبنا او مفعول مطلق له او تميز من نسبته او حال من فاعله تدبر والفاء فى فما تفريعية او سببية وما نافية وتفرق من التفريق وضميره المستتر راجع الى القلوب والبهم الاول بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهمة وهى السخلة ولد الغنم والبهم الثانى بضم ففتح جمع بهمة بضم فسكون بمعنى الشجاع ولا يخفى مافى هذا البيت من الجناس المحرف فى قوله بهم وبهم والجناس الشبيه بالمشتق فى قوله فرقا وتفرق وحاصل معنى البيت ان قلوب الاعداء اضطربت من اجل شدة اولئك الاصحاب فى الحرب وفزعت وزالت عقولهم الى ان صارت لاتميز بين الشجاع والسخلة

(ومن تكن برسول الله نصرته * ان تلقه الاسد فى آجامها تجم)

فى الحرب وقوتهم وفى بعض النسخ من خوفهم اى من الخوف منهم الفرق الخوف مع التفرقة مفعول مطلق اوحال اى فرقين فبينهما عموم وخصوص مطلق البهمة بالفتح السخلة وبالضم الشجاع وهو المرشد

(ومن تكن برسول الله نصرته)
(ان تلقه الاسد فى اجامها تجم)
(ولن ترى من ولى غير منتصر)
(به ولا من عدو غير منقصم)

اضافة النصرة اما الى الفاعل او الى المفعول ان جعلته مصدر المعلوم اى نصرة الدين او نصرة الله تع اياه فباء برسول الله على الاول للاستعانة وعلى الثانى للسببية وان جعلته مصدر المجهول فالاضافة الى المفعول الغير المسمى فاعله اى منصورة فالباء تصلح لكلا المذكورين وكان تامة وناقصة وبرسول الله خبره والاجة غابة الاسد وجمعها آجام والوجوم السكوت من الحزن وتجم جواب الشرط الثانى والشرطية جواب الشرط الاول والولى القريب من وليه ويطلق على الصاحب الصديق انتصر به تقوى وتأيد به الانفصام بالفاء كسر بلا فصل وبالقاف مع الفصل والرواية ههنا بالقاف وغير بالجر صفة ولى وبالرفع خبر مبتدأ محذوف وبالنصب حال ان كان ترى من الرؤية بالبصر والافهو المفعول الثانى ومن زائدة وقوله فى اجامها قيد يفيد مزيد المبالغة والتأكيد فان الاسد فى اجة اشد بأسا واصعب رأسا منه فى امكنة اخر وذلك لتوفير الغيرة فى الدفع عن ساحته واستيلاء الحمية فى الذب عن غابته

(لمابين)

لما بين كون الاصحاب منتصرين فى كل الغزوات غير فارين من الكفرة واهل النار شرع فى بيان السبب الموصل الى ذلك فقال ومن تكن الخ الواو ابتدائية ومن شرطية وتكن بالجزم اما تامة او ناقصة وبرسول الله خبر مقدم لتكن والباء فيه اما للاستعانة او للسببية وتقديمه لضرورة الشعر ونصرته بالرفع اسم تكن واضافته اما الى الفاعل او الى المفعول وان شرطية وتلقه مجزوم بان اصله تلقاه وضمير المفعول راجع الى من الاسد بضم الالف وسكون السين جمع اسد بمعنى الهزبر وهو بالرفع فاعل تلقه وتقديم مفعول تلقه على فاعله اشارة الى ان الراجل لا يلاقى باختياره الاسد وفى آجامها اما متعلق بتلقه او بتجم المؤخر والآجام بالمد جمع اجة وهى ارض كثيرة القصب واضافة الآجام الى الضمير الراجع الى الاسد لادنى ملابسة ثم ان هذا القيد اعنى فى آجامها يفيد مزيد المبالغة والتأكيد فان الاسد فى اجة اشد بأسا واصعب حالا منه فى امكنة اخر لتوفير الغيرة فى الدفع عن ساحته وتجم بفتح التاء وكسر الجيم من وجم يجم وجوما وهو اما بمعنى حزن او سكت والضمير المستتر فيه راجع الى الاسد وجملته جواب الشرط الثانى والشرطية جواب للشرط الاول وحاصل معنى البيت ان الاصحاب الكرام ماكانوا منتصرين فى الجهاد الا بنصرته عليه الصلوة والسلام واعانته فانه من كانت نصرته واعانته واغاثته على محاربة الاعداء بواسطة رسول الله فهو منصور ومحفوظ من جميع المصائب والانهزام حتى ان تلقه جميع افراد الاسد المشهورة باهلاك من لاقته فى امكنتها المسماة بالغابة وهى فيها اجرأ منها فى غيرها تسكن على حالها خوفا واحتراما لرسول الله عليه السلام ثم اعلم ان البيت اشارة الى ماروى من تسخير الاسد لمولى رسول الله الذى اسمه سفينة حين ارسله عليه السلام الى معاذ باليمن فلقيه الاسد فى الطريق فقال سفينة انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعى كتابه فهمهم الاسد وتنحى عن الطريق وفى رواية اخرى عن سفينة ان السفينة تكسرت فخرجت الى جزيرة فاذا الاسد فقلت له انا مولى رسول الله فجعل يغمزنى بمنكبه حتى اقامنى على الطريق ودلنى عليها

(ولن ترى من ولى غير منتصر * به ولا من عدو غير منقصم)

ثم اكد البيت السابق لكونه نظيرا بهذا البيت فلذا قال ولن ترى الخ الواو عاطفة ولن نافية وترى على صيغة الخطاب من الرؤية اما العينية او العلمية ومن ولى كلمة من زائدة وتنوين ولى للتكثير والولى بمعنى القريب وغير اما بالجر على انه صفة ولى او بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بالنصب على انه حال وهذا كله ان كانت الرؤية الرؤية البصرية والافهو المفعول الثانى ومنتصر اسم مفعول

من انتصروبه متعلق به والضمير راجع اليه عليه الصلوة والسلام والمراد بالانتصار به التقوى والتأييد به ومن قال ان المنتصر بكسر الصاد اسم فاعل فهو عن معنى البيت غافل ولا من عدو عطف على من ولى اى ولا ترى من عدوله عليه السلام وغيربالجر اوبالرفع اوبالنصب ومنقصم اسم فاعل من انقصم بمعنى انقطع وتفرق وروى فى بعض النسخ بالفاء وهو كسر بلا فصل كما كان الاول مع فصل وحاصل معنى البيت ان الاصحاب منتصرون به عليه السلام فى كل الاوقات اذلن تعلم ولن تبصر ولياله عليه السلام غير منصوربه ولا ترى عدوا غير مكسوربه بل كل ولى به منتصر وكل عدوله منكسر اعلم ان جميع الاولياء منتصرون به عليه السلام ولذا قال الولى الشيخ احمد الملثم لم تكن الاقطاب اقطابا ولا الاوتاد اوتادا ولا العماد عمادا الا برسول الله وبتعظيمهم له واجلالهم شريعته وكل من كان عدو الشريعته كان عدواله عليه الصلوة والسلام وكذا كل من كان عدوا لصاحب الشرع من العلماء وكل من يتكلم بما يتأذى به عليه الصلوة والسلام فهو عدوه ولذا قال الحق فى روح البيان حكى عن بعض الكبار انه قال كنت فى مجلس بعض الغافلين فتكلم الى ان قال لامخلص لاحد عن الهوى ولو كان فلانا اراد به النبى عليه السلام حيث قال (حبب الى من دنيا كم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة) فقلت له اما تستحيى من الله فانه عليه السلام ماقال احببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ما كان من الله كرامة ثم حصل لى غم وهم من استماعى مثل هذا الكلام فرأيت النبى عليه السلام فى المنام فقال لى لاتغتم فقد كفينا امره ثم سمعت انه خرج الى ضيعة له فقتل فى الطريق نعوذ بالله من التطاول على الانبياء وورثتهم من العلماء والاولياء انتهى

﴿ اَحَلَّ اُمَّتَهُ فِى حِرْزِ مِلَّتِهِ * كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْاَشْبَالِ فِى اَجَمِ ﴾

لما توهم ان يستفاد من الابيات السابقة ان الانتصار به عليه الصلوة والسلام خاص باصحابه دون سائر امته دفع ذلك الوهم بتعميمه فقال احل امته بمعنى انزل وامته بالنصب مفعول احل والامة نوعان امة الاجابة وهى كل من آمن به عليه السلام وامة الدعوة وهى كل من بلغت اليه دعوة النبى عليه السلام والمراد بها ههنا الاول وفى حرز متعلق باحل والحرز بكسر الحاء بمعنى الحصن ففيه تشبيه الدين بالحصن الحصين فى حفظ من دخله من الاعداء وكالليث حال من فاعل احل والليث اسم للاسد وحل الثانى صفة الليث بناء على ان اللام فيه للعهد الذهنى اوحال وهو ايضا بمعنى انزل والاشبال جمع شبل بكسر الشين وهو ولد الاسد وفى اجم متعلق بحل الثانى والاجم بفتحتين بمعنى مكان يسكن فيه

﴿ احل امته فى حرز ملته ﴾
﴿ كالليث حل مع الاشبال فى اجم ﴾
احله انزله والامة نوعان امة الدعوة وهى كل من آمن به الحرز مايحرز به الشئ اى يحفظ الملة والدين الذى املى من السماء والشبل ولد الاسد الاجة والاجم كالتمرة والتمر (قوله كالليث حال من ضمير احل وحل اماصفة على طريقة ولقد امر على اللئيم يسبنى اوحال على طريقة قوله تع حصرت صدورهم شبه النبى صلى الله عليه وسلم بالاسد فى السلطنة وكمال الشجاعة والهيبة وشدة البطش وحمايته لاشباله وجعل امته اشباله واولاده لانه عليه السلام سبب حيوتهم الابدية وشبه الملة التى سماها حرزا بالاجم فى ان كلا منهما سبب للحفظ ومنع ضرر الغير وفى تسميتها حرزا اشارة الى قوله تع لااله الا الله حصنى ومن دخل حصنى امن من عذابى والى قوله عليه الصلوة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله فاذا قالوا ذلك عصموا منى دماء هم واموالهم * الحديث *

الاسد شبه الناظم الفاهم نبينا عليه السلام بالاسد فى القوة وكمال الشجاعة والهيبة وشدة البطش وحماية الاولاد وشبه امته باولاده فى كونه عليه السلام سبب حياتهم كالاسد وشبه الملة بالاجم فى ان كلا منهما سبب للحفظ ومنع ضرر الغير وحاصل معنى البيت انزل رسول الله الامين امته فى دينه الحصين كما انزل الليث اولاده معه فى آجامه للتحصين فلا يستولى على امته شخص بظلم ولا ينزل عليهم بلية فان قلت كثيرا ما ترى امته يغلب عليهم عدوهم وينزل عليهم بليات لاتعد ولا تحصى فكيف يصح هذان البيتان من الناظم الفاهم قلت مراد الناظم كونهم محفوظين من بليات الآخرة ومن مثل الخسف والمسخ وغيرهما من البليات التى نزلت على سائر الامم فى الدنيا وتقول ان امته محفوظة من جميع ماذكر ومن المغلوبية ومن كان مغلوبا ونزل عليه بليات فليس من كامل امته اذا امته من اتبعه ولا يتبعه الا من اعرض عن الدنيا فانه عليه السلام مادعا الا الى الله واليوم الآخر وماصرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة ومن اعرض عن الدنيا يكون سالما من البلايا ومن كونه مغلوبا للاعداء واما من عدل عن سبيله واعرض عن متابعته واقبل على الدنيا ولحق بالذى قال الله تعالى فى حقه (فامامن طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) فقد خرج عن سبيله واعرض عن كونه امة له فله البلايا والمغلوبية للاعداء فتأمل يارجل من حين تصبح الى حين تمسى لاتسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا تحرك الا لاجل الدنيا الفانية ثم تطمع ان تكون غدا من امته واتباعه ويحك ويا ويلتنا ماابعد ظننا وما اخش طمعنا ثم اعلم ان فى هذا البيت اشارة الى ماجاء فى الحديث القدسى (قال تعالى لااله الا الله حصنى ومن دخل حصنى امن عذابى) والى قوله تعالى (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم) وفى قراءة شاذة (وهواب لهم)

﴿ كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللّٰهِ مِنْ جَدِلٍ * فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ ﴾

لما استفيد من البيت السابق كون الاسلام حصنا حصينا لايستولى عليه احد من عدوه بل هو يغلب على اعدائه اراد تفصيله فقال كم جدلت كلمات الله الخ كم خبرية للتكثير وجدلت من التجديل وهو بمعنى الوضع على الارض اى كثيرا من المرات وضعت على الارض وكلمات الله بالرفع فاعل جدلت والمراد من كلمات الله القرآن العظيم اذ الاسلام عبارة عنه ومن جدل مفعول جدلت ومن زائدة والجدل بكسر الدال بمعنى كثير الخصومة وفيه متعلق بجدل والضمير اما راجع الى الملة بتأويلها بالاسلام والدين او برسول الله فيكون مجازا حذفيا اى فى دين رسول الله وكم خصم عطف على كم جدلت وخصم بالتشديد

﴿ كم جدلت كلمات الله من جدل ﴾
﴿ فيه وكم خصم البرهان من خصم ﴾
كم ظرف اى كثيرا من المرات الجدالة وجه الارض جدله اوقعه على الجدالة والجدال والجدل الخصومة والجدل بالكسر صفة منه اى كثير الجدال وفيه متعلق به الخصم الالد وخصم من باب المغالبة خاصمته فخصمته اخصم بالضم اى غلبته فى الخصومة وضمير فيه للنبى صلى الله عليه وسلم اوالى ملته بتأويل دينه وقوله خصم اى فيه والمراد من كلمات الله بالقرآن العظيم ومن البرهان ماهو اعم من العقلى والنقلى والمعجزات الباهرة ومن زائدة فى الاثبات كما فى قد كان من مطر اوباعتبار ان مضمون الفعلين يتضمن النفى وذلك لان كلا منهما يستلزم الافحام والالزام والغلبة وكل منها يستلزم نفى الخصم وعلى اول نكرة فى موضع الاثبات كما فى علمت نفس بقرينة التنكير ومقام المدح للكلمات وزيادة من ويجوز ان يكون للابتداء اى جدالا من جدل * كما فى قد كان من مطر على قول اى شئ من مطر *

من المبا لغة بمعنى كثيرا ماغلب فى الخصومة والبرهان بالرفع فاعل خصم والمراد بالبرهان اعم من المعجزات والكرامات الباهرات ومن فى خصم زائدة كمن فى من جدل وقد جاز زيادتها فى الاثبات كما فى قولنا قدكان من مطر والفعلان المذكوران ههنا وان كانا مثبتين صورة لكنهما متضمنان معنى النفى تدبر وخصم بكسر الصاد بمعنى كثير الخصومة وحاصل معنى البيت كم مرة رمت الى الارض فى المجادلة كلمات الله التى جاءت من عنده منكوسا على الرأس شخصا كثير الجدال وكم مرة غاب الدليل القاطع شخصا كثير الخصام

(كَفاكَ بِالعِلمِ فِى الاُمِّىِ مُعجِزَةً * فِى الجاهِلِيَّةِ وَالتَّاديبِ فِى اليُتُمِ)

لما استفيد من البيت السابق ان له عليه الصلوة والسلام معجزة فيها كان الخصم مغلوبا وكان مظنة ان يسأل عن تلك المعجزات اجاب عنه ببيان بعض ما اشتهر فقال كفاك الخ كفاك بمعنى حسبك والخطاب لكل احد والباء فى بالعلم زائدة ككفى بالله واللام فى العلم للعهد الذهنى وفى الامى صفة العلم او حال منه والامى منسوب الى الام وهو الاصل وهو فى العرف عبارة عمن لم يعرف الكتابة ولم يقرأ من الخط ولم يتعلم من معلم ولم يجلس بين يدى الاستاذ بطريق العادة بل بقى على اصل الخلقة والفطرة وقيل معنى الامى منسوب الى ام العرب وهم قوم الغالب عليهم عدم معرفة الكتابة والحساب ومعجزة بالنصب تمييز كما فى طاب زيد نفسا ومعنى المعجزة قد سبق لكن المراد ههنا معنى خرق العادة مطلقا فتذكر ومن اراد به المعنى السابق فلم يتبصر فان كنت ذا بصيرة فتدبر وفى الجاهلية متعلق بالعلم اى فى وقت الجاهلية وهى عبارة عن زمان انحرف فيه الشرع السابق ولم يكن فيه الوحى اللاحق وتفرق الناس فى اديانهم ويسمى ذلك الزمان ايضا بالفترة والتأديب بالجر على انه معطوف على العلم وبالرفع معطوف على العلم اذ الباء فيه زائدة والتأديب بمعنى كونه عليه الصلوة والسلام مؤدبا يعنى عدم كونه فاحشا ولا متفحشا ولا غليظ القلب لانه عليه الصلوة والسلام كان مجمع محاسن الاخلاق من صباوته الى نبوته عليه الصلوة والسلام وفى اليتم متعلق بالتأديب بلا تكلف واليتم بضمتين بمعنى موت الاب وبقاء الابن صبيا بلا اب وحاصل معنى البيت ان معجزاته عليه الصلوة والسلام كثيرة وشهيرة فاذا نظرت اليه عليه السلام بعين البصيرة كفاك ايها الطالب لمعجزاته واياته العلوم التى لا تعد ولا تحصى فيه عليه السلام بغير تعلم من العلماء ولا كتابة مع الادباء فى زمان كثر فيه الجهل على الانام وزاد فيه الضلال بلا انفصام وكذا كفاك كونه مؤدبا بمكارم الاخلاق والخصال ومتأدبا على وجه الكمال فى اوان يتمه وزمان حداثة سنه واول خلقته

الباء زائدة ككفى بالله والخطاب لكل احد وفى الامى صفة العلم او حال عنه اى الكائن او كائنا والامى منسوب الى الام وهو الاصل وهو فى العرف عبارة عمن لم يعرف الكتابة ولم يقرأ من الخط ولم يتعلم من معلم بطريق العادة كأنه باق على اصل الخلقة والفطرة وقدم معنى المعجزة وهى حال عن العلم او تمييز كما فى طاب زيد نفسا وفى الجاهلية ظرف العلم اى فى وقت الجاهلية وهى عبارة عن زمان انحرف فيه الشرع السابق ولم يكن فيه الوحى اللاحق وتفرق الناس فى اديانهم والتأديب ان قرئ مجرورا وهو الرواية فهو عطف على العلم اى كفاك التأدب والتأديب اى تنبهه على الآداب لعلمه بها فى وقت اليتم معجزة وان قرئ مرفوعا فهو عطف على العلم اذ الباء زائدة او مبتدأ وخبره محذوف اى كذلك واليتم واليتم كالغفل والغفل واللام فى العلم والتأديب للمعهود الذهنى وفى الامى للمعهود الخارجى وفى اليتم عوض عن المضاف اليه ويجوز ان يتعلق قوله فى اليتم بالعلم والتأديب جميعاً لان الوقت الواحد يصلح ان يكون ظرفا لحدثين ولكن عند البصريين لا يجوز توارد العاملين على معمول واحد ويقدرون للآخر مثله والاول قول الفرآء والكوفيين فى قوله فان قيل صرح المحققون النحاة ان تعلق حرفى جر بمعنى واحد بفعل واحد لا يجوز بخلاف مررت برجل بارض كذا لان الثانية للظرفية وهنا فى الجاهلية وفى اليتم بمعنى الظرفية فكيف يصح تعلقها بالعلم قلنا هذا اذا لم يصح ابدال الثانية من الاولى اما اذا صح فيجوز ولا يخفى ان هنا يجوز ان يكون فى اليتم بدلا عن قوله فى الجاهلية كما فى قوله تع (وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم)

(خدمته بمديحٍ استقيلُ بهِ * ذُنوبَ عمرٍ مضى فى الشعرِ والخِدَمِ)

لما فرغ من بعض اوصافه وبيان بعض معجزاته ومعراجه وغزواته وبعض اوصاف اصحابه الكرام اراد ان يشرع فى الاسترحام من جنابه الكريم والاستشفاع من ذاته الرؤف الرحيم وبيان الغرض من نظم هذه القصيدة اللطيفة المباركة الطيبة الشريفة فقال خدمته بمديح الخ خدمته على صيغة نفس المتكلم من الخدمة اى مدحته والضمير له عليه السلام والجملة استينافية والمديح مايمدح به اعنى ما يبين فيه الفضائل والمراد هذه القصيدة وجملة استقيل صفة مديح او حال منه من الاستقالة بمعنى طلب العفو وبه متعلق به والباء فيه للاستعانة والضمير راجع الى المديح وذنوب بالنصب على انه مفعول به لاستقيل والذنوب جمع ذنب شامل للصغائر والكبائر وعمر الانسان عبارة عن مدة حياته واضافة الذنوب بمعنى فى وجملة مضى صفة عمر ومضى بمعنى ذهب يعنى لا كل العمر بل العمر الذى ذهب الخ وفى الشعر متعلق بمضى والشعر قول موزون وزنا عن تعمد كما ان البيت ماتركب من المصراعين والقطعة شعر يكون مؤلفا من سبعة ابيات والقصيدة ماتركب من عشرة ابيات فما فوقها والمراد من الشعر ههنا معناه المصدرى اعنى اتيان الكلام الموزون عن تعمد وان كان المراد الاول يقدر فيه مضاف اى فى استعمال الشعر واتيانه والخدم بالجر عطف على الشعر وهو بكسر الخاء وفتح الدال جمع خدمة والمعنى فى انواع الخدمة او فى خدم المخلوقين تدبر وحاصل معنى البيت ان حاصل المرام من مدحى سيد الانام بهذه القصيدة المشتملة على اوصافه عليه السلام طلبى العفو من الله الملك العلام بسبب هذه القصيدة عن ذنوب فى مدة حياة مضت فى الاشتغال بالشعر فى مدح الناس ومذمتهم وتلفت فى خدمات ارباب الدنيا لاغراض فاسدة فى صحبتهم اذ روى ان الناظم كان فى اول الامر من مقربى السلاطين وكان يخدمهم ويدفع احزانهم بانشاد الشعر فى مدائحهم وفى مذمة اعدائهم وكان قصده جلب الدنيا واخذ المنصب الاعلى وقد سبقت الاشارة الى بعض هذا فى مفتتح الكتاب ثم اعلم ان فى البيت رد العجز على الصدر من قبيل قوله

* سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندا بسريع *

(اِذ قَلَّدانِىَ ماتُخْشى عَواقِبُهُ * كَأَنَّنِى بِهِما هَدْىٌ مِنَ النَّعَمِ)

لما كان مظنة ان يسئل عن مضمون البيت السابق من طلب العفو عن الذنوب الحاصلة من الشعر والخدم بانه هل حصل لك من الشعر والخدم ذنوب حتى

(خدمته بمديح استقيل به)
(ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم)
(اذ قلدانى ما تخشى عواقبه)
(كأننى بهما هدى من النعم)

ضمير المفعول يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المديح عد الفضائل وبيانها وما يتضمن ذلك وقيل الحمد والمدح اخوان والمديح اسم لما يمدح به وغلب فى العرف على المنظوم الممدوح به استقال طلب العفو وباء به للاستعانة عمر الانسان عبارة عن مدة حيوته واريد به بعضها بقرينة مضى الشعر اما بمعناه المصدرى او الحاصل به اى الكلام المقفى الموزون اى فى الاشتغال به وفى الشعر حال عن فاعل مضى والخدم جمع خدمة اى فى انواع الخدمة واذ قلدانى تعليل استقيل قلد الشئ جعله قلادة له وتقليد الهدى ان يجعل فى رقبته شئ يعرف به فى العادة انه هدى والهدى مايهدى الى مكة على قصد التقرب وضمير عواقبه لما وبهما حال وقوله من النعم هضم لنفسه وفى قوله هدى تفضيل

تطلب العفو عنها قال نعم اذ قلدانى الخ فاذ للتعليل لطلب العفو وقلدانى على صيغة التثنية وضمير التثنية راجع الى الشعر والخدم وقلد من التقليد وهو ربط العنق قلادة ثم ان اسناد قلدانى الى الشعر والخدم مجاز من قبيل الاسناد الى السبب وفى قلد استعارة تبعية بتشبيه لزوم الاثم بالقلادة فى مطلق اللزوم وعدم الافتراق كما لا يخفى وماتخشى منصوب محلا على انه مفعول ثان لقلد وتخشى على صيغة المجهول من الخشية بمعنى الخوف وعواقبه بالرفع نائب فاعل لتخشى وهى جمع عاقبة وضمير عواقبه راجع الى ما والمراد بما تخشى عواقبه الآثام والاوزار الحاصلة بهما وكأن للتشبيه وبهما ظرف مستقر حال من اسم كأن وضمير التثنية راجع الى الشعر والخدم فان قلت اللائق ان يفرد الضمير ويرجع الى ما لان ما كان كالقلادة دون الشعر والخدم قلت ان الشعر والخدم لما كانا سببين قويين فى كون ماتخشى عواقبه قلادة ذكر السبب واراد المسبب كما لا يخفى وهدى بالرفع خبر ان والهدى بفتح الهاء وسكون الدال مايهدى الى مكة للذبح فيها ومن شانه ان يقلد بتعليق شئ فى عنقه ليعلم انه هدى فلا يتعرض له بشئ ومن النعم بيان للهدى والنعم بفتح النون والعين هو الابل والبقر والغنم ثم ان فى تشبيه نفسه بالهدى اشارة الى انه متوجه فى كل امر الى جناب الحق وان فعل ماتخشى عواقبه من الاقبال على غير الله تعالى على مقتضى قوله تعالى (فاينما تولوا فثم وجه الله) وحاصل معنى البيت ان طلبى العفو من الله تعالى عن ذنوبى لازم لانه بسبب الشعر والخدم المذمومين لزم على الآثام والاوزار مما تخشى عواقبه من انواع العقاب فى عاقبة الدار فكأننى عينت للهلاك بسببهما كالهدى المقلد المعد للهلاك وان لم يتحول قلبى عن خالق الافلاك

(اطعتُ غَيَّ الصِّبا فى الحالتينِ وما * حصلتُ الّا على الآثامِ والندمِ)

لما استفيد من السابق ان اشتغاله بالشعر والخدم كان فى بعض عمره اراد بيانه مع بيان سبب اشتغاله وعدم تحصيله شيئا من المحاسن فقال اطعت غى الصبا الخ اطعت اى اتبعت وغى الصبا بالنصب مفعول اطعت والغى بتشديد الياء بمعنى الغواية والضلالة والصبى بكسر الصاد والقصر الصباوة والمراد من غى الصبا الاغترار بالاباطل والالتذاذ بالتمائيل والركون والميل الى العاجل وترك النظر فى الامر الآجل وفى الحالتين متعلق باطعت او ظرف مستقر صفة لغى الصبا اى الحاصل فى الحالتين والمراد من الحالتين الشعر والخدم واستفيد من هذا المصراع ان المقدم والباعث الى الاشتغال بالشعر والخدم كان الصباوة والشباب فتأمل والواو فى وما حصلت للحال وما نافية وحصلت بالتشديد من

لنفسه على سائر الانعام وبيان انه ليس ممن هو كالانعام بل هم اضل اذ الهدى موجه جهة جناب الحق فالناظم رحمه الله يقول خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمديح اطلب به العفو واستقيل ذنوب ايام مضت فى الشعر والخدمات لانى رأيت ان خدمة المخلوق والركون اليه ونظم الاشعار فى مدائح كل واحد وعرضها عليه مما قلدنى عملا يخاف عواقبه واملا يخشى مواظبه واننى وان تنزلت عن مدارج الملكوت وتخلفت عن التدرج الى معارج الجبروت وابتليت بالحزن الدائم والقلب الهائم بل انخرطت فى سلك البهائم ولكن لم يتحول وجه قلبى عن قبلة الاقبال وما زاغ بصر همتى عن مشاهدة كعبة حضرة ذى الجلال والجمال بل ما اقبلت على غير حضرة الاله على مقتضى قوله اينما تولوا فثم وجه الله

(اطعت غى الصبا فى الحالتين فما)
(حصلت الاعلى الآثام والندم)
(فيا خسارة نفس فى تجارتها)
(لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم)

اطعت اى وافقت وما خالفت غى الصبا هو الاغترار بالاباطيل والالتذاذ بالتمائيل والعلوق والركون الى العاجل وترك النظر فى امر الآجل والحالتين الصبا وغيره او الشيب

حصل على كذا اى بقى عليه فالمعنى مابقيت منهما على شئ والا للاستثناء والآثام جمع اثم وهو الذنب والندم بفتحتين الندامة والمراد به مايترتب عليه الندامة والا فالندم نفسه توبة وهى موجبة للنجاة قيل فى البيت لف ونشر مرتب اذ الآثام ناظر الى الشعر والندم ناظر الى الخدم وحاصل معنى البيت انى وافقت وماخالفت ضلالة الصباوة والشباب فى الاستعمال بالشعر والاشتغال بالخدمة وتضييع العمر بهما والحال انى ما حصلت ومابقيت الا على المعاصى والندامة والتحسر والتحزن

(فيا خسارةَ نفسٍ فى تجارتِها * لم تشترِ الدينَ بالدُّنيا ولم تسمِ)

لما بين كون نفسه ثابتة على الآثام والاوزار غير محصلة لما ينفعها يوم القرار اراد اظهار التحسر والندامة عليها فقال بالفاء التفريعية فيا خسارة نفس الخ كلمة يا للنداء وخسارة بالنصب منادى مضاف الى النفس ونداء الخسارة مجاز لان الخسارة لا يتأتى منها الاقبال والمعنى على المبالغة فى شدة التحسر كأنه نادى الخسارة وقال تعال ياحسرة فهذا اوانك قال ابن الشيخ فى سورة يس النداء فى مثل هذا المقام يكون لمجرد التنبيه انتهى والخسارة اصابة الضرر الغير المقصود من التجارة وتنوين نفس عوض عن المضاف اليه اى نفسى وفى تجارتها متعلق بالخسارة وفيه حذف مضاف اى وقت تجارتها وهو حياة الدنيا والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء وههنا مجاز عن طلب مرضاة الله ومثوباته وانما خسرت نفسه فى تجارتها لانها اخرجت استعداد الاعراض عن الدنيا والتوغل فى عبادة المولى عن اليد والقدرة فكأنها لا تملك الرجوع اليه ولذا قال لم تشتر الدين الخ فجملة لم تشتر استينا فية كأنه قيل لم خسرت نفسك فى التجارة فاجاب عنه ببيانه فقال لم تشتر الخ والضمير فى تشتر راجع الى النفس ومعناه لم تختر ولم تؤثر ولم تستبدل والدين بالنصب مفعول به لتشترى والمراد من الدين ههنا كماله الذى تدور عليه النجاة من كل البليات الدنيوية والاخروية وبالدنيا متعلق بلم تشتر ولذا قيل دنياك كل مايشغلك عن مولاك وهى هنا بمنزلة الثمن ولم تسم عطف على لم تشتر وهو من سام يسوم سوما والسوم هو الاتيان بمقدمات البيع والشراء وهذا للمبالغة ثم ان الاشتراء مجاز عن الاستبدال والسوم عن القصد ويجوز ان يكون فى البيت استعارة تمثيلية تأمل وحاصل معنى البيت ياخسارة نفسى تعال فهذا وقتك حتى يتعجب منك قومك فى تجارتها اذ لم تأخذ الدين بدل الدنيا ولم تبدل الفانى بالباقى ثم لم تقصد لتحصيل الدين بترك الدنيا بحسن النية وصدق القصد قال فى روح البيان ان الله تعالى خلق الروح نورانيا علويا وخلق النفس ظلمانية ثم اشرك بينهما وجعل رأس مالهما الاستعداد

والشباب اوالصغر والكبر ويمكن ان يكون المراد باحدهما حالة الشعر وبالاخرى حالة الخدمة فعلى هذا يكون قوله اطعت استينافا اوبيانا لقوله اذ قلدانى ماحصلت اما عطف اوحال يقال حصل على كذا اذا بقى عليه وصار قصارى امره ذلك فالمعنى مابقيت منهما على شئ الا على الآثام فيا خسارة يعنى ياقوم انظروا الى خسارتها وياخسارة نفسى تعالى فهذا اوانك فى تجارتها اى فى وقت تجارتها وهو لحيوة الدنيا ولم تشتر اماصفة نفس واستيناف اوحال اى لم يستبدل والباء تدخل فى المتروك غالبا كما فى قوله تع (اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) سام السلعة طلب شراها والدين عبارة عن جميع ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم والمراد منه فى البيت كماله الذى يدور عليه النجاة والسعادة والدنيا ماشغلك عن المولى فقوله لم تشترو لم تسم معناه ماحقق الاستبدال ولا اتى بمقدماته اى وكلت النفس الامر كله الى المحبوب وماانقطعت بالكلية عما يشغلها عن المطلوب ولم تقل فى مقام الانقياد وكلت الى المحبوب امرى كله فان شاء ابقانى وان شاء تلفا والسالك مابقى شئ من وجوده الموهوم المعيوب فهو ممن ابتلى باعظم الجرائم والذنوب كما قيل * اذا قال مااذنبت قالت مجيبة وجودك ذنب لايقاس به ذنب * اللهم خلصنا بجود جودك عن توهم وجودنا

الفطرى القابل للكمال والترقى فى القربة والمعرفة والخسارة والنقصان فمن آمن وجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله وطلب فى كل حاله رضى الله فقدربح روحه وخسرت نفسه ومن لم يؤمن بالله ورسوله وكفر بهما اوآمن ولم يأت بعمل حسن اصلا فقدخسر روحه ونفسه جميعا فعلى العاقل ان يجتهد قبل مجئ الفوت ويربح فى تجارته ببذل النفس والمال فى طلب رضاء الله فان سلامة رأس المال الذى هو الاسلام مادام حاصلا يمكن ان يتدارك الربح فى صفقة وان لم يحصل فى صفقة اخرى فلا ينبغى ان تضيع العمر فيما لايعنى اذالفرصة غنيمة ولذا قال الشاعر الفارسى

* مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف *

﴿ ومن يبع آجلاً منه بعاجله * يبن له الغبن فى بيع وفى سلم ﴾

لما استفيد من البيت السابق انه اشترى الدنيا بالدين اذ مفهوم المخالفة معتبر فى مذهب الناظم الفاهم الامين فكأنه قيل ما يحصل لمن اشترى الدنيا بالدين اجاب عنه بقوله ومن يبع آجلا الخ الواو ابتدائية ومن اسم شرط مبتدأ ويبع مضارع مجزوم من باع يبيع بيعا والبيع وكذا الابتياع من الاضداد يقع على فعل المشترى والبائع كالشراء وكذا الاشتراء والمراد به هنا ماوقع على فعل البائع واريد منه المعنى المجازى اعنى الاستبدال والاخراج من اليد وآجلا بالنصب مفعول يبع والآجل مايأتى بعداجل ومدة والمراد به هنا العقبى ومايتعلق بالدين اذ ثمرته تظهر فى الآخرة ومنه ظرف مستقر صفة لآجل وضميره راجع الى الدين ومن ارجع ضمير منه الى من فقد وقع فى تكلف تدبر وبعاجله متعلق بالبيع والعاجل مايأتى عجلة والمراد به الدنيا وهو فى مقام الثمن المأخوذ فى البيع اذا دخل عليه الباء وضمير عاجله راجع الى من وجملة يبن جزاء الشرط وهو مضارع مجزوم من بان يبين اى يظهر فمعنى يبن اى يظهر قريبا قال الشاعر

*سوف ترى اذا انجلى الغبار * افرس تحتك ام حمار*

وضميرله راجع الى من والغبن بالرفع فاعل يبن والغبن بفتح الغين وسكون الباء بمعنى الضرر الكامل الزائد زيادة فاحشة وفى بيع متعلق بالغبن او صفة له وفى سلم عطف على فى بيع واعادة الجار لضرورة الشعر ولفظ البيع عام لانواع البيع كبيع العين بالعين وهو المقايضة وبيع العين بالدين وهو المداينة وبيع الثمن بالثمن وهو الصرف وبيع الدين بالعين وهو السلم بفتحتين ومانحن فيه من قبيل السلم ولذا تعرض الى تصريحه بقوله وفى سلم وفى البيت استعارة مصرحة وبيانها لايخفى على اهل البيان وايماء الى ردمن يقول

﴿ ومن يبع آجلا منه بعاجله ﴾
﴿ يبن له الغبن فى بيع وفى سلم ﴾
وقع فى بعض النسخ عاجلا منه بآجله فعلى هذا الباء فى غير المتروك والبيع من الاضداد وبان له ظهرله وبان عنه انفصل عنه والغبن بسكون الباء فى الاموال وبفتحها فى الآراء والسلم السلف وضمير آجله الى من ومنه صفة عاجلا وآجلا اى كائنا منه والضمير للدين اى حظه الدينى وتنوين بيع وسلم للتحقير اوللتعظيم والتنوينات كلها عوض عن المضاف اليه اى عاجله وبيعه وسلمه وقوله وفى سلم يجوز ان يكون المراد من البيع مطلق معاوضة الدين بغيره ومن السلم اخذ العاجل الفانى بترك الآجل الباقى وهذا من غاية سفاهة العقل ونهاية خسارة النفس عند التلاقى قال عليه الصلوة والسلام من احب دنياه اضربآخرته ومن احب آخرته ضربدنياه فآثروا ما يبقى على مايفنى *

الدنيا نقدو الآخرة نسيئة واعطاء النقد لها غير معقول فان السلم انما يكون باعطاء النقد للنسيئة وحذاق التجار تلقوا بالقبول السلم اعلم ان الله تعالى خلق الانسان مركبا من الدنيا والآخرة ولكل جزء منهما ميل وارادة الى كله يتغذى منه ويتقوى ويتكمل به ففى جزئه الدنيوى وهو النفس الامارة طريق الى دركات النيران وفى جزئه الاخروى وهو الروح طريق الى دركات الجنان وخلق من هذين الجزئين القلب وله طريق الى كونه بين اصبع الرحمة واصبع القهر فمن يرد الله به ان يكون مظهر قهره ازاغ قلبه وحول وجهه الى الدنيا فيريد العاجلة ويرمى بها النفيسة الى ان يبلغ الى دركات جهنم ومن يرد الله به ان يكون مظهر لطفه اقام قلبه وحول وجهه الى العالم العلوى فيريد الآخرة وسعى لها سعيها

﴿ إن آت ذنباً فما عهدى بمنتقض * من النبي ولا حبلى بمنصرم ﴾

لماذكر كون نفسه منغمسة فى اودية المعاصى والاوزار وخسارتها فى تجارتها وعدم كسبها ربحا ينفع فى دار القرار وفهم منه انه لم يكن له فوز ونجاة من العذاب الاليم فى يوم الحشر والميقات فوقعت نفسه فى دهشة وحيرة وكاد يقطع الرجاء من مغفرة تلك الذنوب شرع فى تسلية النفس وتأنيسها ودفع وحشتها وحيرتها ببيان مايكون سببا لمغفرتها فقال ان آت ذنبا الخ ان حرف شرط وآت بمد الهمزة وكسر التاء نفس متكلم وحده اصله اتى ياتى فسقط الياء للجزم فمعنى ان آت ان فعلت وذنبا بالنصب مفعول آت والذنب عام يشمل كل الذنوب واحدا بعد واحد والفاء فى فما للجزاء اى فلا احزن ولا اقطع الرجاء وطلب العفو اوفلا تحزنى يانفسى ولا تحيرى ولا تقطعى الرجاء ففى العبارة على كلا التقديرين ايجاز الحذف فيكون قوله ماعهدى علة للجزاء المحذوف كما لايخفى وما نافية والعهد بمعنى الميثاق والمراد به التزامه التوحيد والدين والعقائد والمنتقض من نقض العهد بمعنى عدم الوفاء به ومن النبى متعلق بمنتقض ولا حبلى عطف على وماعهدى وتكرير النفى للتأكيد اى لانه لم يكن حبلى الخ والمراد من الحبل الوسائل التى بينه وبين النبى عليه الصلوة والسلام والاصوب ان يكون المراد من العهد والحبل ماسيأتى فى البيت الآتى وهو الوعد الذى جاء فى التسمية بمحمد ومنصرم على صيغة اسم الفاعل بمعنى المنقطع وحاصل معنى البيت ان فعلت ذنبا وكسبت سيئا فانى ارجو ستره وغفرانه لان عهدى الذى هو الايمان ليس بمنتقض لان نقض التوبة بارتكاب المعصية لاينقض عهد الايمان ولان حبلى اى الوعد الآتى ليس بمنقطع من جهته عليه الصلوة والسلام بل هو مأمول فى كل حال وزمان

﴿ فانّ لى ذمّةً منه بتسميتى * محمداً وهو اوفى الخلق بالذمم ﴾

﴿ ان آت ذنبا فما عهدى بمنتقض ﴾
﴿ من النبى ولا حبلى بمنصرم ﴾
﴿ فان لى ذمة منه بتسميتى ﴾
﴿ محمدا وهواوفى الخلق بالذمم ﴾
اتيت كذا اى فعلته والنكرة فى سياق الشرط كهى فى سياق النفى اى عام بطريق البدلية اى ان اتيت كل الذنوب واحدا واحدا وتنوين ذنبا للتكثير وللتفخيم ايضا والمراد من العهد التزامه التوحيد والدين والعقائد الحقة وبيعته ومن افضل الوسائل التى بينه وبين النبى عليه الصلوة والسلام محبته والتزام سنته ومزيد اعتصامه به ويجوز ان يكون المراد من قوله عهدى عهد النبى بى وهو الوعد الذى جاء فى التسمية بمحمد واحمد اومن قوله حبلى كذلك اومنهما كذلك فيكون الفاء فى قوله فان للتفسير وعلى الوجهين الاولين الفاء لمجرد العطف قال ابوعبيد الذمة الامان ومنه اهل الذمة اى اهل الامان بقبول الجزية والذمام الجزية والذمة قد تطلق على العهد ومنه اماصفة ذمة اى صادرة منه واما متعلق بعامل الجار قبله وباء بتسميتى للسببية والتسمية ان كان مصدر المعلوم يكون اضافة المصدر الى المفعول

لمابين فى البيت السابق ان له عهدا وذمة مع النبى عليه السلام وكان فى مفهوم ذلك خفأ اراد دفعه وتفسيره فقال فان لى ذمة الخ الفاء للتفسير والذمة بمعنى الامان كما فى قوله عليه السلام (ويسعى بذمتهم ادناهم) وتطلق على العهد ايضا ومنه ظرف مستقر صفة لذمة والضمير راجع الى النبى عليه السلام وبتسميتى متعلق بالذمة والباء فيه للسببية والتسمية ان كانت مصدر المعلوم تكون اضافة المصدر الى المفعول الاول والفاعل متروك اى تسمية الله اياى لان الالقاب تنزل من السماء وتلق على المسمى او تسمية مسمى اياى محمدا ويحتمل ان يكون النبى خاطب الناظم فى رؤياه بهذا الاسم او فى اليقظة كما وقع لبعض المشايخ الكبار فيكون التقدير بتسميته عليه السلام اياى ومحمدا بالنصب مفعول ثان للتسمية ثم اعلم ان اسم محمد اسم كريم شريف وهو اشرف اسمائه عليه السلام واخصها واعرفها وبه يناديه الله تعالى ويسميه فى الدنيا والآخرة وهو المختص بكلمة التوحيد وبه كنى آدم عليه السلام بابى محمد وبه كان يكتب من محمد رسول الله وبه يصلى عليه المصلون وبه صعد ملك الموت السماء لما قبض روحه قائلا وا محمداه وتفصيل الكلام فى كتب الانام ثم ان قوله وهو الخ جملة استينافية والضمير له عليه السلام واوفى صيغة مبالغة للتفضيل من وفى بالمديق اذا راعى مقتضاه او من وفى بمعنى اتم اى اتم الخلق والخلق بمعنى الانام والمخلوقات والذمم بكسر الذال جمع ذمة وحاصل معنى البيت قال لى عهدا وميثاقا معه عليه السلام لان اسمى محمد وهو دال على محبته له والاسم لا يتغير بمخالفة المسمى وهو عليه السلام بمراعاة الذمم اوفى فيقوم بحقها بالشفاعة لاهلها فى دار العقبى وفى البيت اشارة الى ماورد فى الحديث انه عليه السلام قال اتانى جبرائيل فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك وعزتى وجلالى لا اعذب من يسمى باسمك بالنار والى ماورد فى حديث آخر استحيى ان اعذب بالنار من اسمه اسم حبيبى وروى القاضى عياض فى الشفاء ان الله تعالى وملائكته يستغفرون لمن اسمه محمد واحمد ولهذا كان اكثر اسامى العلماء الكرام محمدا

﴿ إِن لَمْ يَكُنْ فِى مَعَادِى آخِذاً بِيَدِى * فَضْلاً وَالَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ ﴾

ثم اراد بيان كونه محتاجا غاية الاحتياج لشفاعة صاحب الآيات والمعراج وكونه مقطوع الرجاء من سائر العباد ان لم يكن رسول الله له شافعا فى المعاد فقال ان لم يكن الخ ان لم يكن جملة شرطية والضمير له عليه السلام وفى جواب هذا الشرط وجهان احدهما ان يكون قوله الآتى فقل والثانى ان يكون محذوفا اى فقل يا شدة البال ويا بؤس الحال والمعاد مصدر او مكان او زمان والمراد به حالة الموت ومابعده والاخذ باليد عبارة عن البصر والامداد والمعاونة

الاول والفاعل متروك اى تسمية الله اياى لان الالقاب تنزل من السماء وتلق على المسمى او تسميته مسمى اياى محمدا ويحتمل ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم خاطبه بهذا الاسم فى حال النوم او فى حال الغيبة او الانخلاع ان كان من اهله او فى اليقظة كما كنى للشيخ نجم الدين الكبرى بابى الجناب والآخر بطاووس الحرمين فيكون التقدير بتسميته اياى محمدا او محمدا مفعول ثان وان كان مصدر المجهول فياء المتكلم اقيم مقام الفاعل ومحمدا هو المفعول الثانى اوفى صيغة التفضيل من وفى يفى بالعهد اذا راعى مقتضاه او من وفى اتم اى اتم الخلق برعاية الذمم الى والمصراع الثانى حال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبرائيل عليه السلام فقال الله يقرأ عليك السلام ويقول لك وعزتى وجلالى لا اعذب من سمى باسمك بالنار وروى ايضا استحيى ان اعذب بالنار وروى ايضا استحيى ان اعذب بالنار من اسمه اسم حبيبى ولهذا يتوارث بين عظماء الملة تسمية ابنائهم محمدا بطنا بعد بطن كامام الانام حجة الاسلام ابى الحامد محمد الغزالى رحمه الله فانه قال سميت اولاد محمد الى زمانى هذا رحم الله السلف والخلف

﴿ ان لم يكن فى معادى اخذا بيدى ﴾

﴿ فضلا والا فقل يا زلة القدم ﴾

﴿ ودفع ﴾

ودفع البلايا وفضلا بالنصب على انه تميز من نسبة اخذ الى فاعله وايراد الفضل اشارة الى انه لم يكن له حق عليه عليه السلام لو شفع يشفع تفضلا واحسانا وقوله والا فيه خلاف بين القوم فقال بعضهم اصله ان لا ادغمت نون ان فى لام لا فجزاء هذا الشرط محذوف ان كان قوله فقل جوابا ان لم يكن او فقل ان كان جواب ان لم تكن محذوفا وجملة هذا الشرط والجزاء تكون تأكيد الجملة ان لم يكن فتدبر وقال بعضهم الا بالتنوين وكسرة الهمزة بمعنى العهد (قال تعالى لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) وهو الاصوب وقوله فقل خطاب لمن جرده من نفسه ويا زلة القدم اى احضرى فهذا اوانك وزلة القدم عبارة عن الوقوع فى المهالك ويمكن حملها على زلق القدم عن الصراط بالوقوع فى النار وحاصل المعنى انى محتاج الى شفاعة جنابه الكريم فى النجاة من المهالك والعذاب الاليم حتى لو لم يكن معينا الى فضلا اى احسانا زائدا على الوعد وعهدا وهو الوفاء بالذمة والعهد فقل انت نفسك بالخطاب والعتاب يا زلة القدم ويا سىء الحال وشتيت البال وشديد المآل

﴿ حَاشَاهُ أَنْ يُحْرِمَ الرَّاجِى مَكَارِمَهُ * أَوْ يَرْجِعَ الجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ ﴾

لما كاد ان يتوهم من البيت السابق كون رجاء الراجى وسؤال المناجى غير مقبول عند بابه عليه السلام اراد دفعه فقال حاشاه اى انزهه وابرئه وضمير المفعول له عليه السلام ويحرم من حرم يحرم كضرب يضرب او من احرمه بمعنى منعه يتعدى الى مفعولين وهو على صيغة المعلوم او المجهول وسكون ياء الراجى لضرورة الشعر والراجى بمعنى السائل ومكارمه بالنصب مفعول الراجى والمراد بمكارمه هنا الالطاف والخيرات من جهته عليه السلام ويرجع بالنصب معطوف على يحرم ورجع يجىء لازما ومتعديا وههنا لازم اى يعود او متعد فالجار امامنصوب او مرفوع والجار بمعنى القريب وقد يطلق الجار على المستجير الداخل فى الجوار وضمير منه راجع اليه عليه السلام وغير محترم حال من فاعل يرجع وحاصل معنى البيت انه عليه السلام منزه عن ان يحرم راجيه وسائله من الاكرام او يرد المستجير منه بغير احترام فانه معدن الكرامات ومنبع الاحترامات بل جميع اهل الدنيا مستغيث بذاته عليه السلام

﴿ وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِى مَدَائِحَهُ * وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِى خَيْرَ مُلْتَزِمِ ﴾

لما نزه رسول الله عن رد رجاء الراجى وسؤال المناجى اراد بيان حكم منه مما وقع له فى الدنيا من قبول رجائه عند بابه فقال ومنذ الزمت الخ العامل فى منذ قوله وجدت او كلمة منذ مبتدأ وهو بمعنى اول المدة التى لزمت افكارى الخ والزمت من الزمته الشىء اى جعلته كفيلا للشىء فتكفل به والافكار جمع فكر وهو

﴿ حاشاه ان يحرم الراجى مكارمه ﴾

﴿ او يرجع الجار منه غير محترم ﴾

المراد من المعاد حالة الموت وما بعده واخذ اليد عبارة عن النصر والامداد والادراك بالمعونة والرفع عند الحاجة والباء فى بيدى زائدة فضلا تميز من نسبة آخذ الى فاعله وزلة القدم عبارة عن الهلاك والشقاء وسوء الحال اما جواب ان لم يكن فيحتمل وجهين احدهما ان يكون قوله فقل يا زلة القدم جواب ان التى ادغم نونه فى اللام لا محذوف اى وان كان آخذا بيدى لان نفى النفى اثبات فقل ياسعادة امرك ويا طيب حالك والثانى ان يكون محذوفا اى فقل يا شدة الحال ويا سؤ المآل ويكون قوله والا مع الشرط والجزاء تكرارا للشرط والجزاء السابق بالعطف وذلك لمزيد بيان تأكيد الحال والمآل ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون قوله والا تكرارا للشرط السابق ويكون لمجرد تأكيد الشرط فقط لمزيد تقرر الغرض المذكور بكلمة ان لان هذا الغرض مستبعد عنه لقوة حسن ظنه بالنبى الرؤف الرحيم صلى الله عليه وسلم فعلى هذا لا يحتاج الى الجوابين لكون الشرط واحدا وهذا اوجه العطف من الوجهين السابقين ولو قرئ الا بالتنوين والال هو العهد يكون سبكا مليحا ومعنى صحيحا ويكون المعنى ان لم يدركنى على

استعمال القوة العاقلة لاستحضار ماليس بحاضر والمراد به ههنا عدم الافتراق من رضاه وذكره ومحبته فى آن ومدائحه بالنصب مفعول الزمت وهو جمع مديح والمراد مكارمه الحسنة واخلاقه المستحسنة والخلاص متعلق بقوله ملتزم المؤخر والخلاص بمعنى الفوز والنجاة من المصائب والبليات والمراد من بليات الدنيا كالسقم فى الجسم وغيره وخير ملتزم بالنصب مفعول ثان او جدت وملتزم على صيغة اسم الفاعل بمعنى خير كل ملتزم لوعده واحدا واحدا وحاصل معنى البيت انى من اول المدة التى اوجبت على افكارى مدائحه باخلاص النية وصفاء الطوية وجدته وعلمته قد تكفل لى وقام بتخليتى من كل شدة وبلية وهذا ناش عن مكارمه الحسنة واخلاقه المستحسنة

﴿ وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ * اِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْاَزْهَارَ فِى الْاَكَمِ ﴾

ولما توهم من البيت السابق كونه اهلا للعطا ومستحقا للفعل والندى شرع فى هضم نفسه وبيان كثرة شفقته وعطيته حتى اصاب من لم يكن له استحقاق فقال ولن يفوت الغنى الخ ويفوت من الفوت والغنى بالكسر مع القصر بمعنى اليسار والمراد منه شفاعته عليه السلام ومنه ظرف مستقر صفة للغنى اوحال منه والضمير له عليه السلام ويدا اى عن يدو تربت بمعنى افتقرت واريد باليد ايدى المحتاجين والنكرة فى سياق النفى تفيد العموم وقيل يجوز ان يراد من الغنى المال ويؤيده نسخة الندى وقوله ان الحيا استيناف وتنظير للحكم المتقدم والحيا بالقصر المطر واما بالمد فمعناه الاستحياء قال مصنفك حدثنى بعض من تشرفت بملاقاته وتفاخرت باستماع مقالاته من اكابر السادات بمكة ان بعض صلحاء مكة رأى رسول الله عليه السلام فى المنام وسأل منه عليه السلام فقال ءانت قلت يارسول الله الحيا من الايمان بالقصر فقال رسول الله لا فاستيقظ وتعجب من ذلك وحكى هذه الواقعة عند علماء مكة فتعجبوا من ذلك لانهم تيقنوا بالرواية الصحيحة وعلموا ان الرواة ثقاة امناء اذ هو مذكور فى البخارى وغيره فامروا له بتكرار التوجه الى الحضرة العلية له عليه السلام فى الليلة الثانية ففعل فرأى تلك الحضرة على الطريق المذكور ثم حكى ذلك عندهم فامروه ثانيا بتكرير التوجه الى ان بلغ ثلاث ليال وكان الامر كما ذكر فاجتمعوا وكتبوا هذه الوقعة فى صحيفة فارسلوها الى سلطان مصر وعلمائها وكان ذلك فى زمن شمس الدين ابن حجر من المحدثين فلما سمع ابن حجر ذلك تعجب وقال للملك مره ليجئ الينا فنراه ونسمع من لسانه فارسل السلطان اليه مبلغا من النقود لترتيب اسباب السفر وطلبه فابى عن تلك النقود وذهب اليه بماله فلما وصل استقبله العلماء والكبراء فلما رأوه وسألوه عن ذلك فحكى عندهم كما مر فتعجبوا

مقتضى الفضل والعهد ولكن السماع والرواية بدون التنوين وايضا فيه فرض ما يمتنع فرضه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم من ترك مقتضى العهد واما قوله تع لئن اشركت ليحبطن عملك فانه تعريض للامة ومعنى يازلة القدم ياقوم انظروا زلة القدم او يازلة القدم تعالى فهذا اوانك ويقصد بهذا تقرر الامر وتحققه وحاشاك وحاشالك بمعنى واحد اى جانبك وبه يجر وينصب بناء على انه حرف اوفعل والنصب اكثر وان مع مافى حيزه فاعله ويحرم امامن حرم يحرمه اى منعه من باب ضرب او من احرمه يحرمه بمعناه والرواية فيه مالم يسم فاعله فالراجى مفعوله القائم مقام الفاعل ومكارمه مفعوله الثانى ولو قرئ معلوما فالراجى مفعوله الاول وسكون الياء كما فى اعط القوس باريها فرض اولا بكلمة ان ثم قال حاشا مبالغة فى تنزه ذاته عن الحرمان والمكارم جمع مكرمة وهى الصفة المرضية الفائض نفعها على الغير والمراد هنا الالطاف والخيرات من جهته رجع لازم هنا ويجئ متعديا نحو فارجع البصر والجار الملاصق او القريب بيته الى بيتك ويطلق على من استجار بواحد يقال انه جاره *

﴿ ومنذ الزمت افكارى مدائحه ﴾
﴿ وجدته لخلاصى خير ملتزم ﴾
﴿ ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ﴾
﴿ ان الحيا ينبت الازهار فى الاكم ﴾

من ذلك فرفعوا القضية الى الامام برهان الدين المحدث بالشام فقال اريد ان ارى هذا الرجل واسمع ذلك من لسانه فذهبوا به اليه فحكى عنده كما مر فتنبه برهان الدين لما سبق من الفرق بين الممدود والمقصور فقال لقد صدق رسول الله فان الحيا بالقصر المطر والحديث ممدود لكن توجه هذه الليلة واسأل الحضرة ففعل فرأى رسول الله فاستكشف منه فقال الامر كذلك بارك الله فيك وفى ملعمك برهان الدين انتهى ثم اسناد ينبت الى الحيا مجاز من قبيل الاسناد الى سببه والازهار بالنصب مفعول ينبت وهو جمع زهر والاكم بفتحتين جمع اكمة بمعنى رأس الجبل الذى لا يستقر فيه الماء والمقصود تشبيه جوده بالجود فى عموم النفع وقطع النظر عن ان يستأهل العطاء محله وفيه اشارة الى انه رحمة للعالمين وسبب للغنى الظاهرى والباطنى للعلماء العالمين

﴿ وَلَمْ اُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِى اقْتَطَفَتْ * يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا اَثْنَى عَلَى هَرِمِ ﴾

لما كان البيت السابق موهما انه اراد النفع الدنيوى دون الحظ الاخروى دفع الوهم والخيال فقال ولم ارد زهرة الدنيا الخ اى ما رجوت وما طلبت وزهرة بالنصب مفعول لم ارد وزهرة الدنيا عبارة عن زينتها ومتاعها وبهجتها ونضارتها وفى التعبير بالزهرة اشارة الى سرعة زوالها كالزهر والى كونها غرارة تفتن الناس بحسنها وطمعها وفى بعض النسخ هذه الدنيا وهذه للتحقير كما فى قوله تعالى (اهذا الذى يذكر آلهتكم) والتى صفة للزهرة لا للدنيا وقطفت من قطف الثمر واقتطفها جناها وكلاهما رواية فى البيت ويدا زهير فاعل اقتطفت اصله يدان وزهير اسم شاعر من فحول الشعراء وهو زهير بن ابى سلمى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يقدم عليه احدا ويقول اشعر الناس زهير وولده كعب صحابى صاحب قصيدة بانت سعاد وفى الوشاح لابن دريد ان كنية زهير ابو بجير وذكر غيره انه مات قبل المبعث واخرج ثعلب عن ابن عباس بسنده قال قال لى عمر انشدنى اشعر شعرائكم قلت من هو ياامير المؤمنين قال زهير وعن ابن الاعرابى قال كان لزهير فى الشعر مالم يكن لغيره كان ابوه شاعرا وهو شاعرا وخاله شاعرا واخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين واخته الخنساء شاعرة وكان معاوية يقول كان اشعر اهل الجاهلية زهير بن ابى سلمى وكان اشعر اهل الاسلام ابنه كعب والباء بما اثنى للسببية او للبدلية وما اما موصولة اى الذى اثنى به او مصدرية اى باثنائه وهرم بفتح الهاء وكسر الراء هو هرم بن سنان من اجود ملوك العرب ولزهير فيه مدائح كثيرة ومن جملتها قصيدة انشأها فى مدحه اولها

* غشيت ديارا بالبقيع فثهمد * دوارس قد اقوين من ام معبد *

العامل فى منذ قوله وجدته ان جعل مفعولا فيه والابتدأ اى جميع المدة التى الزمت افكارى ومدائحه مفعول الزمت الفكر فى اللغة التأمل وهو استعمال القوة العاقلة لاستحضار ما ليس بحاضر لخلاصى متعلق بوجدته بمعنى علمته او بملتزم التزم تكفل واوجب على نفسه وحذف مفعول خلاصى ليعم اى عن كل مكروه ولن يفوت عطف على وجدته اوحال فانه سبقه وفات عنه ضاع الغنى فاعله يدا تربت اى افتقرت ومنه صفة للغنى اوحال بتقدير الكائن اوكائنا اى من جهته وبركته ويجوز ان يتعلق بيفوت اى لم يزل ولم ينعدم منه الغنى ويجوز ان يراد باليد النفس من قبيل ذكر الجزء وارادة الكل ويكون المراد من الافتقار قلة الاعمال المنتجة بقرينة البيت الذى بعده ومن الغنى العناية منه والشفاعة التى تغنى من الاعمال ويجوز ان يكون المراد من الغنى الظفر بالمقصود اذ وقع فى صحبته الخلاص من المكروه فان ما يهم الانسان الخلاص عن المكروه والظفر بالمقصود فيم الدنيوى والاخروى ثم اخذ فى هضم نفسه فقال ان عنايته الميمونة ونظره المبارك نفعتنى واثرت فى حالى وان كنت لم استأهل وما كنت محلا صالحا على ماينبغى للاضافات فان الحيا استيناف وهو المطر ويجوز ان يكون المعنى من الوقت الذى اشتغلت بمدحه وجدته كذا وذلك فيما مضى ولا يعود قط ايضا الخير من جهته للنفس المفتقرة المعتصمة به فيما يجئ فهذا الطمع والرجاء عام ف

الدنيا والاخرى والازهار جمع زهر واحده زهرة كتمر وتمرة ولم ارد ﴿ ٢١٨ ﴾ حال او عطف زهرة الدنيا مشتهياتها

ومستلذاتها وروى هذه الدنيا وهذه للتحقير كما فى قوله اهذا الذى يذكر آلهتكم التى صفة زهرة لا الدنيا قطف الثمرة واقتطفها جناها وكلاهما رواية فى البيت وزهير اسم شاعر من الشعراء السبعة والباء فى بما اثنى للسببية او للاستعانة او للبدل وما اما موصولة اى بالذى اثنى عليه او مصدرية اى باثنائه عليه وهرم بفتح الهاء وكسر الراء هو هرم بن سنان من اجواد ملوك العرب وللزهير مدائح واشعار فى حقه وصل منه اليه صلات وخلع كثيرة خارجة عن العادات *

﴿ يا اكرم الخلق مالى من الوذ به ﴾

﴿ سواك عند حلول الحادث العمم ﴾

﴿ ولن يضيق رسول الله جاهك بى ﴾

﴿ اذا الكريم تجلى باسم منتقم ﴾

التفت من الغيبة الى الخطاب كما فى اياك نعبد لان السؤال فى الخطاب ادعى الى الاجابة من الغيبة والخلق مصدر بمعنى اسم المفعول اى المخلوقات وما بمعنى ليس الوذ به اعوذ به للشفاعة الى الله تع لامطلقا وسواك منصوب على الاستثناء وعند متعلق بالوذ وعمم قرئ بفتحتين وبكسر الميم الاولى يقال جسم عمم اى تام وعمم صفة من عمه شمله والحادث العامل الشامل اما الموت او القيمة واهوالها والمراد من حلوله مجئ وقته ورسول الله منصوب بحذف حرف النداء الجاه هو الوجاهة ورفعة القدر والكرامة المستفيضة ورجل وجيه معروف ومشهور ووزن جاه عقل لان اصله جوه مقلوب وجه والمصداق فى ذلك امثلة الاشتقاق

* الى هرم تهجيرها ووسيجها * تروح من الليل التمام وتغدى *
* تقى نقى لم يكثر غنيمة * بنكبة ذى قربى ولا بحقلد *
ووصل من الملك المذكور لزهير عطيات وخلع كثيرة وحاصل معنى البيت ظاهر

﴿ يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِى مَنْ أَلُوذُ بِهِ * سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ ﴾

فلما ذكر نعوت ذاته وكمالات صفاته انتقل من حال الغيبة الى مقام الحضور فناداه فى الرجاء بالخطاب لان السؤال بالخطاب ادعى الى الاجابة من الغيبة فقال يا اكرم الخلق الخ وتفصيل الكلام فى اكرميته عليه السلام قد سبق فتذكر والالف واللام فى الخلق للجنس او للاستغراق والخلق بمعنى المخلوق وفى بعض النسخ يا اكرم الرسل ويلزم منه كونه عليه السلام افضل الخلق بطريق الدلالة وما نافية بمعنى ليس والوذ بمعنى التجئ واعوذ به متعلق بالوذ والضمير له عليه السلام اى للشفاعة الى الله وسواك منصوب على الظرفية وعند متعلق بالوذ والعمم بفتحتين وبكسر الميم الاولى وكلاهما مروى وهو من عم بمعنى شمل واحاط والمراد من الحادث الشامل لجميع الخلق اما الموت وهى القيامة الصغرى واما الساعة وهى القيامة الكبرى والمراد من حلوله ونزوله مجئ وقته

﴿ وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِى * اِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ ﴾

ثم كرر الرجاء بطريق النداء الى رسول الله الكريم حرصا فى السؤال وطلبا للنوال فقال ولن يضيق الخ الواو حالية ورسول الله منصوب على انه منادى محذوف حرف ندائه والجاه بمعنى الوجاهة وهى رفعة المنزلة وسعة المرتبة وبى اى بشفاعتى واعتنائك بى واذ بمعنى اذا للظرفية وتحلى اما بالحاء المهملة بمعنى اتصف او بالمعجمة بمعنى انكشف باسم منتقم اى بصفة منتقم ثم اعلم انه ذكر الله اولا باسمه الكريم وخصه بالذكر مع انه من صفات الجمال ثم ذكر اسمه المنتقم فى مقام الانتقام مع انه من صفات الجلال ليحصل الاعتدال ولا تنقطع قلوب الرجال وهذا مزج لطيف ومعجون شريف فان قلت انه يستفاد من قوله اذا الكريم الخ انه تعالى متصف بصفة الانتقام فيما سيأتى لا فى الازل مع انه تعالى متصف بها ازلا وابدا قلت مراده منه اذا الكريم قد ظهر كمال اثر اتصافه بالاسم المنتقم كما لا يخفى

﴿ فَاِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا * وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ ﴾

لما كان فى مضمون البيت الاول خفاء اراد تفسيره وبيانه وتعليله فقال فان من جودك الخ الجود افاضة ما ينبغى لا لعوض ولا لغرض والدنيا بالنصب تقديرا اسم ان وضرة الدنيا هى الآخرة وانما سماها ضرة لان الجمع بينهما

﴿ متعذر ﴾

وبى يتعلق بيطيق اى بشفاعتك لى واعتنائك ﴿ ٢١٩ ﴾ بى وكذا اذا تجلى بالحاء او بالجيم

على الروايتين والمقصود واحد لان كان ظهور هذا الاسم فى ذلك اليوم واما الاتصاف بهذا الاسم فهو ازلا وابدا انتقم الله منه عاقبه والاسم النقمة وقرئ اذ بغير الالف ايضا وكلاهما متمحض للظرفية

﴿ فان من جودك الدنيا وضرتها ﴾

﴿ ومن علومك علم اللوح والقلم ﴾

هذا البيت بيان وتفسير وتعليل لقوله ولن يضيق والجود افاضة ما ينبغى لمن ينبغى كما ينبغى لا لعوض ولا لغرض وضرة الدنيا هى الآخرة وانما سماها ضرة لها لان الجمع بينهما متعذر فى الارضاء او متعسر الان يوفق الله تع ولما كان النبى هو المقصود الاصلى من الوجود كما ينبئ عنه خطاب لولاك لما خلقت الكون فكأنه سبب لوجود ماسواه فكان الكون من جوده مجازا او يكون على حذف المضاف اى حصول خيرهما من جودك وبركة شفاعتك وحرصك فى افاضة الخير والرحمة على السافلات والعلم اما بمعناه او بمعنى المعلوم اى معلوماتك المعلومات الحاصلة منهما ولعل الله اطلعه على جميع ما فى اللوح وزاده ايضا لان اللوح والقلم متناهيان فما فهما متناه ويجوز احاطة المتناهى بالمتناهى هذا على قدر فهمك اما من اكتحلت بصيرته بالنور الالهى فيشاهد بالذوق ان علوم اللوح والقلم جزء من علومه كما هى جزء من علم الله سبحانه لانه عليه السلام عند الانسلاخ عن البشرية كالا يسمع ولا يبصر ولا يبطش ولا ينطق الا به جلت

متعذر الان يوفق الله تعالى كتعسر الجمع بين المرأتين كما قال عليه السلام من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته الحديث ومن لطائف ما قيل
* عتبت على الدنيا لتأخير عالم * وتقديم ذى جهل فقال خذ العذرى *
* بنوا الجهل اولادى لذاك رفعتهم * واهل النهى اولاد ضرتى الاخرى *
قيل كون الكونين من جوده لانه واسطة فى فيضان الوجود على الماهيات وسيلان الجود على الموجودات فكأن الكونين من جوده او يكون مجازا اى حصول خيرهما من جودك وبركة شفاعتك وفى هذا المصراع تلميح الى حديث لولاك الحديث وفى قوله ومن علومك عطف على من جودك والعلوم جمع علم وهو او بمعناه او بمعنى المعلوم اى من معلوماتك علم اللوح والقلم اى المعلومات الحاصلة منهما وعلم اللوح بالنصب معطوف على الدنيا اللوح هو الكتاب المبين ولا يقدر العقل ما فيه من العظمة واللطافة وما فيه من الحروف والكتابة قيل اللوح اربعة لوح القضاء المصون عن المحو والاثبات وهو لوح العقل الاول ولوح القدر اى لوح النفس الناطقة الكلية التى يفصل فيه كليات اللوح الاول ويتعلق باثباتها وهو المسمى باللوح المحفوظ ولوح النفس الجزئية السماوية التى ينقش فيه كل ما فى هذا العالم بشكله ومقداره وهو المسمى بسماء الدنيا ولوح الهيولى القابلة للصور فى عالم الشهادة والقلم وهو الذى خلق مقدما على جميع الاشياء وقد جعل الله له ثلاثمائة وستين سنا كل سن يعرب عن ثلاثمائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها فى اللوح قال شيخ محيى الدين بن عربى اعلم ان الله تعالى لما تجلى للقلم اشتق منه موجود آخر سماه اللوح وامر القلم ان يتدلى اليه ويودع فيه جميع ما يكون الى يوم القيامة انتهى قال الشعرانى فى كتاب اليواقيت والجواهر فان قلت فهل اطلع احد من الاولياء على عدد الحوادث التى كتبها القلم على اللوح الى يوم القيامة فالجواب قال الشيخ فى الباب الثامن والستين بعد المائة من الفتوحات المكية نعم انا ممن اطلعه الله على ذلك وقال الشيخ اطلعنى الله على عدد امهات علوم ام الكتاب وهو مائة الف نوع وتسعة وعشرون الف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوى على علوم انتهى ثم اعلم انه قيل ان العلم مصدر مضاف الى فاعله اى علم اللوح والقلم بالاشياء فاحتاج الى القول بان لها ادراكا وشعورا وقيل انه مضاف الى المفعول اى علم الناس باللوح والقلم وقيل ان الله اطلعه عليه السلام على ما كتب القلم فى اللوح المحفوظ وزاره ايضا لان اللوح والقلم متناهيان فما فيهما متناه ويجوز احاطة المتناهى بالمتناهى وقال شيخ زاده هذا على قدر فهمك واما من اكتحلت عين بصيرته بالنور الالهى فيشاهد بالذوق ان علوم اللوح والقلم جزء من علومه كما هى جزء من علم الله تعالى وحاصل المعنى انه عليه السلام هو الواسطة فى افاضة المنح

قدرته وعمت نعمته كذلك لايعلم الا بعلمه الذي لايحيطون بشيء منه الا بماشاء كما اشار ﴿ ٢٢٠ ﴾ اليه بقوله وعلمك مالم تكن تعلم

(يانفس لا تقنطي من زله عظمت)
(ان الكبائر في الغفران كاللمم)
(لعل رحمة ربي حين يقسمها)
(تأتي على حسب العصيان في القسم)

خاطبها استبعادا لها عن مكان الزلق فنهاها عن القنوط لانها كفر النفس لها معان البدن والروح والدم والوجود الخاص وقيل النفس مايشير اليه كل احد بقوله انا والنفس التي من صفاتها الامارة واللوامة والملهمة والمطمئنة بحسب اطوارها ونفس ان قرئ بالضم فهو المنادى المفرد الذي تعرف بالقصد اليه فيكون النداء لكل نفس يقصد اليها وان قرئ بالكسر فهو بحذف ياء المتكلم والاكتفاء بالكسر القنوط اليأس ومن لابتداء الغاية والسببية والزلة الذنب اعم من ان يكون كبيرة اوصغيرة فصلح للتخصيص بالوصف لاالزلة التي جاءت في حق الانبياء وفي الغفران متعلق بالكاف في كاللمم لما فيه من رائحة الفعل اللمم الجنون وفي قوله تع الا اللمم قيل انه صغار الذنوب وهو المراد ههنا وقيل كل مس دون الوقاع وقيل انه ما الم على القلب وقيل مالاحد عليه ولا اوعد عليه عذاب في الآخرة مثل الغمزة والقبلة وفي غريب التفسير اللمم النكاح وقيل انه الكبيرة التي ارتكبها الانسان مرة واحدة وتاب عنها وما آب اليها اعلم ان الذنوب ثلثة اقسام كبائر وصغائر وزلات الكبيرة ماجاء عليه الوعيد اوبولغ واكد في تحريمه في القرآن اوفي الحديث الصحيح اواجتمعت الامة على

الظاهريات والباطنيات من المبدأ الاول في الكائنات العلويات والسفليات واذا كان كذلك فلن يضيق جاهه بعنايته وكفايته ولايعزب عن علمه حال ضراعته فلا تقصر جوده عن شفاعته

﴿ يانفس لاتقنطي من زلة عظمت * ان الكبائر في الغفران كاللمم ﴾

لما فرغ من الرجاء للشفاعة منه عليه السلام شرع في تأنيس النفس مخاطبا لها بااستبعادا عن مظان الزلق ناهيا اياها عن القنوط فقال يانفس الخ روي نفس بضم السين على انه منادى مفرد معرفة وبكسرها على انه منادى مضاف الى المتكلم وتخصيص النفس بالخطاب اشعار بان القنوط انما ينشأ من النفس ولاتقنطي من القنوط وهو اعظم اليأس وفي المفردات القنوط اليأس من الخير وبالفارسية نوميد شدن ازخير واعلم ان القنوط من رحمة الله علامة زوال الفطرة الاسلامية بانقطاع الوصلة بين الحق والعبد اذ لو بقي شيء من نوره لاراه اثر رحمته الواسعة السابقة على غضبه فرجاء وصول ذلك الاثر اليه لاتصاله بعالم النور بتلك البقية والزلة الذنب اعم من ان يكون كبيرة اوصغيرة لاالزلة التي جاءت في حق الانبياء وعظمت بمعنى كبرت وجلت وان الكبائر علة للنهي والكبائر جمع كبيرة وهي مااوعد الشارع عليه بخصوصه والذنب مايذم الآتي به شرعا وقد اختلفت الروايات في المعصية الكبيرة روى عن ابن عمر انها تسع الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة والزنا والفرار من الزحف والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد في الحرم وقيل كل معصية اصر عليها العبد فهي كبيرة وكل مااستغفر منها فهي صغيرة وتفصيل الكلام في رسالة مستقلة لابن نجيم في عد الكبائر وفي الغفران متعلق بالكاف في قوله كاللمم واللمم بمعنى صغار الذنوب وحاصل المعنى ياايتها النفس لاتيئسي من رحمة الله ومغفرته يأسا ناشئا من المعاصي التي كبرت وعظمت باصرارك لان الكبائر من المعاصي كصغار الذنوب في جنب غفران غفار الذنوب وقد وعد الله تعالى على طريق التأكيد والتوكيد في قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا الآية بغفران الذنوب وان كثرت وكانت بعدد الرمال والاوراق والنجوم سواء كانت صغائر اوكبائرا ونحوها قيل لما نزل قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم انشد عليه السلام بهذا

(ان تغفر اللهم فاغفر جما * فاي عبدلك ماالما)

﴿ لعل رحمة ربي حين يقسمها * تأتي على حسب العصيان في القسم ﴾

لما علل نهي النفس عن القنوط بقوله ان الكبائر الخ اوردعليه علة اخرى لكونه مما يعتني بشأنه فقال لعل رحمة ربي الخ لعل للترجي وانما جاء به لان الاصلح لايجب

حرمته والزلة ماقصد به المعروف فافضى الى المحظور من غير قصد اليه ولايكون الافضاء اليه غالبا اواكثريا والصغائر غيرهما وقوله ان الكبائر في الغفران كاللمم ارادتها في جواز الغفران ورجائه كهي كاللمم ولكن الكبائر في الغفران ابعد من غيرها على مقتضى النصوص الواردة فان الصغائر تكفر وتغفر بالحسنات دون الكبائر ولعل المعنى ان الكبائر في جنب عظمة الغفران كاللمم ولهذا قيل اعظم الذنوب رؤية عظمة الذنب في عظمة غفرانه ولعل استيناف مثل ان الكبائر لبيان علة لاتقنطي وانما جاء به لان الاصلح لايجب على الله تع وهو فاعل مختار ولايتجاوز فعله الفضل والعدل وحين ﴿ ٢٢١ ﴾ ظرف لتأتي يقسمها اي على اهلها في القسم متعلق بتأتي واما صفة العصيان اي الكائن في القسم فان الطاعة والمعصية كل منهما مقضي ومقدر ومقسوم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لامحالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق وزنا النفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك اويكذبه ولوجوب الايمان بان مااصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك فان قيل مضمون البيت الثاني مخالف لما علم من النصوص القطعية من ان الجزاء على حسب العمل ووفقه وقد ورد في الخبر الآلهي * جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم على انه قد تقرر في العقول انه لابد من الملائمة بين السبب والمسبب ولاملائمة بين كثرة المخالفة وبين استحقاق كثرة الرحمة بل على ضدها قلنا ان في القيمة موقفين للمؤمنين موقف العدل وفيه اظهار كمال العدل ودقائقه في المجازات وفيه الجزاء على وفق العمل وموقف الفضل وفيه اظهار كمال الفضل وعجائبه وغرائبه وفيه لايبالي ارحم الراحمين بما يفيض وعلى من يفيض بعد التحلي بالايمان ولاشك ان في هذا المقام اذا توجه العفو والرحمة الى العصاة فكل من كان اكثر عصيانا يكون حظه من العفو والرحمة اكثر حتى يتصلح حاله وهناك تختص برحمته من يشاء ومراد الناظم من الرجي المقام الثاني لاالاول والتعويل في هذا المقام قيل * واوعدتني حتى اذا ماملكتني * صفحت وصفح المالكين جميل * ﴿ يارب واجعل رجائي غير منعكس ﴾ ﴿ لديك واجعل حسابي غير منخرم ﴾

على الله تعالى وهو فاعل مختار ولايتجاوز فعله عن الفضل والعدل والحكمة ورحمة منصوب على انه اسم لعل وحين ظرف لتأتي المؤخر يقسمها اي يفرقها على حسب صلة لتأتي والحسب بمعنى القدر والعصيان شامل للذنوب كلها صغيرها وكبيرها وفي ظرف لحسب والقسم بكسر القاف وفتح السين جمع قسمة بمعنى نصيب وحاصل المعنى يانفسي الامارة لاتقنطي من رحمة الله ومغفرته لان الكبائر كالصغائر بالنسبة الى مغفرته تعالى لاني ارجو واطمع ان تأتي رحمة ربي وغفرانه حين يقسمها ربي على مقدار العصيان وفي البيت اشارة الى ماروى عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها لولدها يمص من لبنها فهذا يدل على كمال الحث والرجاء والبشارة للمسلمين لانه حصل من رحمة واحدة ماحصل من النعم الظاهرة والباطنة فماظنك بمائة رحمة في الدار الآخرة والى ماورد في الخبر ايضا يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه واخبأوا كبارها فيقال له فعلت كذا يوم كذا وهو مقر لاينكر وهو مشفق من الكبار فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي ذنوبا ماعلمتموها ههنا قال الراوي فقد رأيت رسول الله يضحك حتى بدت نواجذه وهذا يدل على سعة الرجاء

﴿ يارب واجعل رجائي غير منعكس * لديك واجعل حسابي غير منخرم ﴾

لما ذكر الله تعالى في البيت السابق بطريق الغيبة انتقل منه الى الخطاب اذ الرجاء بالخطاب ادعى الى الاجابة فقال يارب الخ كلمة يا موضوعة لنداء البعيد وقد

ينادى القريب بما ينادى البعيد لحرص المنادى على اقبال المدعو عليه لما يدعوه له اوجعله نفسه فى عداد من لا يستأهل القرب لحقارة لمنادى ورب محذوف الياء اكتفاء بالكسرة والرب بمعنى المالك والصاحب والمبلغ الى الكمال شيئا فشيئا واجعل وقع فى بعض النسخ فاجعل بالفاء والرجاء بمعنى الامل فالرجاء اما بمعنى اسم المفعول اواسم مصدر ومرجوة النجاة والسعادة وغير منعكس بالنصب مفعول اجعل وهو بمعنى غير مردود اذانعكاس الرجاء الخيبة وانعكاس المرجو بالهلاك والشقاء ولدى بمعنى عند والحساب يطلق على ثلاثة معان العد والترقب والظن وكله جائز هنا فالمعنى على الاول واجعل عندى نعمك المتوالية وعلى الثانى واجعل ترقبى وانتظارى مزيد انعامك وعلى الثالث حسن ظنى بك وقدقلت انا عندظن عبدى بى وغير منخزم بمعنى غير منقطع من خرمه قطعه

(وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِى الدَّارَيْنِ اِنَّ لَهُ * صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الْاَهْوالُ يَنْهَزِمِ)

ثم اتم دعاءه من الله العلام برجاء لطفه العام الشامل فقال والطف الخ اللطف هو الاحسان الخفى اوالذى ليس له سبب جلى قيل من لطفه تعالى بالعبد ابهام عاقبته عليه لانه لوعلم سعادته لقل عمله واستند اليه ولوعلم شقاوته لآيس وترك التذلل لديه قيل من لطفه اخفاء اجله عليه ثم انه وضع المظهر موضع المضمر فى قوله بعبدك مكان بى للاستعطاف كما فى قوله * الهى عبدك العاصى اتاكا * وان له استيناف وتعليل لطلب اللطف وفى الدارين متعلق باللطف والمراد بهما الدنيا والآخرة وصبرا بالنصب على انه اسم ان وله خبره وكلمة متى من الظروف الزمانية المتضمنة للشرط الجازمة للفعل وتدعه فيه روايات ثلاث بالدال بمعنى تطلبه وبالراء بمعنى تخوفه وفى اخرى تلقه من الملاقاة والاهوال جمع هول وهو الشدة والفزع ينهزم مجزوم على الجزائية والجملة الشرطية مع الجزاء صفة صبرا وحاصل المعنى يالطيف الطف واحسن بعبدك الضعيف المعترف بالمعاصى وسلمه فى الدنيا والآخرة من الشدائد والافزاع لان لعبدك صبرا كائنا متى طلبته الاهوال اولاقته يفر صبره منه لكمال ضعفه

(وَاْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ مِنْكَ دائِمَةٍ * عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ)

لما علم انه لا منجأ اقوى ولا ملجأ اوثق من ملازمته عليه السلام ومتابعته فى كل الاوقات والايام قال واذن الخ الواو عاطفة وهذه الجملة معطوفة على اجعل والطف واذن بمعنى اعطاء الاجازة والسحب جمع سحاب والمراد من الصلاة مزيد الشرف والكرامة ومنك صفة صلاة ودائمة صفة بعد صفة له وعلى النبى متعلق بصلاة اودائمة او بمقدر والمراد من النبى محمد عليه السلام

لحرص المنادى على اقبال المدعو عليه لما يدعوه له وجعله نفسه فى عداد من لا يستأهل القرب لحقارة المنادى اولعظمة المنادى وقد يكون لغرض آخر رب الشئ مالكه والرب من اسماء الله تع ولا يقال لغيره تعالى الا بالاضافة واجعل رجائى بالواو او بالفاء على الروايتين معطوف على محذوف اى حقق رجائى اونحوه ومثل هذا للمبالغة فى اظهار الطلب والرجاء اما مصدر او بمعنى اسم المفعول ومرجوه النجات والسعادة وانعكاس الرجاء بالخيبة وانعكاس المرجو بالهلاك والشقاء ولديك متعلق بمنعكس او برجائى والحساب يطلق على ثلثة معان العدو الترقب والظن والمعنى واجعل عدى نعمك المتصلة المتوالية او ترقبى مزيد انعامك اوحسن ظنى بك وقدقلت انا عند ظن عبدى بى غير منخرم اى منقطع من خرمه قطعه فانخرم ووضع المظهر موضع المضمر فى قوله بعبدك مكان بى للاستعطاف كما فى قوله * الهى عبدك العاصى اتاكا * وان استيناف وتعليل لطلب اللطف فى الدارين صبرا اسم ان وله خبره والشرطية صفة خبرا وترعه مضارع راعه اى خوفه وضمير ينهزم الى القبر والاهوال الافزاع او المهولات * اللهم صل على حبيبك الذى باتباعه تنال الدرجات *
(واذن لسحب صلوة منك دائمة)
(على النبى بمنهل ومنسجم)

(وبمنهل)

(والآل والصحب ثم التابعين لهم) (اهل التقى والنقى والحلم والكرم) اذن له استمع اليه واذن به علم به فاذنوا الحرب واذن له الشئ اجاز والسحب جمع سحاب والمشهور بين الجمهور ان الصلوة حقيقة فى الدعاء لغة وفى العبادة المخصوصة شرعا فالمسندة الى العباد حقيقة والى الله مجاز بعلاقة السببية وقيل الصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن الانس والجن الدعاء بمزيد الخير والصلوة على الانبياء طلب مزيد اللطف والكرامة والمذكور فى الكشاف فى تفسير قوله تع ويقيمون الصلوة انها تحريك الصلوين حقيقة سميت الاركان المخصوصة بها لتحركهما فيها ثم سمى بها الدعاء تشبيها للداعى بالمصلى فى تخشعه ﴿ ٢٢٣ ﴾ فهى فى الدعاء استعارة من المجاز المرسل وكونها مشهورة فيما بينهم ومستعملة فى تراكيبهم بمعنى الدعاء قبل شرعية الصلوة المشتملة على التخشع يؤيد المشهور ويأبى المذكور على ان الاشتقاق من غير الحدث قليل وفى تفسير قوله تع هو الذى يصلى عليكم وملائكته ان الصلوة عبارة عن الاركان المخصوصة ثم نقل الى الانعطاف على وجه الترحم كانعطاف عائد المريض عليه والمرأة على ولدها لوجوده فيها ثم منه الى الترحم ثم منه الى الدعاء فيكون فى الدعاء مجازا عن المجاز عن الاستعارة والمذكور فى الفائق ان الصلوة تقويم العود ثم قيل للرحمة صلوة لاشتمالها على تقويم العمل ثم نقلت الى الدعاء ففى الدعاء مجاز مرسل عن استعارة ولا يخفى وجود المخالفة ظاهرا فى كلام صاحب الكشاف فعلى الفطن ان ينظر اليه بعين الانصاف ولقد اشرنا الى الجواب فى حواشى علقناها على شرح الكشاف والمعنى العام فى الكل ارادة الخير قوله بمنهل متعلق بائذن اى بافاضة مطر منصب سائلا بلا انقطاع من انهلت السماء صب وانهل المطر سال وسجم الدمع وانسجم سال ومنك صفة صلوة ودائمة اما صفة سحب واما صفة صلوة وعلى النبى حال من منهل قدمت عليه اوظرف لغو تعلق بعامل من او بمنهل ولا يحسن ان يتعلق بصلوة اوبدائمة فتأمل وتقرب العبد الى الله الكبير المتعال كما يتوقف على التوسل بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم كذلك يتوقف على التوسل بآله واصحابه الكرام فلذا عقب الصلوة عليه بالصلوة عليهم تحصيلا للقربة وارشادا للامة وتكميلا للملة والآل اصله اهل والصحب تخفيف صاحب اوجمع له عند من ذهب الى جعل ركب جمع راكب ثم التابعين نبه بكلمة ثم على تأخر رتبتهم عن رتبة الآل والاصحاب لهم متعلق بالتابعين كقولهم الضارب لزيد كذا اهل التقى مجرور صفة الفرق

وبمنهل متعلق بائذن اى بافاضة مطر منصب سائلا بلا انقطاع من انهلت السماء اى صبت وانهل المطر سال ومنسجم من سجم الدمع وانسجم بمعنى سال ولله در الناظم الماهر حيث اتى بالصلاة على سيدنا الكرام بابلغ الوجوه واحسن الاكرام حيث جمع فى بيت ذكر الصلوة ودوامها ونزولها ومبدأ النزول ومنتهاه وكثرتها فى ضمن الانصباب وعمومها فى طى السيلان ومحلها وتشبيهها بالامطار واثبات السحاب قيل فى لفظ ائذن ايذان بان سحب الصلوة حاضرة موقوفة على اذنه تعالى والاذن متحقق فانه تعالى والملائكة يصلون عليه

(وَالْآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التّابِعِينَ لَهُمْ * اَهْلِ التُّقى وَالنُّقى وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ)

لما كان تقرب العبد الى الله تعالى كما يتوقف على التوسل بحضرة النبى عليه السلام كذلك يتوقف على التوسل بحضرات آله واصحابه الكرام عقب الصلاة عليه عليه السلام بالصلاة عليهم تحصيلا للقربة وارشاداً للامة وتكميلا للملة فقال والآل الخ اصله اهل وآله عليه السلام كل من تبع دينه وقيل كل تقى نقى وفيه تفصيل لكن المراد به ههنا اهل بيته والصحب تخفيف صاحب اوجمع له عند من يذهب الى جعل ركب جمع راكب وايراد كلمة ثم تنبيه على تأخر رتبهم عن رتبة الآل والاصحاب اوايراده لمجرد الوزن كما فى قوله * وعجمة ثم جمع ثم تركيب * ولهم متعلق بالتابعين والضمير للاصحاب والآل واهل التقى بالجر صفة لكل واحد منهم اوبالرفع خبر مبتدأ محذوف اى هم والتقى بالضم التقوى واصله الوقى كالتراث والتقوى هو الاجتناب عن المحرمات ومافيه من الشبهات والنقى اى الخيار والطهارة من حيث المعاصى وفى بعض النسخ النهى مكانه وهو جمع

المذكورة او مرفوع خبر مبتدأ محذوف اى هم * التقى بالضم التقوى واصله الوقى من الوقاية فعوضوا التاء من الواو
كما فى تجاه وتراث والنقى اى الخيار ونقاوة كل شئ خياره بالضم فيهما ويروى النهى مكانه جمع نهية وهى العقل
يريد ان هؤلاء باجمعهم جامعون لهذه الصفات كاملون من جميع الجهات بشرف المصادقة لمصاحبة اشرف المخلوقات
فاستحقوا لذلك السلام والصلوة لكن لاعلى طريق الاستقلال والاستعداد والاستبداد بل بطريق التبعية لا كل العباد
وهذه مسئلة مهمة يشتد الاحتياج اليها فلنصرف عنان العناية الى بيانها فنقول قد انعقد الاجماع على جواز الصلوة
والسلام على جميع الانبياء عليهم السلام استقلالا بلا شبهة واما غير الانبياء كالا كابر من الصحابة والا ولياء والصلحاء
فكذلك انعقد الاجماع لكن على المنع منهما ثم اختلفوا فى طريق المنع انه مكروه اوحرام فالجمهور على انه حرام
مطلق لانه من شعائر الروافض واهل البدع وقد نهينا عن شعارهم فلا يقال مثلا ابو بكر صلى الله

نهية وهى العقل والحلم والكرم قد سبق بيانه فى اوصافه عليه السلام
تذكر وحاصل المعنى يامفيض الخير والجود ازلا وافض رحمة دائمة
على نبيك المصطفى ورسولك المرتضى واهل بيته واصحابه واتباعه
الذين كلهم جامعون للصفات الجميلة والخصال الحميدة كالتقوى والنقاوة
والحلم والكرم وهم كاملون من جميع الجهات بشرف تصادفهم لمصاحبة
اشرف المخلوقات ولذا استحقوا لذلك السلام والصلوة

(مارنحت عذبات البان ريح صبا * واطرب العيس حادى العيس بالنغم)

ثم عقب الصلاة بما يبين دوامها وقيامها الى يوم القيامة فلذا قال مارنحت الخ
مامصدرية بمعنى المدة وتلك مدة بقاء الدنيا ورنحت بمعنى حركت وامالت
وعذبات مفعول رنحت وهو جمع عذبة بمعنى الغصن والبان نوع من الاشجار
كما سبق فى مفتتح القصيدة وريح بالرفع فاعل رنحت وهو مؤنث سماعى
واضافته الى الصبا من قبيل اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك والصبا ريح
تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار قال فى حلية الكميت اعلم ان
الرياح اربع الصبا وتسمى القبول وهى تنفس عن المكروب وفى ابن خلكان
ان ريح الصبا استأذنت ربها فى ان تأتى يعقوب بريح يوسف عليه الصلاة والسلام

عليه وسلم لكن الممنوع هو الصلوة
والسلام عليهم بطريق الاستقلال واما
بطريق التبعة بان يكون ذكرهم بعد
ذكر النبى عليه السلام فقد وقع الاتفاق
على جواز ذلك فطريقة الصحابة
وغيرهم من الاولياء هى الترضية
والترحم فان قيل اذا ذكر لقمان ومريم
فهل يجوز الصلوة عليهما ام لا قلنا
لا فان جمهور العلماء على انهما ليسا
نبيين وانه شذ من قال انهما نبيان فلا
تفريع عليه ولا التفات اليه وقال امام
الحرمين قد ثبت الاجماع على ان مريم
ليست بنبية قطعا
(مارنحت عذبات البان ريح صبا)
(واطرب العيس حادى العيس بالنغم)
رنحه ميله وما للمدة وتلك مدة بقاء
الدنيا وريح فاعل رنحت واضافته الى الصبا من قبيل اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك والصبا (قبل)
ريح تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار ويقال لها القبول وعذبات مفعول رنحت وهو جمع عذبة
وعذبة الشئ طرفه الرقيق اللطيف والبان نوع من الشجر له اغصان لطيفة والطرب اى اوقع فى الطرب وهى
الخفة الحاصلة من السرور المقتضية للهزة والحركة والفعل منه طرب يطرب على وزن حفظ يحفظ العيس
جمع اعيس كالبيض جمع ابيض وهى الابل التى يخالط بياضها شئ من الشقرة وقيل هى من كرائم الابل
والحدو سوق الابل والغناء لها فغنها وهى لك الفداء ان غناء الابل الحداء النغم الكلام الخفى يقال نغم
ينغم بالفتح والكسر وسكت فلان فما نغم بحرف اى ماتكلم بشئ وماتنغم مثله وفلان حسن النغم اى
حسن الصوت والنغمة فى عرف الناس صوت يقصد به الاطراب * والله اعلم (تم بعناية الله)

قبل ان يأتيه البشير بالقميص فاذن لها فأتته بذلك فلذا يستريح كل محزون
بريح الصبا وهى من ناحية المشرق واذا هبت على الابدان نعمتها ولينتها
وهيجت الاشواق الى الاوطان والى الاحباب والجنوب وهى تجمع السحاب
ومنها خلقت الخيل كما ذكره الحاكم ابو عبدالله فى تاريخ نيسابور باسناده عن على
ابن ابى طالب عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لما اراد الله تعالى ان يخلق
الخيل اوحى الى ريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فأتى جبريل
فاخذ منها قبضة ثم قال الله تعالى هذه قبضتى ثم خلق فرسا كميتا وقال خلقتك فرسا
وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم الحديث والشمال
والدبور وهى التى تهدم البنيان وتقلع الشجر وهى الريح العقيم والعاصف
والصرصر المذكورة فى القرآن وكل مافى القرآن من لفظ الريح فالمراد به
الدبور ثم ان الطرب بمعنى اوقع فى الطرب وهو بالتحريك الخفة الحاصلة للانسان
من شدة السرور والعيس بالنصب مفعول اطرب والعيس جمع اعيس كالبيض
جمع ابيض وهو الابل البيض اوالتى يخالط بياضها شئ من الصفرة وحادى
العيس بالرفع فاعل اطرب والحادى بمعنى السائق للابل وراعيها وتكرير
العيس لقصد الاستلذاذ والنغم بفتحتين جمع نغمة وهى حسن الصوت ثم ان
فى الختم بالنغم ايذانا بانه يلزم فى قراءة هذه القصيدة من نغمة لكونها شعرا
ومن المعلوم ان الشعر يقرأ بالنغم ويحسن به وحاصل معنى البيت يامفيض الخير
والجود ائذن وأمر للسحب بذلك مادام تحريك اغصان شجرة البان بريح الصبا
ومادام اعطاء طرب وسرور سائق الابل الكرائم البيض اياها بالا صوات
الحسنة * قد وقع الفراغ من تصنيفه وتأليفه بعون الله الملك العلام * وبشفاعة
سيد الانام فى شهر رمضان سنة اثنتين واربعين بعد المائتين والالف من هجرة
نبى آخر الزمان * وارجو من كل اخوان توجيه ماوقع فيه من الزلل والفساد
ناشئا من الجهل والعناد * اذ هو اول ما افرغته فى قالب التصنيف * بعون
الله تعالى الملك اللطيف * مع تشتت الحال * واشتغال البال
* بالاستفادة من الاساتيذ الكرام * والعلماء
الفخام * والحمد لله رب العالمين وصلى الله
تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه
اجمعين وسلم تسليما
كثيرا

قد قرظه افاضل عصرنا واماثل جهابذة مصرنا * حيث قال الاستاذ
العلامة * والجهبذ الفهامة * ذوالتآليف المفيدة * والتصانيف المجيدة *

مولانا الشيخ ابراهيم الباجورى * المحرر لقصبات السباق اذا جورى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى شرح قلوب اهل العلم لافادة الاحكام * وجعلهم نجوم الهدى وشموس الاقتداء بين الانام * واثبت لهم التميز ورفع المقام * والصلوة والسلام على سيدنا محمد الذى تشرفت بمدحه البردة والقصائد * وعلى آله واصحابه وعترته السادات الاماجد * وبعد فقد نزهت طرفى فى هذا الشرح الذى شرح القلوب بيانه * وسطع فى سماء التحقيق برهانه * فرأيت اسرار البلاغة فيه فاشية * وابكار الفصاحة فى خدور السطور ناشية * والبردة به اكتست رقة الحاشية * فياله من شرح لطيف قد طرز البردة * واضحى بين الشروح عمدة * واحتوى على كثير من الآداب * واتى بالعجب العجاب * بحسن سبكة تقر العيون * وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فلله در مؤلفه لقد حقق لنا قول القائل الماهر * كم ترك الاول للآخر * كيف وهو زبدة افاضل السادة العلماء * وثمرة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء انسان عين اعيان الروم * رب المنطوق والمفهوم * حضرت سيد عمر افندى الحنفى مفتى مدينة خربوت المحمية لازال مبلغ الامنية * ولا برح رافلا فى اثواب المحاسن وارد من المعارف شرابا غير آسن * وجزاه الله خيرا عن هذا المرام واحسن لى وله الختام

وقال الامام الاكمل * والهمام الامثل * مولانا الشيخ ابراهيم السقا الذى هو اجل من عنه يتلق

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لك الحمد اوجدت العلماء فى الامصار وجددت بهم الدين * ولك الشكر اودعت فى قلوبهم من الاسرار والانوار ما اوزعت به نفوسهم تمام التبين * مننت عليهم بمنة توريث الانبياء فى العلم والعمل واحسنت اليهم بنعمة مدح مصطفاك ومختارك فى الابد والازل * ومنك سلسل الصلوات * ومسلسل التسلمات * على عين العناية والنعمة * ونفس الحماية والرحمة * وعلى آله الاشراف * واصحابه اهل الانصاف امابعد * فقد حظيت برؤية هذا الشرح البديع الفائق * المورد الصفى الهنئ الرائق الذى خدم به اوحد العلماء الاعلام * ومفرد العظماء الفخام * الانسان الكامل * الجهبذ الفاضل ذو النسب الرفيع السامى * صاحب الادب البديع النامى * قاموس البلاغة والفصاحة ونبراس الافهام * السيد عمر افندى مفتى مدينة خربوت ومفيد الحكام صحيح الاحكام * بردة المديح للحضرة النبوية * الممدوحة بالمدائح

العلية من رب البرية * فوجدته بحرا احتوى على الدرر * وروضا استوى منه الثمر * وحوى من فنون الافنان الغرر انتجت قياساته الصحيحة وابتهجت اشكاله * فزال عن مشروحه ما تضمنه غموضه واشكاله * يحق ان يقال فيه * هو البحر لكنه زاخر * هو الروض لكنه زاهر * فنزه الطرف بافنان فنونه مالها آخر * فجزى الله مؤلفه خير جزاء واثابه * وبلغه بجاه الممدوح بالمشروح آرابه * واحسن لى ولاخواننا العواقب * واقامنا معه وادامنا على احسن الطرق واقوم المذاهب آمين

وقال العمدة الفاضل * الجامع بين الفضائل والفواضل * مولانا الشيخ محمد الابراشى الجدير بتحقيق الشروح والحواشى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد منك اليك يامن جعلت العلماء مصابيح يهتدى بهم فى حلك الظلام * وخصصتهم بخصيصة الخشية حتى انتشر فضلهم وظهر للخاص والعام * والصلاة والسلام على سيدنا محمد ممد الاوائل والاواخر * وعلى آله واصحابه اولى المآثر والمفاخر * امابعد * فلما نضرت الى محاسن روض ما تضمنته هذه الطروس من ازاهر المعانى * وما اودعه كنز هذه الصحائف من الدر المباهى به المعانى * قلت هذه روضة تمايلت اغصانها * وتدلت افنانها * وعبقت ازهارها * وطابت ثمارها وتدفقت انهارها * اوحلة ابهر الناظر رونقها * وادهش الالباب تأنقها * ام بردة اجيد طرازها * ام آيات اخرس البلغاء اعجازها * ام عقود تلألأت فرائدها * وانتظمت قلائدها * بل هى درر تنافست التيجان فى نفائسها فما طالت * وتطاولت الاكاليل ان تحسن بها فما نالت * لم لا وهى جمع من فضله بين البرية معلوم * ومن حسدت العرب العرباء عليه الروم * خرجت كلماته من قلب سليم * واخلاص فى حب صاحب الشفاعة من صميم * فما كل من جمع الف ولا كل من اكثر النقل والغزو صنف * انما تلك مواهب وهبها المولى لمن شاء وجعله اولى * وكل يدعى وصلا بليلى * فدونك شرحا صار لبردة المديح كالطراز المعلم * وابان بلاغته وحسن انسجامه انه خير شرح عليها تكلم وترجم * فمن تأمله كذب قول القائل ماتركت الاوائل كلمة لقائل * هذا وانى وان مددت ذراعى * واجلت فى ميدان مديحه يراعى * وقطعت فى ذلك ليلى ونهارى * وشمرت عن الساق ازارى * فما انا

فى كال محاسنه الاذو قصور * اذلا تساوى الجر الارضيه القصور * كيف
لاو مؤلفه حائز الشرف فى العلم والنسب * مفخر العجم والعرب * الهمام العلامة
الانه شيخ الاسلام * والعمدة الفهامة الا انه ملك العلماء الاعلام *
الحسيب النسيب * الآخذ من كل فن اوفر نصيب * المتوكل على المعيد
المبدى سيدى السيد عمر افندى مفتى مدينة خربوت المحمية
صانه الله تعالى وحفظه من كل رزية وبلية * ابقاه الله
راقيا ذرى المعالى رافلا فى حلل الحبور على ممر
الليالى * ماتدنم بمدح سيد الكائنات مادح *
وتليت قصيدة البردة بين الممادح وعبق
مسك الختام باريحه الفائح

احمدك اللهم على ما وفقتنى لاتمام طبع (عصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة)
للفاضل الخربوتى مزينا هو امشه بشرح المحقق والحبر المدقق الشيخ
محى الدين محمد بن مصطفى المعروف بشيخزاده احسنه الله الحسنى وزيادة

الفوائد البهية
في
تراجم الحنفية

ويليها

طرب الاماثل بتراجم الافاضل

للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي
ولد ١٢٦٤ وتوفي ١٣٠٤ هـ
رحمه الله تعالى

الناشر
نور محمد - كارخانه تجارت كتب (آرام باغ) كراچى
پرنٹرز - تنوير پريس